

صنح الأربعة

الجزء العاشر

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

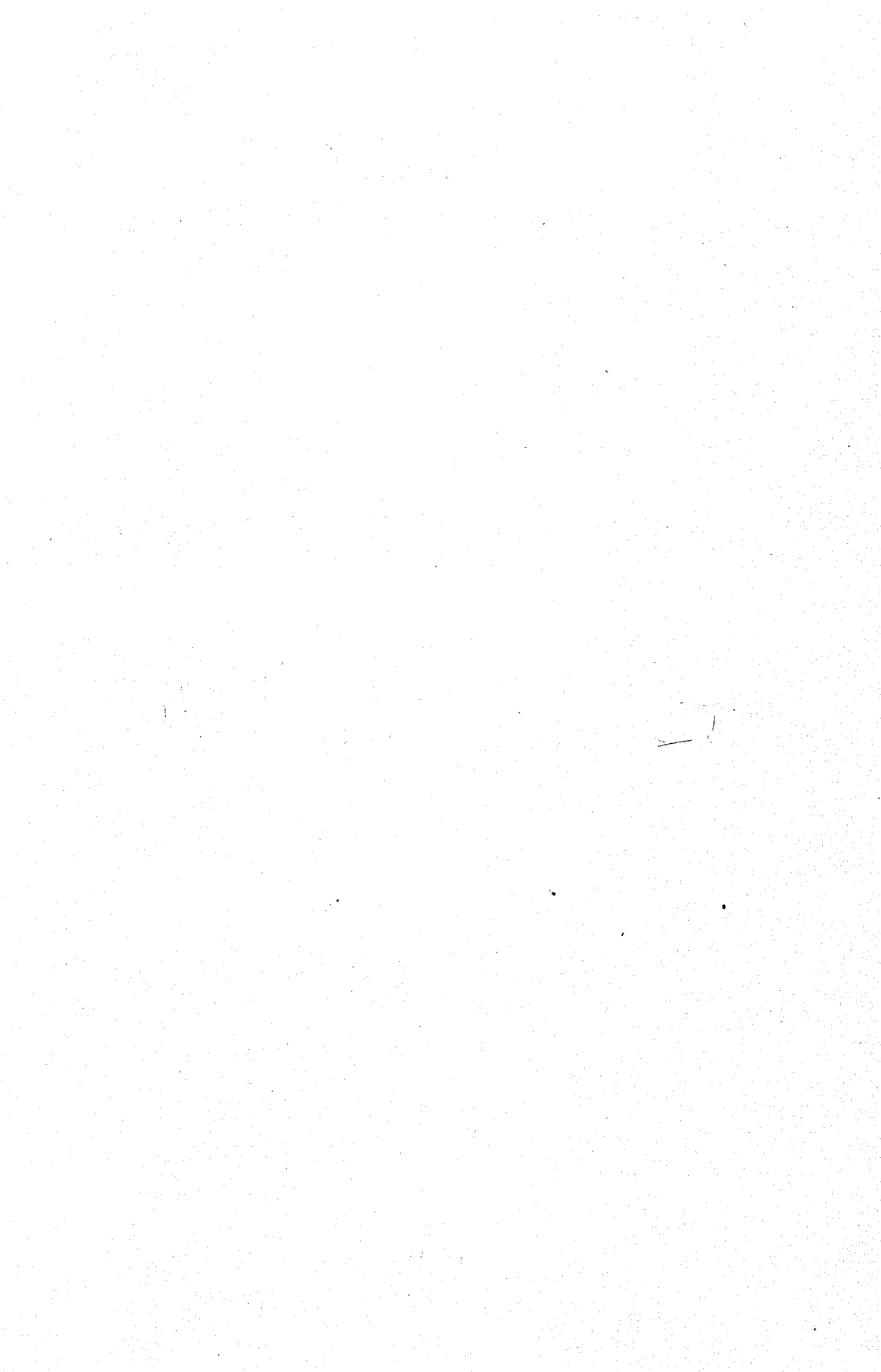
نالتف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء العاشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
م ١٩١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الوجه الخامس

(فَمَا يُكْتَبُ فِي أَلْقَابِ الْمُلُوكِ عَنِ الْخَلَفَاءِ ، وَهُوَ نَمَطَانِ)

النمط الأول

(ما كان يُكْتَبُ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ)

وهو أن يُقْتَصَرَ عَلَى مَا يَلْقَبُ بِهِ الْمَلِكُ أَوْ يُكْتَبُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ :
« مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » وَلَا يُزَادُ عَلَى ذَلِكَ .

كما كتب أبو إسحاق الصابى فى عهد نجر الدولة بن بويه عن الطائع لله :
« هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ الطَّائِعُ لِلَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى نَجْرِ الدَّوْلَةِ
أَبَى عَلَى مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وإلى هذا أشار فى " التعريف " بقوله : على أن لهذا ضابطاً كان فى قديم
الزمان وهو أنه لا يكتب للرجل إلا ما كان يلقب به من ديوان الخلافة [بالنص]
من غير زيادة ولا نقص .

(١) فى " التعريف " ص ٨٧ ملك .

(٢) الزيادة من التعريف .

النمط الثاني (ما يُكْتَبُ بِهِ مُلُوكُ الزَّمَانِ)

وقد حكى في " التعريف " في ذلك مذهبيْن :

الأوّل — أن يُكْتَبَ فيها : السُّلْطَانُ، السَّيِّدُ، الأَجَلُ، المَلِكُ الفُلَانِيّ، مع بَقِيَّةِ مَا يَنْبَغُ مِنَ الأَلْقَابِ المُفْرَدَةِ والمُرَكَّبَةِ : كما كتَبَ القَاضِي الفاضِلُ في عَهْدِ أَسَدِ الدِّينِ شيركوه الآتِي ذِكْرَهُ عَنِ العاضِدِ الفاطِمِيّ :

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ أَبِي مُحَمَّدِ الإِمَامِ العاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ، الأَجَلِّ، المَلِكِ، المَنْصُورِ؛ سُلْطَانِ الجُيُوشِ، وَوَلِيِّ الأُمَّةِ، نَخْرِ الدَوْلَةِ، أَسَدِ الدِّينِ، كَافِلِ قُضَاةِ المُسْلِمِينَ، وَهَادِي دُعَاةِ المُؤْمِنِينَ؛ أَبِي الحَرِثِ شيركوه العاضِدِيّ » .

وعلى هذه الطريفة بزيادة ألقاب كتَبَ أَبُو القَيْسِرَانِيّ فِي العَهْدِ لِلْمَلِكِ الناصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ : قَدَسَ اللهُ رُوحَهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ . قال في " التعريف " : وأنا إلى ذلك أَجْنَحُ، وعليه أَعْمَلُ .

الثاني — أن يُكْتَبَ : المَقَامُ الشَّرِيفُ، أَو الكَرِيمُ، أَو العَالِيُّ مَجْرَدًا عِنْمَا .
(١)
ويُقْتَصَرُ عَلَى المُفْرَدَةِ [دون المركبة] .

كما كتَبَ بِهِ الصَّاحِبُ نَخْرُ الدِّينِ بْنِ نُقْمَانَ، فِي عَهْدِ الظَّاهِرِ بَيْرُوسَ بَعْدَ ذِكْرِ أوصافِهِ وَمِثاقِهِ : وَلما كانت هَذِهِ المِناقِبُ الشَّرِيفَةُ مُخْتَصَّةً بِالمَقَامِ العَالِيِّ المَوْلَوِيِّ، السُّلْطَانِيِّ، المَلِكِيِّ، الظَّاهِرِيِّ، الرُّكْنِيِّ، شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى وَأَعْلَاهُ .

(١) الزيادة من " التعريف " .

قلت : وربما أبدل المتقدمون « المقام » في هذه الحالة بـ « المَقَرَّ » وأتى بالألقاب من نحو ما تقدم .

وكما كتب به القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في عهد المنصور قلاوون بعد استيفاء مناقبه وأوصافه ، وذكر أعمال الفكر والروية في اختياره : « وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله أن يكون للقرّ العالی ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، المنصوري ، أجله الله ونصره ، وأظفره وأقدره ، وأيده وأبدّه ، كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين » ونحو ذلك .

وبقي مذهب ثالث - وهو أن يأتي بنظير ألقاب المذهب الأول ، مقتصرًا على الألقاب المفردة دون المركبة . وعلى ذلك جرى الوزير ضياء الدين بن الأثير في العهد الذي كتب به معارضة لعهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآت ذكره - فقال بعد ذكر مناقبه : « وتلك مناقبك أيها الملك ، الناصر ، الأجل ، السيد ، الكبير ، العالم ، العادل ، صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب » . ولم يتعرض لحكايته في « التعريف » . على أن ابن الأثير إمام هذا الفن ، وحائز قصب السبق فيه ، ومقاتله مما يحتاج بها ويعول عليها .

فإن قيل : لعله في « التعريف » أراد مذاهب كُتِبَ زمانه ؛ فالجواب أن حكاية المذهب الثاني عن المتأخرين تؤذن بأن المراد متقدمو الكتاب ومتأخروهم .

الوجه السادس

(فيما يُكْتَبُ في مَن العُهُودِ، وفيه ثلاثةُ مَذهَبِ)

المذهبُ الأوَّلُ

(وعليه عامَّةُ الكُتَّابِ من المتقدِّمين وأكثَرُ المتأخِّرين)

أن يُفْتَحَ العَهْدُ بلفظ « هذا » مثل : « هذا ما عهِدَ به فلانُ لفلان » أو « هذا ما أَمَرَ به فلانُ فلانا » أو « هذا عهدٌ من فلان لفلان » أو « هذا كُتِبَ آكْتَبَهُ فلان لفلان » وما أشبه ذلك .

وللكُتَّابِ فيه طريقتان :

الطريقةُ الأوَّلِيَّةُ

(طريقةُ المتقدِّمين)

وهي أن لا يأتِيَ بِتحميدٍ في أثناءِ العَهْدِ في خُطْبَةٍ ولا غيرِها، ولا يتعرَّضُ إلى ذكرِ أوصافِ المعهودِ إليه والثناءِ عليه أصلاً، أو يتعرَّضُ إلى ذلك باختصارٍ ثم يقول : « فقلَّده كذا وكذا » ويذكر ما فُوضَ إليه، ثم يقول : « وأمره بكذا » حتى يأتِيَ على آخرِ الوصايا ، ثم يقول في آخره : « هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وحجَّتُه لك وعليك » ويأتِيَ بما يناسبُ ذلك ، ويختُمُه بقوله : « والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته » أو « والسلام عليك » أو بغير ذلك من الألفاظِ المناسبةِ على اختلافِ طُرُقهم في ذلك ، وتباينِ مقاصدِهم . وعلى هذا التَّهَجُّجِ وما قاربه كانتِ عهودُ السلفِ فَنَ بَعْدَهُم ، تَأْسِيًّا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما كَتَبَ به لعمرو بنِ حَرِّمٍ حينَ وَجَّهَهُ إلى اليمنِ ، كما تقدَّمتِ الأَشَارَةُ إليه في الإسْتِشْهادِ لأصلِ عُهُودِ المُلُوكِ عن الخلفاء .

وهذه نسخته بعد البسمة فيما ذكره ابن هشام وغيره :

« هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) »

« عَهْدٌ مِنْ [مُحَمَّدٍ] (١) النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ [حِينَ بَعَثَهُ] »

« إِلَى الْيَمَنِ [أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا] »

« وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُبَشِّرَ »

« النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُقَيِّمَهُمْ فِيهِ ، »

« وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ، وَيُخْبِرُ »

« النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلِينُ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ وَيَسْتَدِّ عَلَيْهِمْ »

« فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ فَقَالَ : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى »

« الظَّالِمِينَ) وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنذِرُ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلِهَا ، »

« وَيَسْتَأْلفُ النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ مَعْلَمَ الْحَجِّ »

« وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرَ الْحَجَّ الْأَكْبَرَ ، »

« وَالْحَجَّ الْأَصْغَرَ هُوَ الْعُمْرَةُ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي تَوْبٍ »

« وَاحِدٍ صَغِيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَوْبًا يَبْتَئِي طَرْفِيهِ عَلَى عَاتِقِيهِ ، وَيَنْهَى »

« [الناس^(١)] أَنْ يَجْتَبِيَ أَحَدٌ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ يُفِضِي بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، »
« وَيَنْهَى أَنْ لَا يَعْقِصَ أَحَدٌ شَعْرًا رَأْسَهُ فِي قَفَاهِ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ »
« النَّاسِ هَيْجٌ عَنِ الدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَلِيَكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ »
« [عز وجل^(١)] وَحَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ [فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى] »
« الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيُقَطِّعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ »
« وَحَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ^(١)] وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الوُضُوءِ : وَجُوهِهِمْ ، »
« وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمِرْفَاقِ ، وَأَرْجُلِهِمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ »
« كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ لَوَقْتِهَا ، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ [وَالسُّجُودِ]^(١) »
« وَالخُشُوعِ ، وَيَغْلَسُ بِالصُّبْحِ ، وَيَهْجُرُ بِالظُّهْرِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ ، »
« وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَالشَّمْسِ فِي الْأَرْضِ مُدْبِرَةً ، وَالْمَغْرِبِ حِينَ يُقْبَلُ »
« اللَّيْلُ ، لَا تُؤَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ ، وَالْعِشَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ . »
« وَأَمَرَ بِالسَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا ، وَالغُسْلِ عِنْدَ الرُّوْحِ إِلَيْهَا . »
« وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٢ .

(٢) الذي في السيرة « بالهجرة حين تميل » .

« فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرُ مَسْقَتِ الْعَيْنِ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى »
 « مَسْقَى الْغَرْبِ نِصْفُ الْعُشْرِ . وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، »
 « وَفِي كُلِّ عِشْرِينَ أَرْبَعُ شِيَاهٍ . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، »
 « وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ^(١) أَوْ جَذَعَةٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ »
 « مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَقْتَرَضَ »
 « عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ . وَأَنَّهُ مَنْ »
 « أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ وَدَانَ بِيَدَيْنِ »
 « الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ ، »
 « وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ عَنْهَا وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ : »
 « ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ دِينَارٌ وَافٍ ، أَوْ عِوَضُهُ ثِيَابًا ، فَمَنْ أَدَّى »
 « ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ »
 « وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا » .

« صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

(١) كذا في السيرة أيضا بالعين والقفاف وفي كتب اللغة العقار [أى كغراب] [خيار الكلاب والعقار] أى
 كسلام [النخل] . تأمل .
 (٢) في اللسان ج ٩ ص ٣٩٣ "إذا طلع قرن العجل وقبض عليه فهو غضب ثم هو بعد ذلك جذع"

وعلى نحو ذلك كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عهد مالك بن الأشتر النخعي حين ولاء مضر . وهو من العهود البليغة جمع فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك .

وهذه نسخته فيما ذكره ابن حمدون في تذكرته :

هذا ما أمر [به عبد الله ^(١)] علي أمير المؤمنين مالك بن الحريث الأشتر ، في عهده إليه ، حين ولاء مضر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، وأستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، وأتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه ؛ وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعته ؛ وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزّه . وأمره أن يكسر من نفسه عند السموات ، ويرعها عند الجمحات ؛ فإن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحَم الله .

ثم أعلم يا مالك أتى قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دُول قبلك : من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك [في مثل ^(٢)] ما كنت تنظر فيه من أمر الولاية قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السنن عباده ، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح . فاملِك هَوَاكَ ، وشح بنفسك عما لا يحلُّ لك ؛ فإن الشح بالنفس الإلتصاف منها فيما أحببت وكرهت . وأشعر قلبك بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ؛ ولا تكون عليهم سبعا ضاريا ، تغتم أكلهم ؛ فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ،

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" (ص ١٠٥) .

(٢) الزيادة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

وإمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ : يَفْرَطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَالُ ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا : فَأَعْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ : فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ .
 وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَأَبْتَلَاكَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَىٰ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِيَّ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَلَا تَسْتَدِمَنَّ عَلَىٰ عَفْوِهِ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَىٰ بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَدُّوحَةً ؛ وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي أَمْرٌ وَأَمْرٌ^(١) .
 فَأُطَاعَ : فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَهْلَكَةٌ فِي الدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُمَّةً أَوْ مَجْلِيَّةً ، فَانظُرْ إِلَىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَىٰ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَاغِنُ إِلَيْكَ مِنْ طَاهِكِ وَيُكْفُّ عَنْكَ مِنْ غَيْرِكَ ، وَيُنْفِيُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .
 وَإِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشْبِهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْذِلُ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَىٰ مِنْ رَعِيَّتِكَ : فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ ، أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّىٰ يَنْزِعَ وَيَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَىٰ ظُلْمٍ [فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يُسْمِعُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ]^(٢) .

وَلَيْكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمَمَهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُصْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا

(١) في "مفتاح الافكار، وشرح نهج البلاغة" « مؤمر » .

(٢) الزيادة من "مفتاح الافكار" وشرح "نهج البلاغة" .

العامة ؛ وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالي مشونةً في الرِّخاء ، وأقلَّ معونةً له في البلاء ؛ وأكثره للإينصاف ، وأسأل بالإلخاف ؛ وأقلَّ شكرًا عند الإعطاء ، وأبطأُ عُذرا عند المنع ، وأضعفُ صبرا عند مُلهمات الدهر ، من أهل الخالصَة ؛ وإنما عمودُ الدين ، وجماعُ المسلمين ، والعُدَّةُ للأعداء العامة من الأمة . فليكنْ صغوكَ لهم ، وميلك معهم ؛ وليكنْ أبعدُ رعيتك منك ، وأشنؤهم عندك ؛ أطلبهم لمعابِ الناس : فإنَّ في الناس عيوبًا والوالي أحقُّ بسترها ؛ فلا تُكشِفَنَّ عما غاب عنك منها ، فإنَّما عليك تطهيرُ ما ظهر [لك] ^(١) والله يحكم على ما غاب عنك منها . فاسترِ العورةَ ما استطعتَ يسترِ اللهُ ما تُحبُّ ستره من عيبك .

أطلق عن الناس عُقدة كلِّ حقد ، وأقطع عنهم سبب كلِّ وتر ، وتغاب عن كلِّ مالا يضح لك ؛ ولا تعجلنَّ إلى تصديقِ ساع : فانَّ الساعي غاشٌّ وإن تَنسَبه بالناصحين . ولا تُدخِلنَّ في مشورتك بغيرك يعلُّ بك عن الفضل ويعدُّك الفقر ، ولا جبانًا يضعفك عن الأمور ، ولا حريصًا يزيِّن لك الشرَّ بالخير : فإنَّ البخلَ والجبنَ والحِرصَ غرائزُ شتى يجمعها سوءُ الظنِّ بالله .

إنَّ شرَّ وزرائك من كان للأشرار قبلكَ وزيرا ومن شاركتهم في الآثام ، فلا يكوننَّ لك بطنان ، فإنهم أعوانُ الأئمة ، وإخوانُ الظلمة ؛ وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلفِ ممن له مثلُ آرائهم ونفادهم ، وليس عليه مثلُ أصرارهم وأوزارهم : ممن لم يُعاون ظالما على ظلمه ، ولا آتيا على إثمه ؛ أولئك أخفُّ عليك مشونهُ ، وأحسنُ لك معونهُ ؛ وأخفى عليك عطفًا ، وأقلُّ لغيرك إلغا ؛ فاتخذ أولئك خاصةً خلواتك [وحفلاتك] ^(١) . ثم ليكنْ آثرهم عندك أقولهم [لك] ^(١) بمرِّ الحق ، وأقلِّهم مساعدةً فيما يكونُ منك مما

(١) الزيادة من "مفتاح الأفكار، ونهج البلاغة".

كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَاءِهِ، واقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَأَلْصَقَ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ،
ثُمَّ رَضَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ وَلَا يُبْجَحُوكَ بِيَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلَهُ : فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ
الرُّهُوءَ وَتُدْنِي مِنَ الْغِرَّةِ . وَلَا يَكُونَنَّ الْحَسَنُ وَالْمُسَيِّءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ
تَرْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ [فِي الْإِحْسَانِ] وَتَدْرِييًّا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ [عَلَى الْإِسَاءَةِ] :^(٢)^(٣)

وإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ * أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ !

عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ * مِنْ الْيَوْمِ سُؤْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدٌ !

وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنْ الْجَهْلِ زَاجِرٌ ، * وَلِلْجِلْمِ أُنْبَى لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ !



وعلى ذلك كتب أبو إسحاق الصابى عن الخليفة « الطائع لله » إلى نخر الدولة بن
رُكن الدولة بن بويه ، فى جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة .

وهذه نسخة :

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم [الإمام]^(٥) الطائع لله أمير المؤمنين [إلى نخر الدولة
أبى الحسن بن رُكن الدولة أبى على مولى أمير المؤمنين] حين عرف غناؤه وبلاءه ،^(٥)

(١) أى لا يفرحوك يقال بجمته تبجيحا فتبجح أى فرحته ففرح أنظر اللسان ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار، ونهج البلاغة" .

(٣) اقتصر فى الأصل على هذا القدر وله بقية طويلة مذكورة فى "نهج البلاغة، ومفتاح الأفكار" فليرجع
إليهما من شاء .

(٤) أى كتب العهد عن الخ .

(٥) الزيادة من "رسائل الصابى" والمثل السائر .

وَأَسْتَصَحَّ دِينَهُ وَيَقِينَهُ ، وَرِعَى قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وَأَسْتَنْجَبَ عُودَهُ وَنِجَارَهُ . وَأَثْنَى
عِزَّ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [أَيَّدَهُ اللَّهُ] عَلَيْهِ ،^(١)
وَأَشَارَ بِالْمَزِيدِ فِي الصَّنِيعَةِ إِلَيْهِ ؛ وَأَعْلَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتِدَاءَهُ بِهِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ذَهَبَ فِيهِ
مِنَ الْخِدْمَةِ ، وَغَرَضِي رِمَى إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ ؛ دُخُولًا فِي زُمْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ [الْمَنْصُورِ ،
وَنُحُوجًا عَنِ جَمَاعَةِ الْأَعْدَاءِ الْمَذْهُورِ] ، وَتَصَرُّفًا عَلَى مُوجِبَاتِ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ بَعِزُّ الدَّوْلَةِ^(٢)
أَبِي مَنْصُورِ مَنْوُطِهِ ، وَعَلَى سَائِرٍ مِمَّنْ يَتْلُوهُ وَيَتَّبِعُهُ مَأْخُودَةً مُشْرُوطَةً ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ
وَأَعْمَالَ الْحَرْبِ ، وَالْمَعَاوِينَ ، وَالْأَحْدَاثَ ، وَالنَّجْرَاجَ ، وَالْأَعْشَارَ ، وَالضِّيَاعَ ،
وَالجَهْبَذَةَ ، وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْجَوَالِي ، وَسَائِرَ وَجُوهِ الْجَبَايَاتِ [وَالْعَرْضِ] وَالْعَطَاءِ ،^(٣)
وَالنَّفَقَةَ فِي الْأَوْلِيَاءِ [وَالْمَظَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّقِيقِ] وَالْعِيَارَ فِي دُورِ الضَّرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحَسْبَةِ^(٤)
يَكُورَ هَمْدَانَ ، وَأَسْتَرَابَادَ ، وَالدَّيْنُورَ ، وَقَرْمِيسِينَ ، وَالْإِيغَارِينَ ، وَ[أَعْمَالَ]
أَذْرَ بِيْجَانَ ، وَأَرَانَ ، وَالسَّجَانِينَ ، وَمُوقَانَ . وَاتَّقَا مِنْهُ بِاسْتِبْقَاءِ النِّعْمَةِ وَأَسْتِدَامَتِهَا ،
وَالِاسْتِرَادَةَ بِالشُّكْرِ مِنْهَا ، وَالتَّجَنُّبَ لِعَمَطِهَا وَجُحُودِهَا ، وَالتَّنَكُّبَ لِإِيحَاشِهَا وَتَغْيِيرِهَا ،
وَالتَّعَمُّدَ لِمَا مَكَّنَ لَهُ الحُظُوءَةَ وَالزُّلْفَى ، وَحَرَسَ عَلَيْهِ الْأَثْرَةَ وَالقُرْبَى ؛ بِمَا يُظْهِرُهُ
وَيُضْمِرُهُ مِنَ الْوَفَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالْوَلَاءِ الصَّرِيحِ ، وَالغَيْبِ الْأَمِينِ ، وَالصَّبْرِ السَّلِيمِ ،
وَالْمُقَاطَعَةِ لِكُلِّ مَنْ قَاطَعَ الْعُصْبَةَ ، وَفَارَقَ الْجُمْلَةَ ، وَالْمُوَاصِلَةَ لِكُلِّ مَنْ حَمَى الْبَيْضَةَ
وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ - وَالْكُونَ تَحْتَ ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّتِهِ ، وَمَعَ عِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورِ
وَفِي حَوْزَتِهِ ؛ وَاللَّهُ جَلَّ أَسْمُهُ يَعْرِفُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسْنَ الْعُقْبَى فِيمَا أُرْمِ وَقَقُضَ ،
وَسَدَادَ الرَّأْيِ فِيمَا رَفَعَ وَخَفَضَ ؛ وَيَجْعَلُ عِزَّ أُمَّةٍ مَقْرُونَةً بِالسَّلَامَةِ ، مَحْجُوبَةً عَنِ
مُورِدِ التَّنَادِمَةِ ؛ وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

(٢) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

أمره بتقوى الله التي هي العِصمة المتينه، والجَنَّة الحَصِينه؛ والطَّوْد الأَرْفَع، والمعَاذ الأَمْنَع؛ والجانب الأَعَز، والملجأ الأَحْرَز؛ وأن يَسْتَشْعِرَهَا سِرًّا وجَهْرًا، ويستَعْمِلَهَا قَوْلًا وفِعْلًا، وَيَتَّخِذَهَا رِذَاءً دافعًا لنوائب القَدَر، وكَهْفًا حَامِيًا من حوادث الغَيْرِ؛ فإنها أَوْجِبُ الوسائل، وأَقْرَبُ الدَّرَائِعِ، وأَعُوذُهَا على العبد بِمَصَالِحِهَا، وأَدْعَاهَا إلى سُبُلِ مَنَاجِحِهَا، وأَوْلَاهَا بِالِاسْتِمْرَارِ على هِدَايَتِهِ، والنَّجَاةِ من غَوَايَتِهِ، والسلامَةِ في دُنْيَاهِ حين تُوْبِقُ مَوْبِقَاتِهَا، وتُرْدِي مُرْدِيَاتِهَا؛ وفي آخِرَتِهِ حين تَرُوعُ رَائِعَاتِهَا وتُخِيفُ مُخِيفَاتِهَا. وأن يتأدب بِآدَابِ الله في التواضِع والإِخْبَاتِ، والسَّكِينَةِ والوَقَارِ؛ وَصِدْقِ اللُّهْجَةِ إِذَا نَطَقَ، وَغَضِّ الطَّرْفِ إِذَا رَمَعَ؛ وَكَظْمِ الغَيْظِ إِذَا أَحْفِظَ، وَضَبْطِ اللِّسَانِ إِذَا أُغْضِبَ؛ وَكَفِّ اليَدِ عَنِ المَأْتَمِ، وَصَوْنِ النَفْسِ عَنِ المَحَارِمِ. وأن يَذْكُرَ المَوْتَ الذي هُوَ نَازِلٌ بِهِ، والمَوْقِفَ الذي هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ؛ وَيَعْلَمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا آكْتَسَبَ، مَجْزِيٌّ بِمَا تَرَمَّكَ ^(١) وَأَحْتَقَبَ؛ وَيَتَرَوَّدُ مِنْ هَذَا المَقْتَرِ، لِذَلِكَ المَقْتَرِ؛ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ لِتَنْفَعَهُ، وَمِنْ مَسَاعِي الرِّبِّ لِتَنْقُدَهُ؛ وَيَأْتِمِرُ بِالصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ بِهَا، وَيَزْدَجِرُ عَنِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ أَنْ يَزُجَرَ عَنْهَا؛ وَيَبْتَدِئُ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ قَبْلَ إِصْلَاحِ رِعِيَّتِهِ: فَلَا يَبْعَثُهُمْ عَلَى مَا يَأْتِي ضِدَّهُ، وَلَا يَنْهَاهُمْ عَمَّا يَقْتَرِفُ مِثْلَهُ؛ وَيَجْعَلُ رَبَّهُ رَقِيبًا عَلَيْهِ فِي خَلَوَاتِهِ، وَمُرُوءَتَهُ مَانِعَةً لَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ؛ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ غَلَبَ سُلْطَانَ الشَّهْوَةِ، وَأَوْلَى مَنْ صَرَخَ أَعْدَاءُ الحِمِيَّةِ ^(٢)؛ مَنْ مَلَكَ أَرْزَمَةَ الأُمُورِ، وَأَقْتَدَرَ عَلَى سِيَاسَةِ الجُّهُورِ؛ وَكَانَ مُطَاعًا فِيمَا يَرَى، مُتَّبَعًا فِيمَا يَشَاءُ؛ يَلِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَلُونُ عَلَيْهِ، وَيَقْتَصُّ مِنْهُمْ وَلَا يَقْتَصُّونَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أَطْلَعَ اللهُ مِنْهُ عَلَى نَقَاءِ جَبِيهِ، وَطَهَارَةِ ذَبِيلِهِ، وَصِحَّةِ سَرِيرَتِهِ، وَأَسْتِقَامَةِ سِيرَتِهِ، أَعَانَهُ عَلَى حِفْظِ

(١) في "الرسائل"، والمثل السائر: «ترمل».

(٢) كذا في الرسائل أيضا. وفي المثل السائر ص ١٣٢ "من ضرع لعداء الحمية".

مَا اسْتَحْفَظَهُ، وَأَنْهَضَهُ بِثِقَلِ مَا حَمَلَهُ؛ وَجَعَلَ لَهُ مَخْلَصًا مِنَ الشُّبْهَةِ وَمَخْرَجًا مِنَ الْحَيْرَةِ،
 فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .
 وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ﴾ . وَقَالَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إِلَى آتِي كَثِيرَةٍ حَضَّنَا بِهَا
 عَلِيُّ أَكْرَمِ الْخُلُقِ، وَأَسْلَمِ الطَّرُقِ؛ فَالسَّعِيدُ مِنْ نَصَبِهَا إِزَاءَ نَاطِرِهِ، وَالشَّقِيُّ مِنْ نَبْدِهَا
 وَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ وَأَشْقَى مِنْهُ مَنْ بَعَثَ عَلَيْهَا وَهُوَ صَادِقٌ عَنْهَا، وَأَهَابَ إِلَيْهَا وَهُوَ بَعِيدٌ
 مِنْهَا؛ وَهُوَ لِأَمثَالِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ وَالنَّاسِ بِالْإِيمَانِ وَتَسْوُونَ أَنْفُسَكُمْ
 وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا مَتَّبَعًا، وَطَرِيقًا مَوْقِعًا؛ وَيُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَتِهِ إِذَا
 خَلَا بِفِكْرِهِ، وَيَمْلَأُ بِتَأْمَلِهِ أَرْجَاءَ صَدْرِهِ؛ فَيَذْهَبُ مَعَهُ فِيمَا أَبَاحَ وَحَظَرَ، وَيَقْتَدِي
 بِهِ إِذَا نَهَى وَأَمَرَ؛ وَيَسْتَبِينُ بَيَانِهِ إِذَا اسْتَعْلَقَتْ دُونَهُ الْمَعْضَلَاتُ، وَيَسْتَضِيءُ
 بِمَصَابِيحِهِ إِذَا غَمَّ عَلَيْهِ فِي الْمَشْكَلَاتِ؛ فَإِنَّهُ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ الْوُثْقَى، وَحُجَّةُ الْوَسْطَى،
 وَدَلِيلُهُ الْمُقْنِعُ، وَبُرْهَانُهُ الْمُرْشِدُ؛ وَالْكَاشِفُ لظُلْمِ الْخُطُوبِ، وَالشَافِي مِنْ مَرَضِ
 الْقُلُوبِ، وَالْهَادِي لِمَنْ ضَلَّ، وَالْمُتَلَفِّي لِمَنْ زَلَّ؛ فَمَنْ لَهَجَ بِهِ فَقَدْ فَازَ وَسَلِمَ، وَمَنْ لَهِيَ
 عَنْهُ فَقَدْ خَابَ وَنَدِمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَيَدْخُلَ فِيهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ؛ قَائِمًا عَلَى
 حُدُودِهَا، مَتَّبِعًا لِرُسُومِهَا؛ جَامِعًا فِيهَا بَيْنَ نَيْتِهِ وَلَقْظِهِ، مَتَوَقِّيًا لِمَطَامِحِ سَهْوِهِ وَلِحَظِهِ؛

(١) فِي الْأَصُولِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ مَتَوَقِّعًا بِزِيَادَةِ النَّاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّسَاجِ، فَفِي اللِّسَانِ ج ١٠ ص ٢٨٢

يُقَالُ طَرِيقٌ مَوْقِعٌ مِثْلُ ذَلِكَ .

(٢) فِي "الرِّسَالَةِ" الْأَسْفَلَ .

متقطعاً إليها عن كل قاطع لها، مشغولاً بها عن كل شاغلٍ عنها؛ متثبتاً في ركوعها ومُجودها؛ مستوفياً عددَ مفروضها ومسنونها؛ موفراً عليها ذمته، صارفاً إليها همه؛ عالماً بأنه واقفٌ بين يدي خالقه ورازقه، ومُحِبِّهِ ومُحِبِّتِهِ، ومُثِيبِهِ ومُعَاقِبِهِ؛ لا تَسْتَرِ دُونَهُ خائفةُ الأعينِ وما تُخْفِي الصدور. فإذا قضاها على هذه السبيلِ منذُ تكبيرة الإحرامِ إلى خاتمةِ التسليمِ، أتبعها بدءاً يرتفعُ بارتفاعها، [ويستمعُ بإستماعها]، ولا يتعدى فيه مسائل الأبرار، ورفائب الأخيار: من أستصفاجٍ وأستغفار، وأستقالةٍ وأسترحام، وأستدعاء لمصالح الدين والدنيا، وعوائد الآخرة والأولى؛ فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

وأمره بالسُّعَى في أيام الجمعِ إلى المساجد الجامعه، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية، بعد التقدُّم في قرشها وكسوتها؛ وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها، وأستسعاء الناس إليها، وحضهم عليها؛ آخذين الأهبة، متظفين في الزه؛ مؤذنين لفرائض الطهارة، بالبنين في ذلك أقصى الاستطاعة؛ معتقدين خشية الله وخيفته، مدرعين تقواه ومراقبته؛ مكثرين من دعائه - عز وجل - وسؤاله، مصلين على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله؛ بقلوبٍ على اليقين موقوفة، وهمم إلى الدين مضروفة؛ وألسن بالتسبيح والتكديس فصيحة، وآمال في المغفرة والرحمة فسيحة؛ فإن هذه المصليات والتعبادات بيوت الله التي فضلها، ومناسكها التي شرفها؛ وفيها يتلى القرآن [ومنها ترتفع الأعمال؛ وبها يلوذ اللائحون] ويعودُ العائدون؛

(١) كذا في "المثل السائر" أيضاً. وفي "رسائل الصابي" « ومن لا يستمر دونه خائفة عينه وخافية

وَيَتَعَبَّدُ الْمُتَعَبِّدُونَ ، وَيَتَهَجَّدُ الْمُتَهَجِّدُونَ ، وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ : مَنْ وَالٍ وَمَوْلَى عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَهَا وَيَعْمُرُهَا ، وَيُوَصِّلُهَا وَلَا يَهْجُرُهَا . وَأَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى مَنَابِرِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لِنَفْسِهِ عَلَى الرَّسْمِ الْجَارِي فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وَقَالَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وأمره بأن يُرَاعِيَ أحوالَ مَنْ يَلِيهِ ، مِنْ طَبَقَاتِ جُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ ؛ وَيُطَلِّقَ لَهُمُ الْأَرْزَاقَ ، فِي وَقْتِ الْوَجُوبِ وَالْأَسْتِحْقَاقِ ؛ وَأَنْ يُحَسِّنَ فِي مَعَامَلَتِهِمْ ، وَيُجِلَّ فِي أَسْتِخْدَامِهِمْ ، وَيَتَصَرَّفَ فِي سِيَاسَتِهِمْ : بَيْنَ رِفْقٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَخَشُونَةٍ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛ مُثَبِّتًا لِحَسَنِهِمْ مَا زَادَ بِالْإِبَانَةِ فِي حُسْنِ الْأَثَرِ ، وَسَلِمَ مَعَهَا مِنْ دَوَاعِي الْأَشْرِ ؛ وَمَتَعَمِّدًا لِمُسِيئِهِمْ مَا كَانَ التَّعَمُّدُ لَهُ نَافِعًا ، وَفِيهِ نَاجِعًا ؛ فَإِنْ تَكَرَّرَتْ زَلَّاتُهُ ، وَتَنَابَعَتْ عَثْرَاتُهُ ؛ تَسَاوَلَهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِمَا يَكُونُ لَهُ مُصْلِحًا ، وَلغَيْرِهِ وَعِظًا . وَأَنْ يَخْتَصَّ أَكْبَرَهُمْ وَأَمَانِيَهُمْ وَأَهْلَ الرَّأْيِ وَالخَطَرِ مِنْهُمْ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي الْمَلِمِّ ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ الْمُهْمِّ ؛ مُسْتَخْلِصًا نَحَائِلَ قُلُوبِهِمْ بِالْبَسْطِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَمُسْتَشْحِدًا بِصَائِرِهِمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْأَحْتِفَاءِ : فَإِنَّ فِي مُشَاوَرَةِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ أَسْتِدْلَالَ عَلَى مَوَاقِعِ الصَّوَابِ ، وَتَحَرُّزًا مِنْ غَلَطِ الْإِسْتِبْدَادِ ، وَأَخْذًا بِمَجَامِعِ الْحَرَامِ ، وَأَمْنًا مِنْ مُفَارَقَةِ الْإِسْتِقَامَةِ ؛ وَقَدْ حَضَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الشُّورَى حَيْثُ قَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

(١) أى سائر ألقواته من قولهم تفعد فلانا ستره .

وأمره بأن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين، ورباطات المرابطين،
ويقسم لها قسماً وافراً من عنايته، ويصرف إليها طرفاً بل شطراً من رعايته؛
ويختار لها أهل الجلد والشدة، وذوى البأس والنجدة: ممن عجمته الخطوب،
وعرّكنه الحروب؛ وأكسب دربة بجدع المتناوين، وتجربة بمكاييد المتقارعين؛
وأن يستظهر بتكثيف عددهم، واختيار عددهم؛ واختخاب خيلهم، وأستجادة
أسلحتهم؛ غير مجرّباً^(٢) بعثاً إذا بعته، ولا مستكرهه إذا وجهه؛ بل يناوب بين رجاله
مناوبة تريحهم ولا تملهم، وترفهم ولا تؤدّمهم: فإنّ في ذلك من فائدة الإجماع،
والعدل في الاستخدام؛ وتنافس رجال الثوب فيما عاد عليهم بعزّ الظفر والنصر، وبعد
الصيت والذكر، وإحراز النفع والأجر؛ ما يحقّ على الولاة أن يكونوا به عاملين،
وللناس عليه حاملين. وأن يكرّر على أسماعهم، ويثبت في قلوبهم؛ مواعيد الله
لمن صابروا رباطاً، وسمح بالنفس وجاهد؛ من حيث لا يقدمون على تورط غيره،
ولا يجمعون عن آتياز فرصه؛ ولا ينكصون عن تورّد معركه، ولا يلقون بأيديهم
إلى التهلكة؛ فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه، والمرامين عن دينه؛ وأن يزيح
العلة فيما يحتاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها، وبناء حصونها ومعاقليها؛
وأستطراق طرقها ومسالكها، وإفاضة الأقوات والعلوفات للترتين فيها والمترددين
إليها والحامين لها. وأن يبذل أمانته لمن طلبه، ويعرضه على من لم يطلبه. ويفي
بالعهد إذا عاهد، وبالعهد إذا عاهد؛ غير مخفّر ذمّة، ولا جارج أمانة؛ فقد أمر

(١) في "رسائل الصابي" بأن يضم ما يتصل الخ.

(٢) في اللسان ج ٥ ص ٢١٧ «تجبر الجنند أن يجبهم في أرض العدو ولا يقفلهم من الثغر» وهو

المراد هنا . تأمل .

- الله تعالى بالوفاء فقال جلّ من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) .
 ونهى عن النكث فقال عزّ من قائل : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرّائهم [وإنعام النظر في جنائياتهم وجرّائهم] ^(١) فمن كان إقراره واجباً أقرّه ومن كان إطلاقه سائغاً أطلقه . وأن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ؛ ويختار [لها من الولاة] ^(١) من يخاف الله تعالى ويتقيه ، ولا يحابي ولا يراقب فيه ؛ ويتقدم إليهم بقمع الجهال ، وردع الضلال ؛ وتبشع الأشرار ، وطلب الدّعار ؛ مستدلين على أماكِنهم ، متوغلين إلى مكابِنهم ؛ متوجّلين عليهم في مظانهم ، متوثقين ممن يجدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذي يتبين من أمرهم ، ويتضح من فعلهم ؛ في كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة احتقبوها ؛ ومهجة أفاظوها وأستهلكوها ، وحرمة أباحوها واتتهكوها : فمن استحقّ حداً من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه ، وأحلّوه به غير مقصرين عنه ، بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتون به حجة ، ولا يعترضهم في وجوبه شبهة : فإن الواجب في الحدود أن تُقام بالبينات ، وأن تُدرأ بالشبهات ؛ فأولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يُقدموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان . ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بما يُحتاط به على مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ؛ وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره ، وشرح جنائته ؛ وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو شهادة تقع عليه ؛ وليتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلمٍ أو معاهدٍ إلا ما أحاط به علماً ، وأتقنه فهماً ، وكان ما يُمضيه فيه عن بصيرة لا يحاط بها شك ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة .

ولا يُسَوِّبُهَا رَبِّبٌ . ومن أَلَمَّ بِصَغِيرَةٍ مِنَ الصَّغَائِرِ ، وَبِسِيرَةٍ مِنَ الْجَرَائِرِ ، مِنْ حَيْثُ لَمْ يُعْرِفْ لَهُ مِثْلَهَا ، وَلَمْ نَتَقَدَّمْ مِنْهُ أُخْتَهَا ، وَعَظَّهُ وَزَجَرَهُ ، وَنَهَاهُ وَحَدَرَهُ ، وَاسْتَبْتَابَهُ وَأَقَالَه ، مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ خَصْمٌ فِي ذَلِكَ يَطَالِبُ بِقِصَاصٍ مِنْهُ ، وَجَزَاءٍ لَهُ ؛ فَإِنْ عَادَ تَنَاولَهُ [مِنْ] التَّقْوِيمِ وَالتَّهْدِيبِ ، وَالتَّعْزِيرِ وَالتَّأْدِيبِ ؛ بِمَا يَرَى أَنْ قَدْ كَفَى فِيهَا آجْرَتَهُ ، وَوَفَى بِمَا قَدَّمَ ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

وأمره أَنْ يَعْطَلَ مَا فِي أَعْمَالِهِ مِنَ الخَانَاتِ وَالمَوَآخِرِ ، وَيُطَهِّرَهَا مِنَ التَّبَآئِحِ وَالمَنَآكِرِ ؛ وَيَمْنَعَ مِنْ تَجَمُّعِ أَهْلِ الخَنَا فِيهَا وَتَأَلُّفِ شَمْلِهِمْ بِهَا : فَإِنَّهُ شَمَلٌ يُصْلِحُهُ التَّشْتِيتُ ، وَجَمْعٌ يَحْفَظُهُ التَّفْرِيقُ ؛ وَمَا زَالَتْ هَذِهِ المَوَاطِنُ الدِّمِيَّةُ وَالمَطَارِحُ الدَّيْتِيَّةُ ، دَاعِيَةً لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهَا ، وَيَعَكُفُ عَلَيْهَا ؛ إِلَى تَرْكِ الصَّلَوَاتِ ، [وَإِهْمَالِ المَقْتَرَضَاتِ]^(١) وَرُكُوبِ المُنْكَرَاتِ ، وَأَقْرَافِ المَحْظُورَاتِ ؛ وَهِيَ بِيُوتُ الشَّيْطَانِ الَّتِي فِي عِمَارَتِهَا لَّهُ تَعَالَى مَغْضَبَةٌ ، وَفِي إِخْرَابِهَا لِحَيْرٌ مَجْلَبَةٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَنَا مَعْشَرَ المُؤْمِنِينَ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وَيَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ لغيرِنَا مِنَ المَذْمُومِينَ : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ .

وأمره أَنْ يُوَلِّيَ الحِمَايَةَ فِي هَذِهِ الأَعْمَالِ ، أَهْلَ الكِفَايَةِ وَالعَنَاءِ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَأَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِمْ كُلَّ مَنْ خَفَّ رِكَابُهُ ، وَأَسْرَعَ عِنْدَ الصَّرِيخِ جَوَابُهُ ؛ مَرْتَبَاتِهِمْ فِي المَسَاحِ ، وَسَادَاتِهِمْ نَعْرِ المَسَالِكِ ؛ وَأَنْ يُوصِيَهُمُ بِالتَّيَقُّظِ ، وَيَأْخُذَهُمُ بِالتَّحْفِظِ ، وَيُزِيحُ عَنَّا فِي عُلُوفَةِ خَيْلِهِمْ ؛ وَالمَقَرَّرَ مِنْ أَرْوَادِهِمْ وَمِيرِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَثْقُلَ لَهُمْ عَلَى البِلَادِ وَطَاهُ ، وَلَا تَدْعُوهُمْ إِلَى تَحْفِيفِهِمْ وَتَلْمِيزِهِمْ حَاجَهُ ؛ وَأَنْ يَحُوطُوا السَّابِلَةَ بِأَدْبَتِهِ وَعَائِدِهِ ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة و"المثل السائر" .

وَيَتَدَارَكُوا الْقَوَافِلَ صَادِرَةً وَوَارِدَةً ، وَيَحْرَسُوا الطَّرِيقَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَيَنْفُضُوهَا رَوَاحًا
وَابْكَارًا ، وَيَنْصُبُوا لِأَهْلِ الْعَيْثِ الْأَرْصَادَ ، وَيَتَكَنَّنُوا لَهُمْ بِكُلِّ وادٍ ، وَيَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِمْ
حَيْثُ يَكُونُ التَّفَرُّقُ مَضِيًّا لِفَضَائِهِمْ ، وَمُؤَدِّيًّا إِلَى أَنْفِضَائِهِمْ ؛ وَيَجْتَمِعُوا حَيْثُ
يَكُونُ الْأَجْتِمَاعُ مُطْفِئًا لِحَرَّتِهِمْ ، وَصَائِعًا لِمُرَوَّتِهِمْ ؛ وَأَنْ لَا يُخْلُوا هَذِهِ السَّبِيلَ مِنْ حِمَاةٍ
لَهَا وَسِيَارَةٌ فِيهَا : يَتَرَدَّدُونَ فِي جَوَادِيهَا ، وَيَتَعَسَّفُونَ فِي عَوَادِيهَا ؛ حَتَّى تَكُونَ الدَّمَاءُ
مُحْقُونَةً ، وَالْأَمْوَالُ مَصُونَةً ؛ وَالْفِتَنُ مُحْسُومَةً وَالغَارَاتُ مَأْمُونَةً ؛ وَمَنْ حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ
مِنْ لَيْسَ خَاتِلٍ ، وَصُعْلُوكٍ خَارِبٍ ؛ وَحَيْفٍ لَسْبِيلٍ ، وَمُتَهَكِّ لِحَرِيمٍ ؛ أَمْتِثَلُ فِيهِ أَمْرٌ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوَافِقُ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِوَضْعِ الرَّصَدِ عَلَى مَنْ يَجْتَازُ فِي أَعْمَالِهِ مِنْ أَبَاقِ الْعَيْدِ ، وَالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهِمْ
وَعَلَى مَا يَكُونُ مَعَهُمْ ، وَبِالْحِثِّ عَنِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي فَارَقُوهَا ، وَالطَّرِيقِ الَّتِي أَسْتَطَرَقُوهَا ؛
وَمَوَالِيهِمُ الَّذِينَ أَتَقُوا مِنْهُمْ ، وَنَشَرُوا عَنْهُمْ ؛ وَأَنْ يَرُدُّوهُمْ عَلَيْهِمْ قَهْرًا ، وَيُعِيدُوهُمْ إِلَيْهِمْ
صُغْرًا ؛ وَأَنْ يَنْشُدُوا الضَّالَّةَ بِمَا أَمَكَّنَ أَنْ تُنْشَدَ ، وَيَحْفَظُوهَا عَلَى رَبِّهَا بِمَا جَازَ أَنْ
تُحْفَظَ ؛ وَيَتَجَنَّبُوا الْإِمْتِطَاءَ لظُهُورِهَا وَالْإِتِّفَاعَ بِأَوْبَارِهَا وَأَلْبَانِهَا مِمَّا يُحْزُ وَيُحَلَبُ ؛
وَأَنْ يُعَرِّفُوا اللَّقْطَةَ وَيَدْبِعُوا أَثَرَهَا ، وَيُسَيِّعُوا خَبَرَهَا ؛ فَإِذَا حَضَرَ صَاحِبُهَا وَعِلْمُ أَنَّهُ
مَسْتَوْجِبٌ سُلِّمَتْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُعْتَرَضَ فِيهَا عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ» .

(١) في "الرسائل ، والمثل السائر" «ويذرقوا» والبدرة الخفارة .

(٢) في "الرسائل" « في جوادها ... في عوادها » .

وأمره أن يُوصِيَ عُمَّالَهُ بالشَّدِّ عَلَى أَيْدِي الْحُكَّامِ ، وَتَنْفِيذِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنَ
 الْأَحْكَامِ ؛ وَأَنْ يَحْضُرُوا مَجَالِسَهُمْ حُضُورَ الْمُوقِّرِينَ لَهَا ، الَّذِينَ عَنْهَا ، الْمُقِيمِينَ لِرُسُومِ
 الْهَيْئَةِ وَحُدُودِ الطَّاعَةِ فِيهَا ؛ وَمَنْ نَجَرَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ ذِي عَقْلٍ سَخِيفٍ ، وَحِلْمٍ
 ضَعِيفٍ ، نَالُوهُ بِمَا يَرِدُهُ ، وَأَحْلَوْا بِهِ مَا يَزَعُهُ ؛ وَمَتَى تَقَاعَسَ مِتْقَاعَسٌ عَنْ حُضُورِ
 مَعَ خَصْمٍ يَسْتَدْعِيهِ ، وَأَمْرٍ يُوَجِّهُ الْحَاكِمُ إِلَيْهِ فِيهِ ؛ أَوْ التَّوَلَّى مُتَوَجِّحًا يَحْصِلُ عَلَيْهِ ،
 وَدَيْنٌ يَسْتَقِرُّ فِي ذِمَّتِهِ ، قَادُوهُ إِلَى ذَلِكَ بِأَزِمَّةِ الصَّغَارِ ، وَخَزَائِمِ الْإِضْطِرَّارِ ؛ وَأَنْ
 يَحْسِبُوا وَيُطْلِقُوا بِأَقْوَالِهِمْ ، وَيُثَبِّتُوا الْأَيْدِيَ فِي الْأَمْلاَكِ وَالْفُرُوجِ وَيَنْزِعُوهَا بِقَضَائِهِمْ ؛
 فَإِنَّهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي فَصْلِ مَا يَفْصِلُونَ وَبِتِّ مَا يَتَوْنُ ، وَعَنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُورِدُونَ [وَيُصْدِرُونَ] وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً
 فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
 يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ . وَأَنْ يَتَوَشَّحَ
 بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ عُمَّالُ الْخَرَاجِ فِي اسْتِيفَاءِ حُقُوقِ مَا اسْتَعْمَلُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْتَاطِ
 بَقَائِهِمْ فِيهِ ، وَالرِّيَاضَةِ لِمَنْ تَسُوءُ طَاعَتُهُ مِنْ مُعَامِلِيهِمْ ، وَإِحْضَارِهِمْ طَائِعِينَ
 أَوْ كَارِهِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ؛ فَمَنْ آدَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ الَّتِي يَحِقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَهَا [أَدَابًا]
 وَيَجْعَلَهَا إِلَى الرِّضَا عَنْهُ سَبَبًا ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا
 عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوايِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره أن يجلس للرعية جلوساً عاماً، وينظر في مطالبها نظراً تاماً، ويساوي
 في الحق بين خاصها وعامها، ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها، وينصف
 المظلوم من ظالمه، والمغضوب من غاصبه؛ بعد الفحص والتأمل والبحث والتبين،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي المطبوعة، والمثل السائر" وهي من سقط النسخ.

حتى لا يَحْكُمَ إِلَّا بِعَدْلِ ، وَلَا يَنْطِقَ إِلَّا بِفَضْلِ ؛ وَلَا يُثَبِّتَ يَدًا إِلَّا بِمَا وَجِبَ [تَثْبِيْطُهَا فِيهِ ، وَلَا يَقْبِضُهَا إِلَّا عَمَّا وَجِبَ] ^(١) قَبْضُهَا عَنْهُ ؛ وَأَنْ يُسَهِّلَ الْإِذْنَ لِجَمَاعَتِهِمْ ، وَيَرْفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛ وَيُوَلِّمَهُمْ مِنْ حَصَانَةِ الْكَنْفِ ، وَلِيَنِ الْمُنْعَطَفَ ؛ وَالْأَشْتِمَالَ وَالْعِنَايَةَ ، وَالصَّوْنَ وَالرَّعَايَةَ ؛ مَا تَعَادَلُ فِيهِ أَقْسَامُهُمْ ، وَتَتَوَازَنُ مِنْهُ أَقْسَامُهُمْ ؛ وَلَا يَصِلُ الْمَكِينُ مِنْهُمْ إِلَى اسْتِضْمَامَةٍ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ ، وَلَا ذُو السُّلْطَانِ إِلَى هَضِيمَةٍ مَنْ حَلَّ دُونَهُ . وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَحْسَنِ الْعَادَاتِ [وَالْخَلَاتِقِ] ^(١) وَيُحْضِمَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرَائِقِ ؛ وَيَجْعَلَ عَنْهُمْ كَلَّةً ، وَيَمُدَّ عَلَيْهِمْ ظِلَّهُ ؛ وَلَا يَسُومَهُمْ حَسْفًا ، وَلَا يُلْحِقَ بِهِمْ حَيْفًا ؛ وَلَا يَكْفِفُهُمْ شَطَطًا ، وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مُضْلِعًا ؛ وَلَا يَثْلِمَ لَهُمْ مَعِيشَةَ ، وَلَا يُدَاخِلُهُمْ فِي جَرِيْمَةٍ ؛ وَلَا يَأْخُذَ بَرِيئًا مِنْهُمْ بِسَقِيمٍ ، وَلَا حَاضِرًا بِعَدِيمٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ نَهَى أَنْ تَرَرَ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ، وَجَعَلَ كُلَّ نَفْسٍ رَهِيْنَةً بِمَكْسِبِهَا بَرِيئَةً مِنْ مَكَاْسِبِ غَيْرِهَا . وَيَرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الرَّعِيَّةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ سُنًّا عَلَيْهَا مِنْ سُنَّةِ ظَالِمَةٍ ، وَسُلْكِهَا مِنْ مَحَجَّةِ جَائِرِهِ ، وَيَسْتَقْرِئُ آثَارَ الْوَلَاةِ قَبْلَهُ عَلَيْهَا ، فِيمَا أَرْجَوُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لِيَأْتِيَهَا : فَيُقْتَرُ مِنْ ذَلِكَ مَا طَابَ وَحَسُنَ ، وَيُزِيلُ مَا خَبُثَ وَقَبِحَ : فَإِنَّ مِنْ يَغْرِسُ الْخَيْرَ يَحْطِيْ بِمَعْسُولِ ثَمَرِهِ ، وَمَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَصِلِيْ بِمَمْرُورِ رَيْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ .

وأمره أن يَصُونَ أَمْوَالَ الْخَرَاجِ وَأَثْمَانَ الْغَلَّاتِ ، وَوُجُوْهَ الْجَبَايَاتِ ، مُوَفِّرًا ، وَيَزِيدَ ذَلِكَ مُثْمَرًا ، بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْإِنْصَافِ لِأَهْلِهَا ، وَإِجْرَائِهِمْ عَلَى صَحِيحِ الرُّسُومِ فِيهَا : فَإِنَّهُ مَالُ اللَّهِ الَّذِي بِهِ قُوَّةُ عِبَادِهِ ، وَحِمَايَةُ بِلَادِهِ ، وَدُرُورُ حَلْبِهِ ، وَأَتْصَالُ

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة و"المثل السائر" وهي من سقط النسخ .

(٢) كذا في "المثل السائر" أيضا وفي "الرسائل" « في حرفه » .

مدده؛ وبه يحاط الحريم، ويدفع العظيم؛ ويحى الدمار، وتداد الأشرار. وأن يجعل
 أفتاحه إياه بحسب [إدراك] أصنافه، وعند حضور مواقته وأحيانه؛ غير
 مستسلف شيئاً قبلها، ولا مؤخر لها عنها؛ وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفيه
 لهم، وأهل الاستضعاب والامتناع بالتشدد عليهم: لئلا يقع إرهاق المدعن، أو إهمال
 لطامع. وعلى المتولى لذلك أن يضع كلاً من الأمرين موضعاً، ويوقعه موقعه؛
 متجنباً إحلال الغلظة بمن لا يستحقها، وإعطاء الفسحة لمن ليس من أهلها؛
 والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْرَأُ
 الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾.

وأمره بأن يتخير عماله على الأعشار، والخراج، والضبياع، والجهبذة،
 والصدقات، والجوالى، من أهل الظلف والنزاهة، والضبط والصيانة، والجزالة
 والشهامة؛ وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية يوعيا أسماعهم، وعهود يقددها
 أعناقهم؛ بأن لا يضيعوا حقاً، ولا يأكلوا سُخْتاً؛ ولا يستعملوا ظُلماً، ولا يقارِفُوا
 عَشْماً. وأن يقيموا العارات، ويحتاطوا [على الغلات] ويتحرزوا من ترك حق لازم
 أو تعطيل رسم عادل؛ مؤدبين في جميع ذلك الأمانه، مجتنبين للخيانة. وأن يأخذوا
 جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه، واستجادة نقده على عيانه؛ واستعمال الصحة
 في قبض ما يقبضون، وإطلاق ما يطلقون. وأن يوعزوا إلى سعاة الصدقات بأخذ
 الفرائض من سائمة مواشى المسلمين دون عاملتها، وكذلك الواجب فيها؛ وأن لا يجمعوا
 فيها متفرقاً ولا يفرقوا مجتمعاً، ولا يدخلوا فيها خارجاً عنها، ولا يضيفوا إليها ما ليس

(١) من "الرسائل، والمثل السائر".

(٢) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة.

منها : من قَلَّ لِبِلٍ أَوْ أَكُولَةٍ^(١) رَاعٍ ، أَوْ عَقِيلَةٍ مَالٍ ؛ فَإِذَا آجَبْتَوْهَا عَلَى حَقِّهَا ، وَأَسْتَوْفَوْهَا عَلَى رِسْمِهَا ، أخرجوها في سبيلها ، وَقَسَمُواهَا عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، إِلَّا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمُ الَّذِينَ سَقَطَ سَهْمُهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . وَإِلَى جُبَاةِ [جَمَاجِمِ] أَهْلِ الذَّمَّةِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْجَزِيَّةَ فِي الْحَرَمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ [بِحَسَبِ] مَنَازِلِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ ، وَذَاتِ أَيْدِيهِمْ فِي الْأَمْوَالِ ؛ وَعَلَى الطَّبَقَاتِ الْمُطَبَّقَةِ فِيهَا ، وَالْحُدُودِ [المحدودة] الْمُعْهُودَةِ لَهَا ؛ وَأَنْ لَا يَأْخُذُوهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَا مِنْ لَمْ يَبْلُغَ الْحُلْمَ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَلَا مِنْ ذِي سِنَّ عَالِيَةٍ ، وَلَا ذِي عِلَّةٍ بَادِيَةٍ ؛ وَلَا فَقِيرٍ مُعْذَمٍ ، وَلَا مَتْرَهَبٍ مُتَبَتَّلٍ ؛ وَأَنْ يُرَاعِيَ جَمَاعَةَ هَؤُلَاءِ الْعَمَالَ مِرَاعَاةً يُسْرَهَا وَيُظْهِرَهَا ، وَيُلَاحِظُهُمْ مُلَاحِظَةً يُخْفِيهَا وَيُخْفِيهَا : لِثَلَاثِ زُورُلُوا عَنِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، أَوْ يَعْدِلُوا غِنَى السَّنَنِ الْأَلْحَبِ ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَدَبَّرَ لِعَرَضِ الرِّجَالِ وَإِعْطَائِهِمْ ، وَحِفْظِ جِرَائِمِهِمْ وَأَوْقَاتِ إِطْعَامِهِمْ ، مَنْ يَعْرِفُهُ بِالثَّقَةِ فِي مَتَصَرَّفِهِ ، وَالْأَمَانَةَ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْإِسْفَافِ إِلَى الدَّنِيَّةِ ، وَالْإِتِّبَاعَ لِلدَّنَاءَةِ ؛ وَأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَى ضَبْطِ [حَلِ] الرِّجَالِ وَشِيَاةِ الْخَيْلِ ، وَتَجْدِيدِ الْعَرَضِ بَعْدَ الْأَسْتِحْقَاقِ ، وَإِيقَاعِ الْإِحْتِيَاطِ فِي الْإِنْفَاقِ ؛ فَمَنْ صَحَّ عَرَضُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْهُ : مِنْ شَكِّ يَعْزِضُ لَهُ ، أَوْ رِيَّةٍ يَتَوَهَّمُهَا ، أَطْلَقَ أَمْوَالَهُمْ مَوْفُورَةً ، وَجَعَلَهَا فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرَ مَثْلُومَةٍ ؛ وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ أَرْزَاقَ مَنْ

(١) أكلة الراعي مايسنها للاكل .

(٢) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة .

(٣) الزيادة من "رسائل الصابي" .

سقط بالوفاة والإخلال ، ناسباً ذلك إلى جهته ، ومُورداً له على حقيقته . وأن يطالب الرجال بإحضار الخليل المختاره ، والآلاتِ المستكلمة المستعملة على ما توجه مبالغ أرزاقهم ، وحسب منازلهم ومراتبهم ؛ فإن أضر أحدهم شيئاً من ذلك قاصه به من رزقه ، وأغرمه مثل قيمته ؛ فإن المقصر فيه خائنٌ لأمر المؤمنين ، ومخالفٌ لرب العالمين ؛ إذ يقول الله سبحانه : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة والطرز ، على من تجتمع فيه آلات هذه الولايات : من ثقة ودرأيه ، وعلم وكفايه ، ومعرفة ودرابه ؛ وتجربة وحُكمه ، وحصافة ومُسكه ؛ فإنها أحوال تُضارع الحكم وتُناسبه ، وتُدانيه وتقاربه . وأن يتقدم إلى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يُطلقون بيعه ، ويمضون أمره ؛ والتحرز من وقوع تجوز فيه ، وإهمال له ؛ إذ كان ذلك عائداً بتحصين القروج ، وتطهير الأنساب . وأن يُبعدوا عنه أهل الرية ، ويقربوا أهل العفة ؛ ولا يمضوا بيعاً على شبهه ، ولا عقداً على ثمنه . وإلى ولاة العيار ، بتخليص عين الدرهم والدينار : ليكونا مضروبين على البراءة من الغش ، والتزاهة من المش ؛ وبحسب الإمام ، المقر بمدينة السلام ؛ وحراسة السكك من أن تتداولها الأيدي المدغلة ، وتتناقلها الجهات الظنينة ؛ وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب منها ذهباً وفضة ، وإجراء ذلك على الرسم والسنة . وإلى ولاة الطرز بأن يجرؤوا الاستعمال في جميع المناسج على أتم النيقه ، وأسلم الطريقه ؛ وأحكم الصنعه ، وأفضل الصحه ؛

(١) المش الخلط حتى يذوب . انظر القاموس

(٢) لعله معناه المعادية ففي اللسان ج ١٧ ص ١٤٥ الظنين المعادى لسوء ظنه وسوء الظن به .

وفي الأصل « المثبتة » وفي المثل السائر المنبئة والتصحيح من رسائل الصابي .

(٣) النيقه الاسم من تنوق في الأمر إذا تأق فيه .

وَأَنْ يُثَبِّتُوا أَسْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طُرُزِ الْكُسَا، وَالْفُرَشِ وَالْأَعْلَامِ وَالْبُنُودِ .
وَالِى وُلَاةِ الْحِسْبَةِ بِتَصَفِّحِ أَحْوَالِ الْعَوَامِّ فِي حَرْفِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ ، وَمَجْتَمَعِ أَسْوَاقِهِمْ
وَمَعَامَلَاتِهِمْ ؛ وَأَنْ يُعَايِرُوا الْمَوَازِينَ وَالْمَكَايِيلَ ، وَيَفْرِزُوهَا عَلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّكْوِيلِ ؛
وَمَنْ أَطْلَعُوا مِنْهُ عَلَى حِيلَةٍ أَوْ تَلْيِيسٍ ، أَوْ غِيْلَةٍ أَوْ تَدْلِيسٍ ؛ أَوْ بَحْسٍ فِيمَا يُؤْفِيهِ ،
أَوْ اسْتِيفَالٍ فِيمَا يَسْتَوْفِيهِ ، نَالُوهُ بِعَلِيْظِ الْعُقُوبَةِ وَعَظِيمِهَا ، وَخَصَّوهُ بِوَجْهِهَا
وَأَيْمِهَا ؛ وَاقْفِينِ بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي يَرُونَهُ لَدُنْهِ مُجَازِيَا ، وَفِي تَأْيِيدِهِ كَافِيَا
فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَلِّ لِلطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ومُحِبَّتُهُ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ وَقَفْتُكَ بِهِ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ،
وَأَرْشَدَكَ فِيهِ إِلَى وَاضِحِ الدَّلِيلِ ؛ وَأَوْسَعَكَ تَعْلِيمًا وَتَحْكِيمًا ، وَأَقَمَعَكَ تَعْرِيفًا [وتفهيمًا]^(١)
وَلَمْ يَأَلِكْ جُهْدًا فِيمَا عَصَمَكَ وَعَصَمَ عَلَى يَدِكَ ، وَلَمْ يَدْنَحْكَ مُمَكِّنًا فِيمَا أَصْلَحَ بِكَ
وَأَصْلَحَكَ ؛ وَلَا تَرَكَ لَكَ عُذْرًا فِي غَلْطِ تَغْلُطِهِ ، وَلَا طَرِيقًا إِلَى مُتَوَرِّطِ تَتَوَرَّطِهِ ؛ بِالْفَاءِ
بِكَ فِي الْأَوَامِرِ وَالزَّوَابِرِ إِلَى حَيْثُ يَلْزَمُ الْأُمَّةُ أَنْ يَنْدُبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيُحْشَوْهُمْ عَلَيْهِ ؛
مَقِيمًا لَكَ عَلَى مُنْجِيَّاتِ الْمَسَالِكِ ، صَارِقًا بِكَ عَنِ مُرْدِيَّاتِ الْمَهَالِكِ ؛ مُرِيدًا فَيْكَ
مَا يَسْلَمُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَيَعُودُ بِالْحِظِّ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ وَأَوْلَاكَ ؛ فَإِنْ أَعْدَلْتَ
وَعَدَلْتَ فَقَدْ فُزْتَ وَعَنْمْتَ ، وَإِنْ تَجَانَفْتَ وَأَعْوَجَجْتَ فَقَدْ خَسِرْتَ وَنَدِمْتَ ؛
وَالْأَوْلَى بِكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ مَغْرِسِكَ الرَّأكِي ، وَمَنْبِتِكَ النَّامِي ، وَعُودِكَ الْأَنْجَبِ ،
وَعُنْصُرِكَ الْأَطِيبِ ، أَنْ تَكُونَ لَظَنَّهُ بِكَ مُحَقِّقًا ، وَلِخَلِيقَتِهِ فَيْكَ مُصَدِّقًا ؛ وَأَنْ تَسْتَرِيدَ
بِالْأَثَرِ الْجَمِيلِ قُرْبًا [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ]^(١) وَثَوَابًا يَوْمَ الدِّينِ ؛ وَزُلْفَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصاب" المطبوعة .

وثناءً حسنًا من المسلمين ؛ فخذ ما نبد إليك أمير المؤمنين من معاذيره ، وأمسك بيدك على ما أعطى من موثيقه ؛ وأجعل عهده ^(١) [هذا] مثالاً تحتذيه ، وإماماً تقتفيه ؛ وأستعين بالله يعينك ، وأستهد به يدك ، وأخلص إليه في طاعته ، يخلص لك الحظ من معونته ؛ ومهما أشكل عليك من خطب ، أو أعضل عليك من صعب ؛ أو بهرك من باهر ، أو بهظك من باهظ ؛ فاكتب إلى أمير المؤمنين به منياً ، وكن إلى ما يرد ^(١) [من جوابه] عليك منتهياً ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة] . ^(١)



وعلى هذا الأسلوب كتب أمين الدين أبو سعيد ، العلاء بن وهب بن موصلاً عن القائم بأمر الله عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، بسطنة الأندلس وبلاد المغرب ، بعد العشرين والأربعائة ، فيما رأيته في ترسل ابن موصلاً المذكور .

وهذه نسخته بعد البسملة الشريفة :

هذا ما عهد عبد الله ووليه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان حين انتهى إليه ما هو عليه من أذراع جلايب الرقاد ، في الإصدار والإيراد ؛ وأتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد ؛ والتخصيص من حميد الأئحاء والمذاهب ، بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب ؛ والتحل من السداد

الكامل ، بما فاز فيه بامتطاء الغارب من الجمال والكاهل ؛ وأتضح ماهو متشبث به من صحة الدين واليقين ، والمواظبة من اكتساب رضا الله تعالى على ماهو أقوى الطهير والمعين ؛ في ضمن ما طوى عليه ضلوعه ، وأدام لهجه به وولوعه : من موالاة لأمير المؤمنين يدين الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحكام سعيها ؛ ومشايعة لدولته ساوى فيها بين ما أظهر وأسر ، وأمل في آجتناء ثمرها كل ما أهبج وسر ؛ فولاه الصلاة بأعمال المغرب ، والمعاون ، والأحداث ، والخراج ، والضياح ، والأعشار ، والجهذة ، والصدقات ، والحوالي ، وسائر وجوه الحيات ، والعرض ، والعتاء ، والنفقة في الأولياء ، والمظالم ، وأسواق الرقيق ، والعيار في دور الضرب ، والطرز ، والحسبة ، ببلاد كذا وكذا : سكوناً إلى استقلاله بأعباء ما استكفاه إياه ، وأستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب رياه ؛ وثقة بكونه للصنعة أهلاً ، وبأفياء الطاعة الإمامية مستظلاً ؛ وتوفرة على ما يزيد بحضرة أمير المؤمنين حذوة ترد باع الخطوب عنه قصيرا ، وتمتد مقاصده من التوفيق بما يضحى له في كل حالة نصيرا ؛ وعلمها بما في أصطناعه من مصلحة تستنير أهلها ، وتستتير من شبه النعى شواهدا وأدلتها ؛ والله تعالى يصل مرامي أمير المؤمنين بالإصابة ، ويعينه على ما يقرب كل أمرئ في حقه ويحله نصابه ؛ ويحسن له الخطرة في كل ما يغدو له مُمضيا ، ولطايا الاجتهاد في فعله منضيا ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وأمره بأعتاد تقوى الله تعالى في الإعلان والإسرار ، وأعتقاد الواجب من الإذعان بفضلها والإقرار ؛ وأن يأوى منها إلى أمتع المعاقل وأحصنها ، ويلوى عنان

الهدى فيها إلى أجمل المقاصد وأحسنها ؛ ويجعلها عمدته يوم تُعَدَم الأنصار ،
وتُشَخَّص الأبصار : ليحتجني من تمرها ما يقبه مصارع النجل ، ويحتلي من مطالعها
ما يؤمنه من طوارق الوجل ؛ ويرد بها من رضا الله تعالى أصفى المشارب ، ويجد
فيها من ضوَالِ المنى أنفَس المَوَاهِب : فإنها أبقى الزاد ، وأدعى في كلِّ أمر إلى ورى
الزاد ؛ وقد خَصَّ الله بها المؤمنين من عباده ، وحضَّ منها على ما هو أفضل عدَّة المرء
وعتاده ؛ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره أن يَأْتَمَّ بكتاب الله تعالى مستضيئاً بمصباحه ، مستضيئاً لسُلطان الغيِّ
بالوقوف عند محظوره ومباحه ؛ ويقصد الاستبصار بمواعظه وحكمه ، والاستندار
لصوب التوفيق في الرجوع إلى مُتَقَنِّه ومُحَكِّمِه ؛ ويجعله أميراً على هواه مطاعاً ، وسيراً
لا يرى أن يكشف عنه قناعاً ؛ ودليلاً إلى النجاة من كلِّ ما يخاف أنامه ، وسبيلاً
إلى الفوز في اليوم الذي يُسْفِر عن فصل الحساب لِنَامِه ؛ ويتحقق موقع الحظِّ
في إدامة درسه ، وصلة يومه في التأمل بأمره ؛ فإنه يُبْدِي طريق الرشد لكل مُبْدِي
في العمل به مُعِيد : ﴿ وَإِنَّ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يُحَافِظَ على الصلوات قائماً بشروطها وحُدودها ، وشائماً بروق التوفيق
في أداء فروضها وحقوقها ؛ ومسارعاً إليها في أوقاتها بنية عافية مناهل الكدر والرتق ،
عارفة بما في إخلاصها من نُصرة الهدى وطاعة الحق ؛ وموفراً عليها من ذهنه ،
ما الحظِّ كامن في طيه وضمنه ؛ وموفياً لها من الركوع والسجود ، ما الرشد فيه صادق
الدلائل والشهود ؛ متجنباً أن يُلْهِمَهُ عنها من هواجس الأفكار ، ووساوس القلب

العون منها والأبكار؛ ما يقف فيه موقف المقصر الغالط، ويترل فيه مترلة الحاحد للنعيم الغامط؛ وقد أمر الله تعالى بها وفرضها على المؤمنين وأوجبها وحث من إقامتها، على ما يفيض إلى صلاح المقاصد واستقامتها، فقال عز من قائل: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ .

وأمره بالسعى في أيام الجمع إلى المساجد الجامعه، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحيه؛ بعد أن يتقدم في عمارتها، وإعداد الكسوة لها؛ بما يؤدي إلى كمال حلاها، ويحظى من حسن الذكر بأعذب الموارد وأحلاها؛ ويوعز بالاستكثار من المكبرين فيها والقوام، وترتيب المصايح العائده على شمل جمالها بالأساق والأنظام : فإنها بيوت الله تعالى التي تئلى بها آياته، وتعلو فيها أعلام الشرع وراياته . وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمر المؤمنين ، ولولي عهده العدة للدين ؛ أبي القاسم عبد الله ابن محمد ابن أمير المؤمنين ، أدام الله تعالى به الإمتاع ، وأحسن عن ساحتة الدفاع ؛ ثم لنفسه جاريا في ذلك على ما ألف من مثله ، وسالكاً منه أقوم مسالك الأهداء وسبله ؛ وقد بين الله تعالى ما في عمارتها من دلائل الإيمان ، والفوز بما يعطى من سخط الله تعالى أوثق الأمان ، في قوله سبحانه : ﴿ إِمَّا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ . وقال في الحث على السعى إلى الجوامع التي يذكر فيها اسمه ، ويظهر عليها منار الإسلام ورسمه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدى منه إلى أرشده فعلى وأصوبه ؛ ويقوم بذلك القيام الذي يحظيه بجبل الذكر، وجزيل الأجر،

ويشهدله بزكاء المغرس وطيب التجرب؛ ويقصد في أداء الواجب منه ما يصل أمسه في التوفيق بيومه ، ويطلق الألسنة بحمده ويكفها عن لومه ؛ متجنباً من إخلال بما نص عليه في هذا الباب ، أو إهمال فيه لما يليق بدوي الديانة وأولى الألباب ؛ ومتوخياً في المسارعة إليه ما يتطهر به من الأذناس ، ويتوفر به حسن الأحدثه عنه بين الناس ؛ فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لاسبيل إلى الحميد عنها ، ولا دليل في الفوز أوفى منها ؛ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها من أمته ، وأبان عن كونها مما ينجني كل مرغوب فيه من ثمرته ؛ ووصل الأمر له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله : لما فيه من الحظ الكامل في استنارة غرره وحجوله ، في قوله سبحانه : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ .

وأمره أن يهدب من الدنس خلاه ، ويصل بأقواله في الخير أفعاله ؛ ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل ، ويتبع سنن المتقي بالهدى المستظل ؛ ويقبض يده عن كل محرم ثوبت أشرأكه وتوبق غوائله ، وتؤذن بسوء المنقلب شواهده ودلائله ؛ ويجعل له من نهاره رقيباً على نفسه يصونها عن مراتع الفحى ومطارحه ، وأميناً يصد عن مسارب الإثم ومسارحه ؛ فإنها لاتزال أمارة بالسوء إن لم تقد إلى جدد الرشد ، وتقم لها سوق من الوعظ يبلغ فيها أقصى الغاية والأمد ؛ فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وإزعا ، وأضحى عليها بلوم يقدومه عن كل ما يسخط الله تعالى نازعا ، وأن يتزه عن النهى عما هوله مرتكب ، والأمر بما هوله محتب : إذ كان ذلك بالهجنة حالياً ، وبين المرء وبين مقاصد هديه حائلاً ، قال الله تعالى : ﴿ أأمرؤن الناس بالير وتسنون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ .

وأمره أن يُضْفِيَ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُنُودِهِ، أَصْنَافَ جَلَائِدِ
 الْإِحْسَانِ وَبُرُودِهِ ؛ وَيُحْصِمُهُمْ مِنْ جَزِيلِ حِبَائِهِ بِمَا يَصِلُونَ مِنْهُ إِلَى أْبَعْدِ الْمَدَى ،
 وَيَمْلِكُونَ بِهِ نَوَاصِيَ الْأَمَالِ وَيُدْرِكُونَ قَوَاصِيَ الْمُنَى ؛ وَيُمَيِّزُ مَنْ أَدَّى وَاجِبَهُ فِي الطَّاعَةِ
 وَقَرَضَهُ وَأَبْدَى صَفْحَتَهُ فِي الْعَنَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِشْتِمَالِ يُرْهِفُ بِصِيرَةِ كُلِّ مِنْهُمْ
 فِي التَّوْفُرِ عَلَى مَاوَأَقْفِهِ ، وَوَصَلَ بَأَنفِهِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سَابِقَهُ ، وَيَدْعُو الْمُقَصِّرَ إِلَى
 الْإِسْتِبْصَارِ فِي أَعْتَادِ مَا يَلْحَقُ فِيهِ رُتْبَةٌ مِنْ فَازَتِ فِي الْحَطْوَةِ قِدَاحُهُ ، وَفَاتَتْ الْوَصْفَ
 عُزْرُهُ فِي الزُّلْفَةِ وَأَوْضَاحُهُ : لِيَمْرَحَ بِهِ فِي الْإِغْتِدَاءِ بِلَبَانِ النِّعْمَةِ ، كَمَا أَتَهَجَّ جَدَدَهُ
 فِي إِحْسَانِ الْخِدْمَةِ . وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى آرَاءِ ذَوِي الْحُنْكَةِ مِنْهُمْ مُسْتَضِيئًا بِهَا مُسْتَرِشِدًا ،
 وَطَالِبًا ضَوْالَ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ وَمُنْشِدًا ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَ الْمَشُورَةِ الَّتِي جَعَلَهَا لِلْأَبَابِ
 لِقَاحًا ، وَفِي حَنَادِسِ الشُّكُوكِ مِضْبَاحًا ؛ حَيْثُ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ،
 وَبَعَثَهُ مِنْهَا عَلَى أَسَدِّ الْأَفْعَالِ وَأَصُوبِهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
 عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وأمره أن يعدل في الرعايا قبله ، ويحلهم من الأمن هضابه وقلة ؛ ويمنحهم من
 الإشتمال ، ما ينجي به أمورهم من الإختلال ، ويحوي به من طيب الذكر بحسب
 ما اكتسب من رضى الأنحاء والخلال ؛ ويضفي على المسلم منهم والمعاهد من ظل
 رعايته ما يساوى فيه بين القوى والضعيف ، ويلحق التليد منهم بالطريف : ليكون
 الكل وادعين في كنف الصون ، راجعين إلى الله تعالى في إمدادهم بالتوفيق وحسن
 الطاعة والعون . وأن ينظر في مظالمهم نظرًا ينصر الحق فيه ، وينشر علم العدل
 في مظاويه ؛ ويُصَفِّعُ مَعَهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيُنْصِبُ بِهِ لَمْ مِنْ أَهْتَامِهِ أَسْنَى^(١)
 قِسْمٍ وَحَظٍّ ؛ مُلِينًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ جَانِبَهُ ، وَمُؤَيِّنًا مَا يَظُنُّ بِهِ كَاسِبَ الْأَجْرِ وَجَالِبَهُ ؛

(١) يقال أنصبه جعل له نصيبا . انظر اللسان والقاموس .

ويزيل عنهم ما شرعه ظلمة الغلمان بتلك الأعمال، ويدل من تلك الحال باستثناء ما يوطئهم كواهل الآمال؛ جامعاً لهم بين العدل والإحسان، وجاعلاً أمر الله تعالى في ذلك متلقياً بالطاعة الواضحة الدليل والبرهان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وأمره بأن يكون بالمعروف أمراً، وعن المنكر زاجراً، والله تعالى في إحياء الحق وإمالة الباطل متاجراً. وأن يسند من الساعين في ذلك والداعين إليه، ويعد القيام بهذه الحال من أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى يوم العرض عليه. ويتقدم بتعطيل ما في أعماله من المواخير ودحضها، وإزالة آثارها ومحوها؛ فإنها مواطن بالخازي أهله، ومن مشارب المعاصي ناهله؛ قد أسست على غير التقوى مبانيها؛ وأخلت من كل ما يرضى الله تعالى مغانيها؛ وقد أبان الله تعالى عن فضل الطائفة التي ظلت بالمعروف أمرة وعن المنكر ناهية، وضنت بما ترى فيه عن مقاصد الخير ذاهلة لاهية، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .

وأمره أن يرتب لحماية الطرقات من يجمع إلى الصرامة والشهامه، سلوك محاجج الرشد والاستقامة؛ ويجعل التعفف عن ذمير المراتع شاهداً بتوفيق الله إياه، وعائداً عليه بما محمد مغبته وعقباه؛ ويأمر بحفظ السابله، واختصاصهم بالحراسة السابغة الشاملة؛ وحماية القوافل واردة وصادره، وأعتادها بما تغدو به إلى السلامة مفضية صائرة؛ لتحرس الدماء مما يبيحها ويريقها، والأموال مما يقصد فيه سبيل الإضاعة وطريقها. وأن يخوفهم نتائج التقصير، ويعرفهم مناهج التبصير؛ وأن عليهم

رُقبَاءَ يلاحظون أمورهم ويوضحونها : ليكون ذلك داعياً إلى التحوط والتحرُّز،
واعتدائِ الميل إلى جانب الصَّحة والتحيز؛ ويوجب لهم من بعد ما يكفي أمثالهم مثله،
ويكف أيديهم عن الامتداد إلى ما تُذمُّ سبله ؛ فإنَّ أخلَّ أحدُهم بما حدَّ له ،
أو مزج بالسوء عمله ؛ جرَّاه بحسب ذلك وموجبه . قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا يُجْزِهِ ﴾ .

وأمره أن يتقدم إلى توابه في الأعمال بوضع الرِّصد على من يمتاز بها من العبيد
الأباق ، والأستظهار عليهم بحسب العدل والأستحقاق ؛ وأستعلام أماكينهم التي
فصلوا عنها ، ومواطنهم التي بعدوا منها ؛ فإذا وضحت أحوالهم وبانت ، وأنحسمت
الشكوك في بايهم وزالت ، أعادوهم إلى مواليتهم أبوا أم شاءوا ، وأصفوا نياتهم
في الرجوع إليهم أم شابوا . وأن يقصدوا إنشاد الصَّوال ، ويجهدوا من إظهار أمرها
بما يغدو جمال الذكر به في الظلال ؛ ويتجنبوا أن يمتطوا ظهورها بحال ، أو يمدوا
أيديهم إلى منافعها في إسرار وإعلان ؛ حتى إذا حضر أربابها سلمت إليهم بالنعوت
والأوصاف ، وأجرى الأمر في ذلك على ما يضحى به علم العدل على المنار حالي
الأعطاف ؛ فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها ، وهدى من ذلك إلى أوضح
مخارج الصَّحة وسبلها ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ .

وأمره أن يختار للنظر في المعاون والأجلاب من يرجع إلى دين يحميه من مهاوى
الزلل وصلف عن مدِّ اليد إلى أسباب المطامع ، وكلف بما يعود على ما كلف إياه
بصلاح مشرق المطالع ؛ ومعرفة بما وكل إليه كافية وإفيه ، ولما يوجب الاسترداد له

(١) لعله بالطاء المشالة بمعنى الكف . تأمل .

(٢) لعله الاستزاء أى الزراية عليه والتهاون به .

ماحية نافية؛ ويوعز إليهم بالتشمير في طلب الدعار، من جميع الأماكن والأقطار،
وحسم مواد العار في بايهم والمضار. وأن يمضوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم
في الضلال، وتجرى أمورهم على قانون الشرع المنير في حداس الظلام، ممتنعين
أن يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في عمله، ويحانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن
شهدت آثاره بدميم سبيله؛ وإذا وقع الظفر بجانب قد كشف في النقي قناعه،
وأظهرت مساعيه إباءه من إجابة داعي الرشد وأمتناعه؛ أقيم حد الله تعالى فيه
من غير تعدد الواجب، ولا تعر من ملابس السالكين للجدد الألاجب، (ومن يتعد
حدود الله فأولئك هم الظالمون).

وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون بأن يشدوا من القضاة والحكام، ويجدوا
في إجراء أمورهم على أوفى شروط الضبط والإقدام، ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ
أحكامهم وإمضاءها، والمسارعة إلى حث مطايا التشمير في ذلك وإنضائها؛
والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخصوم إذا ما امتنعوا، وسوقهم إلى الواجب
إذا زاعوا عنه وانحرفوا. وأن يتقدم بإمداد عمال الخراج بما يؤدي إلى قوة أيديهم
في استيفاء مال النعي وأجتباؤه، وأعتاد ما ينصر الحقوق في مطاويه وأثنائه؛ إذ كان
في ذلك من الصلاح الجامع، وكف المضار وحسم المطامع، ما المعونة عليه واجبه،
وللتوفيق مقارنة مصاحبه، قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان وآتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

وأمره بعرض من تضمه الجبوس من أهل الجرائم والجرائر، وتأمل أحوالهم
في الموارد والمصادر؛ والرجوع إلى متولى الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب
في حبسه، والتعيين من ذلك على ما يعرف به صحة الأمر من لبسه؛ فمن النعي منهم

لِلذُّنُوبِ آفَاءَ ، وَعَنْ سَنَنِ الصَّوَابِ مُنْحَرِفًا ، تُرِكَ بِجَالِهِ ، وَكُفِّ بِإِطَالَةِ أَعْتِقَالِهِ ،
 عَنْ مَجَالِهِ فِي مَيَادِينِ ضَلَالِهِ ؛ وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ، أَقِيمَ فِيهِ بِحَسَبِ
 مَا يَقْتَضِيهِ الْحَقُّ ؛ وَمَنْ أَعْتَرَضَتْ فِي بَابِهِ شُبُهَةٌ تُجَوِّزُ إِسْقَاطَ الْحَدِّ عَنْهُ وَدَرَأَهُ ، أَعْتَمَدَ
 إِحْلَاقَهُ فِي ذَلِكَ بِنِ اتِّصَالِهِ إِلَيْهِ صَوْبِ الْإِحْسَانِ وَدَرَّهُ ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُرْمٌ وَتَظْهَرُ
 صِحَّةُ شَاهِدِهِ وَدَلِيلِهِ ، قَدَّمَ الْأَمْرَ فِي إِطْلَاقِهِ وَتَحْلِيَةِ سَبِيلِهِ ؛ وَإِنْ غَدَا لِأَحَدِهِمْ سَعْيٌ
 فِي الْفَسَادِ وَاجْتِاحٌ وَبَانُ ، وَعَوَى بِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْحَقِّ وَخَانَ ، قُوِيلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
 فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
 فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
 ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاخْتِيَارِ الْمَرْتَبِ لِلْعَرْضِ وَالْعَطَاءِ ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ ؛ مِنْ ذَوِي الْمَعْرِفَةِ
 وَالْبَصِيرَةِ ، وَالْمَشْهُورِينَ فِي الْعِفَّةِ بِتَسَاوِيِ الْعِلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ ؛ وَمَنْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
 جَيِّدُهُ ، وَأَعْتَصَدَ بِطَرِيفِهِ فِي الرَّشَادِ تَلِيدُهُ ؛ وَكَانَ بِمَا يُسْنَدُ إِلَيْهِ قِيًّا ، وَفِي مَقَرِّ
 الْكِفَايَةِ نَاوِيًّا مُحِيًّا . وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِضَبْطِ حَلِي الرِّجَالِ وَشِبَاتِ الْخِيُولِ ، وَأَنْ يَقْصِدَ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَرْضِ مَا يَشْهَدُ بِالْإِحْتِيَاظِ السَّابِقِ الْأَهْدَابِ وَالذُّبُولِ ؛ فَإِذَا
 وَضَعَ وَجْهَهُ الْإِطْلَاقَ ، وَسَلِمَ مَالُ الْإِسْتِحْقَاقِ ؛ كَانَتْ التَّفَرُّقَةُ عَلَى قَدْرِ الْمَنَازِلِ فِي التَّقْدِيمِ
 وَالتَّأخِيرِ ، وَبِحَسَبِ الْحَرَائِدِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الصَّغِيرِ مِنْ ذَلِكَ وَالْكَبِيرِ ؛ وَمَتَى طَرَقَ
 أَحَدُهُمْ مَا هُوَ مُحْتُومٌ عَلَى خَلْفِهِ ، أَعَادَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ رِزْقِهِ بِقَدْرِ قِسْطِهِ وَحَقِّهِ .
 وَأَنْ يَلْزِمَهُمْ إِحْضَارَ جِيَادِ الْخِيُولِ وَخِيَارِ الشَّكِّ ، وَيَأْخُذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْضَعِ مَا نَهَجَ
 الْمَرْءُ الطَّرِيقَ فِيهِ وَسَلَّكَ ؛ فَإِنْ أَخْلَى أَحَدُهُمْ بِمَا يَلْزِمُهُ الْبُرُوزُ فِيهِ يَوْمَ الْعَرْضِ ،
 أَوْ قَصَرَ فِي التَّقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ الْفَرْضُ ؛ حَاسِبَهُ بِذَلِكَ مِنَ الثَّابِتِ بِاسْمِهِ ، وَالْمُطْلَقِ

برسمة؛ تبيها له على تلافى الفارط، وتبصيراً لغيره فى البعد عن مقام المخطئ الغالب؛ إذ كان فى قوتهم وكمال عدتهم إرهاب للأعداء والأضداد، وإرهاف للبصائر فيما يؤدى إلى المصالح الوافية الأعداد والأمداد؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ .

وأمره بإختيار عمال الخراج، والضّياح، والأعشار، والجهبذة، والصدقات، والجوالى؛ وأن يكونوا محتضنين من الأمانة والكفاية بما يقع الاشتراك فى علمه، ومتقنين من ملابس العفة والدراية ما تمجد العواقب فى ضمنه، ومتميزين بما يغبهم عن الأفكار بنتائج الاتعاظ والأعتبار؛ ويغريهم بالاستمرار على السنن المنجى لهم من مواقف التنصل والإعتذار. وأن يأمر عمال الخراج ببجاية الأموال، على أجهل الوجوه والأحوال؛ سالكين فى ذلك جدداً وسطاً، ينجى من مقام من ضعف فى الاستخراج أوسطاً. و [أن يتقدم] إلى الناظرين فى الضياح بتوفية العارة حقها والزراعة حدّها، والتوفير من حفظ الغلات الحاصلة على ما يقتضى فيه أرشد المذاهب وأسدها؛ متحزين من أمرٍ ينسبون فيه إلى العجز والحيانة، فكل من الحالين مجزى فى وضوح أدلة الفساد ومخز. وإلى الجهادة بقصد الصحة فى القبض والتقيض، وحفظ النقد من التدليس والتليس؛ أداءً للأمانة فى ذلك، وأهتداءً فيه إلى أقوم المسالك. وإلى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من مواشى المسلمين السائمة دون العاملة، والجرى فى ذلك على السنة الكاسية للحمدة الوافية الكاملة؛ متجنبين من أخذ فقل الإبل وأكولة الراعى، وعقائل الأموال المحظورة على سائر الأسباب والدواعى؛ فإذا استوفيت على المحدود من حقها، أخرجت فى المنصوص عليه من وجوهها وسبلها. وإلى جبابة جماح أهل الدمة بأخذ الحزبية منهم فى كل سنة، على قدر ذات أيديهم فى الضيق والسعة، وبحسب العادة المألوفة المتبعة؛ ممتنعين من

مُطَالِبَةُ النَّسْوَانِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلْمَ مِنَ الرِّجَالِ وَمَنْ عَلَتْ سِنُهُ عَنِ الْإِكْتِسَابِ وَتَبَتَّلَ مِنَ الرَّهْبَانِ، وَمَنْ غَدَا فَقْرُهُ وَاصْحَحَ الدَّلِيلَ وَالْبُرْهَانَ؛ وَفَاءً بِالْعَهْدِ الْمَسْئُولِ، وَتَلْقِيًّا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَبُولِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وأمره أن يردَّ أمر المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة إلى من عَصَدَ بِالظَّالِفِ الْوَرَعِ، وَأَنْتَظِمَ لَهُ شَمْلَ الْهَدْيِ وَأَجْتَمَعَ: فَكَانَ ذَا مَعْرِفَةٍ بِمَا يَحْرُمُ وَيَحِلُّ، وَبَصِيرَةً يَتَفَيَّأُ بِهَا مِنْ عَوَارِضِ الشُّبْهِ وَيَسْتَظِلُّ؛ وَأَنْ يَكُونَ النَّظْرُ فِي ذَلِكَ مُضَاهِيًّا لِحُكْمِ مَلَائِمًا، وَلَنْ يَقُومَ بِهِ إِلَّا مَنْ لَا يَرَى عَادِلًا لَهُ فِي فِعْلِهِ لِأَيْمَانًا. وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ يَلِي الْمَظَالِمَ بِتَسْهِيلِ الْإِذْنِ لِلْمُضْضَمِّ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَتَمَكِينِ كُلِّ مَنْهُمْ مِنْ أَسْتِيفَاءِ الْحُجَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى فَضْلِ مَا يَنْبَغُ بِحَسَبِ مَا يَقُودُ إِلَى تَلْقَائِهِ؛ وَأَنْ يَقْصِدَ فِيمَا وَقَعَ الْخُلْفُ مَعَهُمْ فِيهِ، الْكَشْفَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ وَيَسْتَوْفِيهِ؛ فَإِنْ وَضَّحَ لَهُ الْحَقُّ أَنْفَذَهُ وَقَطَعَ بِهِ، وَإِلَّا رَدَّهُمْ إِلَى مَجَالِسِ الْقَضَاءِ لِإِمْضَاءِ ذَلِكَ عَلَى مَقْتَضَى الشَّرْعِ وَمُوجِبِهِ. وَإِلَى الْمَرْتَبِينَ فِي أَسْوَاقِ الرِّقِيقِ بِالتَّحْقُظِ فِيمَا يُتَاعَ وَيُبَاعَ، وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْاِقْتِفَاءَ لِلسَّنَنِ الْجَمِيلِ وَالِاتِّبَاعَ: لِيَوْمِنَ أَخْتِلَاطِ الْحُرِّ بِالْعَبْدِ، وَتَحْرَسَ الْأَنْسَابُ مِنَ التَّدْحِجِ وَالْفُرُوجِ مِنَ الْعَصَبِ؛ فِي ضَمْنِ حِفْظِ الْأَمْوَالِ، وَالْمَنْعِ مِنْ مَزْجِ الْحَرَامِ بِالْحَلَالِ. وَإِلَى وِلَاةِ الْعِيَارِ بِتَصْفِيَةِ عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالْدَيْنَارِ مِنَ الْغِشِّ وَالْإِذْغَالِ؛ وَصَوْنِ السَّكِّكَ مِنْ تَدَاوُلِ الْأَيْدِي الْغَرِيبَةِ لَهَا بِمَجَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ مُتَحَدِّثِينَ مِنَ الْاِعْتِرَازِ بِمَا رُبَّمَا وَضَّحَ الْفَسَادُ فِيهِ عِنْدَ الْاِعْتِبَارِ، وَمَا نَعِينَ التُّجَّارَ الْمَخْضُوعِينَ بِالْاِيرَادِ، مِنْ كُلِّ قَوْلٍ مُخَالِفٍ لِلِاِيشَارِ فِي الصَّحَّةِ وَالْمُرَادِ؛ وَمَعْتَمِدِينَ إِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيمَا يُطْبَعُ عَلَى الْقَانُونِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ لِمُسْتَقَرِّ الْقَاعِدَةِ فِي ذَلِكَ وَمَتَّسِقِ النِّظَامِ؛ وَأَنْ يَثْبِتَ ذِكْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلِيِّ عَهْدِهِ فِي الْمَسْلَمِينَ؛

(١) فِي السَّلَامِ "فَاءُ الْفَاءِ فِيمَا تَحْوَلُ وَتَفَيَّأُ فِيهِ تَظَلُّلٌ".

على ما يُضرب من الصّنفين معا ، والمسارة في ذلك إلى أفضل ما بادَرَ إليه المرء وسعى . وإلى المستخدمين في الطُّرُز بملاحظة أحوال المناجيج والإشراف عليها ، وأخذ الصنّاع بالتجويد على العادة التي يجبُ الإتهاء إليها ؛ وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يُنسج من الكُسا والفُروش والأعلام والبُود ، جريا في ذلك على السنن المرضيِّ والمنهاج المحمود . وإلى من يُراعى الحسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ، والإتهاء في ذلك إلى ما ينتهي به شملُ الصّلاح إلى الانتظام والاتساق ؛ وأن يتقدّم [اليهم] بما يجبُ من تعبير ما يختصُّ بهم من المكاييل والموازين ، وحملها على قانون الصّحة الواضحة الدلائل والبراهين ؛ وأن يقصد تبصيرهم مواضع الحظِّ في الاستقامة ، ويحذّرهم مواقع الانتقام الذي لا تُقيد فيه أسباب الاستصفاح والاستقالة ؛ فإن عرفَ من أحد منهم إقداما على إدغال فيما يزن أو يكيل ، فويل من التأديب بما هو الطريق إلى ارتداعه والسبيل ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَلِ لِلطُّفَّيْنِ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّاهُم يُحْسِرُونَ ﴾ .

وأمره أن يعرفَ قدر النعمة التي ضفّت عليه برودها ، وحلّت جيده عقودها ؛ وزفّت منه إلى أوفى أكفائها ، وحفّت بجزيل القسَم من جميع أكنافها وأرجائها ؛ وأن يقابلها بإخلاص في الطاعة يساوي فيه بين ما يُسدى ويسر ، وسعي في الخدمة يُوفي على كل مجازٍ وميرٍ ؛ ويبدأ أمام ما يتوخاه بأخذ البيعة لأمر المؤمنين وولىّ عهده على نفسه وولده ، وكافة الأجناد والرعايا في بلده ؛ عن نية صفت من الكدر والقذى ، ووفت للتوفيق بما صمّنت من خذلان البغي ونصرة الهدى ؛ ويتبع ذلك بالحقوق في كل خدمة تُرضى ، والوقوف عند الأوامر الإمامية في كل ما يؤدّى إلى الوفاق ويُفضى ؛ وأن يحمل إلى حضرة أمير المؤمنين من الفى والغنائم ما أوجبه

الله تعالى وفرّضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضى التلافي والإستدراك : ليأمر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار إليها ، ووجوه المنصوص عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

ثم إن أمير المؤمنين آثر أن يضاعف له من الإحسان ، ما يقتضيه مقامه لديه من وجيه الرتبة والمكان ، وشرفه بما يرُفَل من حلاه في حُلل الجمال ، وتكفل له علاه ببلوغ منتهى الآمال ؛ وبوَاه بما أولاه محلاً تقصّر عن الوصول إليه الأقدام ، وتُعجز عن حلّ عراه الأيام ؛ ولقّبهُ بكذا ، وأذِن له في تكذيبه عن حضرتة ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر أمنيته ؛ إنافةً به على مَنْ هو في مساجلته من الأقران طالع ، وإضافةً للنعمة في ذلك إلى ما أقرن بها فيما هو لشمل الفخر عنده جامع ؛ وأنشد لواء يلوى به إلى الطاعة أي الأعناق ، ويحوى به من العز ما أنواره وافية الإشراق .

فلقّ يافلانُ هذه الصنعة الغراء ، والمنحة التي أكسبت زنادك الإبراء ؛ بالإستبشار التام ، والأعتراف فيها بسايغ الطول والإنعام ؛ وأشع ذكر ذلك عند كل أحد ، وأنته في الإبانة عنه إلى أبعد أمد ؛ واعتمد مكتبة حضرة أمير المؤمنين متمسماً ، ومنّ عداه متلقباً متكئياً ؛ وتوقر على شكرٍ تستدر به صوب المزيد ، وتستحق به إلحاق الطريف من الإحسان بالتلبد ، والله تعالى يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، والجمحة لك وعليك ؛ قد أوضح لك [فيه] الصواب ، وأدلّ به الجوامح الصعاب ؛ وحبّلك منه بموهبة كفيلة بخيري البدء والمعاد ، وفيه فيها

المنى بسابق الضمان والميعاد ؛ وضمنه من مواعظه ما هدى به إلى كل ما الحني ثمره ،
 وغدا محظياً بما تروق أوضاحه في المجد وغرره ؛ ولم يألك فيه تمجلاً يكسبك الفخر
 النامي ، ويجعل ذكرك زينة الحفل والنادي ؛ وتقديماً يني عمّا خصصت به من
 المنح المشرفة الآلى ، وإكراماً يبق صيته على تقضى الأيام والليالي ؛ وتبصيراً يني
 من فلتات القول والعمل ، ويرتقي المستضىء بأنواره إلى ذرى الأمن من دواعي
 العثار والزلل ؛ فأصغ إلى ما حواه ، إصغاء الفائز بأوفى الحظ ، وتدبر فخواه ، الناطق
 بفضل الحث على الهدى والحض ؛ وكن لأوامر أمير المؤمنين فيه محتدياً ، ومن
 تجاوز محدوده في مطاويه محتمياً ؛ وبمواعظه الصادقة معتبراً ، وفي العمل بما قارن
 الحق مستبصراً ، تفز بالغم الأكبر ، وبالسلامة في المورد والمصدر ؛ وإياك وأعتاد
 ما تدم فيه مكاسبك ، فإن لك بين يدي الله تعالى موقفاً يناقشك فيه ويحاسبك .
 وأعلم أن أمير المؤمنين قد قلّدك جسيماً ، وخوّلك جزياً عظيماً ؛ فلا تنس نصيبك
 من الله تعالى غداً ، ولا تجعل لسلطان الهوى المضلّ عليك يداً ؛ وإن خفي عليك
 الصواب في بعض ما أنت بصده ، أو اعترض فيه من الشبه ما يحول بينك وبين
 طريق الرشاد وجدده ؛ فطالع حضرة أمير المؤمنين به ، وأستنجد الله في ذلك
 بأسد رأي وأصوبه ؛ بيدك من الشك يقينا ، ويدي لك ما يغدو لكل خير ضمينا ؛
 إن شاء الله تعالى .

الطريقة الثانية

(طريقةُ محقِّقِ المتأخِّرينَ ممَّن جرى على هذا المذهب : كالشيخ شهاب الدين

محمود الحلبي ، والمقرِّر الشهابي بن فضل الله ، ومَن والاهم)

وهي أن يأتي في أثناء العهدِ بخطبة أو تحميدٍ على عادة المكاتبات ، وأن يذكر بعدَ صدر العهد حميداً أو صاف المعهود إليه ، ويُنَبِّ فيها ويُنَبِّ عليه بما يليق بمقامه . قال في " التعريف " : على نحو ما تقدَّم في عهود الخلفاء عن الخلفاء . قال في " التنقيف " : وصورته أن يُكُتَب :

« هذا ما عهد به عبدُ الله ووليه أمير المؤمنين المتوكِّل على الله (مثلاً) أبو فلان فلان بن فلان ، إلى السيِّد الأجلِّ الملكِ العالمِ العادلِ المؤيِّدِ المظفَّر المنصورِ المجاهدِ » ويذكر اللقب هنا ، مثل الناصر أو الكامل أو غيره « فلان الدنيا والدين ، فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الفلاني خلد الله تعالى ملكه .

أما بعدُ ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمِّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويصلِّي على ابن عمِّه سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم » ويكمل الخطبة بما أمكنه . ثم يقال : « عهد إليه وقلده جميع ما هو مُقلِّده من مصالح الأئمة وصالح الخلق ، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك ، ومكث مدةً يتدبَّر هذا الأمرَ ويروي فكره فيه وخطره ، ويستشير أهل الرأي والنظر ، فلم يرَ أوفق منه لأموال الأئمة ومصالح الدنيا والدين » . ومن هذا وشبهه . ثم يقال : « وإن المعهود له قبل ذلك منه » ويأتي فيه بما يليق من محاسن العبارة وأجناس الكلام .

قلت : وقد يُؤتَى بعد «أما بعد» بخطبة ، مثل أن يقال : «أما بعدُ فالحمد لله» ونحو ذلك ، ويكمل الخطبة بما يليق بالمقام . ثم قد يقتصر على تحميدة واحدة ،

وقد يكرره إلى ثلاث ، وإن شاء بلغ به سبعا . فقد قال في "التعريف" في الكلام على عهود الملوك للوك : إنه كُلم أكثر التحميد ، كان أدلّ على عظم النعمة . وقد يقال في آخره : « والاعتماد على الخط الفلاني (بلقب الخلافة) أعلاه حجة بمقتضاه أو « والخط الفلاني أعلاه حجة فيه » ونحو ذلك .

وعلى هذه الطريقة كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك العادل « كتبنا » عن الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، ابن الإمام الذي استحضره الملك الظاهر بيبرس من بغداد وبايعه ، وهذه نسخته :

هذا عهد شريف في كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون ، ويفوضه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة الأقربون . من عبد الله وولَّيه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، إلى السلطان الملك العادل زين الدنيا والدين « كتبنا المنصوري » أعز الله سلطانه .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يحدُّ إليك الله الذي جعل له منك سلطانا نصيرا ، وأقام له بملكك على ما وَّلاه من أمور خَلَقه عَضْداً وظهيراً ؛ وآتاك بما نهَضت به من طاعته نِعْماً ومُلْكا كبيرا ، وخَوَّلَك بإقامة ما وراء سريره من مَصالح الإسلام بكلِّ أَرْضٍ مِنبِرا وسريرا ، وجاء بك لإعانتِه على ما استَخلفه اللهُ فيه من أمور عباده على قَدَرٍ وكان رَبُّكَ قَدِيرا ؛ وجمع بك الأئمة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريقي منهم ،

(١) لم يذكر نسبه في الأصل . وفي ابن اياس هو أحمد بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد آبن الخليفة المستظهر آبن الخليفة المقتدى آبن محمد الذخيرة العباسي . وكذلك هو في خطط المقرزي إلا أنه قال أحمد بن أبي علي الحسن بن الخ . وأقام في الخلافة نيفا وأربعين سنة وتوفي سنة احدى وسبعائة وهو أول خلفاء بن العباس بمصر . وبمراجعة تاريخ كتبنا ولاجين يعلم أنهما كانا في زمنه وبالضرورة يكون هو العاهل بها فتيه .

وَعَضْدِكَ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ نَازَهُونَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى الَّذِينَ أَبْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَبَلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَأَصْطَفَاكَ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الْأَهْوَاءُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، وَلَمْ يَكْ شَعَتْ الْأُمَّةَ بَعْدَ الْإِضْطِرَابِ فَكَانَ مَوْقِفُكَ ثُمَّ مَوْقِفَ الصَّادِقِ يَوْمَ الرِّدَّةِ .

وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةَ حَاكِمٍ بِأَمْرِهِ ، مُسْتَنْزِلٍ لَكَ بِالْإِخْلَاصِ مَلَائِكَةَ تَأْيِيدِهِ وَأَعْوَانَ نَصْرِهِ ، مُسْتَرْهِفٍ بِهَا سَيْفِ عَزْمِكَ عَلَى مَنْ جَاهَرَ بِشِرْكِهِ وَحَارَبَهُ بِكُفْرِهِ ، مُعْتَصِمٍ بِتَوْفِيقِهِ فِي تَفْوِيزِهِ إِلَيْكَ أَمْرَ سِرِّهِ الَّذِي أَسْتَوْدَعَهُ فِي الْأُمَّةِ وَجْهَهُ ، وَيَصِلُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي أَسْتَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ عُنُقِهِ وَذَوِيهِ ، وَشَرَّفَ بِهِ قَدْرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ : « عَمَّ الرَّجُلِ صِنُؤُ أَبِيهِ » وَأَسْرًا إِلَيْهِ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ فُتِحَ بِهِ وَيُحْتَمُّ بَيْنَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصْحِيهِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ، وَجَاهَدُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ سِرِّ النَّبِيِّ ، وَأَسْتَوْدَعَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْإِمَامَةِ الْمُرُوثَةِ عَنْ شَرَفِ الْأَبَوِّ ، وَأَخْتَصَّه مِنَ الطَّاعَةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الْأَخْصِّ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَعْمِّ ، وَعَصَمَ آرَاءَهُ بِبِرْكَةِ آبَائِهِ مِنْ الْخَلَلِ ، وَجَعَلَ سَهْمَ اجْتِهَادِهِ هُوَ الْمُصِيبَ أَبَدًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَكَانَ السَّلْطَانَ فَلَانِ هُوَ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ كَادَتْ ، وَثَبَّتْ بِهِ الْأَرْضَ وَقَدْ اضْطَرَبَتْ بِالْأَهْوَاءِ وَمَادَتْ ، وَرَفَعَ بِهِ مَنَارَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ شَمَخَ الْكُفْرُ بَأَنْفِهِ ، وَأَلْفَ بِهِ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ طَمَحَ الْعُدُوُّ إِلَى آفْتِرَاقِهِ وَطَمِعَ فِي خُلْفِهِ ، وَحَفِظَ بِهِ فِي الْجِهَادِ حُكْمَ

الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وحى به المالك الإسلامية فما شام الكفر منها برق نغز الأرمي من وباله بوابل ، ولا أطلق عنان طرفه إلى الأطراف إلا وقع من سطات جنوده في كفة حابل ؛ ولا أطمأنوا في بلادهم إلا أتتهم سراياه من حيث لم يرتقبوا ، ولا ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله إلا وآتهم بجنوده من حيث لم يحتسبوا ؛ وألف جيوش الإسلام فأصبحت على الأعداء يمينه يدا واحده ، وقام بأمر الأمة فأست عيون الرعايا باستيقاظ سيوفه في مهاد الأمن راقده ؛ وأقام منار الشريعة المطهرة فهي حاكمة له وعليه ، نافذ أمرها على أمره فيما وضع الله مقاليد في يديه ؛ ونصره الله في مواطن كثيرة ، وأعانه على من أضمره الشقاق والصلاة وإنما لكبيره ؛ وأظهره بمن نغى عليه في يومه بعد حلمه عنه في أمسه ، وأيده على الذين خانوا عهده ويد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ؛ وتعين لملك الإسلام فلم يك يصلح إلا له ، وأختره الله لذلك فبلغ به الدين أماله ؛ وضعع بملكه عمود الشرك وأماله ، وأعاد بسطانه على الممالك بهجتها وعلى الملك روثه وجلاله ؛ وأخدمه النصر فأضمر له أحد سوءا إلا وزلزل أقدامه وعجل وباله ، وردته إليه وقد جعل من الرعب قيوده ومن الذعر أغلاله ، وأوطأ جواده هام أعدائه وإن أنف أن تكون نعاله .

عهد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين في كل ما وراء خلافته المقدسه ، وجميع ما اقتضته أحكام إمامته التي هي على التقوى مؤسسه : من إقامة شعار الملك الذي جمع الله الإسلام عليه ، وظهور أبهة السلطنة التي ألقى الله وأمير المؤمنين مقاليدها إليه ؛ ومن الحكم الخاص والعام ، في سائر ممالك الإسلام ، وفي كل ما تقتضيه أحكام شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ وفي خرائن الأموال وإنفاقها ، وملك الرقاب وإعتاقها ، وأعتقال الجناة وإطلاقها ؛ وفي كل

ماهو في يَدِ الْمِلَّةِ الإسلامية أَوْ يَفْتَحُهُ اللهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا ، وَفِي جَمِيعِ مَاهُوَ مِنْ ضَوَائِلِ
 الْمَمَالِكِ الإسلاميةِ الَّتِي سَيَرَجِعُهَا اللهُ بِجِهَادِهِ إِلَيْهَا ؛ وَفِي تَقْلِيدِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَتَقْدِيمَةِ
 الْجِيُوشِ وَتَأْمِيرِ الْأَمْرَاءِ ؛ وَفِي الْأَمْصَارِ يُقْرَأُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنَ الْجُنُودِ ، وَيَبْعَثُ إِلَيْهَا
 وَمِنْهَا مَا شَاءَ مِنَ الْبُعُوثِ وَالْحَشُودِ ؛ وَيُحْكَمُ فِي أَمْرِهَا بِمَا أَمَرَ اللهُ مِنَ الذَّبِّ عَنْ
 حَرَمِهَا ، وَيُحْكَمُ بِالْعَدْلِ الَّذِي رَسَمَ اللهُ بِهِ لظَاعِنِهَا وَمُقِيمِهَا ؛ وَفِي تَقْدِيمِ حَدِيثِهَا
 وَأَسْتِحْدَاثِ قَدِيمِهَا ، وَتَشْيِيدِ تُغُورِهَا ، وَإِمْضَاءِ مَا عَرَفَهُ اللهُ بِهِ وَجَهْلَهُ سِوَاهُ مِنْ
 أُمُورِهَا ؛ وَإِقْرَارِ مَنْ شَاءَ مِنْ حُكَّامِهَا ، وَإِمْضَاءِ مَا شَاءَ مِنْ إِتْقَانِ التَّوَاعِدِ بِالْعَدْلِ
 وَإِحْكَامِهَا ؛ وَفِي إِقْطَاعِ خَوَاصِّهَا ، وَإِقْتِلَاعِ مَا أَقْتَضَتْهُ الْمَصْلَحَةُ مِنْ عَمَائِرِهَا وَعِمَارَةِ
 مَا شَاءَ مِنْ قِلَاعِهَا ؛ وَفِي إِقَامَةِ الْجِهَادِ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَكِتَابَتِهِ ، وَلِقَاءِ الْأَعْدَاءِ كَيْفَ شَاءَ
 مِنْ [تَسْيِيرِ] سَرَايَاهُ وَبَعَثِ مَوَاكِبِهِ ؛ وَفِي مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ وَحِصَارِهِ ، وَمَصَابِرَتِهِ وَإِنْظَارِهِ ،
 وَغَزْوِهِ كَيْفَ أَرَاهُ اللهُ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ وَفِي عُقْرِ دَارِهِ ؛ وَفِي الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ وَالْإِرْفَاقِ ،
 وَضَرْبِ الْمُدَنِ الَّتِي تَسَأَلُ الْعِدَا وَهِيَ خَاضِعَةٌ الْأَعْنَاقِ ؛ وَأَخْذِ مُجَاوِرِي الْعَدُوِّ
 الْمَخْذُولِ بِمَا أَرَاهُ اللهُ مِنَ النَّكَايَةِ إِذَا أُمِكنَ مِنْ نَوَاصِيهِمْ ، وَحُكْمِ عَفْوِهِ فِي طَائِعِهِمْ
 وَبَأْسِهِ فِي عَاصِيهِمْ ، وَإِنزَالِ الَّذِينَ ظَاهَرُوا وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ .
 وَفِي الْجِيُوشِ الَّتِي أَلْفَ الْأَعْدَاءِ فَتَكَاتِ الْوُفُوهَا ، وَعَرَفُوا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ وَدَائِعُ سِيُوفِهَا ؛
 وَصَبَحَتِهِمْ سَرَايَا رُعْبَهَا الْمَبْثُوثَةُ إِلَيْهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ خَوْفُهَا كَأَنَّهُمْ حُشْبُ مُسْنَدَةٍ يَحْسِبُونَ
 كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ ضَاقَتْ بِمَوَاكِبِهِمْ إِلَى الْعِدَا سَعَةُ الْفَجَاجِ ، وَقَاسَمَتْ
 رِمَاحَهُمُ الْأَعْدَاءُ شَرَقِيسِمَةً فَنَى أَيْدِيَهُمْ كَعُوبُهَا وَفِي صُدُورِ أَوْلَئِكَ الزَّجَاجِ ، وَأَذْهَبَتْ
 عَنِ الثُّغُورِ الإسلاميةِ رِجْسَ الْكُفْرِ وَطَهَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاوَرَ الْعَذْبَ الْفُرَاتِ
 وَالْمِلْحَ الْأَجَاجِ ؛ وَعُرِفُوا فِي الْحُرُوبِ بِتَسْرُعِ الْإِقْدَامِ ، وَثَبَاتِ الْأَقْدَامِ ، وَأَدْنَمَ اللهُ

لأَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ أَنْ تَرُدَّهَا بِهِمْ دَارَ السَّلَامِ إِلَى مُلْكِ الْإِسْلَامِ : فُيَدَّرُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ
 لِنِعْمِهِ الَّذِي يُؤَكِّدُ طَاعَتَهُمْ ، وَيَجِدُّ اسْتِطَاعَتَهُمْ ؛ وَيَضَاعِفُ أَعْدَادَهُمْ ، وَيَجْعَلُ
 بِصَفَاءِ النَّيِّاتِ مَلَائِكَةَ اللَّهِ أُمْدَادَهُمْ ؛ وَيَجْمَلُهُمْ عَلَى النَّبَاتِ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
 زَحْفًا ، وَيَجْعَلُهُمْ فِي التَّمَاضِدِ عَلَى اللَّقَاءِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
 فِي سَبِيلِهِ صَفًّا . وَفِي أَمْرِ الشَّرْعِ وَتَوَلِيَةِ قُضَاتِهِ وَحُكْمِهِ ، وَإِمْضَاءِ مَا قَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ وَ^(٢) مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَوَاءُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ
 فِي أَرْضِهِ ، وَحِبْلَةُ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا تَقْضَى لِإِبْرَامِهِ وَلَا لِإِبْرَامٍ لِنَقْضِهِ ، وَسَنَنُ نَبِيِّهِ الَّذِي
 لَا حَظَّ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ لِغَيْرِ مَمْتَسِكٍ بَسْتَنَّهُ وَفَرَضَهُ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ -
 سَيْفُ اللَّهِ الْمَشْهُورُ عَلَى الَّذِينَ غَدَوْا وَهُمْ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ مَارِقُونَ ، وَيَدُهُ الْمَبْسُوطَةُ
 فِي إِمْضَاءِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .
 وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَتَالِئِهِمَا الَّذِي تُشَدُّ أَيْضًا إِلَيْهِ الرَّحَالُ . وَإِقَامَةِ سَبِيلِ
 الْحَجَّاجِ الَّذِينَ يَفْعِدُونَ عَلَى اللَّهِ بِمَا مَنَحَهُمْ مِنْ بَرِّهِ وَعِنَايَتِهِ فِي الْإِقَامَةِ وَالْإِرْتِحَالِ .
 وَفِي عِمَارَةِ الْبُيُوتِ الَّتِي أَدْنَى اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعَدْوِ
 وَالْأَصَالِ رِجَالًا ؛ وَفِي إِقَامَةِ الْخُطْبِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَأَقْتِرَانِ أَسْمِهِ الشَّرِيفِ مَعَ أَسْمِهِ بَيْنَ
 كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَالْإِقْتِصَارِ عَلَى هَذِهِ التَّنْبِيَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ فَإِنَّ الْقَائِلَ بِالتَّنْبِيَةِ
 كَافِرٌ ؛ وَفِي سَائِرِ مَا تَشْمَلُهُ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَمَنْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا
 وَقُرْبًا ؛ وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَشَامًا وَمِصْرًا ؛ وَحِجَازًا وَيَمَنًا ، وَمَنْ يَسْتَقِرُّ بِذَلِكَ إِقَامَةً وَطَعْنًا .
 وَفَوْضَ إِلَيْهِ ذَلِكَ جَمِيعَهُ وَكُلَّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ ، مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يَذَكَرْ

(١) التَّب من معانيه العارة أي ترد غاراتهم دار الخ وفي الأصل يردفها بهم . تأمل .

(٢) بِيَاضُ بِالْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا « وَالْمَشَى » مَعَ الْخ .

(٣) فِي الْأَصْلِ أَوْضَحَهُمْ . تَأْمَل .

تفويضاً لازماً ، وإمضاءً جازماً ، وعهداً مُحْكَمًا ، وعقدًا في مصالح مُلْك الإسلام مُحْكَمًا ، وتقليدًا مؤبدًا ، وتقريرًا على كَرَّةِ الحديدِينِ مُجَدِّدًا ؛ وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقةً بما عليه من آسْتِحْقَاقِهِ والحَاكِمُ بِعِلْمِهِ ، وأشهدَ اللهُ وَمَلَائِكَتَهُ عَلَى نَفُودِ حِكْمِهِ بِذَلِكَ : (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَرَ لِحُكْمِهِ) . وذلك لِمَا صَحَّ عِنْدَهُ مِنْ نُهُوضِ مُلْكِهِ بِأَعْبَاءِ مَا حَمَلَهُ اللهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وأدَائِهِ الْأَمَانَةَ عَنْهُ فِيمَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْأَلْزَمَةِ وَالرَّافَةِ ؛ وَاسْتِقْلَالِهِ بِأُمُورِ الْجِهَادِ الَّذِي أَقَامَ اللهُ بِهِ الدِّينَ ، وَآخْتِصَاصِهِ وَجُنُودَهُ بِعُمُومٍ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ الْأُمَّةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرَمُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) . وَأَنَّهُ فِي الْجِهَادِ سَهْمُهُ الْمُصِيبُ وَهُوَ بِهِ أَجْرُ الرَّامِي الْمَسْدَدِ ، وَسَيْفُهُ الَّذِي جَرَّدَهُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَهُوَ مِنْ فَتَكَاتِهِ حَظُّ الْمُرْهَفِ الْمَجْرَدِ ؛ وَظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ الَّذِي مَدَّهُ يُبَيِّنُ بَيْنَهُ ، وَأَيَّةُ نَصْرِهِ الَّذِي آخْتَارَهُ اللهُ لِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَصَلَاحِ دِينِهِ ؛ النَّاهِضُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَهُوَ فِي مُسْتَقَرِّ خِلَافَتِهِ وَادِّعِ ، وَالرَّاكِضُ عَنْهُ بِحَيْلِهِ وَخِيَالِهِ إِلَى الْعَدُوِّ الَّذِي لَيْسَ لِفَتَكَاتِ سَيْوْفِهِ رَادِعٌ ؛ وَالْمُؤَدِّيُّ عَنْهُ فَرْضَ النَّفِيرِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَلَّمَ تَعَيَّنَ ، وَالْمُنْتَقِمُ لَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاقِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ وَالْقَائِمُ بِأَمْرِ الْفُتُوحِ الَّتِي تَرُدُّ بَيْعَ الْكُفْرِ مَسَاجِدَ يَذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللهِ وَأَسْمُهُ ، وَيُرْفَعُ عَلَى مَنَابِرِهَا شِعَارُهُ الشَّرِيفُ وَرَسْمُهُ ؛ وَتُمَثَّلُ لَهُ بِإِقَامَةِ دَعْوَتِهِ صُورَةُ الْفَتْحِ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَالنَّاطِرُ عَنْهُ فِي عُمُومِ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَخُصُوصِهَا تَعْظِيمًا لِقُدْرَتِهِ ، وَتَرْفِيحًا لِسِرِّهِ ، وَتَفْخِيمًا لَشَرَفِهِ ، وَتَكْرِيمًا لِحِلَالَةِ بَيْتِهِ النَّبَوِيِّ وَسَلَفِهِ ؛ وَقِيَامًا لَهُ بِمَا عَاهَدَ إِلَيْهِ ، وَوَفَاءً مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِمَا وَضَعَ مَقَالِيدَهُ فِي يَدَيْهِ .

وَلِيُدَلَّ عَلَى عِظَمِ سِيرَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ بِكَرَمِ سَيْرِهِ ، وَيُنْبَهَ عَلَى كَمَالِ سَعَادَتِهِ إِذْ قَدْ كُنِيَ بِهِ فِي أُمُورِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى وَالسَّعِيدُ مِنْ كُنْيَةِ بَغْيَرِهِ ، لَمْ يَجْعَلْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى يَدَيْهَا

في ذلك ، ولا فَسَّحَ لأحد غيره في أقطار الأرض أن يُدعى بِمَلِكٍ ولا مَالِكٍ ، بل بَسَطَ حُكْمَهُ وتَحَكَّمَهُ في شَرْقِ الأَرْضِ وغَرْبِهَا وما بينَ ذلك ؛ وقد فرض طاعته على سائر الأمم ، وحكَّمَ بوجوبها على الخاصِّ والعامِّ ومن ينقضُ حُكْمَ الحَاكِمِ إذا حَكَمَ ؛ وهو يعلمُ أنَّ الله تعالى قد أودع مولانا السلطانَ سِرًّا يُسْتَضَاءُ بأنواره ، ويهتدى في مصالح المُلِكِ والممالكِ بِمَنَارِهِ ، فجعل له أن يفعلَ في ذلك كلَّ ما هدى اللهُ قلبه إليه ، وبعثه بالتأييدِ الإلهيِّ عليه ؛ وآكفنى عن الوصايا بأنَّ الله تعالى تكفَّلَ له بالتأييدِ ، وخصَّه من كلِّ خير بالمزيد ؛ وجعل خُلُقَهُ التقوى وكلَّ خير فرع عليها ، ونور بصيرته بالهدى فما يدلُّ على حسنة من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها ؛ والله تعالى يجعلُ أيامه مؤرخةً بالفتوح ، ويؤيده بالملائكةِ والرُّوح ، على مَنْ يدعى الأبَّ والأبْنَ والرُّوح ؛ ويجعلُ أسباب النصر معقودةً بسببه ، والمُلْكُ كلمةً باقيةً في عقبه .

ويشهد بهذا العهد الشريف مع من شهده من الملائكة المقرَّين ، كلُّ من حضر تلاوته من سائر الناس أجمعين : لتكونَ حجةً الله على خلقه أسبق ، وعهدُ أمير المؤمنين بثبوتِه أوثق ؛ وطاعةُ سلطان الأرض قد زادها اللهُ على خلقه بذلك توكيدا ، وشهد [الله] وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيدا . والاعتمادُ على الخط الحاكِمِ أعلاه حجةً به ، إن شاء اللهُ تعالى .



وعلى نحو ذلك كتب الشيخُ شهاب الدين محمودُ الحلبيُّ عهدَ الملك المنصور « حُسام الدين لاجين » عن الخليفة الحَاكِمِ بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقدم ذكره . وهذه نسخته :

(١) الذي في التواريخ أن الحَاكِمِ بأمر الله الذي بايع له الظاهر بيبرس طالت مدته الى أيام حُسام الدين لاجين وأما الحَاكِمِ بأمر الله بن أبي الربيع فهو ابن ابنته تأمل .

هذا عهد شريف تشهد به الأملاك لأشرف الملوك، وتسلك فيه من قواعد العهود المقدسة أحسن السلوك؛ من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين؛ أبي الفتح لاجين المنصوري، أعز الله سلطانه .

أما بعد، فالحمد لله مؤتي الملك من يشاء من عباده، ومُعطي النصر من يُجاهد فيه حق جهاده؛ ومُرهِفِ حُسامِ انتقامه على من جاهر بعباده، ومفوض أمر هذا الخلق إلى من أودعه سررأفته في محبته ومُرادِ نِقْمته في مُرادِهِ؛ وجامعِ كلمة الإيمان بمن آجبتاه لإقامة دينه وأرضاه لرفعِ عماده، ومُقترِ الحق في يد من منع سيفه المحزّب في سبيل الله أن يقر في أعماده؛ وناصر من لم تزل كلمة الفتح مستكنة في صدور سيوفه جارية على ألسنة صعاذه، وجاعل ملك الإسلام من حقوق من إذا عدّ أهل الأرض على اجتماعهم كان هو المتعين على انفراده؛ الذي شرف أسرة ملك الإسلام باستيلاء حسام دينه عليها، وزلزل ممالك أعدائه بما بعث من سرايا رعيه إليها؛ وثبت به أركان الأرض التي ستحتوي ملكه في طرفيها، وضعّض بسلطانه قواعد ملوك الكفر فودّعت ما كان مودعا لأيامه من ممالك الإسلام في يديها؛ وأقامه وليه بأمره فلم يختلِف عليه آثان من خلقه، وقلده أمر بريته لما أفدره عليه من النهوض بحقّه وحقّه؛ وأظهره على من نصب له الغوائل والله غالب على أمره، ونصره في مواطن كثيرة لما قدره في التّدم من رفعة شأنه واعتلاء قدره؛ وجعل عدوه وإن أعرض عن طلبه بجيوش الرعب محصورا، وكفاه بنصره على الأعداء التوغّل في سفك الدماء فلم يسرف في القتل إنّه كان منصورا؛ ونقل إليه الملك بسيفه والدماء مصنونه، وحكمه فيما كان بيد غيره من الأرض والبلاد آمنة والفتن مأمونه؛ فكان أمر من ذهب سحابة صيف، أو جلسة صيف؛ لم تحل له روعة في القلوب،

ولم يدعها - وقد ألبسه الله ما نزع عن سواه - سالب ولا مسلوب، إجراء لهذه الأمة على عوائد فضله العميم، واختصاصاً بما آتاه من ملكه ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على ما منح في أيامه الدين من اعتضاده بحسامه، والاعتقاد في ملك المسلمين على من يجعل جباه ملوك الشرك تحت أقدامه، والاعتداد بمساعي من حصونه في الجهاد ظهور جياده وقصوره أطراف حسامه .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حاكم بما أراه، حامد له في ملك الإسلام على تيسر ما وطده ورفع ما عراه، معتمم به في كل ما أثبتته بالحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين عن سيره في ذلك وسراه؛ وأن محمداً عبده ورسوله الذي جعله من عصيته الشريفة وعصيته، وشرفه بوراثته خلافة في أمته [ورفع] قدر رتبته، وقصره على إقامة من يرهب العدا بنشر دعوته في الآفاق مع مواقع رغبته؛ ويسأله أن يصلّي عليه صلاة تفتح له في الدنيا إلى العزيمة طريقاً، وتجعله في الأخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آباءه الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من البر المودع في قلبه، والنور الذي أصبح فيه على بينة من ربه؛ والتأييد المتقل إليه عمن شرف بقربه، والنص الذي أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جدّه العباس من بقاء هذا الأمر في ورثته دون أقاربه وصحبه؛ لم يزل يرغب إلى الله سبحانه ويستخيره في إقامة من ينهض في ملك الإسلام حق النهوض، ويفوض إليه الأمانة^(٢) إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من

(١) أى جعل الله الخليفة من عصبة النبي الخ فتنه .

(٢) لعله من يرى . تأمل

أَكَّدَ الفُرُوضَ ؛ وَمَنْ إِذَا قَالَ النِّفِيرُ يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرَكِي سَابَقَتْ خَيْلَهُ خَيْالَهُ ، وَجَازَتْ عِزَائِمَهُ نِصَالَهُ ؛ وَأَخَذَ عَدُوَّ الدِّينِ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَغَالَبَ سَيْفُهُ الأَجَلَ عَلَى أَنْتِرَاعِ رُوحِهِ مِنْ بَدَنِهِ ؛ وَقَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا ، وَجَاهَدَ لِإِقَامَةِ مَنَارِ الإِسْلَامِ لِلاَّتَعَرُّضِ إِلَى عَرَضِ الدُّنْيَا ؛ وَقَدِمَتْ لَهُ مَلُوكُ الدُّنْيَا حُصُونَهَا ، وَبَدَلَتْ لَهُ مَعَ الطَّاعَةِ مَصُونَهَا ؛ وَأَقِيمَ لَهُ بِكُلِّ قُطْرٍ مَسْبَرٌ وَسِرِيرٌ ، وَجَمَعَ مَلُوكَ العِدَا فِي رِقِّ طَاعَتِهِ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ؛ وَمَنْ يُقِيمُ العَدَلَ عَلَى مَا شَرَعَ ، وَالشَّرْعَ عَلَى مَا أَخَذَ عَنِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعَ ؛ وَبَيَّتَ البِدْعَ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَخَلْقِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنًّا وَلَا يَعْدِلُ بِهِمْ عَنِ ذَلِكَ السُّنَنِ .

وَمَا كَانَ السُّلْطَانُ المَلِكُ المَنْصُورُ حُسَامُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ أَبُو الفَتْحِ « لِأَجِينِ المَنْصُورِي » - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - هُوَ الَّذِي جَعَلَ [اللَّهُ] صَلاَحَ الأُمَّةِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَخْتَارَهُ لِإِقَامَةِ دِينِهِ فَسَاقَ مُلْكَ الإِسْلَامِ عَنُودًا إِلَيْهِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِذَلِكَ وَقَدِ أَمَدَهُ بِجُنُودِ نَصْرِهِ ، وَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَجَمَعَ قُلُوبَ أَهْلِ الإِسْلَامِ عَلَى حُبِّهِ ؛ وَفَرَّقَ أَعْدَاءَ الدِّينِ خَوْفَ حَرْبِهِ ، وَجَعَلَ النِّصْرَ حَيْثُ تَوَجَّهَ مِنْ أَشْيَاخِهِ وَحَرْبِهِ ؛ وَعَضَّدَهُ لِنِصْرَةِ الإِسْلَامِ بِمَلَائِكَةِ سَمَائِهِ ، وَأَقَامَ بِهِ عُمُودَ الدِّينِ الَّذِي بِالسَّيْفِ قَامَ وَلَا غَرَوَ فَإِنَّ الحُسَامَ مِنْ أَسْمَائِهِ ؛ وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ طَوَائِفُ جُيُوشِ الإِسْلَامِ مُدْعِينِينَ ، وَأَدَّى فِي كِرَامَتِهِمْ حُقُوقَ طَاعَةِ اللَّهِ الَّذِي أَيْدَهُ بَنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ ، وَتَلَقَّاهُمْ بِشِيرِ كِرَامَتِهِ وَنِعْمِهِ وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ؛ فَطَارَتْ مُخَلَّقَاتُ البِشَارِ بِمَلِكِهِ فِي الآفَاقِ ، وَأَغْصَصَ العِدَا سُلْطَانَهُ فَمَا تَوَهَّمُوا فِي أَمْرِ الإِسْلَامِ الأَخْتِلَافَ حَتَّى تَحَقَّقُوا بِحَمْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَيَّامِهِ الوِفاقِ ؛ وَأَخْتَالَتِ المَنَابِرُ الإِسْلَامِيَّةُ بِذِكْرِ أميرِ المُؤْمِنِينَ وَذَكَرِهِ ، وَأَعْلَنَتِ الأُمَّةُ المَحْمَدِيَّةُ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَقْرَبَهُ الحَقِّ فِي مَرَكَزِهِ وَرَدَّهُ بِهِ شَارِدَ

المُلك إلى وكره؛ وتحقق أمير المؤمنين أنه المكنون في طويته والمستكن في صدره؛
والقائم في عمارة بيته النبويّ وسلامته مقام سلمانة وعماره، فعهد إليه حينئذ في كل
ما تقتضيه أحكام إمامته في أمة نبيّه، وجعله في التصرف المطلق عنه قائماً مقام
وصيه في الملة ووليّه؛ وقده أمر ملك الإسلام تقليداً عاماً، وفوض إليه حكم
السلطنة الشريفة تفويضاً تاماً؛ وألبسه من ذلك ما خلعه عن سواه، ونشر عليه
لواء الملك الذي زوى ظلّه عن غيره وطواه؛ وحكّه في كل ما تقتضيه خلافته
المقدّسه، وتمّضيه إمامته التي هي على التقوى مؤسّسه: من إقامة منار الإسلام،
والحكم العام في أمة مجد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ وفي تقليد الملوك والوزراء،
وتقدمة الجيوش وتأمير الأمراء؛ وفي تجهيز العساكر والسرايا، وإرسال الطلائع
والرعايا، وتجريد الجنود الذين ما ندبهم إلى الأعداء إلا أبوا بالنهاب والسبايا؛
وفي غزو العدو كيف أراه الله إن شاء بنفسه أو جنده، وفي آسرتال النصر بالثبات
والصبر فإن الله يجزي الصابرين وما للنصر إلا من عنده؛ وفي محاصرة العدو ومصابرته،
وإنظاره ومناظرته، وإنزاهم على ما شرع الله فيهم من الأحكام، والتونّح في ذلك
ما حكّم به سعد بن معاذ في زمن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؛ وفي ضرب
الهدن وإمضائها، والوفاء بالعقود المشروعة إلى آتائها ومدّها وأتقضائها، وفي إرضاء
السيف من نكث ولم يتمّ عهده إلى مدته فإن إسقاط الكفر في إرضائها؛ وفي الأمصار
يقربها من شاء من الجنود، ويبعث إليها من شاء من البعث والحشود؛ وفي سدّاد
الثغور بالرجال الذين تقترّبهم عن شذب النصر، وتأمّن بهم أعداؤها من غوائل
الحصر، وتوفير سهامها من سهام القوة التي ترمي بشرر كالقصر؛ وإمداد بحرها
بالشواني المحرّبة المجدّده، والسفن التي كأنها القصور الممهّدة على الصروح المردّه؛
فلا تزال تدب إليهم من ذوات الأرجل عقاربها، وتخطّف غربانهم الطائرة بأجنحة

الْقُلُوعِ مَخَالِبَهَا، وَفِي تَقْدِيمَةِ وَتَنْفِيزِ السَّرَايَا الَّتِي لَا تَزَالُ أُسِنَتْهَا إِلَى نُحُورِ الْأَعْدَاءِ مَقَوْمَهُ، وَإِنْفَاقِ مَا يَرَاهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالخَلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ؛ وَفِي إِعْلَاءِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَالْإِتْقَادِ إِلَيْهِ، وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى نَفُوذِ حُكْمِهِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ، وَتَقْوِيَةِ يَدِ حُكَّامِهِ عَلَى كُلِّ أَمِيرٍ وَمَأْمُورٍ أَقَرَّ الشَّرْعُ فِي يَدِهِ شَيْئًا أَوْ آتَرَغَهُ مِنْ يَدَيْهِ، وَتَفْوِيزِ الْحُكْمِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَتَعَيَّنُ لَذَلِكَ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَّةِ، وَإِقَامَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَلَى قَوَاعِدِهِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنَّ اتَّفَاقَ الْعُلَمَاءِ حُجَّةً وَأَخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةً؛ وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَثَالِثِهِمَا الَّذِي تُشَدُّ الرِّجَالُ أَيْضًا إِلَيْهِ؛ وَفِي إِقَامَةِ سُبُلِ الْحَجَّاجِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ اللَّهُ فَلَبَّوهُ وَأَسْتَدْعَاهُمْ قَدِمُوا عَلَيْهِ؛ وَفَوْضَ إِلَيْهِ كُلِّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ: مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يُذَكَرْ، تَفْوِيزًا لِأَزْمَا، وَتَقْلِيدًا جَازِمًا، وَعَقْدًا مُحْكَمًا، وَعَهْدًا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مُحْكَمًا، وَأَكْتَفَى عَنِ الْوَصَايَا بِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ خُلُقُهُ الشَّرِيفِ مِنَ التَّقْوَى، وَهَدَى نَفْسَهُ النَفِيسَةَ إِلَيْهِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالسَّنَدِ الْأَقْوَمِ وَالسَّبَبِ الْأَقْوَى؛ فَمَا يُنْبِئُهُ عَلَى حَسَنَةِ إِلَّا وَهُوَ أَسْبَقُ إِلَيْهَا، وَلَا يُدَلُّ عَلَى خَلَّةٍ إِلَّا وَفِكْرُهُ الشَّرِيفُ أَسْرَعُ مِنْ فِكْرِ الدَّالِّ عَلَيْهَا؛ وَقَدْ وَثِقَ بِبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ مِنْ حَقِّ قَوْمٍ أَصْحَحُوا لِفَضْلِ مِثْلِهِ رَاجِينَ، وَتَحَقَّقَ حُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أُمَّةٍ أَمْسُوا إِلَى «لَا حِينَ» «لَا حِينَ»؛ وَقَدْ أَسْتَخَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا، وَجَلَّأَ إِلَى اللَّهِ فِي تَوْفِيقِهِ وَتَوْفِيقِهِ عَلَى الصَّوَابِ مِمَّا يَجِدُهُ فِي الْحُكْمِ بِذَلِكَ هَادِيًا وَنُصِيرًا؛ وَسَارَعَ إِلَى التَّسْلِيمِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا فُوضَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ بَعْبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا. وَأَشْهَدَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْعَهْدُ الْكَرِيمُ، وَحَكَّمَ عَلَى الْأُمَّةِ بِمَقْتَضَاهُ فَنَنْبَلُهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وَالخَطُّ الشَّرِيفُ الْإِمَامِيُّ الْحَاكِمِيُّ أَعْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



وعلى قريبٍ منه كتب القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني عهدَ الملكِ الناصر «محمد بن قلاوون» عن الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان .
وهذه نسخته :

هذا عهدٌ يعمرُ بك للإسلام المعاهد ، وينصرُ منك الاعتزامَ فتغنى عن الموالى والمعاضد ؛ ويُلقي إليك مقاليدَ الأمور : لتجتهدَ في مراضى الله ومجاهد ، ويعتُك على العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك عند الله في أعظم المشاهد ؛ نخذُ كتاب أمير المؤمنين بقوة تبرا بأخذ يحيى عليه السلام للكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة تجدُ نفعها يوم يقوم الحساب ، وأعمل صالحا فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما ب .

من عبد الله ووليه والإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين : إلى السلطان الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ؛ فاتح الأمصار ، مبيد الأرمن والفرنج والتتار ؛ وارث الملك ، سلطان العرب والعجم والترك ؛ خادم الحرمين ، صاحب القبلتين ؛ أبي الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين أعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس الله روحه .

أما بعد ، فالحمد لله الذى أقام ناصر الإسلام وأهله بخير ناصر ، وأحل في السلطنة المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشرف العناصر ؛ ووضع الإصر بمن كثرت منه

(١) وَمِنْ سَلَفِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الرَّعَايَا الْأَوَاصِرِ، وَعَقَدَ لَوَاءَ الْمُلْكِ لِمَنْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْجُودِ أَلْفٌ فِي الْوَعْدِ فِي حَالِهِ تُعَقَدُ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ؛ وَجَمَعَ كَلِمَةَ الْأُمَّةِ بِمُتَّفَرِّدٍ فِي الْمَعَالَى مُتَوَحِّدٌ فِي الْمَفَاحِرِ، مُتَّصِفٌ بِمَنَاقِبِ أَرْبِيْهَا عَلَى أَرْبَابِهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ، وَأَقْرَبُ النُّوَاطِرِ وَالْخَوَاطِرِ بِنِ شَرْقِ عَلَيْهِمَا نُورُهُ الْبَاهِرُ، وَظَهَرَتْ آثَارُ وَجُودِهِ وَجُودِهِ عَلَى الْبَوَاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ؛ وَأَعَادَ شَيْبَةَ الْأَيَّامِ فِي آقْبَالِ سَرِّ السَّرَائِرِ، وَسَارَتْ بِشَائِرِ مَقْدَمِهِ فِي الْآفَاقِ سَيْرَ الْمَثَلِ وَمَاظَنِكَ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ؛ وَفَعَلَتْ مَهَابَتَهُ فِي التَّمْهِيدِ وَالتَّشْيِيدِ فَعَلَّ الْقَنَا الْمَتَشَاحِرِ، وَشَفَّتِ الصُّدُورَ بِوُجُودِ الْإِتِّفَاقِ وَعَدَمِ الشَّقَاقِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ؛ وَأَوْرَثَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ صَفْوَةَ ذُرِّيَّةِ وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَارِبًا عَنْ كَارِبِ، وَسَرَى سِرُّهُ إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ مِنْهُمْ تَهَلَّلَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَأَهْتَرَتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَجَبَنِي سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وَقَبِيلِهِ، وَمَنَعَ الْأُمَّةَ بَرَسَاتِهِ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْوَسِيلَةَ، وَأَوْجَبَ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لَهُ أَعْلَى دَرَجَةٍ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَهِيَ الْوَسِيلَةُ؛ وَجَعَلَ شَمْلَهُمْ بِمَبَايِعَتِهِ وَمَتَابَعَتِهِ فِي الْهُدَايَةِ نَظْمًا، وَحَضَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وَبَلَّغَهُمْ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ غَايَةَ مَطْلُوبِهِمْ، وَأَيْدَهُ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ؛ وَزَانَ شَرِيعَتَهُ الْمَطْهُرَةَ بِمَحَاسِنِ أَسْمَى مَنظَرًا وَتَحَبَّرًا مِنَ الْعُقُودِ، وَفَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْفُوا بِالْعُهُودِ وَالْعُقُودِ؛ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى حَمْلِ الْأَمَانَةِ الَّتِي أَشْفَقَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْ حَمْلِهَا، وَأَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

والحمد لله الذى آختر أمير المؤمنين من سُلالة عم نبيه العباس ، وأصطفى بيته المبارك من خير أمة أخرجت للناس ؛ وقوى به جأش المسلمين وجيوش الموحدين على الملحدين ، وآتاه بسيادة جده وسعادة جده ما لم يؤت أحداً من العالمين ؛ وحفظ به للمؤمنين ذمّاماً ، وجعله للثّقين إماماً ؛ وخصّه بمزيد الشرفين : نسبه ومنصبه ، وجعل مزية الرتبين كلمة باقية في عقبه ؛ وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأسود ، وصير الأيدي البيض مشكورة لحاملي راياته السود .

يحمده أمير المؤمنين حمد من آختره من السماء فاستخلفه فى الأرض ، وجعل إمرته على المؤمنين فرضاً لتقام به السنة والقرض ؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ ويشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كشف بمبعثه عن القلوب حجب النجى ، وأشرقت أنوار نبوته فأضاء لها يوم دخوله المدينة كل شئ ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أقامه فى الإمامة مقامه وأشار إلى الاقتداء به من بعده ، ومنهم من أعز الله به الإسلام فى كل قطر مع قربه وبُعده ؛ ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية فى بيعة الرضوان خيراً له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنفس فباهل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم به وبزوجه وولده ؛ وعلى بقية العشرة ، الذين غدت بهم دعوة الحق مشتهرة منتشرة ؛ وعلى عمه أسد الله وأسد رسوله عليه السلام ، وجد الأئمة المهديين أمراء المؤمنين وحلفاء الإسلام ، وسلم تسليماً كثيراً .

وإن الله تعالى جعل سجيّة الأيام الشريفة الإمامية الحاكمة أدام الله إشراقها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأرزاقها ؛ ردّ الحقوق إلى نصابها ، وإعادتها

(١) فى الاصول بالمباهلة ... فىهاى ، وهو تصحيف من النسخ .

إلى مستحقيها ولو تَمَدَّتْ الأيَّامُ على أَعْتِصَابِهَا ، وإِفْرَارِهَا عِنْدَ مَنْ هُوَ دُونَ الْوَرَى
أُولَى بِهَا : لِيَحَقَّقَ أَنَّ نَسَبَهُ الشَّرِيفَ أَظْهَرَ عَلَى أَوَامِرِهِ دَلَائِلَ الْإِعْجَازِ ، وَحَلَّى كَلِمَاتِهَا
بِالْإِعْجَازِ وَهَبَاتِهَا بِالْإِعْجَازِ ؛ وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِسْمَ الشَّرِيفَ الْحَاكِمِيَّ فِي الْحُكْمِ بِأَمْرِهِ
عَلَى خَيْرِ مَسْمَى ، وَقَوَى مِنْهُ فِي تَأْيِيدِ كَلِمَةِ الْحَقِّ جَنَانًا وَعَزَمًا ، وَلَمْ يُخْرِجْ مِنْ
أَحْكَامِهِ عَنِ اتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ قَضِيَّةً وَلَا حُكْمًا ؛ وَكُنْتَ أَيُّهَا السَّيِّدُ ، الْعَالِمُ ، الْعَادِلُ ،
السُّلْطَانُ ، الْمَلِكُ ، النَّاصِرُ ؛ نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ ابْنُ السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ
الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، سَيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - أُولَى الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَلِكِ
الشَّرِيفِ : لِمَا سَلَفَكَ مِنَ الْحُقُوقِ ، وَمَا أَسْلَفُوهُ مِنْ فَضْلِ لَا يَحْسُنُ لَهُ التَّنَاسِي
وَلَا الْعُقُوقُ ؛ وَلِمَا أَوْجَبَ لَكَ عَلَى الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَابِقُ الْإِيْمَانِ ، وَصَادِقُ
الْإِيْمَانِ : وَلِأَنَّكَ جَمَعْتَ فِي الْمَجْدِ بَيْنَ طَارِفِ وَتَالِدِ ، وَقَفَّتْ بَرَكَةُ نَفْسِ وَأَخِ وَوَالِدِ ؛
وَجَلَّالَهُ ، مَا وَرِثْتَهَا عَنْ كَلَالِهِ ؛ وَخِلَالَ ، مَا لَهَا بِالسِّيَادَةِ إِخْلَالَ ؛ وَمَفَاحِرِ ، تُكَائِرُ الْبَحْرَ
الزَّائِحِ ؛ وَمَآثِرِ ، أَعْجَزَ وَصْفُهَا النَّاطِمَ وَالنَّائِرِ ؛ وَكَانَ رِكَابُكَ الْعَالِيَّ قَدْ سَارَ إِلَى الْكَرْكِ
الْمَحْرُوسِ ، وَقَعَدَتْ عِنْدَكَ الْأَجْسَامُ وَسَافَرَتْ مَعَكَ النُّفُوسُ ؛ وَوَقَّعْتَ الْخَوَاطِرُ بِأَنَّكَ
إِلَى السُّلْطَنَةِ تَعُودُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِدُّ لَكَ صُعُودًا إِلَى مَرَاتِبِ السُّعُودِ ؛ وَأَقَمْتَ بِهَا
وَدِكْرَكَ فِي الْآفَاقِ سَائِرًا ، وَالْأَمَالَ مَبَشِّرًا بِأَنَّكَ إِلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِكَ صَائِرًا . فَلَمَّا أَحْتَاكَ
الْمَلِكُ الشَّرِيفُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَى مَلِكِ يُسْرَ سَرِيرِهِ ، وَسُلْطَانِ تَعَدُّو بِاسْتِقْرَارِهِ عِيُونَُ
الْأَنَامِ وَالْأَيَّامِ قَرِيرِهِ : لِمَا لِلْمَسَامِينِ فِي ذَلِكَ مِنْ تَيْسِيرِ أَوْطَارِ وَتَعْمِيرِ أَوْطَانِ ،
وَلِأَنَّهُمْ لَا يَتَّقُدُونَ فِي الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا بِسُلْطَانِ ؛ لَمْ يَدْرُ فِي الْأَذْهَانِ ، وَلَا خَطَرَ
لِقَاصِ وَلَا دَانَ ؛ إِلَّا أَنَّكَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالسُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِرُتْبَتِهَا الْمُنِيفَةِ ؛
وَلَا ذَكَرَ أَحَدٌ إِلَّا حُقُوقَ بَيْتِكَ وَفَضْلَهَا ، وَلَا قَالَ عَنكَ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَكَانُوا أَحَقُّ
بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ : لِأَنَّ الْبِلَادَ فُتُوْحَاتُ سُيُوفِكُمْ ، وَرَعَايَاهَا فِيهَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْخَيْرِ

بمَنْزِلَةِ ضِيُوفِكُمْ ؛ وَلَأَنَّ الْعَسَاكِرَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَسْتَرْقَهُمْ وَلَاؤُكَ ، وَوَالُوكَ لَانِهِمْ أَرْقَاؤُكَ ؛
فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : أُنَى لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ؟ بَلْ أَفْتَرَكُلُّ مِنْهُمْ لَكَ بِالْيَدِ وَقَرَّ بَوْلَايَتِكَ عَيْنَا ؛
وَأَخْلَصُوا فِي مَوَالِيكَ الْعَقَائِدَ ، وَاسْتَبَشَرُوا مِنْكَ بِبَارِكِ الْوَجْهِ مَا جَدَّ جَائِدٌ ؛ وَلَمْ يَغِبْ
غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَّهُ الصَّاعِدُ ؛ وَرَفَعَتِ الْمَمَالِكُ يَدَ الضَّرَاعَةِ سَائِلَةً وَرَاغِبَةً ،
وَخَطَبَتِكَ لِعَقَائِلِهَا وَمَعَاقِلِهَا وَالْخُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ لَكَ خَاطِبَةٌ وَبِدَعَائِكَ مُحَاطِبَةٌ ؛
وَقَصَدْتَ لَذَلِكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا تَزَالُ تُقْصَدُ ، وَدُعِيتَ لِلْعَوْدِ الْمُبَارَكِ وَعَوْدٌ مُجْمَدٌ لِلْأُمَّةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ أَحْمَدُ ؛ وَقَعَلْتَ الْجِيُوشَ الْمَنْصُورَةَ مِنْ طَاعَتِكَ كُلِّ مَاسِرٍّ ، وَأَرْبَتَ فِي صِدْقِ
النِّيَّاتِ وَرِيَّهَا عَلَى كُلِّ مَنْ بَرَّ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا * فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ !

فَمَا ضَرَّ بِمَجْدِ اللَّهِ بَعْدَ الدَّارِ وَالْأَمَالِ بِسَاكِنِهَا مُطِيفُهُ ، بَلْ كَانَ لَكَ الذِّكْرُ فِي قَلْبِ
الْخَلِيفَةِ نِعْمَ الْخَلِيفَةِ ؛ وَكُنْتَ لَدَيْهِ - وَإِنْ غَيْبَ - حَاضِرًا بِجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَنَأَيْتَ دَارَا
فَقَرَّبَكَ إِلَيْهِ حُسْنَ التَّصْوِيرِ فِي الْفِكْرِ . وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَاهَدَكَ يَافِعًا ، وَشَهِدَ
خَاطِرُهُ أَنْ سَتِصِيرُ لِلْمُسْلِمِينَ نَافِعًا ؛ وَتَأَمَّلْ مِنْكَ أَمَانًا أَصْحَى لَهَا لَتَرَيْكَ آمِلًا ، وَهَلَا لَأَنَّ
دَلَّتْهُ كِرَامَتُهُ - وَلَا تُتَكَّرُ الْكِرَامَةُ - عَلَى أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا ؛ وَبَلَغَهُ عَنْكَ مِنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ، مَا عَجَزَ وَصَفُهُ بِبَلَاغَتِي الْقَلَمِ وَاللِّسَانِ ؛ فَناداك نِدَاءَهُ عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ ،
وَلَمْ يَجِدْ لَكَ نَظِيرًا فَأَطَالَ وَأَطَابَ لِمُقَدِّمِكَ السَّعِيدِ الْإِنْتِظَارِ ؛ إِلَى أَنْ أَقْدَمْتَ
إِقْدَامَ اللَّيْلِ ، وَقَدِمْتَ إِلَى الْبِلَادِ الْمُتَعَطِّشَةِ إِلَى نَظَرِكَ الشَّرِيفِ قُدُومَ الْغَيْثِ ؛
فَلَاحَ بِكَ عَلَى الْوُجُودِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ ، وَحَمِدَ الرَّعَايَا سُرَّكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْأَسْتِصْبَاحِ ؛
وَشَاهَدُوا مِنْكَ أَسَدًا فَاقَ بُوَيْيَاتِهِ وَتَبَاتِهِ الْأَوَّلَ ، وَشَخْصًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِإِدَالَةِ دَوْلٍ
وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمُثَلِّهِ الدَّوْلِ ؛ وَقَامَتْ بِاخْتِيَارِكَ عَلَى اخْتِيَارِكَ الدَّلَائِلُ ، وَعَمَرَكَ

سريُّ الملوك وعرف فيك من أبيك شمائل ؛ ورأى أمير المؤمنين من تجابتك فوق ما أخبرت به مسألة الرُّجَان ، ومن مهابتك مادلاً على خفض الشاني ورُفَع الشان ؛ ومن محامدك كل ما صغر الخبر عنها الخبر ، وأعلنت السنة الأقدار بأنه لم يبق عن تقليدك الممالك الإسلامية بحمد الله تعالى عُدْر ؛ فاختارك على علم على العالمين ، واجتباك للذَّب عن الإسلام والمسلمين ؛ واستخار الله تعالى في ذلك فخار ، وأفاض عليك من بيعته المباركة مع تفرك المشتبه حُلل الفخار ؛ وعهد إليك في كل ما آشتمت عليه دعوة إمامته المعظمه ، وأحكام خلافته التي لم تزل بها عقود الممالك في الطاعة منظمه ؛ وفوض إليك سلطنة الممالك الإسلامية براً وبحرا ، شاماً ومِصراً ؛ قُرباً وبعداً ، غوراً وتجداً ؛ وما سيفتحه الله عليك من البلاد ، وتستنقذه من أيدي ذوى الإلحاد ؛ وتقليد الملوك والوزراء ، وقضاة الحكم العزيز وتأمير الأمراء ؛ وتجهيز العساكر والبُعوث للجهاد في سبيل الله ومحاربة من ترى محاربتة من الأعداء ، ومهادنة من ترى مهادنته منهم ؛ وجعل إليك في ذلك كله العقد والحل ، والإبرام والنقض والولاية والعزل ؛ وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم في تسليم الممالك إليك مقام الإقليد ، ويقضى لقريبها وبعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشديد : لتعلم أن الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمة - أدامها الله تعالى - فلما أبدى سالفاً من البيت الشريف المنصوري أقماراً ، وأطلع منهم أنفاً بدرًا ملاً الخافقين أنواراً ؛ فكلما ظهرت لسلفه ما تُرِيدت ما تُرِخلفه أظهر ، ومن شاهدتهم وشاهد شمس سعادتته المنزهة عن الأقول قال هذا أكبر ؛ وكلما ذكر لأحدهم فضل علم أنه في أيامه مترّد ، وأنه إن مضى منهم سيّد في سيّله ، فقد قام بأطراف الأُسنة منهم سيّد ؛ وصير الدولة الشريفة الخليفة غاباً إن غاب منهم أسود ، حلفهم شبل بشرت محايّله أنه عليها يسود .

فَلْيَتَقَلَّدِ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ مَا قَلَّدَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلْيَكُنْ لِدَعْوَتِهِ الْهَادِيَةَ مِنَ الْمُبَلِّغِينَ وَعَلَيْهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَلْيَتَرَقَّ إِلَى هَذِهِ الرَّتَبَةِ الَّتِي آسَتْحَقَّهَا بِحَسَبِهِ ، وَأَسْتَرْقَهَا بِنَسَبِهِ ؛ وَلْيَبَاشِرْهَا مُسْتَبَشِرًا ، وَيُظْهِرْ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا مَا يَغْدُو بِهِ مُسْتَظْهِرًا ؛ فَقَدْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِيَامَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ فَأَقَامَكَ أَنْتَ مَقَامَهُ ، وَصَرَّفَ بَكَ بَيْنَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْعِصْيَانِ إِكْرَامَهُ وَأَنْتِقَامَهُ ؛ رَعِيًّا لِعَهْدِ سَلَفِكَ الْكَرِيمِ ، وَلَمَّا آسَتْجَبَّتْهُ نَفْسُكَ النَّفِيسَةُ مِنْ وَفُورِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَعِنَايَةً بِالْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الَّذِينَ وَجَّهُوا وَجُوهَ مَا لَمْ يَلْمُ إِلَيْكَ ، وَأَبَتْ كَلِمَتُهُمْ الَّتِي صَانَهَا اللَّهُ عَنِ التَّفَرُّقِ أَنْ تَجْتَمِعَ فِي الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَدَيْكَ ؛ وَمِنَّةً عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ مَا بَرِحُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَطْلُبُونَهُ ، وَمَلِكٍ نَسَّوْا بِأَبْوَابِهِ الْعَالِيَةِ فَلِهَذَا يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ .

فَا حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكَ فِي إِعَادَةِ الْمُلْكِ أَسْوَةَ بَسُلِيَّانٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّهُ إِلَيْكَ رَدًّا لَا أَنْفِصَالَ لِعُرْوَتِهِ وَلَا أَنْفِصَامَ ؛ فَأَضْحَيْتَ لِأُمُورِ عِبَادِهِ سَدَادًا ، وَلِتُغَوَّرَ بِلَادِهِ سَدَادًا ؛ وَلِلخَلِيفَةِ عَضُدًا فِي الْخَلِيقَةِ ، وَفِي الدَّهْرِ سَامِي الْحَقِيقَةِ حَامِي الْحَقِيقَةِ ؛ وَلِلْمُلْكِ وَارثًا ، وَرَقَّاقًا رُقِيًّا أَصْبَحَتْ بِهِ فِي السُّلْطَنَةِ وَاحِدًا ، وَلِلخَلِيفَةِ الْمَعْظَمَةِ ثَانِيًا ، وَلِلقَمَرِينَ ثَالِثًا .

وَبُشْرَاكَ ! أَنَّ اللَّهَ أَبْرَمَ سَبَبَ تَأْيِيدِكَ إِبْرَامًا لَا تَصِلُ الْأَيْدِي إِلَى نَقْضِهِ ، وَأَنَّكَ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرٍ طَالَمَا أَتَعَبَ غَيْرُكَ سُؤْالُهُ فِي بَعْضِهِ ؛ وَأَنَّ اللَّهَ يُحْسِنُ لَكَ الْعَوْنَ وَبِكَ الصَّوْنَ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمَيْرَةَ ! لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا “ .

وبشراك ! أن أمير المؤمنين خَصَّكَ بمزيد الاعتناء ، وأقامك مقامه في حُسن
 العناء ، وحقَّق أنَّ السعادة في أيامه موصولةٌ منكم بالآباء والأبناء ؛ وبلغك بهذا
 التقليد الشريف الأمانى ، وتَوَجَّهَ يمين قريبة عهد باستلام الركن اليماني ؛
 وأصطفاك بقلب أظهر له الكشوف إشراق تلك السُّتور ، وغداً مغموراً بالهداية
 ببركة البيت المعمور ، ونظير زادته مشاهدة الحرم الشريف النبوي نورا على نور ؛
 فقابل ذلك بالقيام في مِهَمَّات الإسلام ، وتدقيق النظر في مصالح الخالص والعام ؛
 واجتهد في صيانة الممالك اجتهداً يحرس منها الأوساط والأطراف ، وتنظِّم به
 أحوالها أجلَّ انتظام وتأنِّف أجلَّ أثلاف .

والوصايا كثيرةٌ وأولها تقوى الله : فليجعلها حليَّة لأوقاته ، ويُحافظ عليها
 محافظة من يتقيه حقُّ تقاته ؛ ويتَّخذها نجىً فكره وأيس قلبه ، ويعظَّم حرَمات الله :
 ﴿ ومن يعظَّم حرَماتِ اللَّهِ فهو خيرٌ له عندَ رَبِّهِ ﴾ .

والشرع الشريفُ فهو لعقد الإسلام نظام ، ولالدين القيمِ قوام ؛ فتجتهد
 في اقتفاء سننه ، والعمل بمفروضه وسننه ؛ وتكريم أهله وقضاته ، والتوسُّل بذلك
 إلى الله في ابتغاء مرضاته .

وأمرأةٌ دولتك فهم أنصار سلفك الصالح ، وذوو النصائح فيما آثروه من المصالح ؛
 وخُلصاء طاعتهم في السرِّ والنَّجوى ، وأعاونهم على البرِّ والتقوى ؛ وهم الذين أحلَّهم
 والدك من العناية المحلِّ الأسنى ، والذين سبقت لهم بحسن الطاعة من الله الحُسنى ؛
 ولو لم يكن لهم إلا حُسن الوفاء ، لكفاهم عندك في مزيد الاعتماد والاستكفاء ؛ فإنهم
 جادلوا في إقامة دولتك وجالدوا ، وأوقوا بالعهد فهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا ؛
 وهم للوصايا بخدمتك وأعون ، وفيما أئتمتَّهم عليه لأماناتهم وعهدهم راعون ؛ قد أصفوا

لك النياتِ بظهر الغيب ، وأخلصوا الطويّاتِ إخلاصاً لاشكّ معه ولا ريب ؛
ونابوا عنك أحسنَ مناب ، وكفّوا كفّ العدوِّ فما طال له لأفتراس ولا آخِلاس
ظُفّر ولا ناب ؛ واتخذوا لهم بذلك عند الله وعندك يداً ، وأثلّوا لهم به مجدداً يبيّ
حديثه الحسنُ الصحيحُ عنهم مُسنداً .

فاستوص بهم وبسائرِ عساكرِ المنصورةِ خيراً ، وأجمل لهم سريرةً وفيهم سيراً ؛
وأحمدهم عُقبى هذه الخدمه ، وأوردهم منهل إحسانٍ يضاعف لهم التّعمة والتّعمه :
لتؤكد طاعتك على كل إنسان ، ويثمّوا بحُسنِ المكافاة : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ . ولتزداد أوامرك ونواهيك أمثالاً ، ولا يجذوا عن محبة أيامك
الشريفة أنتقالاً ، ويُقال في حُسنِ خدمتهم وإحسانك : هكذا هكذا وإلا فلا .

وأما الغزو والجهادُ في سبيل الله تعالى ، وما أوجبه فيهما قوله : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا
وَثِقَالًا ﴾ ، فأقل ما يُجزئ فرض الكفاية منه مرّةً في كل عام ، وأما فرض العين
فوجوبه على ذوى الاستِطاعة من المسلمين عام ؛ وقد عرفت سنن السلطانين
الشهيدين : والدك وإخيك - قدس الله روحهما - في الإعتناء بجهاد الكُفّار ، وغزوهم
في عُقر الدار ؛ وموقف أحدهما في موطنٍ زلت فيه الأقدام عن الإقدام ، واجتمع
فيه الكُفّر على الإسلام ؛ وشاب من هوله الوليد ، ومُصابرتَه نُجَاهَ سيف من سيوف
الله تعالى الإمام خالد بن الوليد ؛ وأستنفاذاً لآخر البلاد الساحلية التي ألقها الله
من أيدي المشركين على يد الصّلاحيين ، وفتح لها أبواب الجنة بركة الإفتاحين ؛
وأنّ والدك وأخاك سداً على المشركين الفجاج ، وطهراً من أرجاسهم العذب القرات
والملح الأجاج ؛ فالكاتبُ المنصوريه ، أبادت التّار بالسيوف المشرفية ؛ والممالك

الإسلامية، زَهَتْ نِظَامًا بِالْفُتُوحَاتِ الْأَشْرَفِيَّةِ؛ فَاجْتَهَدَ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ أَتَمَّ
اجْتِهَادًا، وَعَزَّزَهُمَا بِثَلَاثٍ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ .

وَأَمَّا الرَّعَايَا بِعَيْدِهِمْ وَقَرِيبِهِمْ ، وَمَسْتَوِطُنُهُمْ وَغَيْرِهِمْ ، فَيُؤَفِّقُهُمْ مِنَ الرَّعَايَةِ
حَظَّهُمْ ، وَيُجْزِلُ صِيَابَتَهُمْ وَحِفْظَهُمْ ؛ وَكَمَا يَرَى الْحَقُّ لَهُ فَلْيَرِ الْحَقُّ عَلَيْهِ ، وَيُحْسِنِ إِلَى
رَعَايَاهُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْعَدْلُ فَإِنَّهُ لِلْبِلَادِ عِمَارُهُ ، وَالسَّعَادَةُ أَمَارُهُ ، وَاللَّاحِرَةُ مَنجَاةٌ مِنَ النَّفْسِ
الْأَمَّارَةِ ؛ فَلْيَكُنْ لَهُ شِعَارًا وَدِتَارًا ، وَلْيُؤَكِّدْ مَرَّاسِمَهُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْمَحَافِظَةِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا يُذَكِّرُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَيُشْكِرُ .

وَالْحُدُودَ الشَّرْعِيَّةَ فَلْيَحْلِلْ بِإِقَامَتِهَا لِسَانَهُ وَطِرْسَهُ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا بِنَقْصٍ
وَلَا زِيَادَةٍ ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ . وَاللَّهُ يَخْلُدُ لَهُ رُتْبَةَ الْمُلْكِ
الَّتِي أَعْلَى بِهَا مَقَامُهُ ، وَيُدَيِّمُهُ نَاصِرًا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ فَأَنْصَارُهُ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَيَجْعَلُ سَبَبَ هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ مَدَى الْأَيَّامِ مَتِينًا ، وَيَجْعُدُّ لَهُ
فِي كُلِّ وَقْتٍ نَصْرًا قَرِيبًا وَفَتْحًا مُبِينًا . وَالخَطُّ الْحَاكِمِيُّ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



وعلى نحو من ذلك كتب القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر عن المستكفي بالله ،
أبي الربيع سليمان ، عهد الملك المظفر ركن الدين "بيبرس المنصورى" الجاشنكير .
وهذه نسخته :

هذا عهد شريف أنتظمت به عقود مصالح الملك والممالك، وأبتسمت ثغور الثغور ببعته التي شهدت بصحتها الكرام الملائك، وتمسكت النفوس بحكم عقده النضيد ومبرم عقده النظيم، ووثقت بميثاقه فتركت الألسن مستفتحة بقول الله الكريم: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

الحمد لله الذي جعل الملة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركن شديد، ونحوى من متابعة مظفرها كل ما كانت ترومه من تأييد التأييد، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من نصرة الدين الحنيفي وإن مل الحديد من الحديد، وموتى ملكه من يشاء من عباده، ومأبى مقاليد اللوى الملى بقمع أهل عناده، وما نجه من لم يزل بعزائم ومكارمه مرهوبا مرغوبا، وموليه وموليه من غدا محبوا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا، ومفوض أمره ونبيه إلى من طالما صرف خطيه عن حى الدين أخطارا وخطوبا .

والحمد لله مجرى الأقدار، ومظهر سر الملك فيمن أضحى عند الإمامة العباسية بحسن الاختيار من المصطفين الأخيار، جامع أشتات الفخار، ورافع لواء الاستظهار، ودافع لأواء الأضرار، بجميل الالتجاء إلى ركن أمسى بقوة الله تعالى على المنار، وافی المبار، بادى الآثار الجميلة والإيثار .

والحمد لله على أن قلد أمور السلطنة الشريفة لكافلها وكافيا، وأسند عقدها وحلها لمن يدرك بكرم فطنته وسليم فطرته عواقب الأمور من مبادئها، وأيد الكتاب الإيمانية بن لم تزل عواليه تبلغها من ذرى الأمانى معاليها .

يحمده أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز نصرها بأركان تشييدها وتشييد أركانها، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

لا تبرح الألسنة ترويتها والقلوب تنويها، والمواهب تُجزل لقائلها تنويلا وتنويها؛
ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أكل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مؤزث لأجل
موروث؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنحى بركاتها وتم^(١)، وتخص حسانتها
وتعم؛ ورضى الله عن عمه العباس جد أمير المؤمنين، وعن آبائه الأئمة المهديين؛
الذين ورثوا الخلافة كابرا عن كابر، وسمت ووسمت بأسمائهم ونعتهم ذرى المنابر.

أما بعد، فإن الله عز وجل لما عَدَقَ ببولانا أمير المؤمنين مصالِحَ الجمهور، وعقدَ
له البيعة في أعناق أهل الإيمان فزادهم نُورا على نور؛ وأورثه عن أسلافه الطاهرين
إمامة خير أمة، وكشف بمُصَابَرَتِهِ من بأس العدا ظلام كلِّ عمه؛ وأنزل عليه
السكينة في مواطن النصر والفتح المدين، وثبته عند تزلزل الأقدام وثبت به قلوب
المؤمنين؛ وأفاض عليه من مهابة الخلافة ومواديها ما هو من أهله، وأتم نعمته عليه
كما أتمها على أبويه من قبله - بايع الله تعالى على أن يختارَ للتَّمْلِكِ على البرايا،
والتحكيم في الممالك والرعايا؛ مَنْ أَسَّسَ بُيَانَهُ على التقوى، وتمسك من خشية الله
تعالى بالسبب الأقوى؛ ووقف عند أوامر الشرع الشريف في قضائه وحكمه،
ونَهَضَ لأداء فرض الجهاد بمعالى عزمه وحزمه؛ وكان المقام الأشرف العالی،
المولوی، السلطانی، المَلِكِي، المظفَرِي، الرُكْنِي؛ سلطان الإسلام والمسلمين،
سيد الملوك والسلاطين؛ ناصر الملة المحمدية، مُجْبِي الدولة العباسية؛ أبو الفتح
«بيبرس» قسيم أمير المؤمنين: أعز الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فعل، وبلغ
في بقاء دولته الأمل - هو الملك الذي انعقد الإجماع على تفضيله، وشهدت مناقبه
الظاهرة باستحقاقه لتحويل الملك إليه وتحويله؛ وحكم التوفيق والاتفاق بترقيه

(١) نم الحديث ظهر . ونم الشيء . سطعت راحته .

إلى كُرى السلطنة وصُعوده ، وقضت الأقدارُ بأن يُلقيَ إليه أميرُ المؤمنين أزيمةً
 عهوده ؛ والذي كم خفقت قلوبُ الأعداء عند رؤية آياتِ نصره ، ونظمت ألسنةُ
 الأقدارُ بأن سيكونُ ملكَ عصره وعزيزَ مِصره ؛ وأهترت أَعْطافُ المنابرِ شوقاً بلافتخار
 باسمه ، وأعترت الممالكُ بمن زاده الله بسطةً في علمه وجسمه ؛ وهو الذي مابرح
 مُدناً نشأً يجاهد في الله حقَّ جهاده ، ويساعدُ في كل معركةٍ بمُهفاتِ سيوفه ومتلفاتِ
 صِغاده ؛ ويُسدى في الهيجاءِ صفحته للصفاحِ فيقيه الله ويُقيه : ليجعله ظلَّهُ على
 عباده وبلاده ، فيردى الأعداءَ في مواقف تأسده فكم عفر من خدِّ الملوك الكُفر
 تحت سنابك جِياده ؛ ويسقى بصُدورِ سيوفه صُدورَ قومٍ مؤمنين ، ويسقى ظلَّهُ
 أسنته فيروياً من مَوردٍ ويريد المشركين ؛ ويطلع في سماء الملك من غرر آرائه
 نيراتٍ لا تأفل ولا تغور ، ويظهر من مواهبه ومهابتة ما تُحسِّن به الممالكُ وتُحصن
 الثغور ؛ فما من حصنٍ استغلقه الكفرُ إلا وسيفه مفتاحه ، ولا ليلٍ خُطب دجاً
 إلا وغرته الميمونةُ صباحه ؛ ولا عزٍّ أملٌ لأهل الإسلام إلا وكان في رأيه المسدِّدِ
 نجاحه ، ولا حصلَ خللٌ في طرفٍ من الممالكِ إلا وكان بمشيئةِ الله تعالى وبسدادِ
 تدبيره صلاحه ؛ ولا أتفقَ مشهدٌ عدوٍ إلا والملائكةُ الكرامُ بمظافرتِه فيه أعدلُ
 شهوده ، ولا تجددَ فتوحٌ للإسلام إلا جادَ فيه بنفسه وأجاد ؛ (والجود بالنفس
 أقصى غاية الجود) .

كم أسلف في غزو أعداء الدين من يومِ أغرَّ محجَّل ، وأنفق ماله أبتغاء مَرَضاةِ
 الله سبحانه فحاز الفخر المعجَّل والأجر المؤجَّل ؛ وأحيا من معالم العلوم ودوَّارس
 المدارس كلَّ دائر ، وحثه إيمانه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعة لكلِّ تالٍ

وذاكر: ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) . وهو الذى مازالت الأولياءُ تَتَحَيَّلُ تَحَايِلَ السُّلْطَنَةِ فى إعطافه مَعْنَى وَصُورِهِ ، والأعداءُ يُرومونَ إطفاءَ ما أفاضه اللهُ عليه من أشعةِ أنواره : ((وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ)) . طالما تطاولت إليه أعناقُ الممالكِ فأعرضَ عنها جانباً ، وتطقلتُ على قُربِهِ فكان لها - رعايةٌ لِدِمَّةِ الوفاءِ - مُجَانِباً ؛ حتى أذن اللهُ سبحانه لكلمةِ سلطانهِ أن تُرْفَعَ ، وحاكمٌ له بالصُّعودِ فى دَرَجِ المُلْكِ إلى المَحَلِّ الأعلى والمكانِ الأرفعِ ، وأدنى له من المَوَاقِبِ ما هو على أَشْمِهِ فى ذخائرِ الغُيوبِ مستودِع .

فعند ذلك استخار الله تعالى سيدنا ومولانا الإمام المستكفي بالله أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان ، ابنُ الإمام الحاكم (وذكر نسبه على العادة) جعل الله الخلافةَ كلمةً باقيةً فى عقبِهِ ، وأمتع الإسلامَ والمسلمينَ بشرقى حَسَبِهِ ونَسَبِهِ ؛ وعهدهُ إلى المقامِ العالى السلطانى بكلِّ ما وراءَ سريرِ خلافتِهِ ، وقلدهُ جميعَ ما هو مقلدهُ من أحكامِ إمامتِهِ ؛ وبسَطَ يَدَهُ فى السلطنةِ المعظِّمةِ ، وجعلَ أوامِرَهُ هى النافذةُ وأحكامُهُ هى المُحكِّمةُ ؛ وذلك بالديارِ المِصْرِيَّةِ ، والممالكِ الشاميةِ ، والفراتيةِ ، والجبليةِ ، والساحليةِ ، والقلاعِ والثغورِ المحروسةِ ، والبلادِ الحجازيةِ ، واليمانيةِ ، وكلِّ ما هو إلى خلافةِ أمير المؤمنين مَنسُوبِ ، وفى أقطارِ إمامتِهِ مَحْسُوبِ ؛ وألقى إلى أوامِرِهِ أزمَةَ البَسْطِ والقَبْضِ ، والإبرامِ والتَقْضِ ، والرفْعِ والخَفْضِ ؛ وما جعله اللهُ فى يدهِ من حُكْمِ الأرضِ ، ومن إقامةِ سُنَّةِ وَقَرَضِ ؛ وفى كلِّ هبةٍ وتمليكِ ، وتصرفِ فى ولايةِ أمورِ الإسلامِ من غيرِ شريكِ ؛ وفى توليةِ القضاةِ والحُكَّامِ ، وفصلِ القضايا والأحكامِ ؛ وفى سائرِ التحكُّمِ فى الوجودِ ، وعَقْدِ الأولويةِ والبُودِ ؛ وتجنيدِ الكُتَّابِ والجُنُودِ ،

وتجهز الجيوش الإسلامية من التأييد إلى كلِّ مقام محمود ؛ وفي قَهْر الأعداء الذين
 نرجو بقوة الله تعالى أنْ يَمَكِّنَهُ من نَوَاصِيهِمْ ، وَيُحَكِّمَ قَوَاضِيَهُ في أَسْتِزَالِهِمْ من
 صِيَاصِيهِمْ ، وَأَسْتِئْصَالَ شَافَةِ عَاصِيهِمْ ؛ حَتَّى يُجَوِّزَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِمَصَابِيحِ سَيُوفِهِ
 سَوَادَ حُطُوبِ الشَّرْكِ المُدْهِمَةِ ، وَتَغْدُو سَرَايَاهُ في أَفْتِلَاحِ قِلَاعِ الكُفْرِ مُسْتَهْمَةً ؛
 وَتُرْهِبُهُمْ خَيْلُ بُعُوثِهِ وَخِيَالُهَا في اليَقْظَةِ وَالْمَنَامِ ، وَيَدْخُلُ في أَيَامِهِ أَهْلُ الإِسْلَامِ
 «مَدِينَةَ السَّلَامِ» بِسَلَامٍ - تَفْوِيضًا تَامًا عَامًّا ، مَنْضِدًا مُنْظَلًا مُحْكَمًا مُحْكَمًا ؛ أَقَامَهُ مَوْلَانَا
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ في ذَلِكَ مُقَامَ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَسْتَشْهَدُ الكِرَامَ الكَاتِبِينَ في ثُبُوتِ هَذِهِ
 البَيْعَةِ المُنِيْفَةِ .

فليقلِّدَ المُقَامَ الشَّرِيفَ العَالِي السُّلْطَانِي - أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ - عِقْدَ هَذَا العَهْدِ الَّذِي
 لَا تَطْمَحُ لِمِثْلِهِ الأَمَالُ ، وَلَيْسَتْ مُسِيكٌ مِنْهُ بِالْعُرْوَةِ الوَثْقِيَّةِ الَّتِي لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَلَا أَنْفِصَالٌ ؛
 فَقَدْ عَوَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ مِنْ آرَائِكَ الَّتِي مَا بَرِحَتْ الأُمَّةُ بِهَا في المُعْضَلَاتِ تَسْتَشْفِي ،
 وَأَسْتَكْفِي بِكِفَايَتِكَ وَكِفَالَتِكَ في حِيَاطَةِ المُلْكِ فَأَضْحِي ، وَهُوَ بِذَلِكَ المُسْتَكْفِي ؛
 وَهُوَ يَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أُنْبَاءِ الوَصَايَا أَحْسَنَ القَصَصِ ، وَيُنْصُ لَدَيْكَ مَا أَنْتَ آخِذٌ مِنْهُ
 بِالْعَزَائِمِ إِذَا أَخَذَ غَيْرُكَ فِيهِ بِالرَّخْصِ ؛ فَإِنْ نَبَّهْتَ عَلَيَّ التَّقْوَى فَطَلَمَا تَسَكَّتْ مِنْهَا
 بِأَوْثَقِ عُرْوَةٍ ، وَإِنْ هُدَيْتَ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ فَزِلْتَ تَرْتَقِي مِنْهُ أَشْرَفَ ذُرُوهِ ؛
 وَإِنْ أَسْتَرْهَفْنَا عَزَمَكَ المَاضِي العِرَارِ ، وَأَسْتَدْعِينَا حَزَمَكَ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ دَهْرُكَ
 وَأَسْتَنَارَ ، في إِقَامَةِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَالوَقُوفِ عِنْدَ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ في كُلِّ حَكْمٍ
 وَتَصْرِيْفٍ ، فَمَا زِلْتَ - خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَكَ - قَائِمًا بِسُنَّتِهِ وَفَرْضِهِ ، دَائِبًا بِرِضَا
 اللهُ تَعَالَى بِإِصْلَاحِ عَقَائِدِ عِبَادِهِ في أَرْضِهِ ؛ وَمَا بَرِحَ سَيْفُكَ المُنْظَرُ للأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ
 خَادِمًا ، وَلِمَوَادِّ البَاطِلِ حَاسِمًا ، وَلَا تُؤْفِ دَوَى البِدْعِ رَاغِمًا ؛ فَكُلُّ مَا نُوصِيكَ بِهِ

من خير قد جُبات عليه طباعك ، ولم يزل مشتدًّا فيه ساعدك ممتدًّا إليه بأعك ؛ غير
 أنا نُورد لمعة اقتضاها أمرُ الله تعالى في الاقتداء بالتذكرة في كتابه المبين ، وأوجها
 نصُّ قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْنَا لِلذَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ويندرج تحت أصولها
 فروعٌ يستغني بديقِ ذهنه الشريف عن نصِّها ، وبفكره الثاقب عن قصِّها ؛ فأعظمها
 للذة نفعاً ، وأكثرها للباطل دفعا ، الشرع الشريف : فيلكن - أعز الله نصره -
 عاملاً على تشييد قواعد إحكامه ، وتنفيذ أوامره أحكامه ؛ فالسعيد من قرن أمره
 بأمره ، ورضى فيه بمجلو الحق ومُره . والعدلُ فليُنشر لواءه حتى يأوي إليه الخائف ،
 وينكف برذعه حيف كلِّ حائف ؛ ويتساوى في ظلِّه الغني والفقير ، والمأمور والأمر ؛
 ويمسى الظلم في أيامك وقد نحمدت ناره ، وعفت آثاره .

وأهم ما احتفلت به العزائم ، وأشملت عليه همَّ الملوك العظام ، وأشرعت له
 الأسنة وأرهفت من أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذي جعله الله تعالى حصناً
 للإسلام وجنَّة ، وأشترى فيه أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنَّة ؛ فجدد له الجنود وأجمع
 له الكتاب ، وأفض في مواقفه على الأعداء من بأسك بالقواضي القواضب ؛
 وأغزهم في عُقر الدار ، وأرهف سيفك البتار : لتأخذ منهم للسلمين بالثار . والشعور
 والحصون ، فهي سرُّ الملك المصون ، وهي معاقل النفوس إذا دارت رحي الحرب
 الزبون ؛ فليقلد أمرها لكفاتها ، ويخص حمايتها بمجتماتها ، ويضاعف لمن بها أسباب
 قوتها ومادة أقاتها . وأمرأء الإسلام وجنود الإيمان فهم أولياء نصرك ، وحفظة
 شامك ومِصرُك ؛ وحزبك الغالب ، وفريقك الذين تفرق منهم قلوب العدا في المشارق
 والمغرب ؛ فيلكن المقام العالی السلطاني - أعزه الله تعالى - لأحوالهم متفقدا ،
 وبسِط وجهه لهم متوددا ؛ حتى نتأكد لمقامه العالی طاعتهم ، وتجدد لسلطانته العزيز

ضَرَاعَتُهُمْ . وأما غير ذلك من المصالح ، فما برح تديره الجميل لها ينفذ ورأيه الأصيل بها يُشير ، فلا يحتاج مع علمه بغوامضها إلى إيضاحها (ولا ينبئك مثل خير) . والله تعالى ينحّص دولته من العدل والإحسان بأوقر نصيب ، ويمنح سلطانه ما يرجوه من النصر المعجل والفتح القريب ؛ إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يفتح العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة وكنيته ولقب الخلافة ، « إلى فلان » باسم السلطان وكنيته ولقب السلطنة كما في المكاتبات ، ثم يأتي بعد ذلك بلفظ « أما بعد »)

ثم تارة يأتي بعد البعدية بتحميد ، مثل أن يقول : « أما بعد فالحمد لله » ويتخلص إلى ذكر أمر الولاية وما يتخبط في سلكها ؛ وتارة يأتي بعد البعدية بخطاب المولى والدعاء له ، ويتخلص إلى مقاصد العهد : من الوصايا وغيرها ، على اختلاف مقاصد الكُتّاب ، وعلى ذلك كانت العهود في دولة الفاطميين بمصر .

قلت : وقد يستحسن هذا المذهب فيما إذا كان المعهود إليه غائباً عن حضرة الخليفة : لأن العهد يصير حينئذ كالرسالة الصريحة إليه ، بخلاف ما إذا كان بحضرة فإنه لا يكون في معنى الرسالة الصريحة .

وعلى هذا المذهب كتب أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله عهد شرف الدولة شيرزك بن عضد الدولة بن بويه ، وهذه نسخته :

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله » أمير المؤمنين ، إلى شيرزك بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين :

سلامٌ عليك ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسأله أن يصليَ على محمدٍ عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطلال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأيدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك - فإنَّ أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كل وليٍّ أحدَ مذهبِهِ ، وأرضى أضرابِهِ ؛ وأنصرفَ عن الدنيا متمسكاً بطاعته ، متديناً بمشايعته ، حقوقه المتوحّده ، وحرُماته المتمهّده ؛ فيمن يخلّفه بعده من ولدٍ أمل أن يرث عنه محلّه ، ويقومَ فيه مقامه ؛ وفاءً لأهل الولاية ، ونصراً على أحكام الرّياض ؛ وسياقةً للصنعة من سالفٍ إلى خالف ، وإمضاءها من تالدٍ إلى طارف . هذا على الأمرِ الجامع ، والعمومِ الشامل ؛ فإذا اتَّفَقَ أنْ منتهى وراثته القربُ إليه ، والمنازلُ لديه ، إلى النّجباء الأفاضل ، والحُصفا الأماثل ؛ الذين يستحبّون استئناف الإصطناع لهم ، وأستقبال التفويض إليهم بالمناقب الموجودة فيهم ؛ لو انفردت عما حازوه عن آبائهم وأولياءهم ، أجرى أمير المؤمنين ما يفيضه عليهم من الأيادي ، ويرقيهم إليه من هضاب المعالي ، مُجرى الأمر الواجب الذي كثرت الدّواعي إليه ، وأتفق الرأي والهوى عليه ؛ وتطابق الإيثار والإختبار فيه ، وأقترن الصواب والسداد به ؛ وأشترك المسامون في استئثار فائدته وعائدته ، والإنتفاع بتأديته وعاقبته ؛ والله يخيّر لأمر المؤمنين فيما يُمضيه من العزائم ، ويبيّنه من الدّعائم ؛ ويعتمده من المصالح ، ويتوخّاه من المناسج ؛ إنه على ذلك قدير ، وبه جدير ؛ وهو حسبُ أمير المؤمنين ونعم الوكيل .

وقد علمت - أدام الله عزك وأمتع أمير المؤمنين بك - أن شجرة بيتك [هي] التي تمكّنت في الخدمة أصولها ، والفضيلة منوطتها ، وأسباب التمام والدوام مجتمعة فيها ؛

فذلك سبغت النعمة عليكم، وأمتد ظلها إليكم؛ ونقلت فيها أقداحكم، وتوفرت منها
حُظوظكم؛ فتداولتموها بينكم كإبراً عن كابر بمساعيتكم الصالحة، ومناهيكم الواضحة؛
وتعاضدكم على ما لم تشعث الدولة الجامعه، وطرف عنها الأعين الحاسده؛ وكان
شيخك عضد الدولة، وتاج الملة؛ أبو شجاع رضوان الله عليه، صاحب الرتبة الرعوى
عند أمير المؤمنين وهماهما، والمتطى غاربها وسنامها؛ فعاش ماعاش مشكورا مجودا؛
ثم أنقلب إلى لقاء ربه سعيدا رشيدا؛ وأوجب أمير المؤمنين لك وله منك الخلول
بمكانه، وحيازة خطره وشانه؛ إذ كنت أظفر ولده، وأول المستحقين لوراثته؛
وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضيات لأن يفوض الأمور إليك، ويعتمد فيها
عليك: من كفاية وغناء، وأستقلال ووفاء؛ وسياسة وتدبير، وشهامة وتشمير؛
وتصرف على طاعة أمير المؤمنين، وإشبال^(١) على إخوتك أجمعين؛ وحسن أثر فيما
أنفذ أمرك فيه، وإفاضة أمن فيمن أمضيت ولايتك عليه؛ وإحاطة بدلائل
الحواله، وتحايل الأصاله؛ بمثلها ثمال الغايات الأفاصى، وتفترح الذوائب والنواصي؛
فتوكل أمير المؤمنين تلك المائثره، وخوكلت تلك المفخره، وجعل أخاك صمصام
الدوله، وشمس الملة؛ أبا كاليبجار - أمتع الله [بكا] أمير المؤمنين - بك تأييده،
والمقدم بعدك على ولد أبيك؛ وأجرا كما في التطبيق بينكما والتقرير لمنازلكما على مثل
ماجرى الأمر عليه بين ركن الدولة أبي علي ومعز الدولة أبي الحسين سالقا، ثم بين
عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ومؤيد الدولة أبي منصور آفقا؛ تولاهم الله بالرحمه،
ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمه؛ وخصك أمير المؤمنين بعد ذلك
بما يخص به ذو القدر الشاخي والقدم السابقه، والمحللة الساميه؛ فذكرك بالتكنيه،
ورفعك عن التسميه؛ ولقبك لقبين: أحدهما «شرف الدولة» لتشريفه بك أولياءه

(١) الإشبال العطف على الرجل ومعونه . انظر اللسان ج ١٣ ص ٣٧٥ .

الذين أوطأهم عَقَبَكَ ، وأعلَقَهم حَبْلَكَ ، والآخِرُ «زَيْنُ المِلَّةِ» لَزِينَةُ أَيَّامِهِ بِمَعَالِيكَ ،
وَتَضَاعَفَ بِجَاهِهَا بِمَسَاعِيكَ ؛ وَعَقَدَ لَكَ بِيَدِهِ لَوَائِينَ يَلُويَانِ إِلَيْكَ الأَعْنَاقَ بالطَّوْعِ
مِنْ سَرَاتِهِ وَأَبْهَجَاهُ ، وَالكَرَّهَ مِنْ رَاعَاهُ وَأَزْجَاهُ ؛ وَأَمْرٌ بِأَنْ تُقَامَ لَكَ الدَّعْوَةُ عَلَى مَنَابِرِ
مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَا يَجْرِي مَعَهَا مِنَ الأَعْمَالِ بَيْنَ الدَّعْوَةِ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ
الدَّعْوَةِ لِصَمُصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ المِلَّةِ ؛ أَمْتَعَ اللهُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَأَحْسَنَ الدَّفَاعَ
لَهُ عِنْدَكَ : إلْحَاقًا لَكَ وَلَهُ بِبَدَنِكَ بِأَبْيَكَمَا فِيمَا كَانَ شُرْفٌ بِهِ مِنْ هَذِهِ الحَالِ الَّتِي لَمْ يُلْغُهَا
غَيْرُهُ ، وَلَا أَهْلٌ لَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَأَنْ يُثَبَّتَ ذِكْرُكَ بِالقَلْبِ وَالكُنْيَةِ فِيمَا يُنْقَشُ مِنْ
سِجِّكِ العَيْنِ وَالوَرِقِ فِي دُورِ الضَّرْبِ بِأَدْيَاءِ ، وَذِكْرُ صَمُصَامِ الدَّوْلَةِ - كَلَّا كَمَا اللهُ -
تَالِيًا . وَحَبَابَكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَعَ ذَلِكَ يَجْلَعُ تَامَّةً تُفَاضُ عَلَيْكَ ، وَفَرَسَيْنِ مِنْ جِيَادِ حَيْلِهِ
يُقَادَانِ إِلَيْكَ ؛ بِمَرْكَبِي ذَهَبٍ مِنْ خَاصِّ مَرَاكِبِهِ ، وَسَيْفٍ مَاضٍ مِنْ خِيَارِ أَسْيَافِهِ ؛
يُعِزُّ اللهُ مَنَكِيكَ بِبِنَجَادِيهِ ، وَيُذِلُّ مَنَاكِبَ أَعْدَائِكَ بِغَرَارِيهِ ، وَطَووقَ وَسَوَارِيهِ .
وَأَنْ تُجْرَى فِي المَكَاتِبِ عَنْهُ إِلَى الغَايَةِ الَّتِي أُجْرَى أَبُوكَ رَحِمَهُ اللهُ إِلَيْهَا ، وَهَذَا الكِتَابُ
نَاطِقٌ بِهَا وَدَالٌّ عَلَيْهَا . وَنَدَبٌ لِإِيصَالِ الجَمِيعِ إِلَيْكَ عَلَى بَنِّ الحُسَيْنِ الهَاشِمِيِّ الزَّيْنِيِّ ،
وَأَحْمَدَ بَنِّ نَصْرِ العَبَّاسِيِّ حَاجِبِهِ وَوَحْيِ خَادِمِهِ ؛ فَتَلَقَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ المِلَّةِ
وَأَبَا الفَوَارِسِ [ذَلِكَ] - أَدَامَ اللهُ عِزَّكَ - بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ مِنْ تَقْوَى اللهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ،
وَمِرَاقَبَتِهِ فِي قَوْلِكَ وَعَمَلِكَ ، وَابْتِغَاءِ رِضَاهِ فِي مَخْتَلِجِ خَطَرَاتِكَ وَفِكَرِكَ ، وَاتِّبَاعِ
طَاعَتِهِ فِي مَخَارِجِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ؛ وَقَابِلِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ بِالشُّكْرِ
الَّذِي مَوْقِعُهُ مِنَ النِّعْمَةِ مَوْقِعُ القَرِيِّ مِنَ الضَّيْفِ ، فَإِنْ وَجَدَهُ لَمْ يَدْمُ ، وَإِنْ قَفَدَهُ
لَمْ يُقِمْ ؛ وَأَمَدُّ عَلَى مَنْ وُلِّيتَ عَلَيْهِ مِنَ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ ظِلِّكَ ، وَوَطْنُ لِهْمِ كَنَفِكَ
وَأَعْمُرُهُمْ بِطَوْلِكَ ؛ وَسُسْمُهُمْ سِياسَةً يَكُونُ بِهَا صِلَاحُهُمْ مَضْمُونًا ، وَحَرِيمُهُمْ مَضُونًا ؛
وَبِلَادِهِمْ مَعْمُورَةً ، وَمَنَافِعُهُمْ مَوْفُورَةً ؛ وَحَلْبُهُمْ دَاتَا ، وَعَيْشُهُمْ رَغَدًا ؛ وَتَفُورُهُمْ

مُسَدُّوْده ، وَأَعَادِيْهِمْ مَّدُوْده ؛ وَمَسَالِكُهُمْ مَّحِيْتهُ ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَّرْعِيْتهُ ؛ وَمُرْتَمِهِمْ
بِالمَعْرُوْفِ ، وَأَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ وَأَبْعَثَهُمْ عَلَى الْحَسَنَاتِ ، وَأَكْفَفَهُمْ عَنِ السَّيِّئَاتِ ؛
وَسَاوَى فِي الْحَقِّ بَيْنَ شَرِيْفِهِمْ وَمَشْرُوْفِهِمْ ، وَقَوِيْمِهِمْ وَضَعِيْفِهِمْ ؛ وَقَرِيْبِهِمْ وَغَرِيْبِهِمْ ؛
وَمِلِيْمِهِمْ وَذَمِيْمِهِمْ ؛ وَقَوْمَ سَفْهَاءِهِمْ وَجَهْلِهِمْ ، وَأَنْفِ دُعَاؤِهِمْ وَخُرَابِهِمْ ؛ وَأَكْرَمَ صَلَاحِهِمْ
وَعُلَمَاءِهِمْ ، وَشَاوِرَ فُضَلَاءِهِمْ وَعُقَلَاءَهُمْ ؛ وَجَالَسَ أَدْنِيَاءَهُمْ وَأَعْلِيَاءَهُمْ ؛ وَأَنْلَهُمْ
مَرَاتِبَهُمْ ، وَزَيَّنَهُمْ مَنَازِلَهُمْ ؛ وَأَرِيَهُمْ تَمَسُّكَ بِالْدِيْنِ لِيَقْتَدُوا بِكَ فِيهِ ، وَرَغَبْتَكَ فِي الْخَيْرِ
لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْكَ بِهِ ؛ وَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَاهُ ، وَأَبْسَطَ الْعَدْلَ وَقُلَّ بِهِ ؛ وَأَدْرَأَ الْحُدُوْدَ
بِالشُّبُهَاتِ ، وَأَفْهَمَهَا وَأَمْضَاهَا بِالْبَيِّنَاتِ : لَتَكُوْنَ الرَّغْبَةُ إِلَيْكَ فِي رَغَبٍ ، وَالرَّهْبَةُ مِنْكَ
فِي رَهَبٍ ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - وَأَدَايِهِ ، وَسُنَّةِ
الرَّسُوْلِ وَمَا جَاءَ بِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ قَدْ جَعَلَ كِتَابَهُ هَذَا عَهْدًا إِلَيْكَ ، وَحِجَّةً لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ وَأَنَّ
الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ فِي الْعَهُوْدِ تَكُوْنُ كَثِيْرَةً : وَإِنَّمَا قَصَّرَ فِيهِ عَنِ اسْتِيفَائِهَا ، لِارْتِفَاعِ
طَبَقَتِكَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى اسْتِقْصَائِهَا ، وَلِلخُرُوْجِ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ فِي تَضْمِيْنِهِ هَذِهِ
الْجُمْلَةَ مِنْهَا ؛ فِإِذَا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْكَ مَعَ كِرَامَاتِ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا لَكَ ، فَالْبَسْ
خِلْعَةَ ، وَتَقَلَّدْ سَيْفَهُ ؛ وَتَحَلَّ بِجِلْدِهِ ، وَأَبْرُزْ لِمَنْ يَلِيْكَ عَلَى حُمْلَانِهِ ^(١) ، وَأَظْهِرْ لَهُمْ ضُرُوْبَ
إِحْسَانِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ؛ وَأَنْصِبْ أَمَامَكَ اللُّوَاءِيْنَ ، وَتَكَنَّ وَتَلَقَّبْ بِاللَّقَبِيْنَ ؛ وَكَاتِبٍ مِنْ
تُكَاتِبِ مَنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ مُتَلَقِّبًا بِهِمَا مُتَكَنِّيًّا ، إِلَّا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ فَإِنَّ الْأَدَبَ أَنْ
لَا تُكَاتِبَهُ مُتَلَقِّبًا بِلِ مَسْمِيًّا ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَاقِصًا لَكَ فِيمَا أُعْطِيْتَهُ ، وَلَا مَرْتَجِمًا شَيْئًا مِمَّا
حُيِّيْتَهُ ؛ وَلَكِنَّهُ الْأَمْرُ بِالمَعْرُوْفِ ، وَالرَّسْمُ الْمَأْلُوْفُ ؛ وَصِلْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيْكَ

(١) فِي الْقَامُوسِ مَا نَصَّهُ « وَالْحَمْلَانُ بِالضَّمِّ مَا يَحْمَلُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّمَابِ فِي الْمَهَةِ خَاصَّةً » .

صَمِّصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ المَلَّةِ - أَدَامَ اللهُ الإِمْتَاعَ بِكَ - بِالمَوَدَّةِ ، كما وَصَلَهُ اللهُ بالأُخُوَّةِ ؛
 وَكُنَّا جَمِيعًا يَدًا فِي طَاعَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ ، وَاسْتَقِيًّا عَلَى كَلِمَةٍ سِوَا فِي رِعايَةِ المُسْلِمِينَ ؛
 وَأَتَّفَقْنَا عَلَى مَسْأَلَةِ المُسْلِمِينَ ، وَتَعاضَّدًا فِي مَحارِبَةِ المُحارِبِينَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَرَأُبُ
 لِلصُّدْعِ ، وَأَحْتَمُ لِلبِشْرِ ، وَأَنْظَمُ لِلشَّمْلِ ، وَأَلِيقُ بالأَهْلِ . وَأَقِمْ الدَّعْوَةَ لِنَفْسِكَ عَلَى
 مَنابِرِ المَمالِكِ بَعْدَ إِقامَتِها لِأَميرِ المُؤْمِنِينَ ؛ وَكاتبُ أميرِ المُؤْمِنِينَ بِأَخْبَارِكَ ، وَطالِعُهُ
 بِأَنارِكَ ؛ وَأَسْتَدْعِ أمرَهُ فِيمَا اسْتَعَجَمَ مِنَ التَّدبيرِ عَلَيْكَ ، وَرَأْيَهُ فِيمَا اسْتَبْهَمَ مِنَ الأُمُورِ
 دُونَكَ ؛ وَأَسْتَرْشِدْهُ إِلَى الحِظِّ يُرْشِدُكَ ، وَأَسْتَهْدِهُ فِي الخُطُوبِ يَهْدِيكَ ؛ وَأَسْتَمْتِدْهُ
 مِنَ المَعُونَةِ يُمِدُّكَ ، وَأَشْكُرُ آلاءَهُ يَزِدُّكَ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

أَطالَ اللهُ بقاءَكَ وَأَدَامَ عِزَّكَ وَتأيِيدَكَ ، وَسَعادَتَكَ وَنِعْمَتَكَ ؛ وَأَمَّتْ أميرُ المُؤْمِنِينَ
 بِكَ وَبالرَّغْبَةِ فِيكَ وَعِنْدَكَ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرِحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .



وعلى هذا النمط كتب القاضي الفاضل عهد أسد الدين شيركوه بالوزارة
 عن العاضد الفاطمي ، والوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة على ما تقدم ذكره ،
 وهذه نسخته :

من عبد الله ووليّه ، عبد الله أبي محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ،
 إلى السيد ، الأجل ، الملك ، المنصور ، سلطان الجيوش ، وليّ الأُمَمِ ، نَجْرِ الدَّوْلَةِ ،
 أسد الدين ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ؛ أبي الحرث شيركوه
 العاضديّ ، عَضِدَ اللهُ بِهِ الدينَ ، وَأَمَّتْ بِطُولِ بقاءِهِ أميرَ المُؤْمِنِينَ ؛ وَأَدَامَ قَدْرَتَهُ ،
 وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ .

سلامٌ عليك : فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسأله أن يصليَّ على سيّدنا محمّدٍ خاتمِ النبيين ، وسيّد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فالحمّد لله القاهر فوق عباده ، الظاهر على من جاهرَ بعناده ؛ القادر الذي يعجزُ الخلق عن دفع ما وُدع ضمائرُ الغيوب من مراده ، القويُّ على تقريب ما عزبت الهممُ باستبعاده ؛ الملىِّ بحسن الجزاء لمن جاهد في الله حقَّ جهاده ، مؤتي الميثاق من يشاء بما أسلفه من ذخائر رشاده ، ونازعه ممن يشاء بما أقرّفه من بكار فساده ؛ منجد أمير المؤمنين بمن أفضى في نصرته العزائم ، وأستقبله الأعداء بوجوه التدم وظهور الهزائم ؛ وفعلت له المهابة ما لا تصنع الهمم ، وخلعت آثاره على الدنيا ما تخلعه الأنوار على الظلم ؛ وعدست نظراؤه بما وجد من محاسنه التي فاق بها ملوك العرب والعجم ، وانتقم الله به ممن ظلم نفسه وإن ظنَّ الناس أنه ظلم ؛ وذاد عن موارد أمير المؤمنين من هو [منه] أولى بها ويأبى الله سبحانه إلا إمضاء ما حتم ، ورام إخفاء فضائله وهل يشتهر طيب المسك إلا إذا أكتتم ؟ مؤيد أمير المؤمنين بإمام أقر الله به عينهم ، وقضى على يده من نصرته الدين دينهم : ﴿ لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ .

والحمد لله الذي خصَّ جدنا محمداً بشرف الأصطفاء والاجتباء ، وأنهضه من الرسالة بأثقل الأعباء ، وذخر له من شرف المقام المحمود أشرف الأنصباء ؛ وأقام به القسطاس ، وطهر به من الأدناس ؛ وأيده بالصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ،

(١) كذا في الأصول ولعله ما اعترفت : تأمل .

والبس شريعته من مكارم الأفعال والأقوال أحسن لباس؛ وجعل النور ساريًا منه في عقبه لا ينقصه كثرة الإفتياس: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لأن يقوم في أمته مقامه، وهدى بمرآشد نوره إلى طرُق دار المقامه، وأوضح به منار الحق وأعلامه؛ وجعله شهيد عصره، ومُجِّم أمره؛ وباب رزقه، وسبيل حقه؛ وشفيع أوليائه، والمستجار من الخطوب بولائه، والمضمونة لذويه العقبى، والمسئول له الأجر في القربى؛ والمفترض الطاعة على كل مكلف، والغاية التي لا يقصر عنها بولائه إلا من تأخر في مضار التجارة وتخلف المشفوع الذكر بالصلاة والتسليم، والهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم؛ لا يقبل عمل إلا بخفارة ولائه، ولا يضل من استضاء بأنجم هدايته الألامع، ولا دين إلا به ولا دنيا إلا معه: ليتضح النهج القاصد، ولتقوم الحجة على الجاحد؛ وليكون لشيعته إلى الجنة نعم الشافع والرائد، وليأتى الله به ببيان الأعداء من القواعد، وليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلموا أمًا هو الله واحد .

يمجده أمير المؤمنين على ما حباه من التأييد الذي ظهر فبه، وانتشر فعم نفعه البشر؛ والإظهار الذي أشرك فيه جنود السماء والأرض، والإظهار الذي عقد الله منه عقدا لا تدخل عليه أحكام النقض، والانتصار الذي أبان الله به معنى قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ .

ويسأله أن يصلى على سيدنا محمد الأمين، المبعوث رسولًا في الأميين؛ الهادى إلى دار الخلود، المستقل^(١) بيانه استقلال عوثر الجدود، والمعدود أفضل نعمة على أهل الوجود؛ والصابية بشريعته مشارع النعمه، والواضحة به الحنيفية البيضاء

(١) المستقل . من استقل الشيء إذا ارتفع يريد أن بيانه مرتفع ارتفع عوثر الجدود .

لئلا يكون أمر الخلق عليهم عُمه ؛ وعلى أئمتنا أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ناصر شريعته وقسيمه في النسب والسبب ، ويد الحق التي حكم لها في كل طاب بالغلب ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما وسائط الحكم ، ومصايح الظلم ومفاتيح النعم ؛ والمخفيين دعوى من باهاهم وفانر ، والباذلين جهدهم في جهاد من أخذ مع الله لها آخر ؛ وسلم وردد ، ووالى وجدد .

وإن أمير المؤمنين لما قوضه الله تعالى إليه من إيلة الخليفة ، ومنحه من كرم السجية وكرم الخليفة ؛ وبسطه من يده على أهل الخلاف ، وأنجزه من موعوده الذي ليس له إخلال ولا إخلاف ؛ وأوضحه من براهين إمامته للبصائر ، وحفظ به على الإسلام من طليعة المبادئ وساقية المصائر ؛ وأورثه من المقام الذي لا يذبحي إلا له في عصره ، وأستخدم فيه السيوف والضروف من تادية فرائض نصره ؛ وأظهره من المعجزات ، التي لا يخلو منها زمن ، وظاهره من الكرامات ، التي زادت على أمانة كل مومن ، وأتمنه عليه من أسرار النبوة التي رآه الله تعالى لها أشرف مودع وعليها أكرم مؤتمن ؛ وأجرى عليه دولته من تذييل الصعاب وتسهيل الطلّاب ، وتفليل أحزاب الشرك إذا اجتمعوا كما اجتمع على جدّه صلى الله عليه وسلم أهل الأحزاب . يواصل شكر هذه النعم التوام ، ويعرف بهوارفها الفرادى والتوام ؛ ويقدم بين يدي كل عمل رغبة إليه في إيضاح المرآشد ، ونية لا تفضل عنها الهداية ولا سيما وهو الناشد ؛ ويستخيره عالماً أنه يقدم إليه أسباب الخير ، ويأجبه فيطلبه الإلهام على ما يحلى السير ويحلى الغير ؛ يأخذ بيد الله حقه إذا اغتصبت حقوقه ، ويستنجد بالله إذا استبيح خلافه وأسبجيز عقوقه ؛ ويفزع إلى الله تعالى إذا قرع الضائر ، ويثق بوعد الله تعالى إذا استهلك الشبه البصائر ؛ فما اعترض ليل كربة إلا أنصدع

له عن بَخْرٍ وَضَّاحٍ ، وَلَا أَنْتَقِضَ عَقْدُ غَادِرٍ إِلَّا عَاجِلَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِأَمْرِ فَضَّاحٍ ؛
 وَلَا أَنْقَطَعَتْ سُبُلُ نُصْرَةٍ إِلَّا وَصَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يُرْسِلُهُ وَلَا أَنْصَدَعَتْ عَصَا أُلْفَةٍ
 إِلَّا تَدَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يَجْزُدُهُ تَجْرِيدَ الصَّفَاحِ ؛ وَإِذَا عَدَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ النَّعْمَ
 الْجَسِيمَةَ ، وَالْمِنَحَ الْكَرِيمَةَ ؛ وَاللِّطَائِفَ الْعَظِيمَةَ ، وَالْعَوَارِفَ الْعَمِيمَةَ ؛ وَالآيَاتِ
 الْمَعْلُومَةَ ، وَالْكَفَايَاتِ الْمُحْتَمَةَ وَالْعَادَاتِ الْمُنْظُومَةَ ؛ كُنْتُ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ -
 أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَكَ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِكَ - أَعْظَمَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى أُنْرًا ، وَأَعْلَاهَا خَطَرًا ،
 وَأَقْضَاهَا لِلْأُمَّةِ وَطَرًا ؛ وَأَحَقَّهَا بِأَنْ تَسْمَى نِعْمَةً ، وَأَجْدَرَهَا بِأَنْ تُعَدَّ رَحْمَةً ؛ وَأَسْمَاهَا
 أَنْ تَكْتَشِفَ عُجْمَهُ ، وَأَنْضَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَزْمَةً ؛ وَأَمْضَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
 حَذًّا ، وَأَبْدَاهَا فِي الْجِهَادِ جِدًّا ؛ وَأَعْدَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ يَدًّا ، وَأَحْسَنَهَا فِعْلًا لِلْيَوْمِ
 وَأَرْجَاهَا غَدًا ؛ وَأَفْرَجَهَا لِلْأَزْمَةِ وَقَد كَادَتِ الْأُمَّةُ تَصِيرُ سُدًى ، وَأَحَقَّ الْأَوْلِيَاءِ
 بِأَنْ يَدْعَى لِلْأَوْلِيَاءِ سَيِّدًا ، وَأَبْقَاهُمْ فَعَلَةً لَا يَنْصَرِمُ فِعْلُهَا الَّذِي بَدَأَ أَبَدًا .

فَلْيَهَيْتِكَ^(١) أَنْتَ حَزْبُ اللَّهِ الْغَالِبِ ، وَشِهَابُ الدِّينِ الثَّاقِبِ ، وَسَيْفُ اللَّهِ الْقَاضِبِ ؛
 وَظُلُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُدُودِ ، وَمَمُورِدُ نِعْمَتِهِ الْمُرُودِ ، وَالْمَقْدَمُ فِي نَفْسِهِ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا
 لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ؛ وَنَصْرَتَهُ حِينَ تَنْصَرُّ أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَهَاجَرَتْ إِلَيْهِ هَاجِرًا بَرْدَ الزَّلَالِ
 وَبَرْدَ الظَّلَالِ ؛ وَخُضَّتْ بِحَارَ الْأَهْوَالِ ، وَفِي يَدِكَ أَمْوَاجُ الْبَصَالِ ؛ وَهِيَ فِي جِيدِكَ الْيَوْمِ
 عِقْدُ جَوَاهِرِ مَنْتَهَى نَظْمِ لَالٍ ، بَلْ قَدْ بَلَغَتْ السَّمَاءَ وَزَيَّنَتْ مِنْكَ بِنُجُومِ نَهَارِ الْأَنْجُومِ
 لَيْالٍ ؛ وَكَشَفْتَ الْغَمَّاءَ وَهِيَ مُطْبِقُهُ ، وَرَفَعْتَ نَوَاطِرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهِيَ مُطْرِقُهُ ؛
 وَعَقَصْتَ أَعْنَةَ الطُّغْيَانِ وَهِيَ مُطْلَقُهُ ، وَأَعَدْتَ بِمُخَنِّكَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِهَجَّةٍ
 شَبَابَهَا الْمُؤَنِقَةَ ؛ وَأَنْقَذْتَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ عَلَى شَفَى جُرْفِ هَارٍ ، وَنَفَذْتَ حِينَ لَا تَنْقُذُ

(١) فِي الْأَصْلِ فَلْيَهَيْتِكَ . وَفِي السَّنَانِ ج ١ ص ١٨٠ « وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِيَهَيْتِكَ الْفَارِسُ بِجَزْمِ الْهَمْزَةِ

وَلْيَهَيْتِكَ الْفَارِسُ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَلَا يَجُوزُ لِيَهَيْتِكَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ » . فَتَنْبَهْ .

السهم عن الأوتار؛ وسمعت دعوته على بُعد الدار، وأبصرت حق الله ببصيرتك وتم من أناس لا يرونه بأبصار؛ وأجليت طاغية الكفر وسواك آجذبته، وصدقت الله سبحانه حين دأهته من لا بصيرة له وكذبه؛ وأقدمت على الصليب وجراته متوقده، وقاتلت أولياء الشيطان وعمراته متمرده؛ وما يومك في نصرة الدولة بواحد، ولا أمسك مجحود وإن رغم أنف الجاحد؛ بل أوجبت الحق بهجرة بعد هجره، وأجبت دعوة الدين قائماً بها في عمرة بعد عمره؛ وأفترعت صهوة هذا المحل الذي رفاك إليه أمير المؤمنين باستحقاقك، وأمات الله العاجزين بما في صدورهم من حشرات لحاقك؛ وكننت البعيد القريب نصحه، المحجوب النافذ بحجته المذعورة أعداء أمير المؤمنين [به] إن فوق سهمه أو أشرع رمح، وما ضرك أن يخبطك أعداء أمير المؤمنين وأمير المؤمنين قد ارتضاك، ولا أن منعك المعاند حقا وقد قضى لك وأقتضاك؛ وما كان في مُحاجرتك عن حظك من خدمة أمير المؤمنين الذي أنت به منه أولى، ومُدافعتك عن حقاك في قرب مقامه الذي لا يستطيع طولا؛ إلا مغالبة الله فيك والله غالب على أمره، ومباعدتك وقد قربك الله من سر أمير المؤمنين وإن بعدت من جهره؛ استشرقتك الصدور، وتطلعت إليك عيون الجمهور، وأستوجبت عقيلة النعم بما قدمت من المهور؛ ونصرت الإيمان بأهله، وأظهرت الدين بمظاهرتك على الدين كله؛ وناهضت الكفرة بالباع الأشد والرأى الأسد، ونادتهم سيوفك: - ولا قرار على زارٍ من الأسد - وأدال الله بك من قدم على ما قدم، وندم فما أغنى عنه الندم؛ حين لج في جهالته، وتمادى في ضلالته؛ وأستمر على أستطالته، وتوالت منه عثرات ما أتبعها باستقالته؛ فكم أجتاح للدولة رجالا، وضييق من أرزاقهم مجالا؛ وسلب من خزائنها ذخائر وأسلحة وأموالا، ونقلها من أيدي أوليائها إلى أعداء الله تبارك وتعالى؛ وأتسعت هفواته عن التعديد؛

وما العهدُ منها بعيدٌ ؛ وقد نسخَ اللهُ تعالى بكِ حوادثِها فوجبَ أنْ تُنسخَ أحاديثُها ،
 وأتى الأئمةَ منكِ بمن هو وليها والأئمةَ بن هو مُغيثُها ؛ ودعاكِ إمامَ عَصْرِكَ بقُدِّهِ
 ولسانه وخطَّه على بُعدِ الدارِ ، وتحقَّقْ أنكِ تتصرفُ معه حيثُ تصرفُ وتُدورُ معه
 حيثُ دارُ ، وأختاركِ على ثقةٍ من أنَّ اللهُ تعالى يُجِدُّه فيكِ عواقبَ الإختيارِ ؛ ورأى
 لكِ إقدامكِ ورقابُ الشركِ صاغِرَه ، وقُدومكِ وأفواهُ المخاوفِ فاعِرَه ، وكرَّتكِ
 في طاعته وأبى اللهُ تعالى أنْ تكونَ خاسِرَه ؛ وسَطَّكِ حينَ تمالَى بكِ المشركُونَ ،
 وتمثَّلَ لرسُلِهِم بقوله سبحانه : ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ وَأَنْفَتَ عِزَّتَهُ هُجْنَةَ
 الهدنه ، وقال لأوليائه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وَأَزْدَرَى بِنَجَازِيهِمِمْ أَنْتَظَارًا
 لوصولكِ بأَسودِ الإسلامِ ، وصَبَرَ على علمِ أنكِ تُلَبِّي نِدَاءَه بالسنةِ الأعلامِ قبلَ السنةِ
 الأعلامِ ؛ فكنْتِ حيثُ رجَا وأفضَلَ ، ووَجِدْتِ بحيثُ رعى وأعجَلَ ؛ وقَدِمْتِ
 فكتبَ اللهُ لكِ العُلُوَّ ، وكتبَ بكِ العَدُوَّ ؛ وجمعَ على التوفيقِ لكِ طَرَفِي الرِّوَاحِ
 والغُدُوِّ ؛ ولم يلبسِ الكافرُ لِسَهَامِكِ جُنَّةً إِلَّا الفِرَارَ ، وكان ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ آجَنْتُتْ
 من فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ فَاللهُ دَرَكُ حينَ فأنْتِ بِجَبْرِكَ ، قبلَ عَسْكَرِكَ ،
 ونَصِرْتِ بِأَنْبِيَرِكَ ، قبلَ عَشِيرِكَ ؛ وأكْرَمَ بكِ من قَادِمِ خَطَوَاتِهِ مَبْرُورَه ، وَسَطَوَاتِهِ
 للأعداءِ مُبِيرَه ، وكلُّ يومٍ من أيامه يُعَدُّ سِيرَه ؛ وإنكِ لمبعوثٌ إلى بلادِ أميرِ المؤمنينِ
 بَعَثَ السَّحَابَ المُسَخَّرَ ، ومَقْدَمٌ في النِّبْيَةِ وإن كنتِ في الزمانِ المُوْتَحَّرِ ؛ وطالِعَ بِنَيْتِهِ
 الإسلامِ ذَيرَ بعيدٍ أنْ يُفِيءَ اللهُ عليها بلادَ الكُفَّارِ ، ورجالِ جهادِ عَدَدَانَهُمِمْ عِنْدَنَا مِنْ
 المصْطَفِيَّيْنَ الأَخْيَارِ ؛ وأبناءِ جِلَادِ يَشْتَرُونَ الجِنَةَ بَعَزَائِمِمْ كالنَّسَارِ ، وغُرَرِ نَصِيرِ سُكُونِ
 العَدُوِّ بِمَدَاهَا غُرُورٌ وَنَوْمُهُ غِرَارٌ .

ولما جرى منْ جرى ذَكَرُهُ على عَادَتِهِ في إِيحَاشِكَ والإِيحَاشِ مِنْكَ بِكَوَادِبِ
 الظُّنُونِ ، ورَامَ رَجْعَتَكَ عَنِ الحِضْرَةِ وَقَدِ قَرَّتْ بِكَ الدَّارَ وَقَرَّتْ بِكَ العُيُونُ ؛ وكان

كما قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ لَقَدْ ابْتَدَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ ﴾ (١) هناك عَصَبَتْ نفوس الإسلام ففتكت به أيديها ، وكشفت له عن غطاء العواقب التي كانت منه مباديها ؛ وأخذه من أخذه أليمٌ شديد ، وعدل فيه من قال ﴿ وما ربك بظلامٍ للعبيد ﴾ : ﴿ إن في ذلك لَدِ كَرِيْمٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْبٌ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

ولما نَشَرَتْ لِيَؤَاءَ الْإِسْلَامِ وَطَوَّاهُ ، وَعَضَّدَتْ الْحَقَّ وَأَضْعَفَ قُوَاهُ ؛ وَجَنَّبَتْ عُنُقِي مَا نَوَيْتُ وَجَنَى عُنُقِي مَا نَوَاهُ ، وَأَبَيْتَ إِلَّا إِمْرَاءَ الْعَزْمِ فِي الشَّرْكِ وَمَا أَمْضَاهُ ؛ ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ ﴾ ودفعت الخطب الأشق ، وطلعت أنوار النصر مُشْرِقة بك وهل تطلع الأنوار إلا من الشرق ؟ وقال لسان الحق : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ ﴾ ، قضى الله تعالى إلى أمير المؤمنين عُدَّةً قَدَمَهَا ثُمَّ قَضَاهَا ، وَوَلَّاهُ كَمَا وُلِّيَ جَدَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبْلَةَ يَرْضَاهَا ؛ وَأَنْتَصَرَ لَهُ بِكَ أَنْتَصَارَهُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ بِسَلْمَانِهِ وَعَمَّارِهِ ، وَأَنْطَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاصْطِفَائِكَ الْيَوْمَ وَبِالْأَمْسِ كُنْتَ عَقْدَ إِضْمَارِهِ ؛ وَقَلْدَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَ وَزَارْتَهُ ، وَتَدِيرَ مَمْلَكَتِهِ وَحِيَاطَةَ مَا وَّرَاءَ سَرِيرِ خِلَافَتِهِ ، وَصِيَانَةَ مَا آشَمَلْتَ عَلَيْهِ دَعْوَةَ إِمَامَتِهِ ، وَكَفَالَةَ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَدَايَةَ دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَتَدِيرَ مَا عَدَّقَهُ اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمُورِ أَوْلِيَائِهِ أَجْمَعِينَ ، وَجُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ الْمُؤَيَّدِينَ ، الْمُقِيمِينَ مِنْهُمْ وَالْقَادِمِينَ ؛ وَكَافَّةَ رَايَا الْحَضْرَةِ بِعِيدِهَا وَدَانِيهَا ، وَسَائِرِ أَعْمَالِ الدُّوَلِ بِأَيْدِيهَا وَخَافِيهَا ؛ وَمَا يَفْتَحُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الْبِلَادِ ، وَمَا تَسْتَعِيدُهُ مِنْ حُقُوقِهِ الَّتِي آغْتَصَبَهَا الْأَضْدَادُ ؛ وَأَلْبِيْ إِلَيْكَ الْمَقَالِيدَ بِهَذَا التَّقْلِيدِ ؛ وَقَرَّبَ عَلَيْكَ كُلَّ غَرَضٍ بِعِيدٍ ؛ وَنَاطَ بِكَ الْعَقْدَ وَالْحَلَّ ، وَالْوَالِيَةَ وَالْعَزْلَ ، وَالْمَنْعَ

(١) في اللسان "عصبت الابل وعصبت بالكسر اذا اجتمعت" . ولعل هذا مراده ان لم يكن اهمل

الوطاة ما أستطعت عنهم ؛ وبدلهم من بعد خوفهم أننا ، وكف من يعترضهم في عرض هذا الأذنى .

والجهاد فهو سلطانُ الله تعالى على أهل العناد؛ وسطوةُ الله تعالى التي يُمضيها في شرِّ العباد على يد خيرِ العباد؛ ولك من الغناء فيه مصرا وشاماً، وثباتِ الجأش كراً وإقداماً؛ والمصافِّ التي ضربت فكننت ضاربَ كُتبتها، والمواقِف التي أشدَّت فكننت فارحَ هبواتها؛ والتدريب الذي أطلق جدك، والتجريب الذي أورى زندق، [ما] يُغني عن تجديد الوصايا البسيطة، وتأكيد القضايا المحيطة؛ وما زلت تأخذ من الكفار باليمن، وتُعظم فتوحك في بلاد الشمال فكيف تكون في بلاد اليمن؛ فاطلب أعداء الله براً وبحراً، وأجلب عليهم سهلاً ووعراً؛ وقسم بينهم الفتكات قتلاً وأسراً، وغارةً وحصراً؛ قال الله تعالى في كتابه المكنون: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وتوفيقُ الله تعالى يفتح لك أبواب التديير، وخبرتك تُدلك على مرشد الأمر :
 ﴿ وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ فانت تبندع من المحاسن ما لا يُحيط به الوصايا ، وتحترع من الميامن ما يتعترف بركاته الأولياء والرعايا؛ والله سبحانه وتعالى يحقق لأمر المؤمنين فيك أفضل الخايل، ويفتح على يدك مستغلق البلاد والمعاقل؛ ويصيبُ بسهامك من الأعداء التجور والمقاتل، ويأخذ للإسلام بك ماله عند الشرك من الثارات والطوائل؛ ولا يضيع لك عملك في خدمة أمير المؤمنين إنه لا يضيع عمل دامل، ويجرى الأرزاق والآجال بين سبيك الفاضل وحكك الفاضل؛ فأعلم هذا من أمر أمير المؤمنين ورسمه، وأعمل بموجبه وحكمه؛ إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وعلى نحو منه كتب القاضى الفاضل أيضا عهدَ الملكِ الناصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوبَ بالوزارة عن العاضد أيضا ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى السيد الأجل (على نحو ما تقدم فى تقليد عمه أسد الدين شيركوه) .

أما بعد ، فالحمد لله مصرف الأقدار ومشرّف الأقدار ، ومُحْصِي الأعمال والأعمال ؛ ومبْتَلِي الأخيار والأبرار ، وطالم سِرّ الليل وجهه النهار ؛ وجاعل دولة أمير المؤمنين فلكا تتعاقب فيه أحوال الأعمار : بين آتقضاء سَرارِ وأستقبال إندار ؛ وروضاً إذا هوت فيه الدّوحات أينعت الفروعُ سابقَةَ النّوارِ بأسقّة الثّمار ؛ ومُنْجِدِ دعوته بالفروع الشاهدة بفضل أصولها ، والجواهر المستخرجة من أمضى نُصولها ، والقائم بُنصرة دولته فلا تزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها قائمة على أصولها .

والحمد لله الذى آختر لأمير المؤمنين ودلّه على مكان الاختيار ، وأغناه باقتضاب الإلهام عن روية الاختبار ؛ وعضد به الدين الذى ارتضاه وعضده بمن ارتضاه ، وأنجزه من وعد السعد ما قضاه قبل أن اقتضاه ، ورفع محله عن الخلق فكلهم من مضاف إليه غير مُضاه ؛ وجعل مملكته عريناً لاعترازها بالأسد وشبّهه ، ونعمته ميراناً أولى بها ذوى الأرحام من بنى الولاء وأهله ، وأظهر فى هذه القضية ما أظهره فى كلّ القضايا من فضل أمير المؤمنين وعدله ؛ فأولياؤه كآليات التى تتسق درارى أفقها المنير ، وتتسق درر عقدها النظيم النضير : (ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) .

والحمد لله الذي أتمَّ بأمر المؤمنين نعمة الإرشاد ، وجعله أولى من الخلق ساداً
ولحقَّ شاداً ، وآثره بالمقام الذي لا ينبغي إلا له في عصره ، وأظهر له من معجزات
نصره ما لا يستقبل العدد بحصره ، وجمع لمن والاه بين رفع قدره ووضع إصره ،
وجعل الإمامة محفوظة في عقبه والمعقبات تحفظه بأمره ، وأودعه الحكم التي رآه
لها أحوط من أودعه ، وأطلع من أنوار وجهه الفجر الذي جهل من ظنَّ غير نوره
مطلعته ، وآتاه ما لم يؤت أحداً ، وأمات به غياً وأحيا رَشداً ، وأقامه للدين عاضداً
فأصبح به معتزداً ، وحفظ به مقام جدّه وإن رَغِمَ المستكبرون ، وأنعم به على أمته
أماناً لولاه ما كانوا ينظرون ولا يبصرون ، ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على ما آتاه من توفيقٍ يُدَلِّلُ له الصَّعبَ الجاحِمَ ، ويُدِنِي منه
البعيدَ النَّازِحَ ، ويُخْلِيفُ على الدين من صلاحه الخلف الصالح ، ويلزِمُ آراءه جدّد
السُّعُودِ الواضِحِ ، ويُريه آياتِ الإرشادِ فإنه نازح (؟) قَدَحِ القادِحِ ، ويسأله أن يصلِّيَ
على جدّه محمّدٍ الذي أنجى أهلَ الإيمانِ ببعثه ، وطهرَ بهديهِ من رجسِ الكُفْرِ
وخبثه ، وأجار باتِّباعه من عنَتِ الشيطانِ وعَبَثِهِ ، وأوضَحَ جادّةَ التوحيدِ لكلِّ مشركٍ
الاعتقادَ مثله ، وعلى أئمتنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذي جادلت يده بلسان
ذي الفقار ، وقسم ولاؤه وعداوته بين الأتقياء والأشقياء الجنة والنار ، وعلى الأئمة
من دُزِّيتهما الذين أذلَّ الله بعزَّتِهِم أهلَ الإلحاد ، وأصفى بما سفكوه من دِمَائِهِم
موارِدَ الرِّشادِ ، وجرت أيديهم وألسنتهم بأقواتِ القلوبِ وأرزاقِ العبادِ ، وسلّمَ ومجّدَ ،
ووالى وجَدّدَ .

وإن الله سبحانه ما أخلى قط دولة أمير المؤمنين التي هي مهبط الهدى ومحط
النسب، ومورد الحياة للولى والردي للعدا، من لطف يتلافى الحادثة ويتسببها
ويرأبها، ونعمة تبلغ بها النفوس أربها، وموهبة تسد موضع الكرم، وتسد
موضع السلم، وتجلى غمائم الغم، وتخلل مغائم النعم، وتستوفي شرائط المناسج،
وتستدنى فوارط المصالح، ولم يكن ينسى الحادثة في السيد الأجل الملك المنصور
رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثقله ومثواه، التي كادت لها أوانى الملك
تترزع، ومباني التدبير تتضعع؛ إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله
من أصطفائك أيها السيد الأجل الملك الناصر: - أدام الله قدرتك - لأن تقوم
بخدمته بعده، وتسد في تقدمه جيوشه مسده، وتقفو في ولاته أثره، ولا تفقد منه
إلا أثره؛ فوازت الفادحة فيه النعمة فيك، حتى تستوفي حظها من أمير المؤمنين بأجر
لا يضيع الله فيه عمله، فاستوجب مقعد صدق بما اعتقده من تأدية الأمانة له
وحمله، واستحق أن ينضر الله وجهه بما أخلقه الله من جسمه في مواقف الجهاد
وبدله؛ ومضى في ذمام رضا أمير المؤمنين: وهو الدمام الذي لا يقطع الله منه
مأمره أن يصله؛ وأتبع من دعائه يتحف أول ما تلقاه بالروح والريحان، وذخرت
له من شفاعته ما عليه معول أهل الإيمان في الأمان؛ فرعى الله له قطعه البيداء
إلى أمير المؤمنين وتجشمه الأسفار، ووطأه المواطع التي تغيظ الكفار؛ وطلوعه
على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار، وهجرته التي جمعت له أجرين: أجر
المهاجرين وأجر الأنصار؛ وشكره ذلك المسعى الذي بلغ من الشرك النار، وبلغ

(١) الأوانى جمع أوعية وهي عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه

الإسلام الإيثار . وما لقي ربه حتى تعرض للشهادة بين مختلف الصفاح ، ومشتجر
الرماح ، ومفترق الأجسام من الأرواح ؛ وكانت مشاهدته لأمر المؤمنين أجراً فوق
الشهادة ، ومِنَّة لله تعالى عليه له بها ما للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ؛ وحتى رآك
أيها السيد الأجل الملك الناصر - أدام الله قدرتك - قد أقررت ناظره ، وأرغمت
مناظره ؛ وشددت سلطانه ، وسددت مكانه ؛ ورعى بك فأصاب ، وسقى بك
فصاب ، وجمعت ما فيه من أبهة المشيب إلى ما فيك من مضاء الشباب ؛ ولقنت
مأفادته التجارب جملته ، وأعانتك المحاسن التي هي فيك جله ؛ وقلبت عليك إسناد
الفتكات فتقلبت ، وأوضح لك منهاج البركات فتقبلت ؛ وسددك سهما ، وجرّدك
شهما ؛ وانتضاك فارتضاك غربا ، وآثرك على آثر ولده إمامة في التدبير وحراب ؛
وكننت في السلم لسانه الآخذ بجامع القلوب ، وفي الحرب سنانة النافذ في مضايق
الخطوب ، وساقته إذا طلب ، وطليعته إذا طلب ، وقلب جيشه إذا ثبت
وجناحه إذا وثب ؛ ولا عُدل لشبل نشأ في حجر أسد ، ولا لهلال استنل النور من
شمس وأسمد :

هذا ولو لم يكن لك هذا الإسناد في هذا الحديث ، وهذا المسند الجامع من قديم
الفخر وحديث ؛ لأغنتك غريزة عزيزة وسجية سجيّة وشيئة وسيمة ، وخلاتق ، فيها
ما تحب الخلائق ، ونحازر ، لم يحز مثلها حازر ؛ ومحاسن ، ماؤها غير أسن ، وما أثر ، جد
غير عائر ؛ ومفانر ، غفل عنها الأهل : ليستأثر بها الآخر ؛ وبراعة لسان ، ينسجم
قطارها ، وشجاعة جنان ، تضطرم نارها ؛ وخلال جلال عليك شواهد أنوارها
تنوِّص ، ومساعي مساعد لديقك كما تم نورها تتفتح ؛ فكيف وقد جمعت لك في المجد
بين نفس وأب وعم ، ووجب أن سألك من أصطفاء أمير المؤمنين ماذا حصل ثم
على الخلق عم ، فيومك واسطة في المجد بين غدك وأميك ، وكل نادٍ من أنديّة الفخار

لك أن تقول فيه وعلى غيرك ان يُمسك ، فبُشراك أن أنعم أمير المؤمنين موصولةً
منكم بوالدٍ وولد ، وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت في بيت الأسد .

ولما رأى الله تقلب وجه أمير المؤمنين في سمائه ولآه من اختيارك قبله ، وقامت
حجته عند الله باستكفائك وزيراً له ووزراً لله ، فناجته مرأشد الإلهام ، وأضاءت
له مقاصد لا تمقلها كل الأفهام ؛ وعزم له على أن قللك تدير مملكته الذي أعرقت
في إزته وأغرقت في كسبه ، ومهد لك أبعاد غاية في الفخر بما يسر لك من قربه ؛
ولقد سبق أمير المؤمنين إلى اختيارك قبل قول نسانه بضمير قلبه ، وذكر فيك قول
ربه : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ . وقللك لأنك سيف من سيوف الله
تعالى يحق به التقليد وله التقليد ، وأصطفاك على علم بأنك واحد متظم في معنى
العديد ؛ وأحيا في سلطان جوشه سنة جدّه الإمام المستنصر بالله في أمير جوشه
الأول ، وأقامك بعده كما أقام بعده ولده وإنه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل ؛
ونرح أمره إليك بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليدك
وزارته التي أحلك ربوتها ، وأحل لك صهوتها ؛ وحلاك نعمتها ، و
لك (١)

نعمتها ؛ فتقلد وزارة أمير المؤمنين من رتبها التي تناهت في الإفاة ، إلى أن لارتبة
فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافه ؛ وتوأم منها صدرا لانتطلع إليه عيون الصدور ،
وأعتقل منها في درجة على مثلها تدور البذور : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .
وباشر مستبشرا ، وأستوطن متديرا ؛ وأبسط يدك فقد فوض إليك أمير المؤمنين
بسطا وقبضا ، وأرفع ناظرِكَ فقد أباح لك رفعا وخفضا ؛ وأثبت على درجات

(١) بياض بالأصول بقدر كلمة .

السعادة فقد جعل لحكمك تهيئة ودحضا ، وأعقد حبي العزمات للمصالح فقد أطلق
بأمرك عقدا وتفضا ، وأنفذ فيما أهلك له فقد أدى بك نافله من السياسة وفرضا ؛
وصرف أمور المملكة فإليك الصرف والتصرف ، وثقف أود الأيام فعليك أمانته
التهديب والتثقيف ؛ وأحب ذبول الفخار حيث لا تصل التيجان ، وأملا لحظا من
نور الله تعالى حيث تتقي الأبصار لحين الأجنان ؛ إن هذا هو الفضل المبين فارتبطه
بالتقوى التي هي عروة النجاة وذخيرة الحياة والمات ، وصفوة ماتق آدم من ربه
من الكلمات ؛ وخير ما قدمته النفوس لغدا في أمسيها ، وجادلت [به] يوم تجادل كل
نفس عن نفسها ؛ قال الله سبحانه ومن أصدق من الله قيلا : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ
آتَتْهُ وَلَا تُظْلَمُونَ فِيهَا ﴾ . وأستم بالعدل نعم الله تعالى عليك ، وأحسب كما أحسن
الله إليك ؛ وأمر بالمعروف فإنك من أهله ، وأنه عن المنكر كما كنت تزهت عن فعله .
وأولياء أمير المؤمنين ، وأنصاره الميامين ، ومن يحف بمقام ملكه من الأمراء
المطوقين ، والأعيان المعصيين ، والأماثل والأجناد أجمعين ؛ فهم أولياؤه حقا ،
ومالئكه رقا ، والذين تبوءوا الدار والإيمان سبعا ، وأنصاره غربا كما أن عسكرك
أنصاره شرقا ؛ فهم وهم يد في الطاعة على من ناوهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ؛ وتحكم
فيهم وأنت عند أمير المؤمنين أعلاهم .

هذا وقد كان السيد الأجل الملك المنصور - رضى الله عنه - استمطر لهم [من]
إنعام أمير المؤمنين المسامحة بعلقهم ، وواسى^(١) في هذه المنقبة التي استحق بها حسن
الذكر بين طوائفهم وفرقهم ، فصنهم من جائحات الاعتراض ، وأبدل لهم صالحات
الأغراض ؛ وأرفع دُونهم الحجاب ، ويسر لهم الأسباب ، واستوف منهم عند

(١) لعله وسأوى كما لا يخفى .

الحُضُورِ إِلَيْكَ غَايَاتِ الْخِطَابِ ؛ وَصَرَّفَهُمْ فِي بِلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَاةٍ وَحَمَاهُ ،
كَمَا تُصَرِّفُهُمْ فِي أَوْقَاتِ الْحَرْبِ لِمَاةٍ وَكَيْفَاهُ ؛ وَعَرَّفَهُمْ بَرَكَةَ سُلْطَانِكَ ، وَأَقْنَدَ قُلُوبَهُمْ
بِرِمَامِ إِحْسَانِكَ .

وَأَمَّا الْقُضَاةُ وَاللَّدَاةُ فَهَمَّ بَيْنَ كَفَالَتِكَ وَهَدْيِكَ ، وَالتَّصْرِيفِ عَلَى أَمْرِكَ
وَنَهْيِكَ ؛ فَاسْتَعْمِلْ مِنْهُمْ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، فَأَمَّا بِالْعِنَايَاتِ فَلَا .

وَالْجِهَادِ فَانْتَ رَاضِعٌ دَرَهُ ، وَنَاشِئَةٌ حَجْرَهُ ؛ وَظُهُورُ الْخَيْلِ مَوَاطِنُكَ ، وَظِلَالُ
الْجِبَلِ مَسَايِكُكَ ؛ وَفِي ظُلُمَاتِ مَسَايِكِهِ ، تُجَلَّى مَحَاسِنُكَ ، وَفِي أَعْقَابِ نَوَازِلِهِ ، تُنْتَلَى
مِيَامِنُكَ ؛ فَشَمَّرْ لَهُ غَنَ سَاقٍ مِنَ الْقَنَاءِ ، وَخُضْ فِيهِ بَحْرًا مِنَ الطُّبَا ؛ وَأَحْلِلْ فِيهِ عُقْدَةَ
كَلِمَاتِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَثِيْقَاتِ الْحُبِّ ؛ وَأَسْلِلِ الْوَهَادَ بَدْمَاءَ الْعِدَا وَأَرْفَعْ بِرُءُوسِهِمُ الرُّبَا ؛
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ الَّذِي يَرْجُو أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ مَذْخُورًا لِأَيَّامِكَ ، وَمَشْهُودًا
بِهِ يَوْمَ مَقَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ لِسَانِ إِمَامِكَ .

وَالْأَمْوَالُ فَهِيَ زُبْدَةُ حَلَبِ اللَّطْفِ لَا الْعُنْفِ ، وَجُمَّةٌ يَمْتَرِيهَا الرَّفْقُ لَا الْعَسْفُ ،
وَمَا يَرِحَتْ أَجْدَ ذَخَائِرِ الدُّوَلِ لِلشُّفُوفِ ، وَأَحَدٌ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَمِضِي وَقَدْ تَبَسُّو
السُّيُوفِ ؛ فَقَدِّمْ لِلْبِلَادِ الْإِسْتِعْمَارَ ، تُقَدِّمُ لَكَ الْإِسْتِثْمَارَ ، وَقَطْرَةٌ مِنْ عَدْلِ تَزْحَرُّ بِهَا
مِنْ مَالٍ بِحَارِ .

وَالرَّعَايَا فَهَمَّ وَدَائِعُ اللَّهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوِدَائِعُهُ لَدَيْكَ ، فَاقْبِضْ عَنْهُمْ الْأَيْدِي
وَأَبْسِطْ بِالْعَدْلِ فِيهِمْ يَدَيْكَ ؛ وَكُنْ بِهِمْ رُءُوفًا ، وَعَلَيْهِمْ عَطُوفًا ؛ وَاجْعَلِ الضَّعِيفَ مِنْهُمْ
فِي الْحَقِّ قَوِيًّا وَاقْوِيًّا فِي الْبَاطِلِ ضَعِيفًا ؛ وَوَكِّلْ بِرِعَايَتِهِمْ نَاطِرَ اجْتِهَادِكَ ، وَاجْعَلْ
أَسْتَنْتَهُمُ بِالذُّعَاءِ مِنْ سِلَاحِكَ وَقُلُوبَهُمْ بِالْحُبَّةِ مِنْ أَجْنَادِكَ ؛ وَلَوْ جَازَ أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَن

الوصية قائمٌ بأمر، أو جالسٌ في صدر، لاستغنىت عنها بفطنتك الزكية، وفطرتك
الذكية؛ ولكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وأنت من المؤمنين، وعراة بركة فتلق
رايتها باليمين؛ والله تعالى يؤيدك أيها السيد الأجل - أدام الله قدرتك - بالنصر
العزيز، ويقضى لدولة أمير المؤمنين على يدك بالفتح الوجيز؛ ولأهلها في نظرك
بالأمر الحريز، ويمتد دست الملك بحلي مجدك الإبريز؛ ويقر عيون الأعيان بما
يظهر لك في ميدان السعادة من السبق والتبريز، ويملك من نخلة أنعم أمير المؤمنين
بما ملكك إياه ملك التحويز؛ ويلحق بك في المجد أولك، ويمجد فيك العواقب
ولك؛ فأعلم ذلك من أمر أمير المؤمنين ورسمه، وأعمل بموجبه وحكمه؛
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثالث

(أن يفتح العهد بمحطبة)

وهو ما حكاه في " التعريف " عن صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان، فيما
كتب به للظاهر بيبرس، وذكر أن ابن لقمان ليس بمحطبة . ثم قال : على أن الفاضل
مُحي الدين بن عبد الظاهر قد تبعه فيما كتب به للنصور قلاوون .

قلت : ليس ابن لقمان هو المبتكر لهذا المذهب ، بل كان موجودا معمولا به .
استعمله كتاب الإنشاء بديوان الخلافة ببغداد قبل ذلك بزمن طويل ، وهو منبع
الكتابة الذي عنه يصدر الترتيب ، وقاعدتها التي يبنى عليها المصطلح . وعليه كتب
عهد العادل أبي بكر بن أيوب أنحى السلطان صلاح الدين يوسف « من بغداد » .
وإليه مال ابن الأثير في " المثل السائر " . وذكر أن الأفتاح بـ « هذا ماعهد » قد

(١) لعله للامير الكامل ابن الملك العادل الخ كما يفيد ما يأتي في صلب العهد . تأمل .

أُتِدِلَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ ، وَأَبْنُ لِقْمَانَ تَابِعٌ لِمَتَّبِعٍ . عَلَى أَنْ إِنْشَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي الْكِتَابَةِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِحُجَّةٍ فَابْنُ الْأَثِيرِ حُجَّةٌ فِي هَذَا الشَّانِ ، يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَيَعْمَلُ بِقَوْلِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثٌ : « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَأٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْدَمٌ » . وَلِذَلِكَ مَالَ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ ؛ إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَخَالَفَةً لِمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ عُهُودِ الصَّحَابَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ .

وَبِكُلِّ حَالٍ فَأَهْلُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يُخْرِجُونَ فِيهِ عَنْ ضَرِيَيْنِ : ضَرْبٍ يَعْبَرُونَ عَنِ الْأَوْامِرِ الْوَارِدَةِ فِي الْعَهْدِ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِقَوْلِهِ : « أَمْرُهُ بِكَذَا وَأَمْرُهُ بِكَذَا » وَهِيَ طَرِيقَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ ، وَعَلَيْهَا كُتِبَ عَهْدُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ الْمَشَارِئِيِّ . وَضَرْبٍ يَعْبَرُونَ بِقَوْلِهِمْ « أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا » وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى ، وَهِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ زَمَانِنَا .

وهذه نسخة العهد المكتوب به من ديوان الخلافة ببغداد على هذه الطريقة ، للعادل أبي بكر بن أيوب ^(١) أنحى السلطان صلاح الدين ^(٢) « يوسف بن أيوب » وهي :
الحمد لله الذي أطمأنت القلوب بذكره ، ووجب على الخلائق جزيل حمده وشكره ؛ ووسعت كل شيء رحمته ، وظهرت في كل أمر حكمته ؛ ودل على وحدانيته بعجائب ما أحكمه صنعا وتديرا ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ؛ بمد الشاكرين بنعمه التي لا تحصى عددا ، وعالم الغيب الذي لا يظهر على غيبه أحدا ؛ لامعقب حكمه في الإبرام والتقض ، ولا يؤوده حفظ السموات والأرض ؛ تعالى أن يحيط

(١) تقدم قبلا التنبيه عليه . تأمل .

(٢) في الأصول عم السلطان وهو سبق قلم .

بُحْبُكِهِ الضَّمِيرَ ، وَجَلَّ أَنْ يَبْلُغَ وَصْفَهُ الْبَيَانُ وَالتَّفْسِيرُ : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ؛ وَابْتَعَثَهُ هَادِيًا لِلخَلْقِ ، وَأَوْصَحَ بِهِ مَنَاسِجَ الرِّشْدِ وَسُبُلَ الْحَقِّ ؛ وَأَصْطَفَاهُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ وَأَعَزِّ الْقَبَائِلِ ، وَأَجْتَبَاهُ لِإِيضَاحِ الْبَرَاهِينِ وَالذَّلَائِلِ ؛ وَجَعَلَهُ لَدَيْهِ أَعْظَمَ الشُّفَعَاءِ وَأَقْرَبَ الْوَسَائِلِ ، فَقَدَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ؛ وَحَمَلَ النَّاسَ بِشَرِيعَتِهِ الْهَادِيَةِ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالسَّنَنِ الْعَادِلِ ، حَتَّى اسْتَقَامَ أَعْوَجَاجُ كُلِّ زَائِعٍ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ كُلُّ حَائِدٍ عَنْهُ وَمَائِلٌ ؛ وَسَجَدَ لِلَّهِ كُلُّ شَيْءٍ نَتَقِيًا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الْأَفْضَلِ ، صَلَاةً مُسْتَمِرَّةً بِالْغُدُواتِ وَالْأَصْبَائِلِ ؛ خِصُوصًا عَلَى عَمِّهِ وَصِوِّ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي أَشْتَهَرَتْ مَنَاقِبُهُ فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ ؛ وَدَرَّتْ بِرِكَاتِ الْإِسْتِسْقَاءِ بِهِ أَخْلَافُ الشُّحْبِ الْهَوَاطِلِ ، وَفَازَ مِنْ تَنْصِيصِ الرَّسُولِ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْخِلَافَةِ بِمَا لَمْ يَفُزْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَائِلِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَازَ مَوَارِيثَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَوَفَّرَ جَزِيلَ الْأَقْسَامِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ ؛ لِعَبْدِهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَوَارِثِ نَبِيِّهِ وَمُحِبِّي شَرِيعَتِهِ ؛ الَّذِي أَحَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَعَارِجِ الشَّرْفِ وَالْجَلَالِ فِي أَرْفَعِ ذُرُوهِ ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حُسْنِ التَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ بِأَمْتِنِ عِصْمَةٍ وَأَوْثَقِ عُرُوهِ ؛ وَأَسْتَخْرَجَهُ مِنْ أَنْبَرِ نِجَارٍ وَعُنُصْرٍ ، وَأَخْتَصَّهُ بِأَرْكَانِ مَنِيحَةٍ وَأَعْظَمِ مَفْخَرٍ ؛ وَنَصَبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَالِمًا ، وَأَخْتَارَهُ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا وَحَكِيمًا ؛ وَنَاطَ بِهِ أَمْرَ دِينِهِ الْخَلِيفِ ، وَجَعَلَهُ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ؛ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَلِيفَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛

أبن الإمام السعيد التقيّ ، أبن نصر محمد الظاهر بأمر الله ، أبن الإمام السعيد الوفيّ
أبن العباس أحمد الناصر لدين الله ، أبن الإمام السعيد أبي محمد المستضيء بأمر الله
أمير المؤمنين ، صلوات الله عليهم أجمعين ^(١) ، وعلى آباءه الطاهرين ، الأئمة
المهديين ؛ الذين قَضَوْا بِالْحَقِّ وبه كانوا يَعْدِلُونَ ، وَلَقُوا اللَّهَ تَعَالَى وهو عنهم راضٍ
وهم عنه راضون .

وبعد ، فبحسب ما أفاضه الله على أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وسلامه - من
خلاقته في الأرض ، وفوضه إلى نظره المقدس في الأمور من الإبرام والنقض ،
وما استخلصه له من حياطة بلاده وعباده ، ووكّله إلى شريف نظره ومقدس
أجهاده ؛ لا يزال - صلوات الله عليه ^(١) - يكلأ العباد بعين الرّيايه ، ويسلك بهم
في المصالح العامة والخاصة مذاهب الرّشد وسبل الهداية ؛ وينشر عليهم جناحي
عدله وإحسانه ، ويُنعم لهم النظر في آرتياد الأمناء والصلحاء من خُصاء أكَفائه
وأعوانه ؛ متخيِّراً للإستعراء من استحمد إليه بمشكور المساعي ، وتعرّف إليه
في سياسة الرّعايا بجميل الأسباب والدواعي ؛ وسلك في مفترض الطاعة الواجبة على
الخلائق قَصْدَ السبيل ، وعلم منه حُسْنُ الأَضْطِلاع في مصالح المسلمين بالعبء
التّقييل ؛ والله عز وجلّ يؤيّد آراء أمير المؤمنين - صلوات الله عليه ^(١) - بالتأييد
والتّسديد ، ويمدّه أبداً من أقسام التوفيق الإلهيّ بالموفور والمزِيد ؛ ويقرّن عزائم
الشريفة باليمن والنجاح ، ويسنّي له فيما يأتي ويذر أسباب الخير والصلاح ؛
وما توفّق أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

(١) لم تقف على استعمال هذه الصيغة في عهد غير الفاطميين إلا في هذا العهد .

ولما وفق الله تعالى نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة ، وانلحم المشكوره ، والحظوة في جهاد أعداء الدين بالمساعي الصالحة ، والفوز من المراضى الشريفة الإمامية - أجلها الله تعالى - بالمغانم الجزيلة والصفقة الراجحة ؛ لما وصل فيه سالف شريف الاختصاص بأنفه ، وشفع تالده في تحصيل مأثور الاستخلاص بطاريفه ؛ وأستوجب بسلوكة في الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل ، وصرع في الإنعام عليه بمنشور شريف إمامي يسلك في أتباعه هُداة والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل - أقتضت الآراء الشريفة المقدسة - زادها الله تعالى جلالاً متألّق الأنوار ، وقُدسا يتساوى في تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار - الإيعاز بإجابته إلى ما وجه أمله إلى الإنافة فيه به إليه ، والجلب بصبغيه إلى ذروة الاجتباء الذي تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ؛ فقلده - على خيرة الله تعالى - الزعامة والغلات ، وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضياغ والصدقات ، والجوالي وسائر وجوه الجبايات ؛ والعرض والعتاء ، والنفقة في الأولياء ؛ والمظالم والحسبة في بلاده ، وما يفتححه ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاحين ، وبلاد من تبرز إليه الأوامر الشريفة بقصده من الشاذين عن الإجماع المنعقد من المسلمين ؛ و[من] يتعدى حدود الله تعالى بخالفته من يصل (?) من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلائق مقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعته و طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ؛ حيث قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . وأعمد - صلوات الله عليه وسلامه - في ذلك على حسن نظره ومدد رعايته ، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور آجهاده وكال سياسته ؛ وخصه من هذا الإنعام الجزيل بما

يَبْقَى له على تعاقب الدهر وأستمراره، ويَحْدِّ له على مَمَر الزمان حَسَن ذكره وجريل
نَحَارَه؛ وحباه بتقليد يُوطد له قواعد الممالك، ويفتح بإقليده رِجَال الأبواب والمسالك؛
ويفيد قاعدته في بلاده زيادة تقرير وتمهيد، ويَطِير به صِيئته في كُلِّ قريب
وبعيد؛ ووسمه بالملك الأجل، السيد، الكامل، المجاهد، المرابط؛ نصير الدين،
ركن الإسلام، أثير الأنام، تاج الملوك والسلاطين، قابع الكفرة والمشركين، قاهر
الخورج والتمردين، غازى بك محمد، بن أبى بكر، بن أيوب، معين أمير المؤمنين؛
رعاية لسوابق خدمة وخدم أسلافه وآبائه، عن وفور أجبائيه، وكال أزدلافه؛
وإنافه من ذروة القرب إلى محل كريم، واختصاصاً له بالإحسان الذى لا يلقاه
إلا من هو كما قال تعالى: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ . وتوقاً بصحة ديانتته التى يسلك فيها
سواء سويله، وأستنامة إلى أمانته فى الخدمة التى ينصح فيها لله تعالى ولرسوله؛
وركوناً إلى [كون] الإنعام عليه موضوعاً بحمد الله تعالى فى أحسن موضع، واقعاً به
لديه فى خير مستقر ومستودع .

وأمير المؤمنين - صلوات الله عليه (لا زالت الخيرة موصولةً بآرائه، والتأييدُ
الإلهيُّ مقروناً بإنفاذه وإمضائه) يستمد من الله عز وجل حُسْنَ الإعانة فى أصطفائه
الذى آقتضاه نظره الشريف وأعتاده، وأدى إليه آرتياده المقدس الإمامي
وآجتهاده؛ وحسبُ أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أمره بتقوى الله تعالى التى هى الجنة الواقية، والنعمة الباقية؛ والمَلْجأ المنيع،
والعماد الرفيع؛ والذخيرة النافعة فى السر والتجوى، والجدوة المقتبسة من قوله
سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وأن يدرع بشعارها، فى جميع الأقوال
والأفعال، ويهتدى بأنوارها، فى مشكلات الأمور والأحوال؛ وأن يعمل بها سرّاً

وجَهْرًا، وَيُشْرَحَ لِلْقِيَامِ بِجُدُودِهَا الْوَاجِبَةِ صَدْرًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعِظْ لَهُ أَجْرًا) .

وَأَمْرُهُ بِتِلَاوَةِ ذَاتِ اللَّهِ مُتَدَبِّرًا غَوَامِضَ عَجَائِبِهِ ، سَالِكًا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَالْهُدَايَةِ فِي الْعَمَلِ بِهِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِثَالًا يَتَّبِعُهُ وَيَقْتَفِيهِ ، وَدَلِيلًا يَهْتَدِي بِرَأْسِهِ الْوَاضِحَةِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ؛ فَإِنَّهُ الثَّقَلُ الْأَعْظَمُ ، وَسَبَبُ اللَّهِ الْمُحْكَمُ ، وَالنُّورُ الَّذِي يَهْدِي بِهِ إِلَى التِّيْهِ هِيَ أَقْوَمُ ؛ ضَرْبَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ لِعِبَادِهِ جَوَامِعَ الْأَمْثَالِ ، وَبَيْنَ لَهْمِ يَهْدَاهِ الرَّشْدَ وَالضَّلَالَ ، وَفَرَّقَ بَدَلَاتِهِ الْوَاضِحَةِ بَيْنَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى مَقْرُوضِ الصَّلَوَاتِ ، وَالدُّخُولِ فِيهَا عَلَى أَكْمَلِ هَيْئَةٍ مِنْ قَوَائِنِ الْخُشُوعِ وَالْإِخْبَاتِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ فِي مَوْضِعِ سَجُودِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنْ يُمَثِّلَ لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْعَرْضِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ . وَأَنْ لَا يَسْتَعْلِفَ بِشَاغِلٍ عَنْ أَدَاءِ فُرُوضِهَا الْوَاجِبَةِ ، وَلَا يَلْهَوْ بِسَبَبٍ عَنْ إِقَامَةِ سُنَنِهَا الرَّائِبَةِ ؛ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ الَّذِي نَمَتْ أَعَالِيهِ ، وَمِهَادُ الشَّرْعِ الَّذِي تَمَّتْ قَوَاعِدُهُ وَمَبَانِيهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْعَى إِلَى صَلَوَاتِ الْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ ، وَيُقُومَ فِي ذَلِكَ بِمَا فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ ؛ وَأَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ مُتَوَاضِعًا ، وَيَبْرُزَ إِلَى الْمَصَلِّاتِ الضَّاحِيَةِ فِي الْأَعْيَادِ خَاشِعًا ؛ وَأَنْ يُحَافِظَ فِي تَشْيِيدِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْوَاجِبِ

والمندوب ، ويعظم باعتماد ذلك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب ؛ وأن يشمل بوافر اهتمامه وأعتنائه ، وكإل نظره وإرعائه ؛ بيوت الله التي هي محال البركات ، ومواطن العبادات ؛ والمساجد التي تاكّد في تعظيمها وإجلالها حكمه ، والبيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ؛ وأن يرتب لها من الخدم من يتبتل لإزالة أذناسها ، ويتصدى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها ؛ ويقوم لها بما تحتاج إليه من أسباب الصلاح والعجارات ، ويحضر إليها ما يليق من الفرس والكسوات .

وأمره بالتّباع سنة النبي صلّى الله عليه وسلم التي أوصحّ جدّها ، وثقف - عليه السلام - أودها ؛ وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي نقلها الثقات ، والأحاديث التي صحّت بالطرق السليمة والروايات ؛ وأن يقتدى بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي تدبّ صلّى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغب أمته في الأخذ بها والعمل بأدبها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وأمره بمجالسة أهل العلم والدين ، وأولى الإخلاص في طاعة الله تعالى واليقين ؛ واستشارتهم في عوارض الشكّ والالتباس ، والعمل بأرائهم في التمثيل والقياس ؛ فإن الاستشارة لهم عين الهداية ، وأمن من الضلالة والغواية ؛ وبها تلقح عقم الأفهام والألباب ، ويقتدح زناد الرشد والصواب ؛ قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضلها ، والأمر في التمسك بجلها : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في نُغوره ، وأن يشملهم بحسن نظره وجميل تدبيره ؛ مستصاحبا نيّاتهم بإدامة التلطف والتعهد ، مستوضحاً أحوالهم بمواصلة التفحص والتفقد ؛ وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ، ويهديم

في أنتظامها وأساقها إلى الصراط المستقيم؛ ويَجْلِبُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِشَرَايِطِ الْخِدْمِ ،
والتَّمَسُّكِ مِنْهَا بِأَقْوَى الْأَسْبَابِ وَأَمْتِنِ الْعِصْمِ ؛ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَصْلَحَةِ التَّوَاصُلِ
وَالْإِتِّلَافِ ، وَيُصَدِّمُهُمْ عَنْ مُوجِبَاتِ التَّخَاذُلِ وَالْإِخْتِلَافِ ؛ وَأَنْ يَعْتَمِدَ فِيهِمْ شَرَايِطُ
الْحَزْمِ فِي الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ، وَمَا تَقْتَضِيهِ مَصْلَحَةُ أَحْوَالِهِمْ مِنْ أَسْبَابِ الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ ؛
وَأَنْ يُثَيِّبَ الْحَسْنَ عَلَى إِحْسَانِهِ ، وَيُسَيِّلَ عَلَى الْمُسِيءِ مَا وَسَّعَهُ الْعَفْوُ وَأَحْتَمَلَهُ الْأَمْرُ
ذَيْلَ صَفْحِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ؛ وَأَنْ يَأْخُذَ بِرَأْيِ ذَوِي التَّجَارِبِ مِنْهُمْ وَالْحُنْكَهَ ، وَيَجْتَنِي
بِمَشَاوَرَتِهِمْ فِي الْأَمْرِ ثَمَرَ الشَّرْكَهَ ؛ إِذْ فِي ذَلِكَ أَمْنٌ مِنْ خَطَا الْأَنْفِرَادِ ، وَتَرْخُجٌ عَنْ
مَقَامِ الزُّبُغِ وَالْأَسْتِبْدَادِ .

وَأَمْرُهُ بِالْتَّبَتُّلِ لِمَا يَلِيهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَيَتَّصِلُ بِنَوَاحِيهِ مِنْ نُفُورِ أَوْلَى الشَّرْكَ
وَالْعِيَادِ ؛ وَأَنْ يَصْرِفَ بِجَمَاعِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهَا ، وَيُحْصِنُهَا بِوُفُورِ الْإِهْتِمَامِ بِهَا وَالتَّطَلُّعِ
عَلَيْهَا ؛ وَأَنْ يُشْمَلَ مَا يَبْلَدُهُ مِنَ الْحُصُونِ وَالْمَعَاوِلِ بِالْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ ، وَيُنْتَهِيَ
فِي أَسْبَابِ مَصَالِحِهَا إِلَى غَايَةِ الْوُسْعِ وَنَهَايَةِ الْإِمْكَانِ ؛ وَأَنْ يُشْحَنَهَا بِالْمِيرَةِ الْكَثِيرَةِ
وَالذَّخَائِرِ ، وَيُمِدَّهَا مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْآلَاتِ بِالْعَدَدِ الْمُسْتَصْلِحِ الْوَافِرِ ، وَأَنْ يَتَخَيَّرَ
لِحِرَاسَتِهَا [مِنْ يَخْتَارُهُ] مِنَ الْأَمْنَاءِ الثَّقَاةِ ، وَلَسَدَّهَا مِنْ يَنْتَخِبُهَا مِنَ الشُّجْعَانِ الْكَمَّاهِ ؛
وَأَنْ يُؤَكِّدَ عَلَيْهِمْ فِي آسْتِعْمَالِ أَسْبَابِ الْحِفْظَةِ وَالْإِسْتِظْهَارِ ، وَيُوقِظَهُمْ لِلْإِحْتِرَاسِ مِنْ
غَوَائِلِ الْعَقْلَةِ وَالْإِغْتِرَارِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ الْمَشَارُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبَوَا فِي مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ عَلَى
مُكَافَأَةِ الشَّدَائِدِ ، وَتَدَرَّبُوا فِي نَصْبِ الْجَبَائِلِ لِلشَّرْكَينِ وَالْأَخْذِ عَلَيْهِمْ بِالْمَرَاصِدِ ؛
وَأَنْ يَعْتَمِدَ هَذَا الْقَبِيلَ بِمَوَاصِلَةِ الْمَدَدِ ، وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ ؛ وَالتَّوَسُّعِ فِي النِّفْقَةِ وَالْعَطَاءِ ،
وَالْعَمَلِ مَعَهُمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ حَالُهُمْ وَتَفَاوُتُهُمْ فِي التَّقْصِيرِ وَالْعَنَاءِ ؛ إِذْ فِي ذَلِكَ حَسْمٌ لِمَادَّةِ
الْأَطْعَامِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَرَدٌّ لِكَيْدِ الْمَعَانِدِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ ؛ فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا
الْفَرْضَ أَوْلَى مَا وُجِّهَتْ إِلَيْهِ الْعِنَايَاتُ وَصُرِفَتْ ، وَأَحَقُّ مَا قُصِرَتْ عَلَيْهِ الْهِمَمُ

وَوُقِفَتْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ مِنْ أَمِّ الْفُرُوضِ الَّتِي كَرَّمَ فِيهَا الْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، وَأَكْبَرَ
 الْوَاجِبَاتِ الَّتِي كَتَبَ الْعَمَلَ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَادِيًا فِي ذَلِكَ إِلَى
 سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَمَحْرُضًا لِعِبَادِهِ عَلَى قِيَامِهِمْ بِفُرُوضِ الْجِهَادِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ
 ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ
 مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يَنْفِقُونَ
 نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ نَزَلَ مَنَزِلًا يُحْيِفُ فِيهِ الْمُشْرِكِينَ وَيُحْيِفُونَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ
 سَاجِدٍ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرٌ قَائِمٍ لَا يَقْعُدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرٌ صَائِمٍ
 لَا يُفِطِرُ “ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” غَدَاةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ
 عَلَيْهِ الشَّمْسُ “ . هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ مَنْ سَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَوَقَفَ
 لِدَيْهَا ، فَكَيْفَ بِنِ كَانِ قَالِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ : مِمَّنْ كَانَتْ بَيْنَانِ
 فَرَسِهِ كُلِّهَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا “ .

وَأَمْرُهُ بِاِقْتِفَاءِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي رَعَايَاهُ ، وَالْأَهْتِدَاءِ إِلَى رَعَايَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ
 وَالْإِحْسَانِ بِمَرَّاشِدِهِ الْوَاضِحَةِ وَوَصَايَاهُ ؛ وَأَنْ يَسْتَلِكَ فِي السِّيَاسَةِ [بِهِمْ] سُبُلَ الصَّلَاحِ ،
 وَيَشْمَلَهُمْ بِبَلِينِ الْكَنْفِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ ؛ وَيَمُدِّ ظِلَّ رِعَايَتِهِ عَلَى مُسْلِمِهِمْ وَمُعَاهِدِهِمْ ،
 وَيُزْحِرِحَ الْأَقْدَاءَ وَالشُّوَابِبَ عَنْ مَنَآهَلِهِمْ فِي الْعَدْلِ وَمَوَارِدِهِمْ ؛ وَيَنْظُرَ فِي مَصَالِحِهِمْ
 نَظْرًا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَيُقِيمُ بِأَوْدِهِمْ قِيَامًا يَهْتَدِي بِهِ وَيَهْدِيهِمْ
 فِيهِ إِلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
 ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وأمره باعتبار أسباب الإستظهار والأمانة، وأستقصاء الطاعة المستطاعة والقُدرة
الممكنة، في المساعدة على قضاء تَفَثِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزُورِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ
الصلاة والسلام ؛ وأن يُمِدَّهُم بِالْإِعَانَةِ فِي ذَلِكَ عَلَى تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ وَبُلُوغِ الْمَرَامِ ،
ويحرسهم من التخطف والأذى في حَالَتِي الظعن والمقام ؛ فَإِنَّ الْحُجَّ أَحَدُ أَرْكَانِ
الدين المشيِّده ، وفروضه الواجبة المؤكَّده ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ
حَجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

وأمره بتقوية أيدي العاملين بحكم الشرع في الرعايا، وتنفيذ ما يصدر عنهم من
الأحكام والقضايا، والعمل بأقوالهم فيما يثبت لذوي الأستحقاق، والشد على أيديهم
فيما يرونه من المنع والإطلاق ؛ وأنه متى تأخر أحد الخَصْمِينَ عن إجابة داعي
الحكم ، أو تقاعس في ذلك لما يلزم من الأداء والعُدْم ، جَذَبَهُ بَعْنَانُ الْقَسْرِ إِلَى
مجلس الشرع ، وأضطره بقوة الإنصاف إلى الأداء بعد المنع . وأن يتوخى عمال
الوقوف التي تقرب المتقربون بها ، وأستسكوا في ثواب الله بمتين جبلها . وأن
يُمِدَّهُم بِجَمِيلِ الْمَعَاوَنَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ ، وَحُسْنِ الْمَوَازَرَةِ وَالْمُعَاذَةِ ، فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّنُ
بِالْعَارَةِ وَالْأَسْتِنَاءِ ، وَتَعُوذُ عَلَيْهَا بِالمصلحة والإستخلاص والإستيفاء ؛ قال الله تعالى :
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

وأمره أن يتغير من أولى الكفاءة والزاهة من يستخلصه للخدم والأعمال ،
والقيام بالواجب : من أداء الأمانة والحراسة والتمييز لبيت المال . وأن يكونوا من
ذوي الأضطلاع بشرائط الخدم المعينة وأمورها ، والمهتدين إلى مسالك صلاحها
وتدبيرها . وأن يتقدم إليهم بأخذ الحقوق من وجوهها المتيقنه ، وجبايتها في أوقاتها
المعينة ؛ إذ ذلك من لوازم مصالح الخند ووفور الإستظهار ، وموجبات قوة الشوكة

بكثير الأعوان والأَنْصار، وأسباب الحِفْظَةِ^(١) التي تُجْمَعُ بها البلادُ والأَمْصارُ؛ ويأمرهم بالجرى في الطُّسُوقِ^(٢) والشُّرُوطِ على التَّمَطِّ المعتاد؛ والقيام في مصالح الأعمال على أقدم الحدِّ والإجتهاد . وإلى العاملين على الصَّدَقَاتِ بأخذ الزَّكَّاتِ على مشرُوع السنن المهيَّج ، وقصد الصراطِ المُتَّبَعِ ؛ من غير عدول في ذلك عن المنهاج الشرعي ، أو تساهل في تبديل حُكْمِها المفروضِ وقانونها المرعي ؛ فإذا أُخِذت من أربابها ، الذين يُطهِّرون ويُرَكِّون بها ، كان العمل في صَرَفِها إلى مستحقها بحكم الشريعة النبوية وموجبها . وإلى جُباةِ الحزبية من أهل الذمَّةِ بالمطالبة بأدائها في أول السنة ، وأستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة والمسكنه ؛ إجراءً في ذلك على حكم الاستمرار والإنتظام ، ومحافظةً على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كلِّ من يستعمله في أمر من الأمور، ويُصرِّفه في مصلحةٍ من مصالح الجمهور ، تطلعاً يقتضى الوقوف على حقائق أماناتهم ، وموجب تهديهم في حركاتهم وسكَّاتهم ؛ ذهاباً مع النصيح لله تعالى في بريته ، وعملاً فيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " .

وأمره أن يستصليح من ذوى الأَضْطِلَاعِ والغنَاءِ ، من يرتب العَرَضَ والعطاء ، والنفقة في الأولياء ؛ وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيره ، والموسومين في المناجحة بإخلاص الطوية وإصفاة السريه ؛ حالين من الأمانة والصون بما يزين ، ناكين عن مظان الشبه والطمع الذي يصم ويشين ؛ وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في ضبط أسماء الرجال ، وتحلية الأشخاص والأشكال ؛ وأعتبار شيات

(١) في القاموس « الحفظة بالكسر والحفيظة الحمية والغضب » .

(٢) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم وليس بعربي خالص . أنظر اللسان .

الخيول وإثبات أعدادها ، وتحريض الجند على تخييرها وأقتناء جيادها ؛ وبذل الجُهد في قيامهم من الكراع واليزك والسلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ . فاذا نظقت جرائد الجند المذكورين بما أثبت لديهم ، وحقق الاعتبار والعيان قيامهم بما وجب عليهم ؛ أُطلقت لهم المعاش والأرزاق بحسب إقراراتهم ، وأوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم وأستحقاقاتهم : فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام الأمر بما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى من يكون بأمرها مضطلعا ، وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبعا ؛ فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب ، ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسنان اللاجب ؛^(١) في الأسواق لأعتبار المكايل والموازين . ويقبمه [مقامه] في مؤاخذه المطففين وتأديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ؛ ويحذرهم في تعدى حدود الإنصاف شدة نكاله ، ويقابل المستحق المؤاخذه بما يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّيِّئِ وَلَا تَحْسَبُوا النَّاسَ شِئَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ وَيَلِ لِلطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ زَنَوْهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) يلبس في الأصل ولعله « ويطوف في الأسواق » الخ .

فليتولَّ الملكُ السَّيِّدُ، الكاملُ، المجاهدُ، المرابطُ؛ نصيرُ الدينِ، ركنُ الإسلامِ،
 أثيرُ الأنامِ، جلالُ الدوله، نجرُ المله، عزُّ الأمة، سندُ الخِلافه، تاجُ الملوكِ
 والسلاطينِ، قانعُ الكُفْرَةِ والمُشركينِ؛ قاهرُ الخَوارجِ والمُتمردينِ، أميرُ المجاهدينِ،
 غازى بكِ معينِ أميرِ المؤمنينِ - ماقلدهُ عبدُ الله وخليفتهُ فى أرضه، القائمُ له بحقه
 الواجبِ وفرضه؛ أبو جعفرِ المنصورِ المستنصرُ بالله أميرِ المؤمنينِ، تقليدُ مطمئنٍ
 بالإيمانِ، وينصحُ لله ولرسوله وخليفته - صلواتُ الله عليه - فى السِّرِّ والإعلانِ؛
 ويُشرِّحُ بما فُوِّضَ إليه من هذه الأمورِ صَدْرًا، ويُقِمُّ بالواجبِ عليه من شُكْرِ هذا
 الإنعامِ الجزيلِ سِرًّا وجهْرًا؛ ويُعملُ بهذه الوصايا الشريفةِ الإماميةِ، ويُقِفُ آثارَ
 مَرِاشِدها المقدَّسةِ النبويةِ؛ ويُظهِرُ من أثرِ الحُدِّ فى هذا الأمرِ والاجتهادِ، وتحقيقِ
 النظرِ الجميلِ لله والإرشادِ، ما يكونُ دليلًا على تأييدِ الرأى الأشرفِ المقدَّسِ - أجله
 الله تعالى - فى أصطناعه وأستكفائه، وإصابةِ مواقعِ النُجْحِ والرَّشْدِ فى التفويضِ
 إلى حُسنِ قيامه وكِمالِ أَعْتِنائِهِ؛ فَلْيَقْدِرِ النعمةَ فى هذه الحالِ حَقَّ قَدْرِها، ولْيَمْتَرِ
 باداءِ الواجبِ بما غَلَبَ عليه من جزيلِ الشكرِ غَيْرَ دَرَدِها؛ ولْيَطالِعْ مع الأوقاتِ
 بما يُشكِلُ عليه من الأمورِ الغوامِضِ، ولْيُنِهْ إلى العلومِ الشريفةِ المقدَّسةِ - أجلها الله
 تعالى - ما يلبسُ عليه من الشكوكِ والغوامِضِ (؟)؛ لِيَرِدَ عليه من الأمثلةِ ما يُوَضِّحُ له
 وجهَ الصوابِ فى الأمورِ، ويستمدُّ من المَرِاشِدِ الشريفةِ التى هى شفاءُ لما
 فى الصدورِ بما يكونُ وروده عليه وتتابعه إليه نورًا على نورٍ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة العهد الذى كتب به الصاحبُ نجرُ الدينِ : إبراهيم بن لقمانَ ،
 للظاهرِ بيبرسَ، التى أنكر عليه القاضى شهابُ الدين بن فضل الله فى "التعريف"
 ابتداءها بحُطبة، وهى :

الحمد لله الذي أضفى [على الإسلام] ^(١١) ملايس الشرف، وأظهر دُرره وكانت خافية بما استحکم عليها من الصدف؛ وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف، وقيص لنصره ملوكًا اتفق على طاعتهم من أختلف .

أحمده على نعمه التي رعت الأعين منها في الروض الأنف، وألطافه التي وقفت الشكر عليها فليس له عنها منصرف؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أمنًا، وتسهل من الأمور ما كان حزنًا؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جبر من الدين وهنا، وصفيه الذي أظهر من المكارم ففونا لافنا؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحى مناقبهم باقية لاتفى، وأصحابه الذين أحسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة من الحسنى .

وبعد، فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، واحقهم أن يُصبح القلم ساجدًا وراكعًا في تسمير مناقبه ويره؛ من سعى فأضى بسعيه الجميل متقدمًا، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان منجداً ومثما؛ وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زندا ومعضما، ولا استباح بسيفه حمى وعى إلا أضرمه نارًا وأجراه دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مخصصة بالمقام العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الظاهرى، الركنى، شرفه الله تعالى وأعلاه، ذكره الديوان العزیز، النبوى، الإمامى، المستنصرى - أعز الله تعالى سلطانه - تويها بشريف قدره، واعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره؛ وكيف لا؟ وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقعدتها زمانه الزمان، وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان، وأستعتب دهرها المسمى فأعتب، وأرضى عنها زمانها وقد كان صال

عليها صَوْلَةٌ مُغْضَبٌ ؛ فأعاده لها سَلَامًا بعد أن كان عليها حَرْبًا ، وَصَرَفَ أَهْتَامَهُ فَرَجَعَ كُلُّ مُتَضَائِقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَإِسْعًا رَحْبًا ؛ وَمَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ حُتُوًا وَعَطْفًا ، وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يُخْفَى ، وَأَبْدَى مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِالْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْ رَامَهُ غَيْرُهُ لَأَمْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ تَمَسَّكَ بِجَبَلِهِ مِمَّسَّكَ لَأَنْقَطَعَ بِهِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ؛ لَكِنَّ اللَّهَ أَذْخَرَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ لِيُنْقَلَّ بِهَا فِي الْمِيزَانِ ثَوَابُهُ ، وَيُخَفَّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابُهُ وَالسَّعِيدُ مِنْ خُفَّفَ حِسَابُهُ ؛ فَهَذِهِ مَثَقَبَةُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُخَلِّدَهَا فِي صَحِيفَةٍ صُنِعَتْ ، وَتَكْرَمَةٌ قُضِّتْ لِهَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بِجَمْعِهِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُكَ هَذِهِ الصَّنَائِعَ ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْلَا أَهْتَامُكَ لَأَسْعَ الْحَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ ؛ وَقَدْ قَلَّدَكَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ ، وَالْدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْحِجَازِيَّةَ وَالْيَمِينِيَّةَ وَالْقُرَاتِيَّةَ ؛ وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْفُتُوحَاتِ غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَفَوْضَ أَمْرٍ جُنْدَهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حِينَ أَصْبَحَتْ فِي الْمَكَارِمِ قَرْدًا ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ مِنْهَا بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا مِنَ الْحِصُونِ مُسْتَنْثَى ، وَلَا جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ تُعَدُّ فِي الْأَعْلَى وَلَا الْأَدْنَى .

فَلَا حِظَّ أُمُورَ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا حَامِلًا ، وَخَلَّصَ نَفْسَكَ مِنَ التَّبِعَاتِ الْيَوْمَ فَمَنْ غَدٍ تَكُونُ مَسْئُولًا لَا سَائِلًا ؛ وَدَعَّ الْأَغْتِرَارَ بِالدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا ، وَمَا رَأَاهَا أَحَدٌ بَعِينَ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا خَيَالًا زَائِلًا ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ أَمَالَهُ الْمَوْصُولَهُ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقَدَّمَ غَيْرَ التَّقْوَى مُرَدُّدَةً لَا مَقْبُولَهُ ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ الْمَرْءِ دُنُوبًا وَأَنَامًا ، وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا فِيهِ كِعِبَادَةِ الْعَابِدِ سِتِّينَ عَامًا ؛ وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، إِلَّا وَاجْتَنِبَتْ ثَمَارُهُ مِنْ أَفْنَانٍ ؛ وَتَرَاجَعَ الْأَمْرُ فِيهِ بَعْدَ تَدَاعَى أَرْكَانِهِ وَهُوَ مَشْبِيدُ الْأَرْكَانِ ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ ؛ وَكَانَتْ

أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَهْيَأُ مِنَ الْأَعْيَادِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْعْيُونِ مِنَ الْغُرْرِ فِي أَوْجِهِ الْجِيَادِ ،
وَأَحْلَى مِنَ الْعُقُودِ إِذَا حَلَّى بِهَا عَطَلِ الْأَجْيَادِ .

وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى تَوَابٍ وَحُكَّامٍ ، وَأَصْحَابِ رَأْيٍ مِنْ أَصْحَابِ
السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ؛ فَإِذَا آسْتَعْنَتَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي أُمُورِكَ فَتَقَبَّ عَلَيْهِ تَنْقِييَا ، وَاجْعَلْ
عَلَيْهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ رَقِيْبًا ؛ وَسَلِّ عَنْ أَحْوَالِهِ فَفِي الْقِيَامَةِ تَكُونُ عَنْهُ مَسْئُولًا وَبِمَا أَجْرَمَ
مَطْلُوبًا ، وَلَا تُؤَلِّ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لَكَ لَا ذُنُوبًا ؛ وَأَمْرُهُمْ
بِالْأَنَاءَةِ فِي الْأُمُورِ وَالرَّفْقِ ، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَىٰ إِذَا ظَهَرَتْ أَدَلَّةُ الْحَقِّ ؛ وَأَنْ يَقَابِلُوا الضَّعْفَاءَ
فِي حَوَائِجِهِمْ بِالْفَتْرِ الْبَاسِمِ وَالْوَجْهَ الطَّلُقِ ، وَأَنْ لَا يُعَامِلُوا أَحَدًا عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ
إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ ؛ وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعْيَةِ إِخْوَانًا ، وَأَنْ يُوسِعُوهُمْ
رِيًّا وَإِحْسَانًا ؛ وَأَنْ لَا يَسْتَحِلُّوا حُرْمَاتِهِمْ إِذَا آسْتَحَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ حِرْمَانًا ، فَالْمُسْلِمُ أَخُو
الْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ أَمِيرًا وَسُلْطَانًا ؛ وَالسَّعِيدُ مَنْ تَسَّجَّ وَوَلَّيْتَهُ فِي الْخَيْرِ عَلَى مَنْوَالِهِ ،
وَأَسْتَسَنَّ بِسُنَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَتَحَمَّلَ عَنْهُ مَا تَعَجَّزَ قَدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَنْقَالِهِ .

وَمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُحْيَىٰ مَا أُحْدِثَ مِنْ سَيِّئِ السُّنَنِ ، وَجُدِّدَ مِنَ الْمَظَالِمِ الَّتِي هِيَ
مِنْ أَعْظَمِ الْمَحْنِ ، وَأَنْ يُسْتَرَىٰ بِإِبْطَالِهَا الْحَامِدُ رَخِيصَةً بِأَعْلَى ثَمَنٍ ؛ وَمَهْمَا جِيءَ مِنْهَا
مِنَ الْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ فِي الذَّمِّ حَاصِلُهُ ، وَأَجْيَادُ الْخِزَانِ إِنْ أَصْحَحَتْ بِهَا حَالِيَّةٌ
فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ ؛ وَهَلْ أَشْقَىٰ مِمَّنْ أَحْتَقَبُ إِثْمًا ، وَأَكْتَسَبَ
بِالْمَسَاعِيِ الذَّمِيَّةِ ذَمًّا ؛ وَجَعَلَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ [لَهُ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصْمًا ، وَتَحَمَّلَ ظُلْمَ
النَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

وحقيق بالمقام الشريف المولوي، السلطاني، الملكي، الظاهري، الركني
أن تكون ظلمات الأنام مردودة بَعْدَهُ ، وَطَاعَتُهُ مُخَفَّفٌ نَفْلًا لِأَطَاقَةِ لَهُمْ بِحَمْلِهِ ؛

فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخرها ، فاحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هدى يوجب لك منزلة التقديم ، ويثبت الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم ؛ وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى ، ويوالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين لك أنك صرت في الأمور أصلا وصار غيرك فرعاً .

ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضحى على الأمة فرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصحائف مبيضا ، وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعد لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة التى لا تغوف فيها ولا تأنيم ؛ وقد تقدمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرع فى سواد الحساد ، وعرفت منك عزيمة وهى أمضى مما تحبته ضمائر الأعماد ، وأشتهرت لك مواقف فى القتال وهى أشهر وأشهى إلى القلوب من الأعياد ؛ وبك صان الله حى الإسلام أن يتبدل ، وبِعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ؛ وسيفك أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تسدمل ، وبك يرجع أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه فى الأيام الأول ؛ فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجعا ، وكُن فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابع ، وأيد كلمة التوحيد فما تجدد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا ؛ ولا تحل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفال بيدل مادجا من ظلماتها بالنور ؛ فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وعلى العدو داعية أفتراق لا اجتماع ، وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفتا ناظرا ؛ لاسيما ثغور الديار المصرية فإن العدو وصل إليها راجحا وراح خاسرا ، وأستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم عابرا ؛ وكذلك الأسطول الذى ترى خيله كالأهله ، وركابته سابقة بغير سائق . مستغله ؛ وهو أخو الجيش السليمانى فإن ذاك غدت الريح له حامله ،

وهذا تكفّلت بحمله الرّيح السابله ؛ وإذا لحظها الطّرف جاريةً في البحر كانت كالأعلام، وإذا شهبها قال : هذه ليالٍ تُقلعُ بالأيام ؛ وقد سنى الله لك من السعادة كلّ مطلب، وآتاك من أصالة الرأى الذى يُريك المُعَيَّب ؛ وبسط بعد القبض منك الأمل، ونشط بالسعادة ما كان من كسل ؛ وهداك إلى مناهج الحقّ ومازلت مهتدياً إليها ، وأزمتك المرآشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ؛ والله تعالى يُمدك بأسباب نصره ، ويوزعك شكر نعمه فإنّ النعمة تستمُّ بشكره ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة عهد كتب بها القاضى محي الدين بن عبد الظاهر ، للسلطان الملك المنصور قلاوون، عن الخليفة الإمام أبى العباس أحمد الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره على هذه الطريقة، وهى :

الحمد لله الذى جعل آية السيف ناسخةً لكثير من الآيات، وفاسخةً لعمود أولي الشكّ والشبهات ؛ الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأهل لأموال البلاد والعباد من جاءت خوارق تملكه بالذى إن لم يكن من المعجزات فمن الكرامات .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسية بعد القُطوب حسنة الإتيان ، وبعد الشحوب جميلة الإتيان ، وبعد التشريد كل دار إسلام لها أعظم من دار السلام .

والحمد لله على أن أشهدا مصارع أعدائها ، وأحد لها عواقب إعادة نصرها وإبدائها ، وردّ تشيبتها بعد أن ظنّ كل أحد أن شعارها الأسود ما بقي منه إلا ما صاتته العيون في جفونها والقلوب في سويدائها . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان، وتتمطر بنفحاتها الأفواه والأردان،
وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان. ونصلي على سيدنا محمد الذي أكرمنا
الله به وشرف لنا الأنساب، وأعزنا به حتى نزل فينا محكم الكتاب؛ صلى الله عليه
وعلى آله الذين أنجى الدين منهم عن أنجاب، ورضى الله عن صحابته الذين هم
خير صحاب؛ صلاة ورضوانا يوفي قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير
حساب (؟) يوم الحساب.

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور، وأظهر للإسلام سلطاناً أشدت
به للأمة الظهور وشفيت الصدور؛ وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور
كما أقامها فيما مضى بالمنصور، واختار لإعلان دعوتها من ينجي معاملها بعد العفاء
ورسومها بعد الدثور؛ وجمع لها الآن ما كان جمح عليها فيما قبل من خلاف كل
ناجم، ومنحها ما كانت تبشرها به ^(١) محف الملاحم؛ وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة
العلوية بخير سيف مشحود ماضى الغزائم، ومازج بين طاعتها في القلوب وذكورها
في الألسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم؟؛ وأخرج لحياطة الأمة المحمدية ملكا
تقسم البركات عن يمينه، وتقسم السعادة بنور جبينه؛ وتقهّر الأعداء بفتكاته،
وتهمر عقائل المعائل بأصغر راياته؛ ذو السعد الذي مازال نوره يشف حتى ظهر،
ومعجزه يرف إلى أن بهر؛ وجوهه ينتقل من جيد إلى جيد حتى علا الجبين،
وسره يكمن في قلب بعد قلب حتى علم - والحمد لله - نبأ تمكينه في الأرض بعد
حين؛ فاختره الله على علم، وأصطفاه من بين عباده بما جبّله الله عليه من كرم
وشجاعة وحلم؛ وأتى به الأمة المحمدية في وقت الاحتياج عوناً وفي إبان الاستمطار

غَنِيًّا ، وَفِي حِينِ عَيْثِ الْأَشْبَالِ فِي غَيْرِ الْإِقْتِرَاسِ لَيْشَا ؛ فَوَجَبَ عَلَيَّ مَنْ لَهُ فِي أَعْنَاقِ الْأُمَّةِ الْمَحْمَدِيَّةِ مُبَايَعَةُ رِضْوَانِ ، وَعِنْدَ أَيْمَانِهِمْ مَصَاحِفَةُ أَيْمَانِ ؛ وَمَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمِيرَاثِ مَنْصِبِ النَّبَوَّةِ ، وَمَنْ تَصَحَّحَ بِهِ كُلُّ وِلَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ يُؤَخَذُ كِتَابُهَا مِنْهُ بِقُوَّةِ ؛ وَمَنْ هُوَ خَلِيفَةُ الزَّمَانِ وَالْعَصْرِ ، وَمَنْ بَدَعَوَاتِهِ تَنْزِلُ بِالنَّصْرِ عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الْإِسْلَامِ مَلَائِكَةُ النَّصْرِ ، وَمَنْ نَسَبُهُ بِنَسَبِ نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتَشَجِّحًا ، وَحَسَبُهُ بِحَسَبِهِ مَمْتَرِحًا ، أَنْ يَفُوضَ مَا فُوضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْخَلْقِ ، إِلَى مَنْ يَقُومُ عَنْهُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ ؛ وَأَنْ يُؤَلِّيه وِلَايَةً شَرْعِيَّةً تَصَحَّحَ بِهَا الْأَحْكَامَ وَتَنْضِيطَ أُمُورِ الْإِسْلَامِ ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْعُصْبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ بِإِمَامِهِمْ مِنْ طَاعَةِ خَلِيفَتِهِمْ هَذَا بِنَجْرِ إِمَامِ ؛ وَنَحْرَجُ أَمْرَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - شَرَفَهُ اللَّهُ - أَنْ يَكُونَ لِلْقَرَّ الْعَالِي ، الْمَوْلِيُّ ، السَّلْطَانِيُّ ، الْمَلِكِيُّ ، الْمَنْصُورِيُّ ، أَجَلَهُ اللَّهُ وَنَصْرَهُ ، وَأُظْفَرَهُ وَأَقْدَرَهُ ، وَأَبَدَهُ وَأَبَدَهُ ، كُلِّ مَا فُوضَهُ اللَّهُ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُكْمٍ فِي الْوُجُودِ ، وَفِي التَّهَائِمِ وَالتَّجُودِ ؛ وَفِي الْمَدَائِنِ وَالخَزَائِنِ ، وَفِي الظَّوَاهِرِ وَالْبُؤَاطِنِ ؛ وَفِي مَا فَتَحَهُ اللَّهُ وَفِي مَا سَيَفْتَحُهُ ، وَفِي مَا كَانَ فَسَدَ بِالْكَفْرِ وَالرَّجَاءِ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ سَيُصْلِحُهُ ؛ وَفِي كُلِّ جُودٍ وَمَنْ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَمَنْ ؛ وَفِي كُلِّ هِبَةٍ وَتَمْلِكٍ ، وَفِي كُلِّ تَفَرُّدٍ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ شَرِيكَ ؛ وَفِي كُلِّ تَعَاهُدٍ وَتَبَدُّدٍ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَأَخْذٍ ؛ وَفِي كُلِّ عَزَلٍ وَتَوَلِّيٍّ ، وَفِي كُلِّ تَسْلِيمٍ وَتَخْلِيٍّ ؛ وَفِي كُلِّ إِرْفَاقٍ وَإِنْفَاقٍ ، وَفِي كُلِّ إِنْعَامٍ وَإِطْلَاقٍ ؛ وَفِي كُلِّ تَجْدِيدٍ وَتَعْوِيضٍ ، وَفِي كُلِّ حَمْدٍ وَتَقْرِيضٍ ؛ وَوِلَايَةً عَامَةً تَامَّةً مُحْكَمَةً ، مَنْضُدَةً مَنْظُمَةً ، لَا يَتَعَقَّبُهَا نَسْخٌ مِنْ خَلْفِهَا وَلَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ، وَلَا يَعْتَرِيهَا فَنَسْخٌ يَطْرَأُ عَلَيْهَا ؛ يَزِيدُهَا مَرَّ الْأَيَّامِ جَدَّةً يُعَاقِبُهَا حُسْنُ شَبَابٍ ، وَلَا يَنْتَهِي عَلَى الْأَعْوَامِ وَالْأَحْقَابِ ، نَعْمَ يَنْتَهِي إِلَى مَا نَصَبَهُ اللَّهُ لِلْإِرْشَادِ مِنْ سُنَّةٍ وَكِتَابٍ ؛

وذلك من شَرِّعَ اللهُ أقامه للهداية علماً ، وجعله إلى احتياز التَّوَابِ سُلْماً .
 فالواجب أن يعمل بِجُزْئِيَّاتِ أمره وَكُلِّيَّاتِهِ ، وأن لا يَخْرُجَ أحدٌ عن مَقَدَّمَاتِهِ ،
 والعدل فهو الغرسُ المُشْمِرُ ، والسَّحَابُ المُطْرِبُ ، والروضُ المزهْرُ ؛ وبه تَنَزَّلُ
 البركات ، وتختلف الهِبَاتُ ، وتُرْبِي الصدَقَاتُ ؛ وبه عِمَارَةُ الأرضِ ، وبه تُؤَدَّى السَّنَةُ
 والفرسُ ؛ فمن زرع العدلَ آجَتْنِي الخَيْرُ ، ومن أحسنَ كُفْيَ الصَّررِ والصَّبْرِ ؛ والظلمُ
 فعاقِبته وَخِيمه ، وما يطولُ عُمُرُ المُلْكِ إلا بالمَعْدَلَةِ الرحيمه ؛ والرعية فهمُ الوديعه
 عند أُولَى الأمرِ ، فلا يَخْصُصُ بِحَسَنِ النظرِ منهم زيدٌ ولا عَمْرُو ؛ والأموالُ ، فهي
 ذخائرُ العاقِبَةِ والمآلُ ؛ والواجبُ أن تُؤَخَذَ بِحَقِّهَا ، وتُنْفَقَ فِي مَسْتَحِقَّهَا ، والجهادُ
 برّاً وبحراً فمن كَنَانَةِ الله تُفَوِّقُ سِهَامُهُ ، وتَوَرَّخَ أَيَامُهُ ؛ وَيُنْتَضِي حُسَامُهُ ، وتَجْرِي
 مُنْشَأَتُهُ فِي البَحْرِ كالأعلامِ وتُنْشُرُ أعلامُهُ ؛ وفي عُقْر دَارِ الحَرْبِ يُحِطُّ رِكَابُهُ ، وَيُحِطُّ
 كِتَابُهُ ؛ وتُرْسَلُ أرسَانُهُ ، وتَجُوسُ خِلالَهَا فُرسَانُهُ ؛ فليَلْزِمَ مِنْهُ دَيْدَنَا ، وَيَسْتَصِحِبْ
 مِنْهُ فِعْلاً حَسَنًا ؛ وَجِيُوشِ الإِسْلَامِ وَكِبَاتُهُ ، وَأمرأُوهُ وَحَمَاتُهُ ؛ فهمُ مَنْ قد علمتَ
 قِدَمَ هِجْرِهِ ، وَعِظَمَ نُصْرِهِ ؛ وَشِدَّةَ بَاسِ ، وَقُوَّةَ مِرَاسِ ؛ وما مِنْهُمُ إِلا مَنْ شَهِدَ
 الفُتُوحَاتِ والحُرُوبِ ، وَأَحْسَنَ فِي المُحَامَاةِ عَنِ الدِّينِ الدُّعُوبِ ؛ وَهَمُ بَقَايَا الدُّوَلِ ،
 وَتَحَايَا المُلُوكِ الأوَّلِ ؛ لِاسْمِيَّأِ أُولَى السَّعْيِ النَّاجِحِ ، وَمَنْ لَمْ نَسِبْهُ صَالِحِيَّةً إِذَا نَفَرُوا بِهَا
 قِيلَ لَمْ : نَعَمُ السَّلْفِ الصَّالِحِ ؛ فَأَوْسِعْهُمْ بَرًّا ، وَكُنْ بِهِمْ بَرًّا ، وَهَمُ بِمَا يَجِبُ مِنْ
 خِدْمَتِكَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حُرْمَتِهِمْ أَدرى ؛ وَالثَّغُورُ والحِصُونُ فهمُ ذَخَائِرُ
 الشَّدَّةِ ، وَخِزَانُ العَدِيدِ والعُدَّةِ ، وَمَقَاعِدُ اللِّقْطَالِ ، وَكائِنُ الرِّجَاءِ والرِّجَالِ ؛ فَأَحْسِنْ لَهَا
 التَّحْصِينَ ، وَفَوِّضْ أَمْرَهَا إِلَى كُلِّ قَوِيٍّ أَمِينٍ ؛ وَإِلَى كُلِّ [ذِي] دِينٍ مَتِينٍ ، وَعَقْلٍ
 رَصِينٍ ؛ وَتَوَابِ المَمَالِكِ وَتَوَابِ الأَمْصَارِ ، فَأَحْسِنْ لَمْ الإِخْتِيَارِ ؛ وَأَجِمْ لَمْ
 الإِخْتِيَارِ ، وَتَفَقَّدْ لَمْ الأَخْبَارِ .

وأما ماسوى ذلك فهو داخلٌ في حدود هذه الوصايا النافعة ، ولولا أن الله أمرنا بالتذكير، لكانت تجايا المقرّ الأشرف السلطاني ، الملكيّ ، المنصوري ، مكتفيةً بأنوار المعية الساطعة ؛ وزمام كلِّ صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته ، هو تقوى الله قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

فليكن ذلك نصب العين ، وشغل القلب والشفقتين ؛ وأعداء الدين من أرمن وفرنج وبتار ، فأذقهم وبال أمرهم في كلِّ إيراد للغزو وإصدار؛ وتُرلأن تأخذ للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار ، وأعلم أن الله نصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار .

وأما غيرهم من مجاوريهم من المسلمين فأحسن باستنقاذك منهم العلاج ، وطبهم باستصلاحك فبالطّب الملكيّ والمنصوري ينصلح المزاج ؛ والله الموفق بمنه وكرمه .



وعلى هذه الطريقة مشى المقرّ الأشرف الناصري محمد بن البارزي الحموي صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية وسائر الممالك الإسلامية : بحمّل الله تعالى الوجود بوجوده ، وأناف بقدره على كيوان^(١) في آرتقائه وصعوده ، وجعله لسلطانه المؤيد رداءً مابداً سعد الملك صاعداً إلا كان له سعد سعوده .

فكتب على ذلك عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر « شيخ » خلد الله سلطانه ، عن الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباس أمير المؤمنين خليفة العصر -

(١) أسم لكونك زحل وهو ممنوع من الصرف للعلبية والعجمة لأنه ليس في كلام العرب أسم عنه ياء ولاه واو . انظر اللسان في مادة خ ون ج ١٦ .

أيد الله تعالى به الدين - في شعبان المكرم سنة خمس عشرة وثمانمائة، بعد خلع الناصر فرج؛ فأتى فيه بما أنجل الرّوض المنمنم والنجم الزاهر، وأوجب على العارف بنقد الأمرين أن يقول: كم ترك الأول للآخر؛ عدد فيه وقائعه المشهورة، وذكر مناقبه التي صارت على صفحات الأيام مرقومةً وعلى مرّ الليالي مذكورة، وفي بطون التواريخ على توالي الحديدين وتعاقب الدهور مسطوره؛ (فكتب على ذلك عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر شيخ خلد الله سلطانه)، ونصه: ^(١)

الحمد لله الذي جعل الدين بنصره مؤيداً، وأنتضاه لمصالح الملك والدين فأصبح ومن مرهفات عزمه باديةً بأئدة العدا، وفتح على فقر الزمان بشيخ ملك زويت له عوارف العدل ومعارف الفضل فاستغنى - ولله الحمد - بسعيد السعدا، وأصلح فساد الأحوال بأحكام رأيه وإحكام حكمه فأصبحت مأمونة الرءاء آمنة من الردى؛ وأمّن على أولياء الدولة الشريفة بمن لم يزل سهم تديره الشريف فيهم مُسدداً، ومياه الظفر جاريةً من قناة غوره الذي بذلك تعودا، وبجر إحسانه الكامل وإن قدم العهد المديد مجدداً.

والحمد لله الذي جعل وجوه هذه الأيام بالأمن مُسفرة، وليالى جودها بالعدل مُقمره؛ وعدّبات أوليائها بالأفراح مُزهره، وحدائق أخصائها بالنجاح مُثمره؛ ومنازل أعدائها مُقفرةً موحشه، ونوازيم مُدعرةً مُدهشه؛ وأجسادهم بأمراض قلوبهم مُشوشه، وأكبادهم بلواجج زفراتهم مُعطشه.

والحمد لله الذي جعل هذه الأيام الفاضلة الجلال جليلة الفضل، شاملة النظام، ناظمة السَّمَل، هاميةً بالمكرّمات هائمةً بالعدل؛ دانيةً القُطوف، معروفةً بالمعروف، مُغنيّةً الملهوف، مُرهبةً للألوف، متصرفّةً في الآفاق صارفةً الصروف؛ حمداً يُبرج

(١) تقدمت، هذه الجملة بنصها قبل ستة أسطر فلعلها تكررت من قلم الناسخ أو سهو من المؤلف فتنبه.

النُّفُوسَ ، وَيُزِيلُ الْبُوسَ ، وَيُدِيمُ السُّرُورَ ، وَيُدْهِبُ الْمَحْدُورَ ، وَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شُكُورٌ) .

نَحْمَدُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَفِيَّتِ الْأُمَّمُ بِظِلَالِهَا ، وَبَلَّغَتْ بِهَا النُّفُوسَ غَايَةَ آمَالِهَا ؛
وَرَوِيَتْ بَعْدَ ظَلَمِ الْخَوْفِ مِنْ حِيَاضِ أَمْنٍ زَلَالِهَا ، وَأَسْتَسَرَّتْ بَعْدَ الْحَزَنِ بِأَفْرَاحِ
قَبُولِهَا وَإِقْبَالِهَا ، وَارْتَفَعَتْ بَعْدَ انْخِفَاضِهَا رُءُوسَ أَبْطَالِهَا وَأَقْيَالِهَا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَدِيمُ النِّعْمَاءَ ، وَتُجْزِلُ الْعَطَاءَ ؛
وَتَكْشِفُ الْغَمَّاءَ ، وَتَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي قَرْنَ
طَاعَةَ أُولَى الْأَمْرِ بِطَاعَتِهِ ، وَأَيْدٍ مِنْ أَهْتَدَى مِنْهُمْ بِهِدَايَتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ لَمَّا اسْتَعَانَ
بِعِنَايَتِهِ ، وَأَظْلَهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَنْحَازُوا إِلَى حَوْزَتِهِ وَأَحْتَمَوْا بِجَمَابَتِهِ ، وَأَثْمَرَلَهُمْ غَرْسُ دِينِهِ
فَرَعَوْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَشَرَّفُوا وَكْرَمُوا .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِنُغْضِهِ سَابِقَهُ ، وَرَأْفَتُهُ بِعِبَادِهِ مِتْلَاحِقَهُ ،
وَكَانَتْ الْمَمَالِكُ الشَّرِيفَةُ قَدْ أَخْتَلَّتْ أُمُورُهَا ، وَصَارَ إِلَى الدُّثُورِ مَعْمُورُهَا ، وَأَشْرَفَ
عَلَى الْبَوَارِ أَمِيرُهَا وَمَأْمُورُهَا ؛ فَالْشَّرَائِعُ مَتَغَيَّرَتْ شَرَائِعُهَا ، وَالْعَوَائِدُ مَفْقُودَةٌ مَأْتَرُهَا ؛
وَالْمِظَالِمُ قَوِيٌّ سُلْطَانُهَا ، كَثِيرٌ أَعْوَانُهَا ؛ ضَعِيفٌ مُضَادِدُهَا ، قَلِيلٌ مُعَانِدُهَا ؛ فَلَا نَائِبُ
سِيَاسَةٍ إِلَّا مَشْغُولٌ بِالنَّوَابِ ، وَلَا حَاكِمٌ شَرَعٌ إِلَّا وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ
الْمَذَاهِبُ ؛ وَلَا تَاجِرٌ إِلَّا وَقَدْ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُ فَمَا رِيحَتْ ، وَلَا ذُو قِرَاضٍ إِلَّا وَرُءُوسُ
أَمْوَالِهِ قَدْ أَنْقَرَضَتْ ، وَلَا صَاحِبُ تَرَاثٍ إِلَّا وَقَدْ مَحِيَتْ آيَةُ مِيرَاثِهِ وَنُسِخَتْ ؛
وَلَا رُكْنٌ مَمْلُوكَةٌ إِلَّا وَقَدْ أَنْهَدَمَ أَسَاسُهُ ، وَلَا عَضُدٌ دَوْلَةٌ إِلَّا وَقَدْ بَطَلَ إِحْسَاسُهُ -
أَقَامَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِإِزَالَةِ هَذِهِ النَّوَازِلِ الْفَادِحَةِ ، وَإِحْمَادِ نَارِ هَذِهِ الْقَبَائِحِ الْفَادِحَةِ ؛

مَنْ تَوَقَّرَتِ الدَّوَاعِي عَلَى أَسْتِحْقَاقِهِ السُّلْطَنَةَ الشَّرِيفَةَ ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى انْتِحِصَارِ ذَلِكَ فِي أَوْصَافِهِ الْمُنِيفَةِ ؛ وَدَلَّتْ أَمَّاؤُ السُّعُودِ عَلَى مَحَلَّةِ الْجَلِيلِ ، وَجَنَابِهِ الَّذِي إِذَا لَازَبَهُ مِنْ خَافِ الدَّهْرِ رَجَعُ وَطَرَفِ الدَّهْرِ عَنْهُ كَلِيلٌ ؛ طَالَمَا أَضْفَى مُوَارِدَ الْعَدْلِ ، وَأَضْفَى أَدْيَالَ الْفَضْلِ ؛ وَأَمَّنَ الْخَائِفَ ، وَرَوَّعَ الْخَائِفَ ؛ وَأَمْضَى فِي الْجِهَادِ عَزَمَهُ ، وَأَنْفَذَ فِي السَّرَايَا إِلَيْهِ حُكْمَهُ ، وَسَدَّدَ إِلَى مَعَاوِنِهِ فِي غَرَضِ الْكُفَّارِ سَهْمَهُ ؛ وَفَتَحَ الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بَعْدَ الْإِنْسِدَادِ ، وَأَنْعَمَ عَلَى الْفَانِعِ وَالْمَعْتَرِّ بِالرَّاحِلَةِ وَالرَّادِ ؛ وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ ، وَجَعَلَهَا آهَلَةً بِالرَّائِعِ وَالسَّاجِدِ ؛ وَجَلَّا عُرُوسَ الْأُمُومَى فِي حُلَلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَأَعَادَ عُودَ مَنبَرِهِ الذَّائِلِ وَهُوَ نَضِيرٌ . هَذَا مَعَ شَجَاعَةٍ شَاهَدَهَا وَشَهِدَ بِهَا أَبْطَالَ الْإِسْلَامِ ، وَسَطُوعَةَ تَحْشَاهَا الْأُسُودُ فِي الْآجَامِ ، وَوَقَارٍ يُخْضَعُ بِالْهَيْبَةِ رُعُوسَ الْأَعْلَامِ ؛ وَبِشْرِ يَطْلُعُ بَجْرَهُ مِنْ طَالِعِ جَبْهَتِهِ ، وَنُورٍ سَاطِعٍ مِنْ جِهَةِ جَبْهَتِهِ ؛ وَحِيَاءٍ مَتَطَّلِعُ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَحِبَاءٍ مَتَدَفَّقُ مِنْ أَمَلْتِهِ ؛ وَكُنْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْمُؤَيَّدُ - لَا زَالَ شَمْلُ الدِّينِ بِكَ مُجْمُوعًا ، وَعَلِمُ الْإِسْلَامِ مَرْفُوعًا ، وَقَلْبُ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالنَّفَاقِ مَرُوعًا - أَنْتَ الْمُتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ، وَالكَاشِفُ لِنُكْ الشَّدَائِدِ الشَّدِيدَةِ ؛ فَلَمْ يَرَعُكَ خَطَرُ الْخَطَّارَةِ ، وَلَا أَنْحِلَالُ أَهْلِ صَرْخَدٍ حَيْثُ أَشْتَهَرَتْ عِزَاتُ صَوَارِمِكَ الْبِتَّارَةِ ؛ وَلَا خَطَرْتُكَ مِنَ الْقَيْسَارِيَّةِ إِلَى الرِّيدَانِيَّةِ فِي أَسْرَعِ مَنْ غَفَوَهُ ، وَالشَّيْخُ لَا تُتَكْرَهُ لَهَ الْخَطُوهُ ؛ وَلَا مَشَاهِدَةُ الْحِمَامِ فِي الْحَمَامِ ، وَلَا زَاغَ بَصْرِكَ بِاللُّجُونِ حِينَ أَظْلَمَ الْقَتَامُ ؛ حَتَّى زَالَ الْمَانِعُ ، وَهَجَعَ الْهَاجِعُ ؛ وَأُمِنْتَ الْخُطُوبَ ، وَفُرِّجْتَ الْكُرُوبَ ؛ وَخَلَّأَ دَسْتُ السُّلْطَنَةَ مِمَّنْ نَكَّتْ الْأَيْمَانَ ، وَأَصْرَّ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَأَقْرَرْتَ أَسْمَ الْخِلَافَةِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ ، لَيْسْتَ خَيْرَ اللَّهِ فِي الْأَصْلَحِ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

هَذَا وَرَأَى أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَأَمْرَائِهِ ، وَقُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَمَشَائِخِهِ وَصُلَحَاتِهِ ؛ وَخَاصَّتَهُ وَعَامَّتِهِ ، وَرَأَى مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ

الدين ، وجمع بين بركته شمل الإسلام والمسلمين ؛ مجمع على تفويض أمر المسلمين
 وولاية عهدهم وكفالة السلطنة الشريفة والإمامة العظمى إليك - خلد الله سلطانك ،
 وجعل الدهر خديك والملائكة أعوانك ؛ فقدّم أمير المؤمنين من الاستخارة أمام
 هذا التقليد ما يعترف في السنة الشريفة ويقدم ، وعلم أنّ المصلحة فيما خارّه الله له
 وللأمة من ولايتك أيها الملك المبجل والسلطان الأعظم ؛ وأنك أبرأ للذمة ، وأبر
 بالأمة ؛ وشاهد بإجماع الأمة على ساطنتك من التآلف والاتفاق ، مانع الخلاف
 والشقاق ؛ وما سرّ الجمهور الطائعين من غير دفاع ، والجحّم الغفير لبديع آرائك ورفيع
 راياتك مُذعنين لحسن الاتّباع ؛ وأهل الحلّ والعقد لأمرك ونبيك قد خضعت
 منهم الرقاب ، وسارعوا إلى إجابة دعوتك حين أتضحت لهم أدلة الصواب .
 والزمان بإفضاء الأمر إليك قد طاب واعتدل ، والأرض في مشارقتها ومغاربها
 بمهاتك قد أمنت من الوجل ، والنفوس الأبية قد أذعنّت لمبايعتك من غير مهل ؛
 والفتنة وقد ردّ الله بالغيظ مثيرها ، والألفة وقد برقت من سرائر أهل التوحيد
 أساريها ؛ والعساكر المنصورة قد أحاطت به كما أحاطت بالبدور الهاله ، وقد أنزل
 الله عليك ناموس المهابة والحلاله ؛ وفوض إليك ما ولاه الله من أمور الإسلام
 والمسلمين ، وأسند إليك ما في يده من مصالح عباده المؤمنين : لتقيم على أساس
 أحكام دعائم الدين القويم ، وتسير الخلائق على منهاج طريقك المستقيم ؛
 وتحسّن - إن شاء الله - برعايتك عاقبة الرعيه ، كما أصبحت قلوبهم بك راضية
 مرضية .

وعهد إليك أمير المؤمنين في كلّ ما وراء سرير خلافته ، وفي كلّ ما يرتبط بأحكام
 إمامته ؛ وكذلك ذلك شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، وبراً وبحراً ، وسهلاً ووعراً ؛
 وفي كلّ ماله من الملك والمالك ، وما يفتحّه [الله] على يدك بعد ذلك ؛ تفويضاً

شاملاً، وتقليداً كاملاً؛ وعهداً تاماً، وإسناداً عاتماً؛ ولايةً مكلّةً البنيان، مؤسّسةً على تقوى من الله ورضوان؛ وسلطنةً آخذةً بالذم، مشتملةً على جميع الأمم؛ يدخل في هذا العهد العامّ والتفويض التام، والرأى الذى شهد له إجماع الأئمة بالإحكام؛ [يدخل في ذلك] مفضول الناس وفاضلهم، وعالمهم وجاهلهم؛ وخاصهم وعامهم، وناقصهم وتامهم؛ وشريفهم ومشروفهم، وقويهم وضعيفهم؛ وأميرهم ومأمورهم، وقاهرهم ومقهورهم؛ والجمع والجماعات، وبيوت العباد والطاعات؛ والقضاة وأحكامها، والخطباء ومنابرها وأعلامها؛ والجيوش والعساكر والكاتب، ورب سيف وكتب إنشاء وقلم حاسب؛ وطوائف الرعايا على اختلاف أطوارهم، ونفاوت أرزاقهم وأقدارهم؛ والعربان والعشائر، وبيوت الأموال والذخائر؛ ودانى الأمم وقاصيها، وطائعها وعاصيها؛ والخراج وجباياته، والمصروف وجهاته؛ والصدقات ومستحقوها، والرزق ومرترقوها؛ والإقطاعات والأجناد، وما يستعد [به] لمواطن الجهاد؛ والمنع والعطاء، والقبض والإمضاء؛ والخمس والزكوات، والهدن والمعاهدات، والبيع والقامات؛ وما يظهر من أمور الملك وما يخفى، وما تستدعيه براعتك فى السر والخفا؛ وشعار السلطنة وأهبتها، ونواميس الملك وحرمتها .

فاجبت - رعاك الله - دعوة أمير المؤمنين ودعوتهم لقبول ذلك مسؤلاً، معتمداً على أن الله سينزل إليك من الملائك فعلاً وقولاً؛ فاجلس - أيدك الله - على تحت ملكٍ قد هياه الله لمواقفك المطهره، وسرير سلطنة علقت سرير سعدك الأجدد فقاعست الهمم عنه مقصره .

فالحمد لله ثم الحمد لله عن الدهر وأبنائه، ولا مثل هذه النعمة بهذا الخبر وأبنائه؛ **﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ﴾** وهذا ما كان من قضية الدين على رغم

(١) ما بين القوسين فى الأصل وهو من زيادة النسخ كما لا يخفى .

الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ؛ وهذا ما كانت الآمالُ تنتظرُ ورُودَه ، وجواری القِدَمِ ترتقبُ
سُعودَه :

والله ما زادوك مُلكاً إِمَّا * زادوا أكُفَّ الطالِبين نوالاً!

وأما الوصايا ، فانت بجد الله طالماً ملأت بها الأسماع ، وكشفت عاطفتك لمن
أردت ترتيبه عنها القناع ؛ ولكن عهد من تعبداتك السماع لشدوها ، والطرب
لحدوها ؛ فعليك بتقوى الله ، فيها تورقُ أغصانُ الأرب الذوابل ، ويُغرّد طائرُ عرك
الميمونُ بالأشجار والأصائل ؛ فاجعلها ربيعَ صدرك ، وأينع بها حدائق فكرك ؛
وروح بعرفها الأريح أرجاء مُلكك ، وأجرِ الشرع الشريف على ما عودته من نصرك ،
والعلماء على ما ألقوه من برك وخيرك ؛ فهم ورثة الأنبياء عليهم السلام ، والدالون على
الشريعة بأسنة أعلامهم ما يكُل عنه حد الحسام ؛ وطهر منصب الشرع الشريف
من الرذائل ، وضمن أيام مُلكك الشريف عن الجهال والآكلين أموال الناس
بالباطل ؛ والعدل - ونستغفر الله - فإنك مُتمر لغراسه ، رافع ما أنهدم من أساسه ؛
قد جهلته مجلس محاماتك ، وأنيس خلواتك ؛ والفضل - وبرك أنجمل الأعلام
فلومر بك راجيك على الصفا لأرتاح للعروف ، أو شاهد هباتك حاتم لرجع طرفه
عنها وهو مطروف ؛ ولا سرف في الخير ، ولا ضرر ولا ضير ؛ وأمر بالمعروف وأنه
عن المنكر فانت المسئول بين يدي الله عن ذلك ، وأنه نفسك عن الهوى بحيث
لا يراك الله هنالك ؛ وحدود الله فلا تتعداها ، والرايا فخطها بعين رعايتك وأرعاها ؛
وجند الجنود برأ وبجرا ، وأنل أعداءك قهراً وقسراً ؛ وراجع النظر في أمر تواب
السلطنة الشريفة مراجعة الناقد البصير ، وتيقظ لصيانة قلاع الممالك ومعاقلها
وحصونها ، وتخبر لها من ليس بمشكوك المناصحة ولا مظنونها ؛ وحطها مع عمارتها

بالعِدَّة والعُدَد، والأقواتِ لِكَيْ تَطْمَئِنَّ النُّفُوسُ بِمَدَدِهَا مِنْهَا إِذَا طَالَتْ الْمُدَّةُ؛ وَتَفْقَدَ أَحْوَالَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْتَعْدِمِ، وَأَرَعَ حُقُوقَ مَنْ لَهُ بِهَا خِدْمَةٌ مُتَقَدِّمَةً؛ وَاجْعَلِ الشُّغُورَ بِاسْمَةٍ بِحَفَظَتِهَا، وَلاَحِظِ الْأُمُورَ بِحَسَنِ تَدْيِيرِكَ الْمَالُوفِ فِي سِيَاسَتِهَا. وَأَسْتَوْصِ خَيْرًا بِأَمْرَائِكَ الْخَالِصِينَ مِنَ الشُّكُوكِ، السَّالِكِينَ فِي طَاعَتِكَ أَحْسَنَ السُّلُوكِ؛ وَضَاعِفِ لَهُمُ الْحُرْمَةَ، وَأَرَعَ لَهُمُ الدِّمَّةَ؛ لِاسْمِهَا أَوْلَى الْفِكْرِ الثَّاقِبِ، وَالرَّأْيِ الصَّابِ؛ فَشَاوِرْهُمْ فِي مُهِمَّاتِ الْأُمُورِ، وَأَشْرَحْ بِإِحْسَانِكَ مِنْهُمْ الصُّدُورَ؛ وَأَرَعَ حُقُوقَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، الَّذِينَ سَلَكَتْ مَعَكَ مَطَايَاهُمُ الْبِطَاحَ وَالْقِفَارَ، وَهَجَرُوا مَحْبُوبَهُمْ مِنَ الْوَطَنِ وَالْدَارِ؛ وَجَالِدُوا وَجَادَلُوا، وَأَوُوا فِي سَبِيلِكَ وَقَاتَلُوا؛ وَأَنْبِلْ كَلًّا مِنْهُمْ مَا يَرِجُوهُ، وَأَشْرَحْ صُدُورَهُمْ بِإِدْرَاكِ مَا أَمْلُوهُ؛ وَجِيُوشِ الْإِسْلَامِ فَاغْرِسْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِهِمْ بِإِحْسَانِكَ، وَكَمَا سَبَقْتَهُمْ حَسَا فَتَحَبَّبْ إِلَيْهِمْ بِجَزِيلِ أَمْتِنَانِكَ؛ وَجِيُوشِ الْبَحْرِ فَكُنْ لَهَا مُحِيطًا، وَبِجَلِّيَّاتٍ مَشْبِهَا مُحِيطًا^(١)؛ فَإِنَّهَا تُوجَّهُ لِلْأَصْقَاعِ، سُؤْلِيَانِيَّةَ الْإِسْرَاعِ؛ تَقْدِفُ بِالرُّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَتَقْلَعُ بِقُلُوعِهَا آثَارَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَوَاصِلُ تَجْهِيزِ السَّرَايَا لِرُكُوبِ تَجْبِهِ، وَالغُوصِ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي عَمِيقِ بُحْبُجِهِ. وَأُجْمِلِ النَّظَرَ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَحَرِّمِ رِسُولِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: لَتَسْلُكَ عَيْنُ الْأَمْنِ الْأَبَاطِحَ، وَتَقَرَّ عِيُونُ حُمْرِهِ بِالْمَائِحِ وَالْمَاتِحِ؛ وَتَتَعَرَّفَ بِعِرْفَانِكَ عَرَافَاتِ، وَتُرَى نَخَافُفَ الْخَلِيفِ مِنْ أَيْدِي مَهَابَتِكَ بِالْجَمْرَاتِ؛ وَصِلْ جِيرَانَهُمَا بِصَلَاتِكَ: لَتُسْهِرَ أَعْيُنَهُمْ بِالْإِدْعَاءِ لَكَ وَأَنْتَ فِي غَفْوَاتِكَ. وَالْقُدْسُ الشَّرِيفُ الَّذِي هُوَ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّجَالُ فِرْدُ تَقْدِيسِهِ، وَاجْعَلْ رُبُوعَ عِبَادَاتِهِ بِالصَّلَاةِ مَا نُوسَهُ. وَإِقَامَةَ مَوْسِمِ الْحَجِّ كُلِّ سَنَةٍ فَأَنْتَ بَعْدَ حَرَكَةِ تَيَمُّورِ فَاتِحِ سَبِيلِهِ، وَكَاسِي تَجْمَلِهِ حَلَّلِ تَوْقِيرِهِ وَتَجْمِيلِهِ.

(١) لعل محيطا الأول البحر والثانية من الإحاطة بمعنى العلم.

هذه الوصايا تذكّرة للخاطر الشريف وحاشاك من النسيان ، وهذا عهد أمير المؤمنين ومبايعة أُولي الحلّ والعقد قد تفاضياً إلى حَقِّك على الزمان ، وعندك كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماضلّ من تمسك بهما ولامان ، فاتّبع أحكام الله يُوسِّع اللهُ لك في مُلكك ، وأجعل هديك بهما إمام نبيك وأمرك ؛ وأد ماقلّك الله من حقوق الإمامة والأمانة إلى خلقه أداءً موفوراً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

قلت : ولما كان هذا العهد قد آدرع جلاب العجائب فأعجب ، وأرتدى برداء الغرائب فأغرب ؛ وسقى غرسه ماء البلاغة فأعجب ، وشفّ الأسماع إذ أسمع فأرقص على السماع وأطرب ؛ وأمتطى صهوة جواد البيان فتنقلّ فيها من كُمت إلى أشقر ومن أحوى إلى أشهب - أحببت أن آتني له بطرة هي له في الحقيقة ذيل ، ونغمة من بحر وقطرة من سيل ؛ لاجرم جعلتها في الوضع في الكتاب له للاحقه ، وإن جرت العادة أن تكون الطرة للعهد سابقه ؛ وهو :

هذا عهد شريف ترقه أعلام أشعة الشمس بذهب الأصيل على صفحات الأيام ، وتعجمه كف الثريا بنقط النجوم الزواهر ، وإن كان لالعهد للعهود بالإعجام ، وتعترف ملوك الأرض أنّ صاحبه شيخ الملوك والسلاطين فتقدمه في الرأي ونجته في الرتبة وتعامله بالإجلال والإعظام ؛ من عبد الله ووليّه ، وخليفته في أرضه وصفيّه ، وسليل خلفائه الراشدين وأبن عم نبيه ؛ الإمام الفلاني (إلى السلطان الاعظم الملك الفلاني إلى آخر الألقاب) .



وهذه نسخة عهد علي هذا المذهب ، كُتِبَ به عن أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس خليفة العصر، للملك العادل شمس الدنيا والدين «مظفر شاه» بالسلطنة بالملكة الهندية، في شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بدمشق المحروسة؛ من إنشاء الشيخ الإمام علامة العصر، جامع أشتات الأدب ومالك زمامه، تقي الدين محمد بن حجة، الشاعر الحموي، ومفتي دار العدل بجماة المحروسة، مما كُتِبَ بخط المولى تاج الدين عبد الرحمن بن التاج ، أحد كُتَّاب الإنشاء الشريف بالأبواب الشريفة ، في قطع البغدادى الكامل بخفيف الطومار، وكانت الطرة المكتتبة في الوصل الأول خمسة أسطر بالقلم المذكور، وسطرين بخفيف المحقق ، والطرة البيضاء خمسة أوصال ، والبياض بين كل سطرين ثلث ذراع، وبيت العلامة الشريفة ضعف ذلك ، والهامش ربع الورق على العادة . وصورة الطرة :

عهد شريف عهد به عبد الله ووليه سيدنا ومولانا الإمام الأعظم العباس أبو الفضل المستعين بالله أمير المؤمنين ، وآبن عم سيد المرسلين ؛ أعز الله به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ؛ إلى المقام الأشرف ، العالى ، السلطاني ، العادلي ، الشمسي ، أبي المجاهد « مظفر شاه » أعز الله تعالى أنصاره . وقلده السلطنة المعظمة بحضرة «دهلي» وأعمالها ومضافاتها على عادة من تقدمه في ذلك ؛ ولاية عامة شاملة كاملة جامعها ، وازعة قاطعة ساطعه ؛ شريفة منيفة ؛ في سائر الممالك الهندية وأقاليمها ، ونُغورها وبلادها ؛ وعساكرها وأكابرها وأصاغرها ، ورعاياها ورعاتها ، وحكامها وقضاتها ؛ وما آحتوت عليه شرقا وغربا ، بعدا وقربا على ما شرح فيه .

الصدر بعد البسملة الشريفة :

الحمد لله الذي وثق عهد النجاح للمستعين به ، وثبت أوتاده : ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه ؛ وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، وأفرغ على أعطاف الأرض حُلَّ الخلافة الشريفه ، وعلم أن خلفها الشريف زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وأختارها من بيت براعة أستهلاله في أول بيت وُضِعَ للناس ، وسبقت إرادته - وله الحمد - أن تكون هذه النُهْلَةُ من سقاية العباس .

فالحمد لله على أن جعل هذه السقاية عينا يشرب بها المقربون ، ومن علم شرفها تميز وتمسك بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والحمد لله الذي استخلف آله في الأرض وفضلهم ، فإن تحدث أحد في شرف بيت فالله سبحانه قد جعل البيت والحديث لهم ؛ فأكرم به بيتا من أقر بعبوديته كان له بمجد الله من النار عتقا ، وتمتع بنعيم بركته التي لا يتجنبها إلا الأشقي ؛ وهو البيت الذي بعث الله منه شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وصفي أهله من الأذناس وأنزل في حقهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وصير علمهم الخليفة على وجنة الدهر شامة ، وخصهم بالتقديم فالحمد لله والله أكبر لهذه الإمامة ؛ وإذا كان النسب مقدما في المدح وهو في النظم واسطة العقود ، فهذا هو النسب الذي كآن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمود ؛ وهذا هو الركن الذي من استند إليه قيل له : فزت بعلو سنك ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعنه العباس : ” ياعم ألا أبشرك؟ قال : بلى يارسول الله - قال : إن الله فتح الأمر بي

وَيَحْتَمُهُ بَوْلِدِكَ“ . وهذا الحديث يُرشد إلى التمسك بِطِيبِ الْعُهُودِ الْعَبَاسِيَّةِ لِتُفِيضَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَا نَيْلَ الْوَفَاءِ، وَتُعِينَ مِنْ أَسْتَعَانِ بِالْمُسْتَعِينِ وَعِلْمَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِحَدِيثِهِ : ” أَنْتَ أَبُو الْخُلَفَاءِ “ . وَنَاهِيكَ أَنْهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأُمَّ فَضْلٍ وَهِيَ شَاكَّةٌ فِي الْحَمْلِ : ” أَذْهَبِي بِأَبِي الْخُلَفَاءِ “ فَكَانَ عَبْدُ اللهِ الْمُتَنَزِّمُ بِهِ هَذَا الشَّمْلُ فَأَحْبَبَ بِهَا شَجَرَةَ زَكَرَتْ غَرْسُهَا وَنَمَّاءُ، وَتَسَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَكَيْفَ لَا ؟ وَأَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ؛ فَسَلَامٌ عَلَى هَذَا الْخَلْفِ الَّذِي مِنْهُ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَيْهِ وَالْوَاتِقُ بِهِ وَالْمُعْتَمِدُ وَالرَّشِيدُ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ . نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ عِلْمٌ أَنَّ آلَ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ كَسْفِينَةِ نُوحٍ وَتَعَلَّقَ بِهِمْ فَجَجًا ، وَنَشَكَرَهُ شُكْرَ مَنْ مَالَ إِلَى الدُّخُولِ تَحْتَ الْعِلْمِ الْعَبَّاسِيِّ وَتَتَّصَلَ مِنَ الْخَوَارِجِ فَوَجَدَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَزَّجُوا أَنْ تَكُونَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْحَاكِمِ وَقَتِ الْأَدَاءِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي حَرَضَنَا عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْعُهُودِ وَأَرْشَدَنَا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَقَّوْا بِالْعُهُودِ، وَكَانُوا فِي نِظَامِ هَذَا الدِّينِ وَجَمَعَهُ فَرَائِدُ الْعُقُودِ؛ صَلَاةً يَسْقِي عَهَادَ الرَّحْمَةِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - عَهْدَهَا، وَيَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ الْقَبُولِ عَقْدَهَا؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

أما بعد حمد الله الذي ألهمنا الرشد وجعل منا الخلفاء الراشدين ، وهدانا بنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَصَّنَا مِنْ بَيْتِهِ الشَّرِيفِ بِالْأُمَّةِ الْمُهَيْدِيَّةِ ؛ وَأَصْطَفَى مِنْ هَذَا الْخَلْفِ خِلَافَةَ الْأَرْضِ ، وَسَنَّ مَوَاضِيَ الْعُقُولِ الَّتِي قَطَعَتْ أَنْ طَاعَتَنَا قَرَضَ ؛ فَإِنَّ لِعَهْدِنَا الْعَبَّاسِيِّ شَرَفًا لَا يُرْفَلُ فِي حُلَّةِ إِلَّا مِنْ أَتَّخَذَ مَعَ اللهِ عَهْدًا وَأَتَاهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ أَعْوَدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلَيْكَ لَاحِقًا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكْفِهِمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وَلَا يَتَمَسَّكُ بِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا مَنْ صَحَّحَ إِلَى الْقِيَامِ

بواجب الطاعة وترك أهل الجهل في سكرتهم يعمهون، وانتظم في سلك من أنزل الله في حقهم : ﴿ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

فمن نهض إلى المشي في منهاجه مشى بعين البصيرة في الطريق القويم، وتلا له لسان الحال : ﴿ أَفَنَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . وهو قبضة من آثار البيعة النبوية ، وشعار يتشرف به من مشى تحت ألويته العباسية ؛ وما أرسل هذا العهد النبوي إلى أحد من ملوك الأرض إلا عمه الشرف من جميع جهاته ، و ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وشانت أعواد منبره طربا ، وأزهرت رونقا وأمرت أدبا ؛ وأستطالت بيد الخلافة لإقامة الحد ، وكيف لا ويد الخلافة لا تطاؤها يد ؛ وكان المقام الأشرف (إلى آخر الألقاب المذكورة في التعريف وأسمه المكتوب في الطرة) هو الذي رغب في التمسك بهذا العهد الشريف ليزيل عن ملكه الإلباس ، وأستند إليه ليروي بسنده العالی عن ابن عباس ؛ فإنه الملك الذي ظفره الله بأعداء هذا الدين وسماه مظفرا ، ولقبه بالشمسي وأختار له أن يقارن من الطلعة المستعينية قمرًا ؛ أبع زهر العدل من حضرة ”دهلي“ فعطر الآفاق ، وضاع نشره بالهند فعاد الشم إلى المزكوم بالعراق ؛ وصارت دمن ”صومنات“^(١) عامرة بقيام الدين ، وأيده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ؛ ولم يترك للعدو في بيت بيت ليله ، وأبطل مادهره أهل دهلي بحسن اليقظة وقوة الصولة ؛ وأباد الكفرة من أهل ديو ولم يقبل لهم ديه ، وفأوا إلى غير أمر الله فأبادهم بسيفه الهندي فلم تقم لهم فيه ؛ وفطر أجدان من ناوأه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم ، ونادى منادى عدله

(١) تقدم في (ج ٥) من هذا المطبوع أنها ”صومنات“ بالصاد المهملة ويقال أيضا بالسين المهملة

بالبلاد الهندية : لا ظَمَّ اليَوْمَ ؛ ودانت له تلك الممالك بَرًّا وبحرا، وسَهْلا ووعرا؛
 ما نَظَمَ الأعداءُ على البحرِ المَديدِ بيتا إلا أبانَ زِحافَه وأدارَ عليه دوائِرَه ، فكم نَظَمَ
 شَمْلَ الرعايا بالعدُلِ ونَثَرَ رُعوسَ الطُغاةِ بالسيفِ فلا عَدِمَ الإسلامُ ناظِمَه ونائِرَه ؛
 سُئِلَتِ الرُّجبانُ في البرِّ عن مَنابِه الجميلةِ وعمِّ يتساءلُون وقد صار لها عَظِيمُ النبا ،
 وصرَّحَ راكبُ البحرِ بعد التسميةِ بِاسْمِهِ (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَه في البحرِ حَجَّبا) فَظَلَّهُ في البرِّ
 ظليل ، وعدلُّه في البحرِ بَسِيطٌ وطَوِيلٌ .

(١)

هذا ولم يبقَ في تلك الممالكِ الهنديةِ بقعةٌ إلا ولم يصغر اللهُ بِسَنابِكَ الخليلِ فيها
 مَشاهِ ، ولا نَفْسٌ خارجَةٌ عن الطاعةِ إلا وماتتْ في رُفْعَةِ الأَرْضِ بِمَظْفَرِ شاه ؛ فلذلك
 رَسِمَ بالأمرِ الشريفِ العالی ، المولوی ، السیدی ، الإمامی ، الأعظمی ، النبوی ،
 المستعینی ، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس (ونسبه
 إلى الحاكم بأمر الله ، والدعاء) بعد أن استخار الله تعالى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين
 كثيرا ، وأتخذَه هاديا ونصيرا ، وصلى على ابن عمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم -
 أن يفوضَ إلى المقامِ الأشرفِ المشارِ إليه ولايةَ العهدِ وكفالةَ السلطنةِ المعظمةِ ،
 بحضرةِ دَهلي وأعمالها كما في الطرة كما هو المعهود : ليَهْطَلَ جُودُ الرحمةِ على تلكِ البقاعِ
 المباركةِ إن شاء الله ويُجودُ : لما رآه من صلاحِ الأئمةِ ومصالحِ الخلقِ ، استخلافا
 نُحْتَلَى بذكره الأفواه ، وتستندُ إليه الرواه ، وتترجمُ به الحداه ، وتستبشرُ به كافةُ الأممِ ،
 ويقطعُ به ويحفظُه ربُّ كلِّ سيفٍ وقلمٍ ، ويعتمدُ عليه كلُّ ذی عِلْمٍ وعِلْمٍ ؛ فلا زعيمَ
 جيشٍ بها إلا وهذا التفويضُ يسعُه ويشمله ، ولا إقليمَ من أقاليمها إلا ومن به
 يقبلُه ويقبلَه ، ويمثَلُ به ويمثله ، ولا منبرَ يجوامعها إلا وخطيبُه يتلو برهانَ هذا
 التفويضِ ويرتله .

وأما الوصايا فعنده - إن شاء الله - تَهَبُ نَسَاءتُ قَبُولِهَا ، وتُعْرَبُ عن نَصْبِ مفعولها ؛ وهو بحمد الله تعالى لوصايا هذا العهد المبارك نِعَمَ القَابِلِ ، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ الإِمَامُ العَادِلُ " والوصية بالرعايا واجبة والعدل فيهم قد حُرِّضَ النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، وقال : " يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ الأَرْضُ إِلَيْهِ " . وقال ابن عمنا علي رضي الله عنه « المُلْكُ والدِّينُ أَخَوَانِ لا غَنَى لأحدهما عن الآخر، ونَشْرَهُمَا فِي الرِّعِيَّةِ ضَائِعٌ ، فالدِّينُ أُسُّ والمُلْكُ حَارِسٌ ، فما لم يَكُنْ لَهُ أُسٌّ فَهُدُومٌ ، وما لم يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ » - فليأمر بالمعروف وبيته عن المنكر غالباً أنه ليس يُسْأَلُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ عن ذلك سوانا وسواه ، وبيته نفسه عن الهوى فلا يحسن لُعودِ قَدِّهِ أَنْ يَمِيلَ مع هِوَاهُ - وليترك الثُّغُورَ بعَدْلِهِ بِاسْمِهِ ، وقواعد المُلْكِ بفضله قائمه - وليجاهد في الله حقَّ جِهَادِهِ ، ويلطف بالرعايا ويعلم أن الله لطيفٌ بعباده - وليشرح لهم بالإحسان صَدْرًا ، ويُنَجِّرْهم إِذَا وَقَفَ على أحوالهم أَحْسَنَ مُجْرَى ؛ وهو بحمد الله غير محتاج إلى التأكيد : لأنه لم يَحُلْ له من القيام في مصالح المساميين فِكْرٌ ، ولكنه تجديدُ ذِكْرِ على ذِكْرٍ ؛ والله تعالى يمتنع بطول بقائه البلاد والعباد ، ولا بَرَحَتْ سَيُوفُهُ الهنديَّة تكلم أعداء هذا الدين بالسنة حداد ؛ وثبتت مُلكه بالعدل وشيّد أفعاله وأفعاله ، وختم بالصالحات أعماله ؛ والاعتقاد على الخط الإمامي المستعيني أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : ولم يُعهد أنه كُتِبَ عن الخلفاء العباسيين القائمين بالديار المصرية عهدٌ مُلْكٌ من غير ملوك الديار المصرية سوى هذا العهد .

المذهب الرابع

(١) [أن يفتح العهد بقوله «أما بعد» « فالحمد لله » أو « أما بعد
فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ونحو ذلك]

ويأتي بما يناسب من براعة الاستهلال وحال المتولى والمولى وما يجري مجرى ذلك مما يستح للكتاب ذكره مما يناسب الحال ، ويأتي من الوصايا بما يناسب المقام : إما بلفظ الغيبة أو بلفظ الخطاب كما في غيره من المذاهب السابقة ، وهي طريقة اقترحها الوزير ضياء الدين بن الأثير في « المثل السائر » أنشأ عليها عهدا في معارضة المكتوب للسلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » من ديوان الخلافة ببغداد الآتى ذكره في المذهب الخامس ، وهذه نسخته :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ، ولكل أمر مهادا ، ويستريده من نعمه التى جعلت التقوى له زادا ، وحمته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا ، وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرّضت عليه جيادا ، وحققت فيه قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ . ثم يصلّى على من أنزلت الملائكة لنصره إمدادا ، وأسرى به إلى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا ، وتجلّى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب فؤادا ، ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا وأعوادا ، وورثت النور المبين تالادا ، ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وإرشادا ، وخصوصا عمه العباس المدعوله بأن يحفظ نفسه وأولادا ، وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تحشى نقادا .

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح ما يقتضيه المقام .

وإذ استوفى القلم مداده من هذه الحمدله ، وأسند القول فيها عن فصاحته
المُرسله ؛ فإنه يأخذ في إنشاء هذا التقليد الذي جعله حليفاً لقرطاسه ، وأستدام
سُجوده على صفحته حتى لم يكذ يرفع من راسه ؛ وليس ذلك إلا لإفاضته في وصف
المناقب التي كثرت فحسن لها مقام الإثثار ، وأشتبه التطويل فيها بالإختصار ؛
وهي التي لا يفتقر واصفها إلى القول المعاد ، ولا يستوعر سُلوك أطواها ومن
العجب وجود السهل في سُلوك الأطواد ؛ وتلك مناقبك أيها الملك الناصر الأجل ،
السيد ، الكبير ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، صلاح الدين أبو المظفر يوسف
ابن أيوب ؛ والديوان العزيز يتلوها عليك تحذثاً بشكرك ، وبياهي بك أولياءه تنويها
بذكرك ؛ ويقول : أنت الذي تُستكفى فتكون للدولة سهمها الصائب ، وشهابها
الشاقب ؛ وكثرها الذي تذهب الكنوز وليس بذهب ، وما ضرها وقد حضرت
في نصرتها إذا كان غيرك هو الغائب ؛ فأشكر إذا مساعيك التي أهلكك لما أهلكك ،
وفضلتك على الأولياء بما فضلتك ؛ ولئن سُوركت في الولاء بعقيدة الإضمار ،
فلم تُشارك في عزمك الذي أنتصر للدولة فكان له بسطة الإنتصار ؛ وفرق بين من
أمد بقلبه ومن أمد بيده في درجات الإمداد ، وما جعل الله القاعدين كالذين قالوا
” لو أمرتنا لضرربنا أجبأدها إلى برك العباد “ . وقد كفأك من المساعي أنك كفيت
الخلافة أمر منازعيها ، فطمست على الدعوة الكاذبة التي كانت تدعيها ؛ ولقد مضى
عليها زمن ومحراب حقا محفوف من الباطل مجريين ، ورأت ما رآه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من السوارين اللذين أوطها كدابين ؛ فبمصر منهما واحد تاه بجري
أنهارها من تحتها ، ودعا الناس إلى عبادة طاغوته وجبته ، ولعب بالدين حتى لم يدر
يوم جمعته من [يوم أحده ولا] يوم سبته ؛ وأعانه على ذلك قوم رمى الله بصائرهم

بالعمى والصمم، وأتخذوه صنماً [بينهم] ^(١) ولم تكن الضلالة هناك إلا بعجل أو صنم؛ فقامت أنت في وجهه باطله حتى قعد، وجعلت في جيده حبلاً من مسد، وقلت ليدِه : تَبَّتْ فَأَصْبَحَ [وهو] ^(١) لَا يَسْعَى [بِقَدَم] وَلَا يَبْطِشُ بِيَدٍ ؛ وكذلك فعلت بالأخر الذي نَجَّمت باليمن نَاجِمتُه ، وسامت فيه سَائمتُه ؛ فوضع بيته موضع الكعبة الأيمانية ، وقال : هذا ذو الخَلصة الثانية ؛ فأى مقاميك يعترف الإسلام بسبقه ، أم أيهما يقوم بأداء حقِّه ؛ وهاهنا فليُصْبِحِ القلم للسيف من الحُساد ، ولتَقْصُرْ مكانتُه عن مكانتِه وقد كان له من الأنداد ؛ ولم يحظْ بهذه المزية إلا أنه أصبح لك صاحباً ، ونَفَرَ بك حتى طال نغراً كما عَزَّ جانباً ، وقضى بولايتك فكان بها قاضياً لما كان حُدّه قاضياً .

وقد قلَّدك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمينية غوراً ونجداً ، وما آسملت عليه رعيةً وجندا؛ وما آنتهت إليه أطرافها براً وبحراً ، وما يُسْتَمْتَدُّ من مجاورها مسالمةً وقهراً ؛ وأضاف إليها بلاد الشام وما تحوى عليه من المدين والمدنه ، والمراكز المحصنه ؛ مستثنياً منها ما [هو] بيد نور الدين إسماعيل بن نور الدين محمود رحمه الله : وهو حلبٌ وأعمالها ، فقد مضى أبوه على آثار في الإسلام ترفع ذكره في الذاكرين ، وتخلفه في عقبه في الغابرين ؛ وولده هذا قد هدبته الفطرة في القول والعمل ، وليست هذه الربوة إلا من ذلك الجبل .

فليكن له منك جار يدنو منه وداداً كما دنا أرضاً ، ويصبح وهو [له] كالبنيان يشد بعضه بعضاً ؛ والذي قدمناه من الثناء عليك ربمَّا تجاوز بك درجة الإقصاد ، وألفتك عن فضيلة الأزياد ؛ فإياك أن تنظر إلى سميعك نظر الإعجاب ، وتقول : هذه بلاد أنا أفتحتها بعد أن أضرب عنها كثير من الأضراب ؛ ولكن أعلم أن

الأرض لله ولرسوله ثم لخليفته من بعده ، ولا مئة للعبد بإسلامه بل المنة لله بهداية عبده ؛ وكم سلف قبلك ممن لورام مارمته لدنا شاسعه ، وأجاب مانعه ؛ لكن ذخره الله لك لتخطي في الآخرة بمفازه ، وفي الدنيا برقم طرازه ؛ فألق بيدك عند هذا القول لإلقاء التسليم ، وقل : ((لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) .

وقد قرن تقليدك هذا بخلة تكون لك في الإسم شعارا ، وفي الرسم فخارا ، وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملابس الأولياء ما تناسب قلوبا وأبصارا ؛ ومن جملتها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ، ويشير إليك بأن الإنعام قد أطاف بك إطفاء الأطواق بالأعناق ؛ ثم إنك قد حوطبت بالملك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالإنسراح ، ولأمك بالإنفساح ، وتؤمر معه بمد يدك إلى العلياء لا بضمها إلى الجناح ؛ وهذه الثلاثة المشار إليها هي التي تكمل بها أقسام السيادة ، وهي التي لا مزيد عليها في الإحسان فيقال : إنها الحسنى وزيادة ؛ فإذا صارت إليك فانصب لها يوما يكون في الأيام كريم الأنساب ، وأجعله لها عيدا وقل : هذا عيد التقليد والخلة والخطاب ؛ هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور ، وتضمن أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضمنة من شيم الغيور ؛ وهذه المكانة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها ، وما نقول إلا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها ؛ فأحرسها عليك حراسة تقضى بتقديمها ، وأعمل لها فإن الأعمال بجوارئيمها ؛ وأعلم أنك قد تقلدت أمرا يفتن به تقي الحلوم ، ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم ، وكثيرا ما ترى حسنة يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدي الخصوم ؛ ولا يجو من ذلك إلا من أخذ أهبة الحدار ، وأشفق من شهادة الأسماع والأبصار ؛ وعلم أن الولاية ميزان إحدى كفتيه في الجنة والأخرى في النار . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذر إني أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم " .

فانظر إلى هذا القول النبويّ نَظَرَ من لم يُخَدِّع بِحَدِيثِ الحِرْصِ والآمالِ ، ومثَّل
 الدنيا وقد سِيقَتْ [اليك] بخذافيرها أليس مَصِيرُهَا إلى زوالِ ؟ . والسعيدُ من إذا
 جاءته قضي' بها أربّ الأرواح لأربّ الحُسومِ ، وأتخذَ منها وهى السُّمُّ دواءً وقد
 تُتخذُ الأدويةُ من السُّمومِ ؛ وما الإِغْتِبَاطُ بما يَخْتَلِفُ على تَلَاثِيهِ المَسَاءِ والصَّبَاحِ ؟
 وهو ﴿ كِجَاءُ أُنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾
 والله تعالى يَعِصُمُ أمير المؤمنين وولاءة أمره من تَبِعَاتِهَا التى لا بَسْتَهُمْ ولا بَسُوها ،
 وأحصاها الله عليهم ونُسُوها ؛ ولك أنت من هذا الدعاء حَظٌّ على قدر محلك من
 العناية التى جَدَّبَتْ بَضْبِعِكَ [ومحلك من الوِلاية التى بسَطَتْ من دِرْعِكَ] .^(١)

نُفِذْ هذا الأمرَ الذى تَقَلَّدْتَهُ أَخَذَ من لم يَتَعَقَّبْهُ بالنسيانِ ، وكُنْ فى رعايته ممن إذا
 نَامَتْ عيناه كان قلبه يَقْطَانِ .

وملاكُ ذلك كلِّه فى إسباغِ العدلِ الذى جعله اللهُ ثالثَ الحديثِ والكتابِ ،
 وأغنى بشوابه وحده عن أعمالِ الثوابِ ، وقَدَّرَ يومأمنه بعبادةِ ستين عاماً فى الحِسابِ ؛
 ولم يأمرْ به أمرٌ إلا زِيدَ قُوَّةً فى أمره ، وتحصَّنَ به من عدوِّه ومن دَهره ؛ ثم يجاء به
 يومَ القيامةِ وفى يديه كتاباً أماناً ، ويجلس على منبرٍ من نُورٍ عن يمينِ الرحمنِ ؛ ومع
 هذا فإنَّ مَرَكِبَهُ صَعْبٌ لا يَسْتَوِي على ظهْرِهِ إلا مَنْ أَمْسَكَ عِنانَ نَفْسِهِ قبل إِمساكِ
 عِنانِهِ ، وغلبتْ لَمَّةٌ ملكه على لَمَّةِ شَيْطانِهِ ، ومن أوكدَ فُرُوضِهِ أن يَمْحَى السَّنَنَ السيئةَ
 التى طالَتْ مُدَدَ أيامها ، وَيَبْسُ الرِّعايا من رَفَعِ ظُلَاماتِها فلم يَجْعَلُوا أمدًا لا نُحْساارَ
 ظُلَامِها ؛ وتلك هى المُكْحُوسِ التى أنشأتها الهِمَمُ الحَقِيرَةُ ، ولا غِنىَ للأيدى الغنِيَّةِ إذا
 كانت ذالِ [ت] نُفُوسِ فقيرِهِ ؛ وكَلِّمًا زِيدتِ الأموالُ الحاصلةُ منها قَدْرًا زادها اللهُ مُحَقًّا ،

وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقاً ؛ ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرماً لما أغلظ في عقابه ، ومثلت توبه المرأة الغامدية بمتابه ؛ وهل أشقى من يكون السواد الأعظم له خصماً ، ويصبح وهو مطالب منهم بما يعلم وبما لم يحط به علماً . وأنت مأمور بأن تأتي هذه الظلمات فتنتحي على إبطالها ، وتلحق أسماءها في المحو بأفعالها ؛ حتى لا يبقى لها في العيان صور منظوره ، ولا في الألسنة أحاديث مذكوره ؛ فإذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضي سنة سوء سنتها يدها ، وعن الآتي متابعة ظلم وجدّه طريقاً مسلوفاً بخرى على مدها .

فبادر إلى ما أمرت به بمبادرة من لم ييضق به ذراعاً ، ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه فرآها في الآخرة متاعاً ، وأحمد الله على أن قيض لك إمام هدى يقف بك على هداك ، ويأخذُ بجزتك عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عداك ؛ وهذه البلاد المنوطة بنظرك تستعمل على أطراف متباعده ، وتفتقر في سياستها إلى أيدٍ مساعده ؛ وبهذا تكثر فيها قضاة الأحكام ، وأولو تديرات السيوف والأقلام ؛ وكل من هؤلاء ينبغي أن يفتن على نار الاختبار ، ويسلط عليه شاهداً عدل من أمانة الدرهم والدينار ؛ فإضل الناس شيء كذب المال الذي فورقت من أجله الأديان ، وهجرت بسببه الأولاد والإخوان ، وكثيراً ما يرى الرجل الصائم القائم وهو عابد له عبادة الأوثان ؛ فإذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمرك فأضرب عليه بالأرصاد ، ولا ترص بما عرفته من مبدأ حاله فإن الأحوال تتنقل تتقل الأجساد ، وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بالربيع ابن زياد ؛ وكذلك قائم هؤلاء على اختلاف طبقاتهم أن يأمرُوا بالمعروفِ مواظبين ، وينهوا عن المنكر محاسنين ، ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم

الغالبين؛ وليبدؤوا أولاً بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها، ويأمروها بما يأمرون به من سواها؛ ولا يكونوا ممن هدى إلى طريق البر وهو عنه حائد، وانتصب لطلب المرضى وهو محتاج إلى طيب وعائد؛ فما تنزل بركات السماء إلا على من خاف مقام ربه، وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه؛ فإذا صلحت الولاية صلحت الرعية بصلاحهم، وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم إلا بمصباحهم.

ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخوانا في الأرض طحاب، وأعوأنا في توزع الحمل الذي يتقل على الرقاب؛ فالمسلم أخو المسلم وإن كان عليه أميرا، وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كبيرا؛ وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة الليف، ويتولأها بالوطء العنيف؛ وليكنها لمن يمال على جوانبه، ويؤكل من أطايبه؛ ولن إذا غضب لم ير للغضب عنده أثر، وإذا ألحف في سؤاله لم يلحق الإلحاف بمخلق الضجر؛ وإذا حضر الخُصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر؛ فذلك الذي يكون لصاحبه في أصحاب اليمين، والذي يدعى بالحفيظ العليم بالقوى الأمين؛ ومن سعادة المرء أن يكون ولأته متأدبين بأدابه، وجارين على نهج صوابه، وإذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانت حسنة مؤبنة في كتابه.

وبعد هذه الوصية فإن هاهنا حسنة هي للحسنات كالأمم الوؤود، وأطالمأ أغنت عن صاحبها إغناء الجنود، وتيقظت لنصره والعيون رُقود؛ وهي التي تُسبغ لها الآلاء، ولا يتخطأها البلاء؛ ولأمير المؤمنين بها عناية تبغها الرحمة الموضوعة في قلبه، والرغبة في المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه؛ وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمنية إفضالها، وجعلها سببا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها. وهو يأمرك

أَنْ تَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ قُدِّرَتْ عَلَيْهِمْ مَادَّةُ الْأَرْزَاقِ ، وَالْبَسْمُ التَّعَفُّفُ ثَوْبٌ
الْغَنِيُّ وَهُمْ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْإِمْلَاقِ ؛ فَأُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ مَسَّتْهُمُ الضَّرَاءُ فَصَبَرُوا ،
وَكَثُرَتْ الدُّنْيَا فِي يَدِ غَيْرِهِمْ فَمَا نَظَرُوا إِلَيْهَا إِذْ نَظَرُوا ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَهَيَّئَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ
مَرَقًا ، وَيَضْرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَقْرِ مَوْقِعًا .

وما أظننا لك القول في هذه الوصية إلا إعلاما بأنها من المهم الذي يُستقبل
ولا يُستدبر، ويستكثر منه ولا يستكثر؛ وهذا يُعد من جهاد النفس في بدل المال،
ويتلوه جهاد العدو الكافر في مواقف القتال؛ وأمير المؤمنين يعزفك من ثوابه
ما يجعل السيف في ملازمته أحمًا، وتسحو له بنفسك إن كان أحد بنفسه سخيا؛
ومن صفاته أنه العمل المحبب بفضل الكرامة، الذي ينهي أجره بعد صاحبه إلى يوم
القيامة؛ وبه تمتحن طاعة الخالق على المخلوق، وكل الأعمال عاطلة لا خلوق لها
وهو مختص دونها بزينة الخلق؛ ولولا فضله لما كان محسوبا بشطر الإيمان، ولما
جعل الله الجنة له ثمنا وليست لغيره من الأثمان؛ وقد علمت أن العدو هو جارك
الأدنى، والذي يبلغك وتبلغه عينا وأدنا؛ ولا يكون للإسلام نعم الجار حتى تكون له
بئس الجار، ولا عذر لك في ترك جهاده بنفسك ومالك إذا قامت لغيرك الأعداء؛
وأمير المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاه مكافيا، أو تطرق أرضه مامسيا أو مصابحا؛
بل يريد أن تقصد البلاد التي في يده قصد المستنقذ لا قصد المغير، وأن تحكم فيها
بحكم الله الذي قضاه على لسان سعيد في نبي قريظة والنضير؛ وعلى الخصوص البيت
المقدس فإنه تلالد الإسلام القديم، وأخو البيت الحرام في شرف التعظيم، والذي
توجهت إليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم؛ وقد أصبح وهو يشكو طول المدة
في أسر رقبته، وأصبحت كلمة التوحيد وهي تشكو طول الوحشة في غربتها عنه

وغربته؛ فانهض إليه نهضةً توغل في قرحه، وتبدل صعب قياده بسمحه، وإن كان له عامٌ حديبيةً فأتبعه بعامٍ فتحه؛ وهذه الاستزادة إنما تكون بعد سداد ما في اليد من تغرٍ كان مهملاً فحمت موارده، أو مستهدماً فرفعت قواعده؛ ومن أهمها ما كان حاضر البحر فإنه عورة مكشوفة، وخطة مخوفة؛ والعدو قريب منه على بعده، وكثيراً ما يأتيه بقاءة حتى يسبق برقه برعه؛ فينبغي أن ترتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجعانها، وتقل أقرانها، ويكون قتلها لأن تكون كلمة الله هي العليا لا لأن يرى مكانها؛ وحينئذ يصبح كلٌ منها وله من الرجال أسوار، ويعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الأحجار؛ ومع هذا لا بد من اصطول يكثُر عدده، ويقوى مدده؛ فإنه العدة التي تستعين بها في كشف الغم، والاستكثار من سبأيا العبيد والإماء، وجيشه أخو الجيش السلبياني: فذاك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء؛ ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار، وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الأعمار؛ وإذا أشرعت قيل جبال متلفعة بقطع من العيوم، وإذا نظرت إلى أشكالها قيل: إنها أهلة غير أنها تهدي في مسيرها بالنجوم؛ ومثل هذه الخيل يبغي أن يغالى في جيادها، ويستكثر من قيادها؛ وليؤمر عليها أمير يلقى البحر بمثله من سعة صدره، ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها بحبره؛ وكذلك فليكن ممن أفنت الأيام تجاربه، وزحمتها مناكبه، وممن يذل الصعب إذا هو ساسه وإن سيس لأن جانبه؛ وهذا هو الرجل الذي يرأس على القوم فلا يجد هزّة بالرياسة؛ وإن كان في الساقية ففي الساقية أو في الحراسة ففي الحراسة؛ ولقد أفلحت عصابةً اعتصبت من ورائه، [وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رائه]^(١).

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ أُخِلَّ مِنَ الْجِهَادِ بَرْكُنٌ يُقَدِّحُ فِي عَمَلِهِ ، وَهُوَ تَامُهُ الَّذِي يَأْتِي فِي آخِرِهِ
 كَمَا أَنَّ صِدْقَ النِّيَّةِ يَأْتِي فِي أَوَّلِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ قَسْمُ الْغَنَائِمِ فَإِنَّ الْأَيْدِيَ قَدْ تَدَاوَلَتْهُ
 بِالْإِحْجَافِ ، وَخَلَطَتْ جِهَادَهَا فِيهِ بَعُلوها فلم تَرَجِعْ بِالْكَفَافِ ، وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الظُّلْمَ
 فِي تَعَدِّي حُدُودِهِ الْمَحْدُودَةِ ، وَجَعَلَ الْأَسْتِثْنَاءَ بِالْمَغْتَمِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمَوْعُودَةِ ؛
 [وَنَحْنُ نَعُوذُ بِهِ ^(١) أَنْ يَكُونَ زَمَانُنَا هَذَا شَرًّا زَمَانٍ وَنَاسُهُ شَرًّا نَاسٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْلِفْنَا عَلَى
 حِفْظِ أَرْكَانِ دِينِهِ ثُمَّ نُهْمَلَهُ إِهْمَالًا مُضَيِّعًا وَلَا [إِهْمَالًا] نَاسٍ ؛ وَالَّذِي نَأْمُرُكَ بِهِ أَنْ
 تُجْرِيَ [هَذَا] الْأَمْرَ عَلَى الْمَنْصُوصِ مِنْ حَكْمِهِ ، وَتُبْرِي ذِمَّتَكَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرَكَ الْفَائِزَ
 بِفَوَائِدِهِ وَأَنْتَ الْمُطَالِبَ بِإِثْمِهِ ؛ وَفِي أَرْزَاقِ الْمُجَاهِدِينَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ مَا يُغْنِيهِمْ
 عَنْ هَذِهِ الْأَكْلَةِ الَّتِي تَكُونُ غَدًا أَنْكَالًا وَجَحِيحًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَدَابًا أَلِيمًا .

فَتَصَفِّحْ مَا سَطَّرْنَاهُ لَكَ فِي هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي هِيَ عِزَائِمُ مُبْرَمَاتٍ ، بَلْ آيَاتٍ
 مُحْكَمَاتٍ ؛ وَتَحَبَّبْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَقْتِفَاءِ كِتَابِهَا ، وَأَبْنِ لَكَ مِنْهَا مَجْدًا
 يَبْقَى فِي عَقَبِكَ إِذَا أُصِيبَتِ الْبُيُوتُ فِي أَعْقَابِهَا ؛ وَهَذَا التَّقْلِيدُ يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَأَلْ
 فِي الْوَصَايَا الَّتِي أَوْصَاها ، وَأَنَّهُ لَمْ يُعَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاها ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ خُتِمَ
 بِدَعْوَاتٍ دَعَاها أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ خَتَامِهِ ، وَسَأَلَ فِيهَا خَيْرَةَ اللَّهِ الَّتِي تَنْزَلُ مِنْ كُلِّ
 أَمْرٍ بِمَنْزِلَةِ نِظَامِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى مَنْ قَلَدْتَهُ شَهَادَةً تَكُونُ عَلَيْهِ
 رَقِيْبِهِ ، وَهُوَ حَسِيْبِهِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَمُرْهُ إِلَّا بِأَوَامِرِ الْحَقِّ الَّتِي فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ، وَهِيَ
 لِمَنْ أَتَّبَعَهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَى ؛ فَإِذَا أَخَذَهَا فَلَجَّ بِحُجَّتِهِ يَوْمَ يُسْأَلُ عَنِ الْحُجَجِ ،
 وَلَمْ يُخْتَلَجْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ عَنِ الْحَوْضِ فِي جَمَلَةٍ مِنْ يُخْتَلَجُ ، وَقِيلَ لَهُ : لا حَرَجَ عَلَيْكَ
 وَلَا إِثْمٌ إِذْ نَجَوْتَ مِنْ وَرَطَاتِ الْإِثْمِ وَالْحَرَجِ ، وَالسَّلَامُ .

(١) الزيادة من كتاب "المثل السائر" ص ١٤٧ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

المذهب الخامس

(أن يفتتح العهد بـ «إِنَّ أَوْلَىٰ مَا كَانَ كَذَا» ونحوه)

وهى طريقة غريبة، كُتِبَ عليها عهدُ السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» بالديار المصرية من ديوان الإنشاء ببغداد . وهو الذى عارضه الوزيرُ ضياءُ الدين بن الأثير فى العهد المتقدم ذكره فى المذهب [الرابع] ^(١) . وهذه نسخته :

إِنَّ أَوْلَىٰ مِنْ جَادَتْ رِبَاعَهُ مُحِبُّ الإِصْطِنَاعِ ، وَحُصَّ مِنَ الإِصْطِفَاءِ وَالِاجْتِنَاءِ بِالصَّفَايَا وَالْمِرْبَاعِ ؛ مَنْ تَرَسَّمَ أَنْتَهَاجَ الْجَدِّ الْقَوِيمِ ، وَالطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ وَأَعْتَلَقَ مِنَ الْوَلَاءِ بِأَوْثَقِ عَصِمِهِ وَجِبَالِهِ ، وَالْفِئَاءِ الَّذِى يَهْتَدِى بِأَنْوَارِهِ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ؛ وَالتَّحَلَّى بِجَمِيلِ الذِّكْرِ فِي سِيرَتِهِ ، وَخُلُوصِ الإِعْتِنَاءِ بِأُمُورِ رِعِيَّتِهِ ؛ وَكَانَ رَاغِبًا فِي أَقْنِيَاءِ حَمِيدِ الْخِلَالِ ، مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِمَا يُرِضِيهِ مِنَ الْعَدْلِ الْمُنْتَدِّ الظَّلَالِ ؛ عَامِلًا فِيمَا يُنَاطُ بِهِ بِمَا يَتَضَوَّعُ تَسْرُخَبَرُهُ ، وَيُجْتَنَى بِحُسْنِ صُنْعِهِ يَانِعُ ثَمَرُهُ ؛ بِإِذْلًا وَسَعَهُ فِي الصَّلَاحِ ، مُؤَدِّنَةً مَسَاعِيهِ بِقَوْزِ الْقِدَاحِ .

ولما كان الملكُ الأجلُّ ، السيدُ ؛ صلاحُ الدين ، ناصرُ الإسلام ، عمادُ الدولة ، جمالُ الملك ، نخرُ الملة ، صفىُ الخلافة ؛ تاجُ الملوك والسلاطين ، قامعُ الكفرة والمشركين ، قاهرُ الخوارج والمرتدين ، عزُّ المجاهدين ؛ ألبُ غازى بك ابنُ يوسف ابنِ أيوب - أدام الله علوه - على هذه السجايَا مُقبِلًا ، وبصِفتِهَا الْكاملة مشتملًا ؛ مؤثرًا تضاعفَ المآثرات ، متابرًا على ما تركوه به الأعمالُ الصالحات ؛ متحلِّيًا بالمحامد الرائقة ، مُستبِدًا بالمناقب التى هى لجميلِ أفعاله موافقةٌ مطابقةٌ ؛ محصلاً من رضا الله تعالى ما يؤثره ويرومه ؛ [و] من طاعة الدارِ العزيزة - لازالت مُشيدهُ البناء ، سابعة

(١) بياض بالأصل والصحيح ما تقدم .

النِّعْمَاءُ ؛ دَائِمَةً الْإِسْتِبْشَارِ ، عَزِيزَةَ الْأَنْصَارِ - [و] من أَسْتَمَرَّ الرَّظْفَرُ مَا يَسْتَدِيهُ ، -
 أَقْنَصَتِ الْأَرْءَ الشَّرِيفَةَ - لآزال التَّوْفِيقِ قَرِيْبَهَا ، وَالتَّائِيْدُ مُظَاْفِرَهَا وَمُعِيْنَهَا - إِمْضَاءُ
 تَصَرَّفَهُ وَإِنْفَاذَ حُكْمِهِ فِي بِلَادِ مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا ، وَالصَّعِيْدِ الْأَعْلَى ، وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ،
 وَمَا يَفْتَحُهُ مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ وَالسَّاحِلِ ، وَبِلَادِ الْيَمَنِ وَمَا أَفْتَحَهُ مِنْهَا وَيَسْتَخْلَصُهُ بَعْدَ
 مِنْ وِلَايَتِهَا ؛ وَالتَّعْوِيْلُ فِي هَذِهِ الْوِلَايَاتِ عَلَيْهِ ، وَأَسْتَنْقَاذَ مَا أَسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْكُفَّارُ
 مِنْ الْبِلَادِ ، وَإِعْزَازَ كُلِّ مَنْ أَدْلُوهُ وَأَضْطَهْدُوهُ مِنَ الْعِبَادِ : لِنَعُوْدِ النَّغُوْرُ بِمَنْ نَقِيْبَتَهُ
 ضَاحِكَةَ الْمَبَاسِمِ ، وَبِإِصَابَةِ رَأْيِهِ قَائِمَةَ الْمَوَاسِمِ .

أَمْرَهُ بَادِئًا بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْجُنَّةُ الْوَاقِيَةُ ، وَالذَّخِيْرَةُ الْبَاقِيَةُ ، وَالْعِصْمَةُ
 الْكَافِيَةُ ، وَالزَّادُ إِذَا أَنْفَضَ وَفَدَّ الْآخِرَةَ وَأَرْمَلُوا ، وَالْعَتَادُ النَّافِعُ إِذَا وَجَدُوا شَاهِدًا
 لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا عَمِلُوا : فَإِنَّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ لِلرَّشْدِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الْعَلَمَ الَّذِي بِهِ يَقْتَدِي ، وَبِأَنْوَارِهِ إِلَى حُدُودِ
 الصَّوَابِ يَهْتَدِي ؛ وَيَسْتَمِيعُ لَزَوَاجِرِهِ وَمَوَاعِظِهِ ، وَيَعْتَبِرُ بِتَخْوِيفِهِ وَمَلَاْحِظِهِ ، وَيُصْنِغِي
 إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَوَارِحِهِ وَلُبِّهِ ؛ وَيَعْمَلُ بِأَوَامِرِهِ الْمُحْكَمَةِ ، وَيَقِفُ عِنْدَ نَوَاهِيهِ
 الْمُبْرَمَةِ ؛ وَيَتَدَبَّرُ مَا حَوَتْهُ آيَاتُهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالزَّبْرِ وَالتَّهْدِيدِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
 مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صَلَاتِهِ مَحَافِظًا ، وَلِنَفْسِهِ عَنِ الْإِخْلَالِ وَالتَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ
 فَرَضِهَا وَعِظًا ؛ فَيَغْتَنِمُ الْأَسْتِعْدَادَ أَمَامَ أَوْقَاتِهَا لِلأَدَاءِ ، وَيَحْتَرِزُ مِنْ فَوَاتِهَا وَالْحَاجَةَ إِلَى
 الْقَضَاءِ ؛ مُوفِيًا حَقَّهَا مِنَ الرَّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، عَلَى الْوَصْفِ الْوَاجِبِ الْمَحْدُودِ ؛ مُخْلِصًا
 سِرَّهُ عِنْدَ الدُّخُولِ فِيهَا ، وَنَاهِيًا نَفْسَهُ عَمَّا يُصْطَدُّهَا بِالْأَفْكَارِ وَيُلْهِمُهَا ؛ مُجْتَهِدًا فِي نَفْيِ

الفكر والوسواس عن قلبه، متصبياً في إخلاص العبادة لربه: ليغدو بوصف الأبرار منعوتاً، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع، أمثالاً لأمر الله المتبع، بعزيمة في الخير صاقه، ونية للعبادة موافقه، وفي الأعياد إلى المصلبات المصحرة المجملة بالمتأبر الحالية، التي هي عن الأدناس مطهرة نائية، فإنها من مواضع العبادة ومواطنها، ومظان تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسنتها، فقد وصف الله تعالى من وفقه لتحصيل مؤنه بالعجاءه، بما أوضح فيه الإشاره، وشرفه بوضع سمة الإيمان عليه بالإكرام الفاجر، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ : فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدمه، ومُنْتَهياً فيها إلى أحسن ماعهده وعلمه .

وأمره بلزوم نزاهة الحرمات، واجتناب المحرمات، والتحلّي من العفاف والورع بأجل القلائد الراقية، والتقمص بملابس التقوى التي هي بأمثاله لائقه، وسلوك مناهج الصلاح الذي يجمل به فعله، ويصفوه له ونهله، وأن يمنع نفسه من الغضب، ويردها عما تأمر به من سوء المكتسب، ويأخذها بأداب الله سبحانه في نهيا عن الهوى، وحملها على التقوى، وردعها عن التورط في المهوى والشبهة، وكل أمر يلبس فيه الحق ويشتهيه، ويلزمها الأخذ بالعمو والصفح، والتأمل لمكان الأعمال فيه واللح، قال الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا بتلك البلاد، وأختصاصهم بالصون الرائع الغاد، ونشر جناح الرعاية على البعيد منهم والقريب، وإحلال كل منهم محله على القاعدة

والترتيب ؛ وإشاعة المعدلة فيهم ، وإسهام دانيهم من وإفرا ملاحظته وقاصيمهم ؛ وأن ينحى سرحهم من كل داعر ، ويذود عنهم كل مؤارب بالفساد ومظاهره ؛ حتى تصفوا لهم من الأمن الشرائع ، وتصفوا عليهم من بركة ولايته المدارع ، وتستتير بضوء العدل منهم المطالع ؛ ويحترم أكارهم ، ويحنو على أصاغرهم ؛ ويشملهم بكنفه ودرعه ، وينتهي في مصالحهم إلى غاية وسعه ؛ ولا يألوهم في النصح جهداً ، ولا يخلف لهم في الخير وعدا ؛ ويشاورهم في أمره فإن المشورة داعية إلى الفلاح ، ومفتاح باب الصلاح ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَاشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بإظهار العدل في الرعية التي تضمها جميع الأكَافِ والأطراف ، والتحلل من النصفة بأكل الأوصاف ؛ وحمل كآفتهم على أقوم جدد ، وعصيان الهوى في تقويم كل أود ؛ والمساواة بين الفاضل والمنفصول في الحق إذا ظهر صدق دليله ، والاشتغال عليهم بالأمن الذي يعذب لهم برد مقيله ؛ وكشف ظلامه من أنبسط إلى تحيفه الأيدي والأطماع ، وأعجزته النصرة لنفسه والدفاع ؛ وتصفح أحوالهم بعين لا تروى إلى هوى يميل بها عن الواجب ، وسمع لا يصغي إلى مقالة مائين ولا كاذب ؛ ولا يغفل عن مصلحة تعود إليهم ، ويرجع نفعها عليهم ؛ ولا عن كشف ظلمات بعضهم من بعض ، ورددهم إلى الحق في كل رفع من أحوالهم وخفض ؛ فلا يرى إلا بالحق عاملاً ، وللأمور على سنن الشريعة حاملاً ؛ مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها ، وحارساً نظامها على نتائج الأيام وأتصالها ؛ ليكون ذلك إلى وفور الأجر داعياً ، وبحسن الأحدثه قاضياً ؛ مقتدياً بما نطق به القرءان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .

وأمره أن يأمر بالمعروف ويقيم مناره، وينهى عن المنكر ويحو آثاره ؛ فلا يترك
 ممكنا من إظهار الحق وإعلانه، ووقع الباطل وإنجاد نيرانه ؛ ويعتمد مساعدة كل
 مرشد إلى الطريق الأqvسد، وناه عن التظاهر بالمحظور في كل مشهد ؛ وكل من^(١)
 تضحى معونته مشاركة في إحراز المثوبة ومسايمه ، ومساومة في آقنائه الأجر
 ومقاسمه ؛ وأن يؤعز بإزالة مظان الريب والفساد في الدانى من الأعمال والقاصى ،
 فإنها مواطن الشيطان وأماكن المعاصى ؛ وأن يشد على أيدي الأمرين بالمعروف
 والناهين عن المنكر، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر ؛
 ويحتد في إزالة كل محظور ومنكر، مقدم في الباطل ومؤخر؛ قال الله تعالى :
 ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثغور ومجاوريتها من الكفار، ويستعمل
 غاية التيقظ في ذلك والاستظهار : ليأمن عليها غوائل المكائد ، ويفوز من التوفيق
 لذلك بأنواع المحامد ؛ ويتجود لجهاد أعداء الدين ، والانتقام من الكفرة المارقين ؛
 أخذنا بقول رب العالمين : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . وأن يعمل فيما يحصل من الغنائم
 عند قل مجموعهم ، وافتتاح بلادهم وربوعهم ، بقول الله وما أمر به في قسمتها ،
 وإيفاء كل صاحب حصته منها ؛ سالكا سبل من غدا لآثار الصلاح مقتنيا ،
 وللقرض في ذلك مؤديا ؛ ويهدى ذوى الرشد مهتديا . قال الله تعالى في محكم
 التنزيل : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

(١) في الأصل فانه من تضحى الخ تأمل .

وأمره أن يُجيبَ إلى الأمان من طلبه منه، ويكونُ وفاءً مقترباً بما تضمَّنه ، غير مُضمِرٍ خلاف ما يُعطى به صَفَقَةَ أمانه، ويحتنبَ العَدْرَ وما فيه من العار، وإنخاط المَلِكِ الجَبَّارِ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وأمره بأن يأمر أصحاب المعاون بمساعدة القضاة والحكام ، وموئتهم بما يقضى [بلم] شمل الصلاح في تنفيذ القضايا والأنظمة؛ وأخذ الخُصومِ بإجابة الداعي إذا استُحضر [وا] إلى أبوابهم للإيناف ، والمُسرعةِ إلى الحقِّ الواجبِ عليهم من غيرِ خلاف ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ .

وأمره بالتعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة على من يَأوئى إلى عَفَافٍ ودين ، وعلم بأحكام الشريعة وصحة يقين ؛ لا يخفى عليه ما حرَّمه الله تعالى وأحلَّه ، ولا يلتبسُ على علمه ما أَوْضَحَ إلى الحقِّ الواضحِ سُبُلَه ؛ وإلى من يتوَلَّى المَظالمِ بإيصال الخُصومِ إليه ، وإينافهم كما أوجبهُ اللهُ تعالى عليه ؛ وأستماع ظلاماتهم ، وإحسان النظر في مشاجراتهم ؛ فإن أسفرَ للحقِّ ضياءً تبعه ، أو أشتبه الأمرُ رده إلى الحكماء ورَفَعَه . و[إلى] الناظر في أسواق الرقيق بالأحتراز والاستظهار ، وتغرية الأحوال من الشبهة في امتزاج العبيد بالأحرار : لتضحى الأنسابُ مَصُونَةً مرعية ، والأموالُ عن التَّمِّ محروسةً حمية . وإلى من ينظر في الحسبة بتصفح أحوال العامة في متاجرهم وأموالهم ، وتتبع آثار صحَّتهم في المعاملة وأعتلالهم ؛ وأعتبر المَوَازين والمكاييل ، وإلزام أربابها الصَّحَّةَ والتعديلاً ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ .

وَأَنْ يُعْمَلَ الْجَفْنَ فِي تَطْهِيرِ الْبِلَادِ، مِنْ كُلِّ مَدْخُولِ الْأَعْتِقَادِ، مَعْرُوفٍ بِالشَّبْهِ فِي دِينِهِ وَالْإِلْحَادِ، وَمَنْ يَسْعَى مِنْهُمْ فِي الْفَسَادِ، وَيَأْمُرُ الْمَرْتَبِينَ فِي الْمَرَكَزِ وَالْأَطْرَافِ بِاقْتِنَاصِهِمْ، وَكَفِّ فِسَادِهِمْ وَإِجْلَاسِهِمْ عَنْ عِرَاصِهِمْ؛ وَأَنْ يُجْرَى عَلَيْهِمْ فِي السِّيَاسَةِ مَا يَجِبُ عَلَى أَمْثَالِهِمْ مِنَ الزَّنَادِقَةِ وَالَّذِينَ تَوْبَتُهُمْ لَا تُقْبَلُ، وَأَمْرُهُمْ عَلَى حُكْمِ الْمُخَاطَبِينَ لَا يَجِلُّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَلَقَّى النِّعْمَةَ الَّتِي أُفْرِغَتْ عَلَيْهِ، وَأَنْسَاقَتْ إِلَيْهِ؛ بِشُكْرِ يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ، وَيُتَرْجَمُ عَنْهُ بَيَانُهُ: لَيْسَتْ دِيمَ بِذَلِكَ الْإِكْرَامِ، وَيُقْتَرَنُ الْإِحْسَانُ عِنْدَهُ بِالْإِلْتِمَامِ؛ وَأَنْ يُوقِفَهَا حَقَّهَا مِنْ دَوَامِ الْحَمْدِ، وَالْقَصْدِ إِلَى شُكْرِهَا وَالْعَمْدِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ شَكَرْنَا لِمَا يَشْكُرُنَا لِنَفْسِهِ﴾.

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدِ بَيَّنَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاحِ مَا أَنْتَضَحَتْ أَعْلَامُهُ، وَأُثْبِتَتْ فِي الْمَرَامِيِّ سِهَامُهُ؛ وَأَرْشَدَ إِلَى مَا أودَعَ هَذَا الْمُنْشُورُ مِنْ جَدِّ الْفَوْزِ بِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ عِبَادِهِ، عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِمَقْتَضَى جِدِّهِ وَأَجْتِهَادِهِ: لِيُحْرِزَ السَّبْقَ فِي دُنْيَاهِ وَعُقْبَاهِ، وَيَتَوَقَّرَ عِنْدَهُ مَا مُنِحَ بِهِ مِمَّا أَرْهَفَ عِزَّمَهُ وَجَبَّاهُ؛ وَغَدَا بِمَكَانِهِ رَافِلًا فِي مَلَابِسِ الْفَخْرِ وَالْبَهَاءِ، نَائِلًا مَنَى مَا طَالَ بِهِ مَنَاكِبَ الْقُرْآنِ؛ وَأَخْتَصَّ بِمَا أَعْلَى دَرَجَتَهُ فَتَقَاعَسَتْ عَنْهُ آمَالُ حَاسِدِيهِ، وَتَفَرَّدَ بِالْمَكَانَةِ عَنْ مَقَامِ مَنْ يُبَارِيهِ وَيُنَاوِيهِ؛ وَأَوْلَى مِنَ الْإِنْعَامِ مَا أَمَّنَ بِهِ سِرْبَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ، وَأَصْفَى مِنَ مَنَاهِلِ الْإِحْسَانِ وَرَدَهُ؛ وَأَهْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ مَا يَجِبُ أَنْ يُودِعَهُ وَاعِيَةَ الْأَسْمَاعِ، وَيَأْخُذَ بِالْعَمَلِ بِهِ كُلِّ رَاعٍ؛ فَيَنْهَجُ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - مَحَاجَّ الْوَلَاءِ، الَّتِي عَهَدَهُ مِنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ؛

(١) فِي الْأَصْلِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ وَهُوَ غَيْرُ مَوَاقِفَ لِبَاقِ الْكَلَامِ كَمَا لَا يَجْنِي .

متزّها عن تقصيرٍ منه في عامّة الأوقات ، ومراعياً أفعاله في جميع التصرفات ؛ ويعلم
أنّه مسؤل عن كل ما تلقّظ به لسانه ناطقا ، ونظر طرّفه إليه رامقا ؛ قبل أن يُجانب
هواه ، ويتيق رهيئنا بما آكتسبت يداه ؛ ولا يغترّ من الدنيا وزخرفها بغير أن ليس
الوفاء من طباعه ، ومُعيرٍ ما أقصر مدّة آرتجاعه ؛ وسبيلُ كافّة القضاة والأعيان
ومقدّمى العساكر والأجناد ، ورؤساء البلاد ، متابعتُه وموافقته ، وطلبُ مصالحهم
من جنابه ، والتصرفُ على آستصوابه ؛ وقد أُكثرت وصانته في الفرق بهم والاشتمال
عليهم ، والإحسان إليهم ، وإجمال السيرة فيهم ؛ وكلّما أشكل عليه أمرٌ من
المتجدّات يطالع به الديوان العزيز - مجده الله تعالى - ليُنهج له السبيل إلى فتح
رتاجه ، وسُلوكٍ منهاجه ؛ والله وليُّ التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة في كلّ إعادةٍ
وبدايه ؛ والمعونة على العِصمة من الزلّل ، والتأييد في القول والعمل ؛ إن شاء الله
تعالى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت
العلامة ، وما يكتب في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها)

أما ما يكتب في المستند ، فقد جرت العادة أن يكتب فيه نحو ما تقدّم في البيعات
وعهود ولاة العهد بالخلافة ؛ وهو : « بالإذن العالى ، المولوى ، الإمامى ، النبوى ،
القلانى » (بقلب الخلافة) أعلاه الله تعالى .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فإنه يكتب علامته وتحتهما : « فوضت إليه
ذلك ، وكتب فلان بن فلان » . ورأيت في بعض الدساتير نقلا عن الحاكم بأمر الله

أبي العباس [ابن الخليفة] المستكفي بالله أبي الربيع سليمان [أنه] كان يكتب :
« وكتب أحمد ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

وأما ما يكتب في نسخة العهد من الشهادة، فقد جرت العادة أن يكتب قاضيان
فأكثر من قبضة القضاة الأربعة في حاشية العهد أو في ذيله ماصورته : « أشهدني
مولانا أمير المؤمنين العاهد المشار إليه فيه - أدام الله تعالى أيامه - بما نسب إليه
فيه من العهد إلى فلان بن فلان » أو ما في معنى ذلك .

قلت : والواجب أن يضموا في رسم شهادته الشهادة على السلطان بقبول العهد؛
بأن يقال قبل على مانص وشرح فيه : « وعلى مولانا السلطان المشار إليه فيه بقبول
مأفوض إليه فيه » أو نحو ذلك : لأنه كما يعتبر العهد من العاهد يعتبر القبول من
المعهد إليه كما تقدم في موضعه .

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذي تكتب فيه عهد الملوك عن الخلفاء، والقلم الذي
يكتب به، وكيفية كتابتها، وصورة وضعها في الورق)

أما قطع الورق فلا نزاع في أنه يكتب في قطع البغدادى الكامل، على ما هو
مستقر العادة إلى الآن . وقد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق في المقالة الأولى^(١)
من الكتاب أن عرضه ثلاثة أشرار وخمسة أصابع، وطول الوصل كذلك .

(١) كذا في الأصل مضببا عليه ولم يتقدم في الأولى وإنما تقدم في المقالة الثالثة الكلام على
المقادير وأن عرض البغدادى الكامل ذراع واحد بذراع القماش المصرى . انظر ج ٦ ص ١٩٠
من هذا المطوع .

وأما القلم الذي يكتب به ، فمختصر قلم الطُومار لمناسبته له على ما تقدم فيما يناسب كل قطع من الورق من الأقلام .

وأما كيفية كتابة العهد وصورة وضعه في الورق ، فعلى ما تقدم في البيعات وعهود أولياء العهد بالخلافة : وهو أن يبدأ بكتابة الطرة في أعلى الدرج من أول عرض الورق إلى آخره سطوراً متلاصقةً من غير هامش ، وفي أعلاه قدرُ إصبعٍ بياضاً ، ثم يترك ستة أوصالٍ بياضاً من غير كتابة غير الوصل الذي فيه الطرة ؛ ثم تكتب البسملة في أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاتها تكادُ تلحق بالوصل الذي فوقه ، بهامش عن يمين الدرج قدر أربعة أصابع مطبوقة أو خمسة ؛ ثم يكتب سطرًا من أول العهد تحت البسملة ملاصقًا لها بحيث تكاد أعلى ألفاته تلحق بالبسملة ، ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر ، ثم يكتب السطر الثاني من العهد على سمت السطر الذي تحت البسملة ، ويترسل في كتابة بقية العهد .

ثم الذي رأيتَه في دستور معتمد يُنسب للقتر العلاءي بن فضل الله أنه يكون بين كل سطرين قدر ربع ذراع . وأخبرني بعض فضلاء الكُتاب أنه رأى في بعض الدساتير أنَّ سطورَه تكون مُردوجةً على نظير البسملة والسطر الأول ، وبين كل سطرين بعد بيت العلامة تقدير خمسة أصابع مطبوقه .

قلت : ولعل ذلك تفنن من الكاتب وتطريز للكتابة ، لا على سبيل اللزوم .

فإن قيل : لم كان مقدار البياض بين سطور العهد مع كبر قطع الورق دُونَ بياض ما بين سطور التقاليد ونحوها مما يكتب عن السلطان على ما سيأتي ذكره ؟ فالجواب أن العهد كالمكاتبة من العاهد للعهود إليه ، كما أنَّ التقليد كالمكاتبة من المقلد للقلد ، والأعلى في حق المكتوب إليه أن تكون السطور متضايقة على ما تقدم

في الكلام على المكتّبات؛ فناسب أن تكونَ سطورُ العهد أكثرَ تقارباً من سطور التقليد وما في معناه، تعظيماً لشأن السلطان في الحالتين .

فإن قيل : يُتَقَضُّ ذلكَ بعظمِ قلمِ العهد ، ضرورةً أنه كلما غلظَ القلمُ كان أنزلَ في رتبةِ المكتوبِ إليه على ما تقدمَ أيضاً ، فالجوابُ : أن غلظَ القلمِ في العهد تابعٌ للورق في كبرِ قَطْمِهِ ، وقاعدةُ ديوان الإنشاء أنه كلما كبرَ قَطْعُ الورق في المكتّبات ، كان تعظيماً للمكتوبِ إليه ، بدليل أن كلَّ من عَظُمَ مقداره من الملوك كان قَطْعُ الورق في مكاتبه أكبرَ ، ولو كَتَبَ العهدُ بقلمٍ دقيقٍ مع ضيقِ السُّطورِ وَسَعَةِ الورق لُجاء في غايةِ الفِصْر . ثم قد جرتِ العادةُ أن تكونَ كتابةُ العهد من أوّله إلى آخره من غير نَقْطٍ ولا سُكُلٍ ، وعليه عملُ الكُتّابِ إلى آخرِ وقت .

قلت : هذا بناءً على المذهبِ الراجح في أن المكتّبةَ إلى الرئيس تكونُ من غير إعجام ولا ضَبْطٍ : لما في الإعجام والضَبْط من أستجْمالِ المكتوبِ إليه ونسبته للعبّارةِ وقِلّةِ الفهمِ ، بخلاف من دَهَبَ إلى أن الكتابةَ إلى الرئيس تُقَيّدُ بالإعجام والضَبْطِ كي لا يعترِضه الشكُّ ، ولا يُكَلِّفُ إعمالَ الفكرِ ، على ما تقدم ذكره في أوائلِ المكتّبات ، فإنه يرى نَقْطَ العهد وشكّله .

وإذا آتتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة ، ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الحسبلة ، على ما تقدم في الكلام على الفواتح والخواتم في أوائلِ المقالة الأولى من الكتاب .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلاً له بالطرّة التي أنشأها القاضي علاء الدين ابن عبد الظاهر ، والعهد الذي أنشأه القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني للملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهو العهد الأخير من المذهب الأول .

الطزوة

هذا عهد شريف تجددت مسرات الإسلام بتجديده، وتأكدت أسباب الإيمان بتأكيده، ووجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده، ووقد اليمن والإقبال على الخليفة بوفوده، وورد الأنام مورد الأمان بوروده . من عبدالله وليه الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد، عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد خلد الله سلطانه، ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه على ما شرح فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الهامش هذا عهد شريف يعمر بك للإسلام المعاهد، وينصر منك الاعتزام

بيت العلامة

فتغنى عن الموالى والمعاضد، ويلقى إليك مقاليد الأمور لتحمى فى مرضاة

تقدير ربع ذراع

الله ومجاهد، ويعتك على العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك

تقدير ربع ذراع

عند الله فى أعظم المشاهد - إلى أن يأتى إلى قوله فى آخره : والله تعالى

المهام يخلده رتبة الملك التي أعلى بها مقامه ، ويُدِّمُهُ نصرًا للدين الحنيف

فأنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ؛ ويجعل سببَ هذا العهد

مدى الأيام متيناً ، ويجدد له في كل وقت نصراً قريباً وفتحاً مبيناً ؛

والخط الحاكم أعلاه ، حجةً بمقتضاه

إن شاء الله تعالى

كتب في من شهر كذا

سنة كذا

بالإذن العالى المولوى الإمامى النبوى الحامى

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الثالث

(من العهود عهودُ الملوك لولاية العهد بالملك)

وهو أن يعهد الملك بالملك بعده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب .

ويتعلق النظرُ به من سبعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان صحّة ذلك)

لما صحّت إمارة الاستيلاء إجماداً للفتن، وتنفيذاً للأحكام الشرعية على ما تقدم من كلام الماوردي في النوع الثاني من العهود، اقتضت المصلحة تصحيح العهد بالملك لما فيه من المعنى المتقدم . وقد جرت عهود من الملوك لأبنائهم بالديار المصرية وغيرها بحضرة الجهم الغفير من العلماء وأهل الحل والعقد فأَمْضَوْا حكم ذلك ولم ينكروه، وذلك منهم دليل الجواز .

فإن قيل : قد تقدم في النوع الثاني من العهود من كلام الماوردي أن وزير التفويض لا يجوز له أن يعهد بالوزارة لغيره ، ووزارة التفويض في معنى السلطنة الآن أو قريبة منها على ما تقدم هناك ، فالجواب : أنه قد تقدم أن السلطنة الآن مُركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء ، بل السلطان الآن كالمستبد بالأمر ، والشوكة مصححة لأصل الولاية فلأن تكون مصححة لفرعها أولى .

الوجه الثاني

(فيما يكتب في الطرزة)

ينبغي أن يكون ما يكتب فيها على نحو ما يكتب في طرر عهود الملوك عن الخلفاء ، إلا أنه يُزاد فيها : « عهد إليه بالملك بعده » كما يقال في عهود الخلفاء عن الخلفاء : « عهد إليه بالأمر بعده » .

وهذه نسخة طرزة :

« هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على نخره ، متبلج صبحه صويّ
بحره . من السلطان الأعظم الملك الفلاني فلان الدنيا والدين فلان ، خلد الله تعالى
سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه - بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالي السلطاني
الملك الفلاني ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد
الإفضال ، على ما شرح فيه » .

الوجه الثالث

(في الألقاب التي تُكتب في أثناء العهد)

وقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب له : المقام الشريف أو الكريم ، أو العالي
مجتردا عن الشريف والكريم ، ويُقتصر فيها على الألقاب المفردة دون المركبة .

قلت : وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ألقاب
الملك الصالح على بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ،
فقال : « ولما كان المقام العالي الولدي السلطاني الملكي الصالح المهادي » .

وعلى نحو من ذلك كتب المشار إليه ألقاب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس في عهده بالسلطنة عن والده المذكور، فقال: « وخرج أمرنا بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركة خاقان محمد » إلا أنه قد خالف ذلك فيما كتب به في ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده فجمع بين الألقاب المفردة والمركبة، فقال: « هذا عهدنا للسيد الأجل الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين، نفي الملوك والسلاطين، خليل أمير المؤمنين » ولم يتعرض في التعريف لحكاية هذا المذهب، مع كون كلام ابن عبد الظاهر حجة يرجع إليه في هذا الفن .

الوجه الرابع

(ما يكتب في المستند)

ويتعين أن يكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » لصدوره عن السلطان كما يكتب في التقاليد .

الوجه الخامس

(ما يكتب في متن العهد)

وللكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى — أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا » ونحوه على ما تقدم في عهود الملوك عن الخلفاء .

وعلى هذه الطريقة كتب أبو بكر بن القصيرة المغربي الكاتب عن أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » سلطان المغرب بولاية عهده لابنه أبي الحسن على ما بيده من الغرب والأندلس، في ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة، وهو :

كُتِبَ تَوَلِيَّةٌ عَظِيمٌ جَسِيمٌ ، وَتَوْصِيَّةٌ حَمِيمٌ كَرِيمٌ ، مُهَّدَتْ عَلَى الرِّضَا قَوَاعِدُهُ ،
 وَأُكِّدَتْ بِيَدِ التَّقْوَى مَعَاقِدُهُ ، وَأُبْعِدَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْهَوَى مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ،
 أَنْفَذَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرُ الدِّينِ ، أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ ؛ أَدَامَ اللَّهُ أَمْرَهُ ،
 وَأَعَزَّنَا نَصْرَهُ ، وَأَطَالَ فِيهَا يُرِضِيهِ وَيَرْضَى بِهِ عَنْهُ عُمُرَهُ ؛ غَيْرَ مُحَابٍ ، وَلَا تَارِكٍ
 فِي النَّصِيحَةِ لِلَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَلِرَسُولِهِ مَوْضِعَ آرْتِيَابٍ لِمُرْتَابٍ - لِلْأَمِيرِ الْأَجَلُّ أَبُو الْحَسَنِ
 عَلَى ابْنِهِ الْمُتَقَبَّلِ شَيْمِهِ وَهَمَمِهِ ، الْمُتَأَنِّلِ حِلْمِهِ وَتَحَلُّمِهِ ؛ النَّاشِئُ فِي حَجْرِ تَقْوِيمِهِ وَتَأْدِيبِهِ ،
 الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ يَدَيْ مُتَحَدِيهِ وَتَهْدِيهِ ؛ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ وَتَوْفِيقَهُ ، وَأَنْهَجَ إِلَى كُلِّ صَالِحٍ
 مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُ ؛ وَقَدْ تَهَمَّ بَمَنْ تَحْتَ عَصَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا فِيمَنْ يُخَلِّفُهُ
 فِيهِمْ هُدًى لِلتَّقِيْنَ ، وَلَمْ يَرَأَنَّ يَتْرَكُهُمْ سُدًى غَيْرَ مَدِينِينَ ؛ فَأَعْتَمَّ فِي النَّصَابِ الرَّفِيعِ
 وَأَخْتَارَ ، وَأَسْتَنْصَحَ أَوْلِيَ الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَمَنْ غَيْرِهِمْ وَأَسْتَشَارَ ، وَأَسْتَضَاءَ بِشِهَابِ
 اسْتِخَارَةِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَأَسْتَنَارَ ؛ فَلَمْ يُوقِعْ اللَّهَ بَعْدَ طَوْلِ تَأَمُّلٍ ، وَتَرَاحِي مُدَّةٍ وَتَمَهُّلٍ ؛
 اخْتِيَارَهُ وَلَا اخْتِيَارَ مَنْ فَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَ التَّقْوَى وَالْحِكْمَةِ وَالتَّجْرِبَةِ
 وَأَسْتَشَارَهُ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا صَارَ بِهِ وَبِهِمُ الْإِجْتِهَادُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا التَّقْيُّ وَرَادَ التَّرَائِي
 وَالتَّشَاوُرُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَوَلَّاهُ عَلَى اسْتِحْكَامٍ بَصِيرَةٍ وَبَعْدَ طَوْلِ مَشُورَةٍ عَهْدَهُ ،
 وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ بَعْدَهُ ؛ وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي رِعَايَا مَسْنَدِهِ
 وَأَوْطَأَ عَقِبَهُ جَمَاهِيرَ الرِّجَالِ ، وَنَاطَهُ بِمُهَمَّاتِ الْأَمْوَالِ وَالْأَحْوَالِ ؛ وَعَهَّدَ إِلَيْهِ أَنْ
 يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلَا يَعْدِلَ عَنْ سُنَّتِ الْعَدْلِ وَحُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي أَحَدٍ
 عَصَى أَوْ أَطَاعَ ، وَلَا يَنَامَ بِهِ عَنْ حِمَايَةٍ مِنْ أَسْهَرِ الْحَيْفِ وَالْخَوْفِ وَالْإِضْطِجَاعِ ؛
 وَلَا يَتَلَهَّى دُونَ مَعْلَنِ شَكْوَى ، وَلَا يَتَصَمَّمُ عَنْ مُسْتَصْرِخٍ لِدَفَاعِ بَلْوَى ؛ وَأَنْ يَنْتَظِمَ
 أَقْصَى بِلَادِهِ وَأَدْنَاهَا فِي سِلْكِ تَدْبِيرِهِ ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ مِنْ رِعْيَتِهِ بُونَ

(١) كذا في الأصول ولعله تحريبه . تأمل .

في إحصائه وتقديره؛ ثم دعا - أدام الله تأييده - لمبايعته من دنا ونأى من المسلمين، فلبوا مسرعين وأتوا مهطعين، وأعطوا صفقة أيانهم متبرعين متطوعين؛ وبايعوه على السمع والطاعة، والالتزام سنن الجماعة؛ وبذل النصيحة، وإصفاء النيات الصحيحة؛ وموادة من صاحبه، ومحاربة من حاربه؛ ومكايمة من كأيده، ومعاونة من عانده؛ لا يتخرون في ذلك على حال المكره والمنشط مقدره، ولا يحتجون في وقتي السخط والرضا بمعذره؛ ثم أمر بخاطبة أهل البلاد لئبايعه كل طائفة في بلدها، وتعطيه كما أعطاه من حضر صفقة يدها؛ حتى يستوى في الالتزام ببيعته، التريب والبعيد، ويجمع على الاعتصام بحبل دعوته، الغائب والشهيد؛ وتطمئن من أعلام الناس وخيرهم قلوب كانت من ترانخي ما أنتجز قلبه، ولم ترل ببقية التأثر أرقه؛ ويشمل الناس السرور والاستبشار، ونتمكن لهم الدعوة ويتمهد القرار؛ وتتشأ في الصلاح لهم آمال، ويستقبلهم جد صاعد وإقبال؛ والله يبارك لهم فيها بيعة رضوان، وشفقة رُحمان، ودعوة إيمان؛ إنه على ما يشاء قدير، لا إله إلا هو نعم المولى ونعم النصير .

شهد على أمير المسلمين ناصر الدين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين - أدام الله أمره، وأعز نصره - بكل ما ذكر عنه من الالتزام البيعة المنصوصة فوق هذا، وأعطى صفقة يمينه متبرعا بها، وبالله التوفيق . وذلك بحضرة قرطبة حماها الله تعالى .

الطريقة الثانية - أن يفتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتحة بالحمد لله، وهي طريقة المصريين، وعليها أقصر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن الظاهر بيبرس عهد ولده الملك السعيد بركة، وهذه نسخته :

(١) في الأصول أمير المؤمنين وهو سمو عما تقدم فتنه .

الحمد لله مُمَيِّ الغُروس ، ومُبهِجِ النفوس ، ومزِينِ سماءِ المملكةِ بأحسنِ الأهلَةِ
وأضواءِ البدورِ وأشْرِقِ الشُّموسِ ؛ الذي شَدَّ أزرَ الإسلامِ ، بملوكِ يتعاقبونِ مصالِحَ
الأنامِ ، ويتناوونَ تدييرهم كَتَاوُبِ العينينِ واليدينِ في مُهَمَّاتِ الأجسادِ ومُلمَّاتِ
الأجسامِ .

نحمدهُ على نِعْمَةِ التي أَبْقَظَتْ جَفْنَ الشُّكْرِ المُتَغَافِي ، وأوردتْ نَهْلَ الفضلِ الصَّافِي ،
وَحَوَّلَتِ الآلَاءَ حَتَّى تَمَسَّكَتِ الآمَالَ منها بِالوَعْدِ الوَفِيِّ وَأَخَدَتْ بِالوِزْنِ الوَافِي ؛
ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له شهادةَ عبدٍ كَثُرَ اللهُ عَدَدُهُ وَعُدَدُهُ ،
وأحمدُ أمسَهُ وَيَوْمَهُ وَيُحْمَدُ - إن شاء اللهُ تعالى - غَدَهُ ؛ ونُصَلِّيُّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ
الذي أَطْلَعَ اللهُ بِهِ نَجْمَ الهدى ، وألبسَ المُشْرِكِينَ به أُرْدِيَةَ الرَّدَى ؛ وأوصَحَ به
مَنَاهِجَ الدينِ وكانتْ طرائقَ قَدَدَا ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وصحبه صلاةً دائِمَةً
لا تتقضى أبداً .

وبعدُ ، فإننا [بما] أَلْهَمَنَا اللهُ من مِصَالِحِ الأُمَمِ ، وَخَوَّلَنَا من الحِرْصِ على مُهَمَّاتِ
العبادِ الذي قَطَعَ به شَافَةَ الكُفْرِ وَحَتَمَ ، وأتَى به والشركُ قد عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَشْتَعَالَ
ناره فكانَ عَلَمًا بنايِرَ مُضْرَمَةٍ لا نارًا على عَلمٍ ؛ وَقَدَّرَهُ من رَفَعِ الكُفْرَ من جَمِيعِ
الجوانِبِ ، وَقَفَّوهُم من كلِّ جِهَةٍ حَتَّى رَمَاهُم بِالْحَتْفِ الوَاصِلِ والعذابِ الوَاصِلِ ؛
فأَصْبَحَ الشُّرْكَ من الإِبَادَةِ في شَرِكِ ، والإِسلامُ لا يَحْشِي من قَتَلٍ ولا يَخَافُ من
دَرَكٍ ؛ وَتُغَوَّرُ الإِسلامَ عَالِيَةَ المَبْتَنِي ، جَانِيَةً ثَمَارَ الإِدْخَارِ من هُنَا ومن هُنَا ؛ تُرَاحِمُ
بِرُوجِها في السَّمَاءِ البُرُوجِ ، وتُشَاهِدُ الأعداءَ منها سَمَاءً قَد بُنِيَتْ وَزِيَّتْ وما لها من
فُرُوجِ ؛ وَعَسَا كَرِ المِلَّةِ المَحْمَدِيَّةِ في كُلِّ طَرَفٍ من أَطْرَافِ المَمالِكِ تَجُولُ ، وفي كُلِّ
وَادِيَةٍ حَتَّى تَشْعُرُ بالنِصْرِ وَلَكِنَّا تَفْعَلُ ما تُقُولُ ؛ قَد دَوَّخَتْ البِلادَ قَتَلَتْ الأعداءَ

تارة بالإمام وتارة بالإدهام ، وسلتُ سُيوفها فراعتهم يقظةً بالقرع ونوما بالأحلام ؛ ترى أنا قد لذلنا هذا الأمر التذاذذ المستطيب ، وحسن لدينا موقعه فعكفنا عليه عكوف المستجيد ولبيناه تلبية المستجيب ؛ وجعلنا فيه جميع الآلات والحواس ، وتقسمت مباشرة ومؤامرتة سائر الزمن حتى غدا أكثر ترددا إلى النفس من الأتفاس ؛ واستنفدنا الساعات في امتطاء المضمر الشمس ، وأذراع محكم الدلاص التي كأنها مبيض برقي أو شعاع شمس ؛ وتجريد المرهفات التي جفت لحاظها الأجفان ، وجرت فكالمياه وأضمرت فكالتيران ؛ وتفويق السهام التي غدت قسيها مرابعا نبالها بان (؟) ، وأعتقال السمهرية التي تفرع الأعداء سنها ندما كلما قرعت هي السنان ، إلى غير ذلك من كل غارة شعواء نسيء للكفار الصباح ، وتصدم كالجبال وتسير كالرياح ؛ ومنازلات كم استلبت من موجود ، وم استنجزت من نصير موعود ، وم مدينة أصحت لها مدينة ولكن أخرها الله إلى أجل معدود .

وكانت شجرتنا المباركة قد امتد منها فرع تفرسنا فيه الزيادة والنمو ، وتوسمنا منه حسن الجنى المرجو ؛ ورأينا أنه الهلال الذي قد أخذ في ترقى منازل السعود إلى الإبدار ، وأنه سرننا الذي صادف مكان الاختبار له مكان الاختيار ؛ فأردنا أن ننصبه في منصب أحلنا الله فسيح عرفه ، ونشرفه بما خولنا الله من شرفه ؛ وأن تكون يدنا ويده تلتقطان من ثمره ، وجيدنا وجيده يتحليان بجوهره ؛ وأنا نكون للسلطنة الشريفة السمع والبصر ، وللملكة المعظمة في التناوب بالإضاءة الشمس والقمر ؛ وأن تصول الأمة منا ومنه بجدين ، وييطشوا من أمرنا وأمره بيدين ، وأن نرتبه على حسن سياسة تحمد الأمة - إن شاء الله تعالى - عاقبتها عند الكبر ، وتكون

الأخلاق الملوكة منتشة منه ومنتشة به من الصغر، ونجّل سعى الأمة حمداً، ونهب لهم منه سلطاناً نصيراً ومُلُكا سعيداً، وتقوى به عضد الدين وزيش جناح الملكة، وتفتح مطلب الأمة ببايائه وكيف لا يتفتح مطلب فيه بركه؟ .

ونخرج أمرنا لا برح مُسعداً ومُسعفاً، ولا عديم الأمة منه خلفاً مُنبئاً ونوعاً^(١) مُخلفاً؛ بأن يُكتب هذا التقليد لولدنا السعيد ناصر الدين « بركة خاقان محمد » جعل الله مطلع سعده بالإشراق مُحفوفاً، وأرى الأمة من ميامينه ما يدفع للدهر صرفاً ويُحسّن بالتدبير تصريفها - بولاية العهد الشريف على قُرب البلاد وبعدها، وغورها وتجددها، وقلاعها وتغورها، وبرورها وبحورها، وولاياتها وأقطارها، ومُدنها وأمصارها، وسهلهما وجبلها، ومُعظلهما ومُغتلبها، وما تحوى أقطاره الأحلام، وما يُنسب للدولة القاهرة من يمين وحمجاز ومِصر وغرب وسواحل وشام بعد شام، وما يتداخل ذلك من قفار ومن بيد في سائر هذه الجهات، وما يتخللها من نيل وملح وعذب فُرات، ومن يسكنها من حقير وجليل، ومن يحلها من صاحب رُغاء وثغاء وصليل وصهيل، وجعلنا يده في ذلك كله المبسوطه، وطاعته المشروطة ونواميسه المضبوطة؛ ولا تدبير مُلكٍ كُلى إلا بنا أو بولدنا يُعمل، ولا سيف ولا رزق إلا بأمرنا هذا يُسلّ وهذا يُسأل؛ ولا دسّت سلطنة إلا بأحدنا يتوصّح منه الإشراق، ولا عُصن قلم في روض أمر ونهى إلا ولدنا ولديه تمتد له الأوراق؛ ولا منبر خطيب إلا باسمنا يُمسّ، ولا وجه درهم ولا دينار إلا بنا يُسرق ويكادُ تبرجاً لا بهرجاً يتطّلع من خلال الكيس .

فليقلّد الولد ماقلدناه من أمور العباد، وليشركنا فيما نبأ شره من مصالح الثغور والقلاع والبلاد؛ وستعاهد هذا الولد من الوصايا بما سيحدثنا معه نوعاً ما، ويتبرج

(١) يقال أنبلت الرجل ونبلته إذا ناولته النبل ليرى والمراد أنه نافع معين تأمل .

بِلِحْمِهِ وَدَمِهِ حَتَّى يَكَادَ يَكُونُ ذَلِكَ إلهَامًا لَا تَعْلَمُ ؛ وَفِي الْوَلَدِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ نَفَادِ
الذَّهْنِ وَصِحَّةِ التَّصَوُّرِ مَا تُتَشَكَّلُ فِيهِ الْوَصَايَا أَحْسَنَ التَّشْكِيلِ ، وَتُظْهَرُ صُورَةُ الْإِبَانَةِ
فِي صَفَائِهِ الصَّغِيرِ ؛ فَلِذَلِكَ آسْتَعِينَا عَنْ شَرْحِهَا هَاهُنَا مَسْرُودَةً ، وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
مِنْ حُسْنِ الْخَلِيقَةِ مَا يَحَقِّقُ أَنَّهَا بَشَرٌ الْإلهَامِ مَوْجُودَةٌ ؛ وَاللَّهُ لَا يُعِدُّنَا مِنْهُ إِسْفَاقًا
وَبِرًّا ، وَيَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلْأُمَّةِ سِنْدًا وَدُنْحًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر أيضا عن المنصور « قلاوون »
عهد ولده الملك الأشرف صلاح الدين « خليل » وهذه نسخته :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَمَرَ ، وَالرِّضَا وَالشُّكْرُ فِيمَا هَدَمَ مِنْ
الْأَعْمَارِ وَمَا عَمَّرَ ، وَالتَّقْوِيضُ فِي التَّعْوِيضِ إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ بِقِي الْقَمَرِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ سُلْطَانَنَا ثَابِتَ الْأَرْكَانِ ، كُلِّ رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِهِ ذَاتُ أَفْنَانٍ ؛
لِاتِّعَازِهِ رِيحَ عَقِيمٍ ، وَلَا يُجْرِحُهُ رُزْءُ عَظِيمٍ عَنِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ؛ وَلَا يُعْتَبِطُ مِنْ جَمَلَتِهِ
كَرِيمٍ إِلَّا وَيُعْتَبِطُ مِنْ أَسْرَتِهِ بِكَرِيمٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تَزِيدُ قَائِلَهَا تَقْوِيضًا وَتُجْزِلُ لَهُ تَعْوِيضًا ، وَتُحْسِنُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فِي كُلِّ
خَطْبٍ جَلِيلٍ تَحْرِيزًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّسْلِيمِ :
﴿ وَمَا مَجْدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ . وَالنَّبِيُّ الَّذِي أَوْصَحَ بِهِ الْمَنَاجِحَ
وَبَيَّنَ بِهِ السُّبُلَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَجَاوَبَتِ الْمَحَارِبُ وَالْمَنَابِرُ فِي الْبِكْرِ
وَالْأَصْلِ ؛ وَمَا نَثَرَتْ عَقُودُ وَنُظِمَتْ ، وَوُسِّخَتْ آيَاتُ وَأُحْكِمَتْ ؛ وَنُقِضَتْ أُمُورٌ
وَأُبْرِمَتْ ، وَمَا عَزَمَتْ آرَاءً فَتَوَكَّلْتُ وَتَوَكَّلْتُ فَعَزَمْتُ ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين منهم من كان للخليفة نِعْمَ الخليفة ، ومنهم من لم يُدْرِكْ أحدٌ في تَسْوِيدِ النفسِ الحَصِيْفَةِ ولا في تَبْيِضِ الصَّحِيْفَةِ مُدَّةً ولا نَصِيْفَهُ ؛ ومنهم من يَسَّرَهُ اللهُ لتَجْهِيْزِ جَيْشِ العُسْرَةِ فعَرَفَ اللهُ ورسوله معروفه ، ومنهم من عَمِلَ صالحاً أَرْضَى رَبَّهُ وأصْلَحَ في ذُرِّيَّتِهِ الشَّرِيْفَةِ .

وبعد ، فإن من الطَّافِ اللهُ تعالى بعباده ، وآكْتَفَانِ عَوَاطِفِهِ ببلادِهِ ؛ أن جعلنا كُلمًا وهى لُلكِ ركنٌ شَدِيدٌ شَيْدَانَا رُكْنًا عَوْضَهُ ، وكلما أَعْتَرَضَتْ للقاَدِيْرِ جَمَلَةٌ بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَتَنَاسَيْنَا - تَجَلَّدَا - تلكَ الجَمَلَةَ المَعْتَرِضَةَ ؛ فلم يُجِجِ اليَوْمَ لَأَمْسِهِ ، وإن كان حَمِيدًا ، ولا الغَارِسَ لَغْرَسِهِ ، وإن كان ثَمْرُهُ يَابِغًا وَظَلُّهُ مَدِيدًا ؛ فَأَطَاعَنَا في أُنُقِ السُلْطَنَةِ كوكبًا سَعِيدًا كان حُسْنُ الأَسْتِخْلَافِ مُعَدًّا ، وَمَنْ لَقِيْلَ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ؛ وَمَنْ يَبْشُرُ اللهُ بِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ المُتَّقِينَ وَيُنْذِرُ مِنَ الأَعْدَاءِ قَوْمًا لُدًّا ، ولم يَبْقَ [إلا] بِهِ أُنْسُنَا بَعْدَ ذَهَابِ الَّذِينَ تَحْسَبُهُمْ (كالسيفِ فَرْدًا) ؛ والذي مَأْمُضَى حَدَهُ ضَرِيْبَةٌ إِيَّا (قَدَّ البَيْضَ والأَبْدَانَ قَدًّا) ؛ ولا جَهَّزَ رَايَةَ كِتَابِيَّةٍ إِيَّا أَعْنَى غَنَاءِ الذَاهِبِينَ وَعَدَّ الأَعْدَاءَ عَدًّا ؛ ولا بَعَثَهُ جَزَعٌ فَقَالَ : (كَمْ مِنْ أُخٍ لِي صَالِحٍ) إِلَّا لِقِيَهُ وَرَعُ فَقَالَ : (وُخِلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا) ؛ وهو الذي بَقِوْا عِدَ السُلْطَنَةِ أَدْرَى وَبِقَوَانِيْنِهَا الأَعْرَفُ ، وَعَلَى الرِّعَايَا الأَعْطَفُ وَبِالرِّعَايَا الأَرَأْفُ ؛ وهو الذي مَاقِلَ لِنِئَانِ مُلْكِهِ هَذَا عَلِيْهِ قَدْ وَهَى إِيَّا وَقِيْلَ هَذَا بِنَاءٌ مِثْلُهُ مِنْهُ أَسْمَى مُلْكُ أَشْرَفٍ . والذي مَابَرِحَ النُّصْرُ يَتَسَمُّ مِنْ مَهَابِّ تَأْمِيْلِهِ الفَّلَاحُ ، وَيَتَبَسَّمُ نَعْرَهُ فَتَتَوَسَّمُ الثُّغُورُ مِنْ مَبْسَمِهِ النَّجَاحُ ؛ وَيُقَسِّمُ نُورَهُ عَلَى البَسيْطَةِ فلا مِضْرٌ مِنَ الأَمْصَارِ إِلَّا وهو يَشْرِبُ إِلَى مُلَاحِظَةِ جَبِيْنِ عَهْدِهِ الوَضَّاحُ ، وَيَتَفَتَّقُ أَشْتَقَاقُ النُّعُوتِ فيقولُ التَّسَلَّى لِلتَّعَلَّى : سَوَاءُ الصَّالِحِ وَالصَّلَاحِ ؛ والذي مَابَرِحَ لِشِعَارِ السُلْطَنَةِ إِلَى تَوَقُّلِهِ وَتَنَقُّلِهِ أُمَّ حَنِينٍ ، وَكَأَمَّا كُوْشِفَتِ الإِمَامَةُ العَبَاسِيَّةُ بِشَرَفِ مَسْمَاهُ فَيَا تَقَدَّمَ مِنْ زَمَنِ سَلَفٍ وَمِنْ حِينٍ ؛ فَسَمَّتْ وَوَسَمَّتْ بِأَسْمِهِ

أكابر الملوك وأخيار السلاطين، فحُوطِبَ كُلُّ مِنْهُمْ مَجَازًا لَاهِذِهِ الْحَقِيقَةِ «بِجَلِيلِ»
 أمير المؤمنين؛ والذي [كم] جَلَّابِهِىَّ جَبِينَهُ مِنْ بِيهِمْ، وَكَمْ غَدَا الْمُلْكُ بِحُسْنِ رُوَايِهِ
 وَيُمْنِ آرَائِهِ يَسِيمٍ، وَكَمْ أBRَأَ مَوْرُدَهُ الْعَذْبُ هِيمَ عَطَاشٍ وَلَا يُتَكَرَّ الْخَلِيلُ إِذَا قِيلَ عَنْهُ
 أَبْرَاهِيمُ؛ وَمَنْ تَشَخَّصَ الْأَبْصَارَ لِحَالِهِ يَوْمَ رَكُوبِهِ حَسِيرِهِ، وَتَلَقَّى الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ذَهَلًا
 وَهِيَ لَا تَدْرِي لِكَثْرَةِ الْإِيْمَاءِ إِلَى جَلَالِهِ إِذَا بَيَدُو مَسِيرِهِ؛ وَالَّذِي أَلْهَمَ اللَّهُ الْأُمَّةَ لِحُودِهِ
 وَوُجُودِهِ صَبْرًا جَمِيلًا، وَأَتَاهُمْ مِنْ نَفَاسَةِ كَرَمِهِ وَحِرَاسَةِ سَيْفِهِ وَقَلَمِهِ تَأْمِينًا وَتَأْمِيلًا؛
 وَعَظَّمَ فِي الْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ بِمَا مِنْ بَرِّهِ سَيُكُونُ الْأَبُوتَةَ الشَّرِيفَةَ وَلَدًا وَسَمَاءَ اللَّهِ
 « خَلِيلًا » .

وَمَا تَحْتَمُّ مِنْ تَفْوِيضِ أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَوْفَتِهِ الْمَعْلُومُ قَدْ تَأَنَّرَ، وَتَحَيَّنَ
 حِينَهُ فَجُكِّلَ زِيَادَةَ كَرِيَادَةِ الْهَلَالِ حَتَّى بَادَرَ تَمَامَهُ فَأَبْدَرَ؛ أَقْتَضَى حُسْنَ الْمُنَاسِبَةِ
 لِنَصَائِحِ الْجُمْهُورِ، وَالْمِرَاقِبَةِ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ؛ وَالْمُصَاقِبَةِ لِمَنَاجِحِ الْبِلَادِ وَالثُّغُورِ، وَالْمُقَارَبَةِ
 مِنْ قَوَاتِحِ كُلِّ أَمْرٍ مَيَسُورٍ؛ أَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ وَلايَةَ الْعَهْدِ الشَّرِيفِ بِالسُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ
 الْعَظْمَى، الْمَكْرَمَةَ الْمَفْضَحْمَةَ الْمُنْظَمَةَ؛ وَأَنْ يَسْطُرَ يَدَهُ الْمُنِيفَةَ لِمَصَاحِفِهَا بِالْعُهُودِ،
 وَتَحْكُمُهَا فِي الْعَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ، وَفِي الْبُحُورِ وَالثُّغُورِ وَفِي التَّهَامِ وَالتَّجُودِ؛ وَأَنْ يُعَدِّقَ
 بِسَيْطِهَا وَقَلَمِهَا كُلَّ قَطْعٍ وَوَصْلٍ، وَكُلَّ فَرْعٍ وَأَصْلٍ، وَكُلَّ نَصْرٍ وَنَصْلٍ؛ وَكُلَّ مَا يَجِي
 سَرْحًا، وَيَهْمِي مَنَحًا، وَفِي الْمُنِيرَاتِ فِي الْإِعْدَاءِ عَلَى الْأَعْدَاءِ نَقْعًا وَفِي الْمَغِيرَاتِ
 صُنْبًا؛ وَفِي الْمَنْعِ وَالْإِطْلَاقِ، وَفِي الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ؛ وَفِي الْخَلْمِيسِ إِذَا سَاقَ،
 وَفِي السُّيُوفِ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقَ، وَفِي الرِّمَاحِ إِذَا أَلْتَفَّتِ السَّاقُ
 بِالسَّاقِ؛ وَفِي الْمُعَاهَدَاتِ وَالْمُحَدَّنِ، وَفِي الْفِدَاءِ بِمَا عَرَضَ مِنْ عَرَضٍ وَبِالْبُدْنِ
 بِالْبَدْنِ؛ وَفِي مَا ظَهَرَ مِنْ أُمُورِ الْمُلْكِ وَمَا بَطَّنَ، وَفِي جَمِيعِ مَا تَسْتَدْعِيهِ بَوَاعِثُهُ، فِي السَّرِّ
 وَالْعَلَنِ، وَتَسْتَرِيهِ نَوَافِثُهُ، مِنْ كَبْتٍ وَكُتْبٍ مُتَفَرِّقِينَ أَوْ فِي قَرْنٍ؛ عَهْدًا مَبَارَكًا عَوْدَهُ

وتماؤه ، وفوائحه وخواتمه ؛ ومناسمه ومياسمه ، وشروطه ولوازمه ؛ وعلى عاتق الملك الأعزّ نجاده وفي يد جبار السموات قائمه ؛ لا راد لحكمه ولا ناقص لبرمه ، ولا داحض لما أثبتته الأقاليم من مكنون علمه .

[و] زيده مرّ الليلي جدّة * وتقادم الأيام حسن شباب

وتلزم السنون والأحقاب ، آستيداعه للذرائع والأعقاب ؛ فلا سلطان ذو قدر وقدره ، ولا ذو أمر وإمره ؛ ولا نائب في مملكة قربت أو بعدت ، ولا مقدم جيوش أتممت أو أنجذت ، ولا راجع ولا رعيه ، ولا ذو حكم في الأمور الشرعيه ؛ ولا قلم إنشاء ولا قلم حساب ، ولا ذوو أنساب ولا ذوو أسباب ؛ إلا وكلّ داخل في قبول هذا العقد الميمون ، وتمسك بحكم كتابه المكنون ، والتسليم لنصه الذي شهد به من الملائكة الكرام الكاتبون ؛ وأمست بيعته بالرضوان محفوظه ، والأعداء يدعونها تضرعاً وخيفه ، ولشكروا الصنيع الذي بعد أن كانت الخلفاء تسلطن الملوك قد صار سلطانهم يقيم من ولاة العهد خليفة بعد خليفه .

وأما الوصايا فأنت يا ولدنا الملك الأشرف - أعزك الله - بها الدرب ، ولسماع شدوها وحدوها الطرب ، الذي للغو لا يضطرب ؛ فعليك بتقوى الله عز وجل فإنها ملاك سدادك ، وهلاك أضدادك ؛ وبها يراش جناح نجاحك ، ويحسن اقتداء اقتداحك ؛ فاجعلها دفين جوانج تأمليك ووعيك ، ونصب عيني أمرك ونهيك ؛ والشرع الشريف فهو قانون الحق المتبع ، ومأمون الأمر المستمع ؛ وعليه مدار إعاء كل إيعاز ، وبه يتمسك من أشار وأمتاز ، وهو جنّة والباطل نار : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ . فلا تخرج في كل حال عن لوازمه وشروطه ، ولا تتكبر عن معلقه ومنوطه . والعدل فهو متمرّغروس الأموال ، ومعمر بيوت

الرجاء والرجال، وبه تزكو الأعمار والأعمال؛ فاجعله جامع أطراف مراسمك، وأفضل أيام مواسمك؛ وسم به فعلك، وسم به فرضك ونفلك، ولا تُفرد به فلانا دون فلان، ولا مكانا دون مكان، وأقرنه بالفضل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. وأحسن التخويل، وأجمل التئويل؛ وكثر لمن حولك التئويل والتئويل، وضاعف الحير في كل مضاف لقامك، ومُستضيف بإنعامك؛ حتى لاتعدم في كل مكان وكل زمان ضيافة الخليل؛ والشغور فهي للمالك مباسمها، وللسالك مناسمها؛ فاجعل نواجذها تفتُر عن حسن ثنابا الصون، ومراسفها شنبه الشفاه بحسن العون؛ ومنها، بما ينحى السرح منها، وأعنها، بما يدفع المكاره عنها؛ فإنها للنصر مقاعد، وبها حفظ البلاد من كل مار من الأعداء مار؛ وأمرأ الجيوش فهم السور الواقي بين يدى كل سور، وما منهم إلا كل بطل بالنصر مشهور، كما سيفه مشهور؛ وهم ذخائر الملوك، وجواهر السلوك، وأخير الأكار الذين خلصوا من الشكوك؛ وما منهم إلا من له خدمات سلقت، وحقوق عرفت، وموات على استنزام الرعاية للعهد وُفقت؛ فكن جنودهم متحبا، ولرابعهم محصبا، ولصالحهم مرتبا، ولآرائهم مستصوبا، ولا اعتضادهم مستصحبا، وفي حمدهم مُطنبا، وفي شكرهم مُسببا؛ والأولياء المنصوريون الذين هم كالأولاد، ولهم سوابق أمت من سوابق الإيجاد؛ وهم من علمت استكانة من قربنا، ومكانة من قلبنا؛ وهم المساهمون فيما ناب، وما برحوا للدولة الظفر والناب؛ فأسهم لكل منهم من احترامك نصيبا، وأدم لهم آرتياحك، وألن جماحك، وقوهم بسلاحك، تجد منهم ضروبا؛ وترى كلاً منهم في أعدائك ضروبا.

وكما أنا نوصيك بجيوش الإسلام، كذا نوصيك بالجيوش الذي له الجوار المنشآت في البحر كالاعلام؛ فهو جيش الأمواه والأمواج، المضاف إلى الأفواج من جيش

الْفَجَاحُ ؛ وَهُوَ الْجَيْشُ السَّلِيمَانِيُّ فِي إِسْرَاعِ السَّيْرِ ، وَمَا سُمِّيَتْ شَوَانِيهِ غِرْبَانَا
 إِلَّا لِجَمْعِهَا بِهَا لَنَا مَا أَجْتَمَعَ لِسَلِيمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَسْخِيرِ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ ؛
 وَهِيَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى شَجِّ الْبَحْرِ الْأَسْوَارِ ، فَإِنْ قُدِّتْ قَذَفَتْ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِ
 الْأَعْدَاءِ وَإِنْ أَقْلِعَتْ قَلَعَتْ مِنْهُمْ الْآثَارَ ؛ فَلَا تُحْلَهُ مِنْ تَجْهِيْزِ جَيْشِهِ ، وَسَكَنَ طَيْشُ
 الْبَحْرِ بَطَيْشِهِ ؛ فَيُصْبِحُ لَكَ جَيْشَانِ كُلُّ مِنْهُمَا ذَوْكْرٌ وَقَرْ ، : هَذَا فِي بَرٍّ بِرَجْرٍ وَهَذَا بِبَحْرِ
 بَرٍّ ؛ وَبُيُوتُ الْعِبَادَاتِ فِيهَا الَّتِي إِلَى مِصْلَى سَمِيَّكَ « خَلِيلٌ » اللَّهُ تَنْتَهَى مَحَارِبُهَا ،
 وَبِهَا لَنَا وَلِذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ سُرَى الدَّعَوَاتِ وَتَأْوِيْبُهَا ؛ فَوْفَهَا نَصِيْبُهَا الْمَفْرُوضَ غَيْرَ مَقْضُوعٍ ،
 وَمُرَّ بَرْفِهَا وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى [فِيهَا] لِلْأَمْرِ الْمَنْصُوعِ ؛ وَأَخَوَاتُهَا مِنْ بُيُوتِ
 الْأَمْوَالِ الْوَاجِبَاتِ الْوَاجِبَاتِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا كَلَّمَا بِيُوتُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : هَذِهِ
 لِلصَّلَاةِ وَهَذِهِ لِلصَّلَاتِ ؛ وَهَذِهِ كَهَذِهِ فِي رَفْعِ الْمَنَارِ وَجَمْعِ الْمَبَارِ ، وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ
 مِمَّا أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ فَهَذِهِ تُرْفَعُ وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ حَتَّى عَلَى الدَّرْهِمِ
 وَالذَّنِيَارِ ؛ فَاصْرِفْ إِلَيْهَا أَجْتِهَادَكَ فِيمَا يُعُودُ بِالنُّشْمِيرِ ، كَمَا يُعُودُ عَلَى تِلْكَ بِالنُّتُورِ ؛ وَعَلَى
 هَذِهِ بِاشْتِحَانِهَا بِأَنْوَاعِ الصَّرُوفِ ، كِإِشْحَانِ تِلْكَ بِاسْتِوَاءِ الصُّفُوفِ ، فَإِنَّهَا إِذَا أَصْبَحَتْ
 مَصُونَةٌ ، أَجْمَلَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ الْمَعُونَةِ ؛ وَكَفَلَتْ بِالْمَعُونَةِ وَبِالزِّيَادَةِ عَلَى الْمَعُونَةِ ، فَتُكَلَّلُ
 هَذِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ دُنْيَاهُ كَمَا كَلَّتْ تِلْكَ [لِكُلِّ] وَلِيٍّ دِينَهُ ؛ وَحُدُودُ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهَا أَحَدٌ ،
 وَلَا يَرَأْفُ فِيهَا وَلَدٌ بَوَالِدٍ وَلَا وَالِدٌ بَوْلَدٍ ؛ فَأَقِمَّهَا وَقُمْ فِي أَمْرِهَا حَتَّى تَنْضَبِطَ أَمُّ الضَّبِطِ ،
 وَلَا تَجْعَلَ يَدَ الْفَتَاكِ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِهَا وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ؛ فَلِكُلِّ مِنَ الْجَنَائِزِ
 وَالْقِصَاصِ شَرْطٌ شَرَطَهُ اللَّهُ وَحَدٌّ حَدَّهُ فَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ ذَلِكَ الْحَدَّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ

(١) لعل الصواب بشحنها من شحن الثلاثي يقال شحنة يشحنه ملاءه ، وأما الرباعي فعناه الاغمد يقال

سيوف مشحنة أي مغمدة وأشحن الرجل اشحانا تهيأ للبكاء وهو غير مناسب هنا تأمل .

ذلك الشرط؛ والجهاد فهو الدِّين المألوف من حيث نشأ نشأ ونشأتك^(١) وفي ظهور الخيل، فإل على الأعداء كل الميل؛ وصبَّحهم من فتكاتك بالويل بعد الويل، وأرهمم بكلِّ شمري^(٢) قد شمّر من يده عن الساعد ومن رُحمة عن الساق ومن جواده الدليل؛ وأذهب لهم من كل ذلك مذهب، وأزربُجوم الحِرْصان كلَّ غيٍّ وغيب؛ وتكثُر في غزوهم من الليل بكلِّ أدهم ومن الشفق بكلِّ أحمَر وأشقر ومن الأصيل بكلِّ أصفر ومن الصبح بكلِّ أشهب، وأستنبأ أعمارهم وأجعلها آخر ما يُسلب وأوّل ما يُنهب؛ ونرجو أن يكون الله قد خبأ لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادق وعده، وأن ينصرك جيوش الإسلام، في كلِّ إنجاد وإتمام، وما النَّصر إلا من عنده؛ وبيت الله المحجوج من كلِّ فج، المقصود من كلِّ نهج؛ فسير سيده، ووسع [له] الخير وأحسن تسيبه؛ وأوصل من ريك لكلِّ من الحرمين مأهولة، لتصبح ربوعه بذلك مأهولة؛ وآخه ممن يريد فيه بالحاد بظلم، وطهره من مكس وعُرم: ليعود تفعلك على البادية والعاكف، ويصبح واديه وناديه مستغنيين ببذلك عن السحاب الواكف؛ والرعايا فهم للعذل زروع، وللإستثمار فروع، وللاستلزام العارة شروع؛ فمتى جادهم غيث أعجب الزراع نباتهم، وتمت بالصّلاح أوقواتهم، وصالحت بالتماء أوقاتهم؛ وكثرت للجنود مستغلاتهم، وتوفرت زكواتهم وتنورت مشكاتهم؛ والله يضاعف لمن يشاء.

هذا عهدنا للسيد الأجل، الملك، الأشرف، صلاح الدنيا والدين، نغري المملوك والساطين، خليل أمير المؤمنين، أعز الله تعالى ببقائه الدين؛ فليكن بعروته متمسكا، وبفتحته متمسكا؛ وليتقلد سيف هذا التقليد، ويفتح مغلق كل فتح منه

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة صغيرة .

(٢) الشمري بفتح الشين وكسرها مع شد الميم فيما الماضي في الأمور المحرب انظر اللسان ج ٦ ص ٩٦ .

بخير إقليد؛ وها نحن قد كثرتنا لديه جواهره فدونه مايشاء تحلته من تتويج مفريقٍ
وتحتميم أناملٍ وتسوير زندٍ وتطويقي جيد، ففي كل ذلك تجميلٌ وتمجيد؛ والله تعالى
يجعل استخلافه هذا للثقلين إماما، وللدن قواما، وللجاهدين اعتصاما، وللمتدين
أنفصاما؛ ويظفي بمياه سؤوفه نار كل خطب حتى يضح كما أصبحت نار سميته
صلى الله عليه وسلم بردا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى .



وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، عن المنصور «قلاوون»
المتقدم ذكره، عهد ولده الملك الصالح «علاء الدين على» وهذه نسخته :

الحمد لله الذي شرف سرير الملك منه بعلية، وحاطه منه بوصية، وعضد منصوره
بولاية عهد صالحه وأسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديه، وأبهج خير الآباء
من خير الأبناء بن سمو أبيه منه بشريف الخلق وأبيه، وغذى روضه بمتابعة وسميه
وبمسارعة وليه .

نحمده على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر، وداركت بالبحر وباركت في النهر؛
وأجملت المبتدأ وأحسنت الخبر، وجمعت في لذاعة الأوقات وطيبها بين رونق
الآصال وريقة البكر. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نليس الألسنة
منها في كل ساعة [ثوبا] جديدا، وتنقيا منها ظللا مديدا، ونستقرب من الآمال
ما يراه سوانا بعيدا. ونصلي على سيدنا محمد الذي طهر الله به هذه الأمة من الأذناس،
وجعلها بهدايته زاكية الغراس؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم
حسن استخلافه بالأمر له بالصلاة بالناس، ومنهم من بنى الله به قواعد الدين
وجعلها موطدة الإساس، ومنهم من جهز جيش العسرة وواسى بماله حين الضراء

والباس ، ومنهم من قال عنه صلى الله عليه وسلم : ”لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُجِبُّهُ
اللهُ ورسوله وَيُحِبُّ اللهَ ورسوله“ فحسن الإلتماس بذلك والإقتباس ، وزاد في شرفه
بأن طهر أهل بيته وأذهب عنهم الأرجاس ، صلاة لاتزال تتردد تردد الأنفاس ،
ولا تبجح في الآناء حسنة الإيناس .

وبعد ، فإن خير من شرفت مراتب السلطنة بجُلوله ، وفوقت ملبس التحكيم
بقبوله ، ومن تزهى مطالع الملك بإشراقه ، وتبادر الممالك مدعنة لاستحقاقه ؛ ومن
يزدهى ملك منصوره - نصره الله - بولده وولى عهده مكنة بانيه ، ومن يتشرف
إيوان عظمة : إن غاب والده في مصلحة الإسلام فهو صدره وإن حضر فهو
ثانيه ؛ ومن يتجمل غاب الإيالة منه بخير شبل كفل لينا ، ويتكفل غوث الأمة بخير
وايل خلف غيثا ؛ ومن أظم الأخلاق الملوكية وأوتى حكمها صيبا ، ومن خصصته
الأدعية الشريفة بصالحها ولم يكن بدعائها شقيا ، ومن رعت به هضبة الملك حتى
أسى مكانها عليا ؛ ومن هو أحق بأن يُحجب الأمل ويُنجح ، وأولى بأن يتألى له :
(أخلفني في قومي وأصليح) . ومن هو بكل خير ملي ، ومن إذا فوّضت إليه أمور
المسلمين كان أشرف من لأمرهم بلي ؛ ومن يتحقق من والده الماضي الغرار ، ومن
أسمه العالى المنار ، أن لاسيف إلا ذو الفقار ولا قتي إلا علي .

ولما كان المقام العالى ، الولدى ، السلطاني ، الملكى ، الصالحى ، العلافى -
عَضِدَ اللهُ به الدين ، وجمع إذعان كل مؤمن على إيجاب طاعته لمباشرة أمور
المسلمين ، حتى يُصبح وهو صالح المؤمنين - هو المرجو لتدبير هذه الأمور ، والمأمول
لصلاح البلاد والثغور ، والمدخر فى النصر لشفاء مافي الصدور ، والذي تشهد الفراسة
لأبيه وله بالتحكم : أو ليس الحاکم أبو علي هو المنصور؟ . فلذلك أقتضت الرحمة ،

والشفقة على الأمة ؛ أن يُنصب لهم وليّ عهد يتمسكون من الفضل بعروة كرمه ،
ويَسعون بعد الطواف بكعبة أبيه لحرمه ؛ ويقتطفون أزاهر العدل وثمار الجود
من كلمه وقلمه ، وتستسعد الأمة منه بالملك الصالح الذي تُقسم الأنوار لجبينه وتُقسم
المبار من كراماته وكرمه .

فذلك خرج الأمر العالى ، المولى ، السلطان ، الملك ، المنصورى ، السيفى -
أخذه الله القدر ، ولا زالت الممالك تنبأه منه ومن وليّ عهده بالشمس والقمر -
أن يفوض إليه ولاية العهد وكفالة السلطنة المعظمة ، ولاية تامة عامة شاملة
كامله ؛ شريفة منيفه ، عطوفة رءوفه ؛ فى سائر أقاليم الممالك وعساكرها وجنودها ،
وعربها وتربكانها وأكرادها وتوابها وولاتها ، وأكبرها وأصغرها ورعاياها ورعاتها ،
وحكامها وقضاتها ، وسارحها وسانحها ؛ بالديار المصرية وتغورها وأقاليمها
وبلادها ؛ وما آتوت عليه . والمملكة الحجازية ، وما آتوت عليه . ومملكة الثوبة ،
وما آتوت عليه ، والفتوحات الصقديّة والفتوحات الإسلامية الساحلية وما آتوت
عليه . والممالك الشامية وحصونها ، وقلاعها ومدنها ؛ وأقاليمها وبلادها ، والمملكة
الحصية ، والمملكة الحصنية الأكرادية والحبليّة وفتوحاتها ، والمملكة الحلبية وتغورها
وبلادها ، وما آتوت عليه ، والمملكة الفراتية ، وما آتوت عليه ؛ وسائر القلاع
الإسلامية براً وبحراً ، وسهلاً ووعراً ؛ شاماً ومصر ، يمناً وحجازاً ، شرقاً وغرباً ،
بعداً وقرباً . وأن تلقى إليه مقاليد الأمور فى هذه الممالك الشريفة ، وأن تستخلفه
سلطنة والده - خلد الله دولته - لتشهد الأمة منه فى وقت واحد سلطاناً وخليفة ؛
ولايةً وأستخلاقاً تُسندهما الرواه ، وتترنم بهما الحداة ، وتعيهما الأسماع وتنطق بهما
الأفواه ؛ تفويضاً يُعلن لكافة الأمم ، ولكل ربّ سيفٍ وقلم ، ولكل ذى علمٍ وعلم ؛
بما قاله صلى الله عليه وسلم لسميه رضى الله عنه حين أولاه من الفخار ما أولاه :

”مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ“ . فَلَ مَلِكُ إِقْلِيمٍ إِلَّا وَهَذَا الْخَطَابُ يَصِلُهُ وَيُوصَلُهُ ،
وَلَا زَعِيمٌ جَيْشٍ إِلَّا وَهَذَا التَّفْوِيضُ يَسَعُهُ وَيَشْمَلُهُ ؛ وَلَا إِقْلِيمٌ إِلَّا وَكُلُّ مَنْ بِهِ
يُقْبَلُهُ وَيَقْبَلُهُ ، وَيَتَمَثَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُمَثِّلُهُ ، وَلَا مَنَبْرٌ إِلَّا وَخَطِيئُهُ يَتَلَوُّ فُرْقَانَ هَذَا
التَّقْدِيمِ وَيَرْتَلُهُ .

وَأَمَّا الْوَصَايَا فَقَدْ لَقْنَا وَلَدَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِنَا مَا أَنْطَبِعَ فِي صِفَاءِ ذَهْنِهِ ، وَسَرَتْ تَغْذِيئَتُهُ
فِي تَمَاءِ غَضَنِهِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ لَوَامِعَ لِلتَّبَرُّكِ بِهَا فِي هَذَا التَّقْلِيدِ الشَّرِيفِ تُبِيرُ ، وَجَوَامِعَ
بَعْدَ لِحْرَمِهَا (١) ؟) حَيْثُ يَصْمِرُ ، وَوَدَائِعَ يُنَبِّئُكَ عَنْهَا وَلَدْنَا - أَعَزَّنَا اللَّهُ بِبِقَائِهِ -
وَلَا يَنْبَغُكَ مِثْلُ خَيْرٍ : فَاتَّقِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَأَنْصِرِ الشَّرْعَ
فَإِنَّكَ إِذَا نَصَرْتَهُ يَنْصُرْكَ اللَّهُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَعِدَاكَ ؛ وَأَقْضِ بِالْعَدْلِ مَخَاطِبًا وَمَكَاتِبًا
حَتَّى يَسْتَبِقَ إِلَى الْإِعْزَازِ بِهِ لِسَانَكَ وَيَمْنَاكَ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَالِمًا أَنَّهُ
لَيْسَ يُحَاطَبُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَنِ ذَلِكَ سِوَانَا وَسِوَاكَ ، وَأَنَّهُ نَفْسَكَ عَنِ الْهَوَى
حَتَّى لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَحُطِّ الرِّعِيَّةُ ، وَمُرِّ النَّوَابِ بِمَجْلِهِمْ عَلَى التَّقْضَايَا
الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ ، وَجَنِّدِ الْجُنُودَ ، وَأَبْعَثْهَا بَرًّا وَبِحْرًا مِنَ الْغَزْوِ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ
مُجْمُودٍ ؛ وَأَحْفَظِ الثَّنُفُورَ ، وَلَا حِظِّ الْأُمُورَ ، وَازْدُدْ بِالْإِسْتِرْشَادِ بَارِئًا نُورًا عَلَى نُورٍ ؛
وَأَمْرَاءَ الْإِسْلَامِ الْأَكْبَارِ وَزَعْمَاءُوهُ ، فَهَمَّ بِالْجِهَادِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعِبَادِ أَصْفِيَاءُ اللَّهِ
وَأَحِبَّاءُوهُ ؛ فَضَاعِفْ لَهُمُ الْحُرْمَةَ وَالْإِحْسَانَ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَصْطَفَانَا عَلَى الْعَالَمِينَ
وَالْإِلَّا فَالْقَوْمُ إِخْوَانٌ ؛ لِاسِيًّا أَوْلُو السَّعْيِ النَّاجِحِ ، وَالرَّأْيِ الرَّاجِحِ ، وَمَنْ إِذَا نَخَرُوا
بِنِسْبَةِ صَالِحِيَّةٍ قِيلَ لَهُمْ : نِعَمَ السَّلْفُ الصَّالِحِ ؛ فَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَحَاوِرْهُمْ فِي مَهْمَاتِ
الْأُمُورِ فِي كُلِّ سِرٍّ وَجَهْرٍ ؛ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ تَحَايَا

(١) كذا في الأصول ولعله تعتر بجيوشها حيث تسير . تأمل .

الدول، وذخائر الملوك الأول؛ أجرهم في هذا المجزئ، وأشرح لهم بالإحسان صدرا؛ وجيوش الإسلام هم البنان والبنيان، فوال إليهم الأمتان؛ وأجعل محبتك في قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المرئى، وطاعتك في عقاندهم قد شغفها حباً: ليصبحوا بحسن نظرك إليهم طوعاً، وليحصل كل جيش منهم من التقرب إليك بالمناسحة نوعاً؛ والبلاد وأهلها فهم عندك الوديعه، فأجعل أوامرك [لهم] بصيرة وسميعه .

وأما غير ذلك من الوصايا، فسحقوك منها بما ينشأ معك توءماً، ونلقنك من آياتها محكاً فمحكاً؛ والله تعالى يمتي هلاك حتى يوصله إلى درجة الإبدار، ويغدى غصنك حتى نراه قد أئنع بأحسن الأزهار وأئنع الثمار؛ ويرزقك سعادة سلطاننا الذى نعت بنعته تبركا، ويلهمك الاعتضاد بشيعته، والأستينان بسنته، حتى تُصبح كتمسكنا بذلك متمسكا، ويجعل الرعية بك فى أمن وأمان حتى لا تحشى سوءاً ولا تخاف دركاً؛ والاعتاد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه إن شاء الله تعالى .

الوجه السادس

(فيما يكتب فى مستند عهد ولى العهد بالسلطنة ، وما يكتبه السلطان

فى بيت العلامة ، وما يكتب فى ذيل العهد)

أما ما يكتب فى مستند العهد وما يكتبه السلطان فى بيت العلامة ، فكغيره من سائر الولايات من التقاليد وغيرها : وهو أنه يكتب فى المستند «حسب المرسوم الشريف» كما يكتب فى المكاتبات التى هى بتلقى كاتب السرعة ما تقدم ذكره فى بابيه . ويكتب السلطان فى بيت العلامة اسمه وأسم أبيه .

وأما ما يكتب في ذيل العهد وشهادة الشهود على السلطان بالعهد ، فمثل أن يكتب : « شهدت على مولانا السلطان الملك الفلاني العاهد المشار إليه فيه خلد الله ملكه ، أو خلد الله سلطانه » وما أشبه ذلك من الدعاء « بما نُسب إليه فيه من العهد بالسلطنة الشريفة إلى ولده المقام الشريف العالی السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، وعلى المعهود إليه - أعز الله أنصاره - بقبول العهد المذكور ، وكتب فلان بن فلان » .

الوجه السابع

(في قطع ورق هذا العهد وقلمه الذي يكتب به ، وكيفيّة كتابته ،

وصورة وضعه في الورق)

أما قطع ورقه فمقتضى إطلاق المقتر الشهابي بن فضل الله في « التعريف » أن للعهود قطع البغدادى الكامل أنه يكتب في البغدادى أيضا .

قلت : وهو المناسب لعظمة السلطنة ، وشماخة قدرها . إذ الملك إلى ولي العهد آئل ، وللدخول تحت أمره صائر ، خصوصا إذا كان المعهود إليه ولدا أو أخا .
وحيث يكتب مختصر قلم الطومار لمناسبته له ، على ما تقدم في غير موضع .

وأما كيفية كتابته وصورة وضعها في الورق ، فهو أن يخلى من أعلى الدرّج قدر إصبع بيضا . ثم يكتب في وسطه بقلم دقيق ماصورته « الأسم الشريف » كما يكتب في التقاليد وغيرها على ماسياتى . ثم يتدى بكتابة الطرة بالقلم الذى يكتب به العهد من أول عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطرة . ثم يترك ستة أوصال بيضا من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطرة . ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بحيث تلحق أعلى ألفاته بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن

(١) لعل الصواب وشيوخ قدرها فإنما لم تقف على هذا المصدر فما بين يدينا من كتب اللغة فليحرو .

يمين الورق قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة . ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول العهد ملاصقا لها . ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر كما في عهد الملوك عن الخلفاء . ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على سمت السطر الذى تحت البسملة ، ويسترسل فى كتابة بقية العهد إلى آخره ؛ ويجعل بين كل سطرين قدر رُبع ذراع بذراع القماش . فإذا آتتهى إلى آخر العهد كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ماتقدم فى الفواتح والخواتم . ثم يكتب شهود العهد بعد ذلك .

وهذه صورة وضعه فى الورق ، ممثلا له بالطرة التى أنشأها لذلك ، وبالعهد الذى أنشأه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن المنصور « قلاوون » بالعهد بالسلطنة لولده الملك الصالح « علاء الدين على » وهى :

هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على نجره ، متبلج صبحه صوى
بجره ؛ من السلطان الأعظم الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين « بيبرس » خلد الله
تعالى سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه ، بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالى
السلطاني ، الملكى ، السعدي ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية
ما يرجونه من مزيد الإفضال .
على ما شرح فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

هاش الحمد لله الذى شرف سرير الملك منه بعليته ، وحاطه

منه بوصيه ، وعضد منصوره بولاية عهد صالحه ، وأسمى حاتم جوده

بمكارم حازها بسبق عديّه ، وأبهج خيراآباء من خير الأبناء بمن سموأبيه هاشم

منه بشريف الخلق وأبيه ، وغذى روضه بمتابعة وشيميه ، وبمسارعة وليّه .

نحمده على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر إلى أن يأتي إلى قوله : ولا يخاف

دركا والاعتماد على الخطّ الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الرابع

(من العهود عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين بصغار البلدان)

ويتعلق النظر به من أربعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان أصل ذلك وأول حدوثه في هذه المملكة إلى حين زواله عنها)

قد تقدم في المكاتبات ، في الكلام على مكتبة صاحب حماة أن ذلك مما كان في الدولة الأيوبية ، ثم في الدولة التركيّة في الأيام المنصورية « قلاوون » والأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » ثم بطل ذلك . وذلك أن السلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » حين استولى على البلاد الشامية مع الديار المصرية بعد موت السلطان نور الدين « محمود بن زنكي » صاحب الشام ، فزق أقاليمه في ولاية الممالك الشامية : كدمشق وحلب وحماة وحمص وغيرها وأستمرت .

وكان السلطان صلاح الدين قد وثى حماة لابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، فبقيت بيده حتى توفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة . فوليها بعده ابنه المنصور ناصر الدين محمد وبقي بها حتى توفى سنة سبع عشرة وستمائة . فوليها ابنه الناصر قليج أرسلان بقي بها إلى أن أتزعها منه أخوه المظفر في سنة ست وعشرين وستمائة ، وأقام بها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة . فوليها ابنه المنصور محمد ، فبقي بها إلى أن غلب هولاكوكو ملك التتار على الشام وقتل من به من بقايا الملوك الأيوبية ، فهرب المنصور إلى مصر وأقام بها إلى أن سار المظفر قطز صاحب مصر إلى الشام ، وأتزعها من يد التتار ، وصار الشام مضافاً إلى مملكة الديار المصرية ،

فَرَدَ الْمَنْصُورَ إِلَى حِمَاةَ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَسِمِئَةَ . فَوُلِيَ
 الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ ابْنَهُ الْمَظْفَرُ شَادِي مَكَانَهُ ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَهْدًا عَنْهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ سَنَةَ ثَمَانَ وَتَسْعِينَ وَسِمِئَةَ ، فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ « مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ » فِي سُلْطَنَتِهِ
 الثَّانِيَةِ بَعْدَ « لِأَحْمَدِ » . فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَرَأْسَنْقَرُ أَحَدَ أَمْرَائِهِ نَائِبًا ، فَلَمَّا أَسْتَوْلَى
 غَازَانُ مَلِكُ التَّتَارِ عَلَى الشَّامِ ، كَانَ الْعَادِلُ كُتْبَغَا بَعْدَ خَلْعِهِ مِنْ سُلْطَنَةِ الْبُلْدَانِ الْمِصْرِيَّةِ
 نَائِبًا بِصَرْخَدَ ، فَظَهَرَ فِي قِتَالِ التَّتَارِ قُوَّةٌ وَجَلَادَةٌ ، فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حِمَاةَ ، وَحَضَرَ
 هَزِيمَةَ التَّتَارِ مَعَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةَ وَرَجَعَ إِلَى حِمَاةَ فَاتَ بِهَا .
 فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَكَانَهُ سَيْفَ الدِّينِ قَبْجَقُ نَائِبًا ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ
 أَسْتَدْمَرَكْرَجِي نِيَابَةَ حِمَاةَ مَكَانَهُ . وَلَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْكُرْكِ نَقَلَ
 أَسْتَدْمَرَكْرَجِي مِنْ حِمَاةَ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ الْمُؤَيَّدُ عَمَادَ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ الْأَفْضَلِ
 عَلِيَّ بْنَ الْمَظْفَرِ عَمْرًا ، مَكَانَهُ بِحِمَاةَ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنْ
 الْمُلُوكِ الْأَيُّوبِيَّةِ ، فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةَ . فَوُلِيَ الْمَلِكُ
 النَّاصِرُ ابْنَهُ الْأَفْضَلَ مُحَمَّدًا مَكَانَهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ
 إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ ، وَأَسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمَنْصُورُ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَامَ
 بِتَدْيِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرُ قُوصُونَ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَحْدَثَ عَزَلَ الْأَفْضَلَ بْنَ الْمُؤَيَّدِ عَنْ
 حِمَاةَ ، وَوُلِيَ مَكَانَهُ بِهَا الْأَمِيرُ قُطْزُ نَائِبًا . وَسَارَ الْأَفْضَلُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أَيُّوبَ .

وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" أن سلطانها كان
 يستقل باعطاء الإمرة والإقطاعات، وتولية القضاة والوزراء وكتاب السر وكل
 الوظائف؛ وتكتب المناشير والتواقيع من جهته . ولكنه لا يضي أمراً كبيراً في مثل

إعطاء إمرة أو إعطاء وظيفة كبيرة حتى يُشاور صاحب مصر، وهو لا يُجيبه إلا أن
الرأى ما يراه . ومن هذا ومثله . قال : وإن كان سلطاناً حاكماً وملياً متصرفاً
فصاحب مصر هو المتصرف في تولية وعزل، من أراد ولأه ومن أراد عزله .

قلت : وكان للملكة بذلك زيادة أبهة وجمال : لكون صاحبها تحت يد [ه] من هو
متصرف بأسم السلطنة، يتصرف فيه بالولاية والعزل . على أن هذا القسم لم يتعرض
له المقتر التتوي بن ناظر الجيش في "التثقيف" نخلق الملكة الآن عن مثله ؛ وإنما
أشار إليه المقتر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في "التعريف" حيث قال :
وأما ما يكتب للوك عن الملوك، مثل ولاية العهود والمنفردين بصغار البلدان فإنه
لاستفتح عهودهم إلا بالخطب . وذلك أن حماة كانت في زمنه بأيدي بني أيوب
على ما تقدم ذكره، ولذلك قال في "مسالك الأبصار" : ومما في حدود هذه المملكة
من له أسم سلطان حاكم وملك متصرف صاحب حماة .

الوجه الثاني

(في بيان ما يكتب في العهد؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب في الطرة، وهو تلخيص ما يشتمل عليه العهد)

وهذه نسخة عهد كتب بها المقتر الشهابي بن فضل الله عن الملك الناصر
«محمد بن قلاوون» للملك الأفضل «محمد ابن المؤيد عماد الدين إسماعيل» بسلطنة
حماة أيضاً، في رابع صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . وهو آخر من ملكها من بني
أيوب، وهي :

الحمد لله الذي أقربنا المُلْك في أهلةِ أهله ، وتدارك مُصَابِ ملكِ لولا ولده
الأفضل لم يكن له شَيْبُهُ في فضله ، ووهبَ بنا بيتَ السلطنة من أبقى البقايا ما يلحق
به كلُّ فرع بأصله ، ويظهرُ به رونقُ السيفِ في نصله .

نحمدُه على ما أفاض بمواهبنا من النعم الغزار ، وأدخل في طاعتنا الشريفة من
ملوك الأقطار ، وزاد عطايانا فأضحت وهي ممالك وأقاليم وأمصار ، ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أفلح من مات من ملوك الإسلام عليها ،
وحترض بها في الجهاد على الشهادة حتى وصل إليها ، ومد يده لمبايعتنا على إعلانها
فسابقت الثريا بسط يديها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شرف من تسمى
باسمه أومت بالقرى إلى نسبه ، وصرف في الأرض من تمسك من رعاية الأمة
بسببه ، وأكرم به كريم كل قوم وجعل كلمة الفخار كلمة باقية في عقبه ، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه مانح الحمام لحزنه ثم غنى من طربه ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإننا - والله الحمد - ممن نحفظ بإحساننا كل وديعه ، ونتقبل لمن أقبل
من الملوك على سؤال صدقاتنا الشريفة كل ذريعه ، وتتكفل لمن مات وهو على
ولائنا بما لوراه في ولده لسره ماجرى ، وعلم أن هذا الذي كان يتمي أن يعيش
حتى يبصر هذا اليوم ويرى ، وكان السلطان الملك المؤيد عماد الدين - قدس الله
رُوحه - هو بقية بيته الشريف ، وأحر من حل من ملوكهم في ذروة عزه النيف ،
ولم يزل في طاعتنا الشريفة على ما كان من الحسنى عليه ، ومن المحاسن التي لقي الله
بها ونور إيمانه يسعى بين يديه ، فوهبنا له من المملكة الحموية المحروسة ما كان قد
طال عليه سالف الأمد ، ورسمنا له بها عطية باقية للوالد والولد ؛ فلما قارب انقضاء
أجله ، وأشرف على ما قدمه إلى الله وإلينا من صالح عمله ، لم يشغل ما به عن مطالعة

أبوينا الشريفة والتذكار بولده، وتقاضى صدقاتنا العقيمة بما كان ينتظره قره المذير
لفرقده؛ وورد من جهة ولده المقام الشريف، العالى، الولدى، السلطانى،
الملكى، الأفضلى، الناصرى - أعز الله أنصاره - ما أزعج القلوب بمصابه فى أبيه،
وأجرى العيون على من لا تقع له على شبيهه؛ فوجدنا من الحزن عليه ما أبكى كل سيف
دما، وأن كل رُح يقرع سنه ندما؛ وتأسفنا على ملك كاد يكون من الملائك، وأخ
كريم أو أعز من ذلك، وسلطان عظيم طالما ظهر شنب بوارقه فى تغور الممالك؛
وقمنا من الحزن فى مشاركة أهله بالمدنوب، ثم قلنا : لكم فى ولده العوض ولا ينكر
لكم الصبر يا آل أيوب .

فاقتضت مراسمنا المطاعة أن نرقيه إلى مقامنا العالى، ونعقد له من أوية الملك
ما تهرت به أطراف العوالى؛ ونركبه من شعار السلطنة بما تجمل به مواكبه، وتمتد به
عصائبه، وتميس من العجب وتمتد رقابها بالرقبة السلطانية جنائبه؛ تنزيها لخواطركم
الكريمة علينا عن قول ليت، وتنوينا بقدر بيتكم الذى رفع لكم إسماعيل به قواعد
البيت : لما نعمنا من المقام العالى الملكى الأفضلى الناصرى - أمتع الله ببقائه -
من المناقب التى استحق بها أن يكون له عليكم الملك، والعزائم التى قلدها من الممالك
ما تجول به الحياض وتجرى به الفلك؛ مع ماله من الكرم الذى هو أوفى من العهد
بعهده، والفضل الذى أتصل به ميراث الأفضلية عن جدته؛ والجود الذى جرى
البحر معه فاحمرت من النخل صفة خده، والوصف الذى لم يرض بالجوزاء
واسطة لعقده؛ والعدل الذى أشبه فيه أباه فما ظلم، والعلم الذى ما خلا به بابُه من
طلب : إما هدى وإما لكرم؛ ولم يخرج من كفالة والده إلا إلى كفالتنا التى أظنته
بسحبها، وحلت سماء مملكته بشهبها؛ وخاطبناه كما نكأ نخاطب والده - رحمه الله -
بالمقام الشريف، وأجريناه فى ألقابه مجرى الولد زيادة له فى التشريف، وصرنا

أمره في كل ما كان لمُلوكِ أهله فيه تَصْرِيفٌ ، وسُتْرِشْدُهُ إلى أَوْضَحِ طَرِيقِهِ ، ويقوم مقام أبيه أو أَيْسٍ «الناصر» هو أبو الأفضَلِ حَقِيقُهُ ؛ ورَسَمْنَا بَطْلَبَهُ إلى [ما] بين أيدينا الشريفة لِنُجَدِّدَ له من نَظَرِنا الشَريفِ ما يَتَضَاعَفُ به سُعودُهُ ، ويزدادُ صُعودُهُ ، ويَتَمَأَنَلُ في هذا البيتِ الشاهِنِشاهِيّ أبناؤُهُ وآباؤُهُ وِجْدُودُهُ : لتعمل معه صَدَقَاتُنَا الشريفةُ ما هو به جَدِيرٌ ، وَتَرَفَعَهُ إلى أعزِّ مَكانٍ من صَهْوَةِ المَنَبَرِ والسَّرِيرِ ، وتُكَابِرُ به كَلَّ سُلْطَانٍ وما هو إِلَّا جَحْفَلٌ يَسِيرٌ ؛ لَتُشِيدَ به أركانُ هذا البيتِ الكَرِيمِ ، وَتُحْيَا عِظَامُهُ وهي في التُّحُودِ عَظَمٌ رِيمٌ ، وَتَعْرِفَ النَّاسُ أن عِنَايَتَنَا الشريفةَ بهم تَزِيدُ على ما عَهَدُوهُ لجدِّهم القَدِيمِ من سَمِيئَتِنا المَلِكِ الناصرِ القَدِيمِ .

نُفِرِجَتِ المَراسِمُ الشريفةُ ، العالِيَةُ ، المولويَّةُ ، السلطانيَّةُ ، المَلِكِيَّةُ ، الناصِريَّةُ : لازلَتِ المُلُوكُ تَتَقَلَّدُ مِنهَا في أعناقِها ، ولا بَرِحَتِ الممالِكُ من بعضِ مَواهِبِها وإِطلاقِها ؛ أن يُقَلَّدَ هذا السُلْطَانُ المَلِكُ الأفضَلُ - أدام اللهُ نَصْرَهُ - من المَلِكَةِ الحَمَويَّةِ وبلادِها ، وأُمرائها وأجنادِها ، وَعَربِها وتُرُكْمانِها وأكرادِها ؛ وَقُضَاياها وَقُضَاياتِها ، ورعاياها ورعاتِها ؛ وأهلِ حواضِرِها وبواديها ، وعُمرانِها وبراريها - جميعَ ما كان والدُه - رحمه اللهُ - يَتَقَلَّدُهُ ، وبسيفِهِ وَقَلَمِهِ يُجَرِّيه ويَجَرِّدُهُ : من كَلِّ قَلِيلٍ وكثيرٍ ، وجليلٍ وحَقِيرٍ ، وفي كَلِّ مأمورٍ به وأميرٍ ؛ يَتَصَرَّفُ في ذلكِ جميعِهِ ، وَيَقْطَعُ إقطاعاتِها بمناشيرِهِ ويُوَلِّي وظائفَها بتواقيعِهِ ؛ وَيُنظَرُ فيها وفي أهلِها بما يَعْلَمُ أنَّهُ له ولهم فيه صَلاحًا ، وَيُقِيمُ من هَيِّئَةِ سُلْطَانِهِ ما يُغْنِيهِ أن يُعْمَلَ أسنَةً وَيُجَرَّدَ صِفاحًا .

وَلِيَحْكُمَ فيها وفيمنَ هو فيها بَعْدَ له ، وَيَجْمَعُ قُلُوبَ أهلِها على وِلايَتِهِ كما كانوا عليه لأبيه من قَبْلِهِ ؛ وَلِيَكُنَّ هو وجنودُهُ وعساكرُهُ أَقْرَبَ في التَّهَوُّضِ إلى مِصْلاحِ الإسلامِ من رَجَعِ نَفْسِهِ ، وأمضى في العَزائمِ ما يَشْتَبِهُ (?) بها من سيفِهِ وَقَبَسِهِ .

وأما بقیة ما یملئ من الوصایا ، أو یدلُّ علیہ من کرم السجایا ؛ فهو - بحمد الله تعالى -
 غریزة فی طباعه ، ممتزج به من زمان رضاعه ؛ وإنما نذکره ببعض ما به یتبرک ،
 ونحضه علی اتباع أبیه فإنها الغایة التي لا تُدرک ؛ والشرع الشریف أهم ما یشتغل
 به جمیع أوقاته ، وتقوی الله فما ینتصرُ الملک إلا بتقائه ؛ والفکره فی مصالح البلاد
 والرعايا فإنها مادة نفقائه ، وأستکار الجنود فإنهم حصنه المنیع فی ملاقاته ، ومبادرة
 کل مهم فی أول میقاته ، وولایات الأعمال لا یعتد فیها إلا علی تقائه ، وإقامة
 الحدود حتی لا یئصت فی ترکها إلى رفی رقاته ؛ ورعاية من له علی سلفه خدمة
 سابقه ، وأستجلاب الأذعية الصالحة لنا وله فإنها للسهم مسابقه ؛ ویخص فی الأمور
 عزمه فإنه مدرب ، ویسسط العدل والإحسان فإنه بهما إلینا یتقرب ؛ ولیأخذ
 بقلوب الرعايا فإنها تنتقل ، ولیکرم وفادة الوفود لیقف بهم - لنجاح مقاصدهم -
 علی باب صحیح مجرب ؛ ولیجتهد فی الجهاد ، ویتیقظ والسیف مکحل الحفن
 بالرقاد ؛ ویتم فإن المهم العالیة تقوم بها عوالی الصعاد ، ویقوم البرید فإن فی تقویمه
 بقاء الملک وعمارة البلاد ؛ ولیقف عند مراسمنا الشریفة لتهدیه إلى سبیل الرشاد ،
 ویحسن سلوکه لیطرب بذکره کل أحد ویترتم کل حاد ؛ وغیر هذا من کل ما عهدنا
 والدہ - سقى الله عهدہ - له سالکا ، ولأزمة أموره الجمیلة مالکا ؛ مما لا یحتاج -
 مما تعرفه من سیرته المثلی - إلى شرحه ، ولا یدلُّ نهاره الساطع علی صباحة صبحه ؛
 ولیبشر بما جعل له من فضلنا الیمیم ، ویتمسک بوعدنا الشریف أن هذه المملكة
 له ولأبنائه وأبناء أبنائه ما وجد کفء من نسبهم الصمیم ؛ والله تعالى یمدک
 - أيها الملک الأفضل - بأفضل مزیده ، ویحفظک ما أبقاءک أبوک « المؤید »
 من تأییده ؛ والاعتماد علی الخط الشریف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الوجه الثالث

(فيما يُكْتَبُ في المَسْتَدَّ عن السلطان في هذا العهد، وما يكتبه

السلطانُ في بيت العَلَامَةِ)

والْحُكْمُ في ذلك على ما مرَّ في عهود أولياء العهد بالسلطنة : وهو أن يكتب في مستند العهد « حَسَبَ المرسوم الشريف » كما في غيره من الولايات ، ويكتب السلطان في بيت العلامة اسمه من غير زيادة .

قلت : ولا يُكْتَبُ فيه شهادةٌ على السلطان كما يُكْتَبُ في عُهُودِ أولياء العهد بالسلطنة : لأن العهد بالسلطنة العظمى شبيهٌ بالبيعة ، والشهادة فيها مطلوبةٌ للخروج من الخلاف ، على ما تقدم في موضعه . والعهد بولاية سلطنة بعض الأقاليم شبيهٌ بالتقليد ، والشهادة في التقاليد غير مطلوبة ، وذلك أن السلطنة لا تنتهي إلى ولي العهد إلا بعد موت العاهد، وربما يجحد بعض الناس العهد إليه ، وولاية بعض البلدان إنما تكون والسلطان المولى منتصبٌ فلا يؤثر الجحود فيها .

الوجه الرابع

(في قَطْعِ ورق هذا العهد وقلبه الذي يُكْتَبُ به ، وكيفيَّةِ

الكتابة ، وصورة وضعها في الورق)

أما قطع الورق فمقتضى عموم قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" :

إن للعهد قطع البغدادي الكامل أنه يُكْتَبُ في قطع البغدادي أيضا .

قلت : والذي يقتضيه القياس أن تكون كتابته في الورق البغدادي لمعنى السلطنة ، ولكن في قطع دون القطع الكامل : لئحصان رتبة هذه السلطنة عن السلطنة العظمى ؛ ألا ترى مكتبة صاحب مملكة إيران كانت في زمن القان «أبي سعيد» تكتب في قطع البغدادي الكامل كما ذكره في "التعريف" وغيره ؛ ومكتبة صاحب مملكة بيت بركة المعروفة بمملكة أذربك من مملكة توران تكتب له في قطع البغدادي بنقص أربعة أصابع مطبوقة كما ذكره في "التتيف" لا تحطاط رتبته عن رتبة القان أبي سعيد ، على ما تقدم ذكره في المكاتب .

وأما قلمه الذي يكتب به ، فينبغي إن كتب في قطع البغدادي الكامل أن يكون بمختصر قلم الطومار كما في غيره من العهود التي تكتب في القطع الكامل . وإن كتب في دون الكامل ، فينبغي أن يكون القلم دون ذلك بقليل .

وأما صورة وضعه في الورق ، فعلى ما مر في عهد أولياء العهد بالسلطنة من غير فرق : وهو أن يكتب في رأس الدرج بقلم دقيق الأسم الشريف ، ثم يتدنى بكتابة الطزة في عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطزة ، ثم يخلى ستة أوصال بيضاء ، ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بهامش قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوقة ، ثم يكتب سطرا من أول العهد ملاصقا للبسملة ، ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر على ما تقدم ، ويكتب السطر الثاني على سمت السطر الذي تحت البسملة ، ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ، ويكون بين كل سطرين قدر رُبع ذراع على قاعدة العهود . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب «إن شاء الله تعالى» ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسبة . وتكون كتابته من غير نقط ولا شكل كسائر العهود .

قلت : ولو وُسِّع ما بين سَطوره ونُقِطت حروفه وشُكِلت : لما فيه من معنى التقاليد، لكان به أليق .

وهذه صورةٌ وضعه في الورق ، ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها في معنى ذلك ،
والعهد الذي أنشأه المقرّ الشهابيّ بن فضل الله للملك الأفضل «محمد» بن الملك المؤيد
«عماد الدين إسماعيل» آخر ملوك بني أيوب بها ، وهي :^(١)

هذا عهدٌ شريفٌ عُدبت موارده ، وحسنت بحسن النية فيه مقاصده ،
وعاد على البرية باليمن عانده . من السلطان الأعظم ناصر الدنيا والدين الملك الناصر
أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد «قلاوون» خلد الله تعالى ملكه ، وجعل
الأرض بأسرها ملكه - للقام الشريف العالى السلطاني ، الملكيّ ، الأفضليّ ،
محمد ابن المقام العالى المؤيدى إسماعيل أعز الله تعالى أنصاره ، وأحمد آثاره ،
بالسلطنة الشريفة بحمّة المحروسة وأعمالها ، على أكمل العوائد وأتمّها ، وأجمل القواعد
وأعمّها ، على ما شرح فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أقرّبنا المُلْك فى أهلة أهله ، وتدارك مُصاب ملك لولا
هامش

ولده الأفضل لم يكن له شبيه فى فضله ، ووهب بنا بيت السلطنة

(١) أى بحمّة ولم يتقدّم لها ذكر فتنبه .

هامش من أبقى البقايأ ما يلحق به كل فرع بأصله ، ويظهر به رونق السيف

في نصله . إلى أن يأتي إلى قوله في آخره : والله تعالى يمدك أيها الملك

الأفضل بأفضل مزیده ، ويحفظ بك ما أبقاه لك أبوك المؤيد من

تأييده ؛ والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الرابع

من المقالة الخامسة

(في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب من أصحاب

السيف والأقلام، وفيه [ثلاثة^(١) فصول]

الفصل الأول

(فيما كان يُكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة أطراف)

الطرف الأول

(فيما كان يُكتب عن الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم)

وكان الرسم في ذلك أن يفتح العهد بلفظ: «هذا ما عهد» أو «هذا عهد من فلان لفلان» ويؤتى على المقصد إلى آخره. ويقال فيه: «أمره بكذا وأمره بكذا».

والأصل في ذلك ما كتب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردة، وعليه بنى من بعده. وهذه نسخته:

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لفلان حين بعته [فيمن بعته] لقتال من رجع عن الإسلام. عهد إليه أن يتقى الله ما أستطاع في أمره: كله سره وجهه. وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولّى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يُعذر إليهم: فيدعوهم بدعاية الإسلام:

(١) بياض في الأصل والتصحيح من ج ١ ص ٢٥ من هذا المطبوع.

فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له؛ ثم ينبتهم بالذى عليهم والذى لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم؛ لا ينظرهم ولا يرده المسلمين عن قتال عدوهم؛ فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له، قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله: فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل، وكان الله حسبيته بعدد فيما استسره به. ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مرآغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام؛ فمن أجابه وأقر به قبل منه وعلمه؛ ومن أبى قاتله: فإن أظهره الله عز وجل عليه، قتل فيهم كل قنلة بالسلاح والنيان، ثم قسم ما فاء الله عليه إلا الخمس فإنه مبلغانه. وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم: لئلا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم؛ وأن يقصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل؛ ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول.



وهذه نسخة عهد كتب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
لأبى موسى الأشعري رضى الله عنه ، حين ولأه القضاء :

أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فانهم إذا أدبوا إليك، وأنفذوا إذا تبين لك: فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نقاد له. أس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا يئأس ضعيف من عونك. ^(١) البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما

(١) فى العقد الفريد (ج ١، ص ٣٣) "ولا يخاف ضعيف من جورك".

أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا . لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ فَرَاجَعْتَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهُدَيْتَ فِيهِ
لِرَشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ : فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّهَادِي
فِي الْبَاطِلِ .

الْفَهْمُ الْفَهْمَ فِيمَا تَلَجَّجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، ثُمَّ أَعْرِفَ
الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، وَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنظَائِرِهَا ، وَأَعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ
وَأَشْبِهِهَا بِالْحَقِّ ، وَأَجْعَلْ لِمَنْ أَدَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمْدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ : فَإِنْ أَحْضَرَ
بَيِّنَةً ، أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحَلَّتِ الْقَضِيَّةَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ أَثْفَى لِلشَّكِّ ، وَأَجْلَى لِلْعَمَى .
الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ ، أَوْ مَجْرَبًا عَلَيْهِ شَهَادَةٌ زُورٍ ،
أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانَ .
وَمَا يَأْكُ وَالْقَاتِقَ وَالضَّجَرَ ، وَالتَّادِيَّ بِالْحُصُومِ ، وَالتَّنَكَّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ : فَإِنَّ الْحَقَّ
فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعَظِّمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيُحْسِنُ عَلَيْهِ الذُّخْرَ وَالْجَزَاءَ . فَمَنْ صَحَّتْ نَيْتُهُ
وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَانَهُ اللَّهُ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ اللَّهِ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ،
وَالسَّلَامُ .

قُلْتُ : هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ فِي « الْعِقْدِ » . وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُوفَاتِ
أَبْتَدَأُوهُ : مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدُ .

وَوَقَعَ فِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ أَنْ أَوَّلَهُ : أَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، مَعَ تَغْيِيرِ بَعْضِ
الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمِ بَعْضٍ وَتَأْخِيرِ بَعْضٍ .

الطرف الثاني

(فيما كان يكتب عن خلفاء بني أمية)

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عن مروان بن محمد لبعض من ولده^(١).

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - عند ما اعترم عليه من توجيهك إلى عدو الله الخلف الجافي الأعراي ، المتسكع في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوى الهلكة . ورعاعه الذين عاثوا في أرض الله فساداً ، وأتتهكوا حرمة الإسلام استخفافاً ، وبدلوا نعمة الله كفراً ، وأستحلوا [دماء أهل]^(٢) سنامه جهلاً - أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك ، وعوام شئونك ، ودخائل أحوالك ، ومضطرف تتقك عهدا يُحملك فيه أدبه ، ويشرع لك به عظته ، وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلافته بحيث أصطنعك الله لولاية العهد مختصاً لك بذلك دون لحنك وبني أهلك . ولولا ما أمر الله تعالى به ، دالاً عليه ، وتقدمت فيه الحكماء أمرين به : من تقديم العظة ، والتذكير لأهل المعرفة وإن كانوا أولى سابقة في الفضل وخصيصة في العلم ، لاعتمد أمير المؤمنين على أصطناع الله إياك ، وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين ، وسبقك إلى رغائب أخلاقه ، وأتزعاك محمود شيمه ، وأستيلائك على مشابه تديره . ولو كان المودبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ، أو لقنوه إلهاماً من تلقائهم ولم نصبهم تعاموا شيئاً من غيرهم ، لنحلناهم علم الغيب ، ووضعناهم بمنزلة قصر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته وسابق لأهويته ، احتجاجاً منهم لتعقب في حكمه ، وتثبت في سلطانه وتنفيذ إرادته ،

(١) المولى هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" (ص ٢٣٠) وغيره وهي لازمة .

على سابق مشيئته . ولكن العالم الموفق للخير ، المخصوص بالفضل ، المحبوب بمزية العلم وصفوته ، أدركه معاناً عليه بلطف بجنه ، وإذلال كنفه ، وصحة فهمه ، وهجر سأمته .

وقد تقدم أمير المؤمنين إليك ، آخذاً بالحنة عليك ، مؤدياً حق الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حَقِّك ، وما ينظر به الوالد المعنى الشفيق لولده . وأمير المؤمنين يرجو أن يزهك الله عن كل قبيح يهش له طمع ، وأن يعصمك من كل مكروه حاقٍ بأحد ، وأن يحصنك من كل آفة استولت على أمرئ في دين أو خلق ، وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل يعودده ويؤريه من آثار نعمة الله عليك ، ساميةً بك إلى ذروة الشرف ، متبخحةً بك بسطة الكرم ، لائحةً بك في أزهر معالي الأدب ، مؤرته لك أنفس ذخائر العز ، والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ويسأل جياطتك ، وأن يعصمك من زيغ الهوى ، ويحضرك داعي التوفيق ، معاناً على الإرشاد فيه ، فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو .

اعلم أن للحكمة مسالك تفضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا ، وركب أخطارها قاصداً ، إلى سعة عاقبتها ، وأمن سرحها ، وشرف عزها ؛ وأنها لا تعار بسخف الخفة ، ولا تنشأ بتفريط الغفلة ، ولا يتعدى فيها بأمرئ حده ؛ وربما أظهرت بسطة التي مستور العيب . وقد تلقنتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، ولا متناول لمناولة ذروتها ؛ بل تأملت منها أكرم نبعاتها ، واستخلصت [منها]^(١) أعتق جواهرها ؛ ثم سموت إلى لباب مباحها ، وأحرزت منفس ذخائرها ، فأقتعد ما أحرزت ، ونافس فيما أصبت .

(١) الزيادة من رسائل البلاء .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَحْتَوَاكَ عَلَى ذَلِكَ وَسَبَقْتُ إِلَيْهِ بِإِخْلَاصِ تَقْوَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ
 مُؤْتِرًا لَهَا، وَإِضْمَارِ طَاعَتِهِ مُنْطَوِيًّا عَلَيْهَا، وَإِعْظَامِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ شَاكِرًا لَهُ،
 مَرْتَبِطًا فِيهِ لِلزَّيْدِ بِحُسْنِ الْحِيَاظَةِ لَهُ وَالذَّبِّ عَنْهُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَكَ مِنْهُ سَامَةٌ مَلَالٍ،
 أَوْ غَفْلَةٌ ضَيَاعٍ، أَوْ سِنَّةٌ تَهَاوُنٍ، أَوْ جَهَالَةٌ مَعْرِفَةٍ: فَإِنَّ ذَلِكَ أَحَقُّ مَا يُدْئِي بِهِ وَنُظِرَ
 فِيهِ، مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ وَالآلَةِ وَالْعُدَّةِ وَالْإِنْفِرَادِ بِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَامَةِ .
 فَمَسَسْتُكَ بِهِ لِاجْتِنَاءِ إِلَيْهِ، وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مُؤْتِرًا لَهُ، وَالتَّحِيُّ إِلَى كَنَفِهِ مَتَحِيرًا إِلَيْهِ: فَإِنَّهُ
 أْبْلَغُ مَا طَلِبَ بِهِ رِضَا اللَّهِ، وَأَنْجَحُهُ مَسْأَلَةٌ، وَأَجْزَلُهُ ثَوَابًا، وَأَعْوَدُهُ نَفْعًا، وَأَعْمَمُهُ
 صَلَاحًا؛ أَرشَدَكَ اللَّهُ لِحِطِّكَ، وَفَهَّمَكَ سَدَادَهُ، وَأَخَذَ بِقَلْبِكَ إِلَى مُجُودِهِ . ثُمَّ أَجْعَلْ
 اللَّهُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ يُنْعِمُ عَلَيْكَ بِبُلُوغِهِ، وَيُظْهِرُ مِنْكَ السَّلَامَةَ فِي إِشْرَاقِهِ [مِنْ نَفْسِكَ]^(١)
 نَصِيبًا تَجَمُّلُهُ لَهُ شُكْرًا عَلَى إِبْلَاغِهِ إِيَّاكَ يَوْمَكَ ذَلِكَ بِصِحَّةِ جَوَارِحِ وَعَافِيَةِ بَدَنِ، وَسُبُوغِ
 نِعَمٍ، وَظُهُورِ كَرَامَةٍ . وَأَنْ تَقْرَأَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - جُزْءًا تُرَدِّدُ رَأْيَكَ
 فِي آيِهِ، وَتُرْتِّلُ لِفُطْكَ بِقِرَاءَتِهِ، وَتُحْضِرُهُ عَقْلَكَ نَاطِرًا فِي مُحْكَمِهِ، وَتُنْفَهِّمُهُ مَقَرًّا
 فِي مُتَشَابِهِهِ: فَإِنَّ فِي الْقِرَاءَنِ شِفَاءَ الصُّدُورِ مِنْ أَمْرَاضِهَا، وَجِلَاءَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
 وَصَعَاعِصِهِ، وَضِيَاءَ مَعَالِمِ النُّورِ، تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يَوْمِنُونَ .^(٢)
 ثُمَّ تَعَهَّدْ نَفْسَكَ بِجَاهِدَةِ هَوَاكَ: فَإِنَّهُ مِغْلَاقُ الْحَسَنَاتِ، وَمِفْتَاحُ السَّيِّئَاتِ،
 وَخَصْمُ الْعَقْلِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَهْوَاكَ لَكَ عَدُوٌّ يُحَاوِلُ هَلَكَتِكَ، وَبِعْتَرِضِ غَفْلَتِكَ: لِأَنَّهَا خُدَعُ
 إِبْلِيسَ، وَخَوَاتِلُ مَكْرِهِ، وَمَصَائِدُ مَكِيدَتِهِ؛ فَاحْذَرُهَا مُجَانِبًا لَهَا، وَتَوَقَّهَا مُحْتَرِسًا مِنْهَا؛

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره:

(٢) في مفتاح الأفكار (ص ٢٣٢) وغيره «وترين» وهي أنسب .

(٣) الصواعق جمع صعصع وهو طائر أشهب يصيد الجنادب شبه وسوسة الشيطان به وفي بعض المؤلفات

(١) وَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّهَا، وَجَاهِدْهَا إِذَا تَنَاصَرْتَ عَلَيْكَ بِعَزْمٍ صَادِقٍ لَأَوْيَةِ
 فِيهِ، وَحَزْمٍ نَافِذٍ لَأَمْتُونِيَّةٍ لِرَأْيِكَ بَعْدَ إِصْدَارِهِ، وَصِدْقٍ غَالِبٍ لَأَمْطَمَعٍ فِي تَكْذِيبِهِ؛
 وَمَصَافِيءٍ صَارِمَةٍ لَا أُنَاةَ مَعَهَا، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لِأَخَاجَةِ شَكِّ فِيهَا: فَإِنَّ ذَلِكَ ظَهْرِي
 صِدْقٍ لَكَ عَلَى رَدِّعِهَا عَنْكَ، وَمَقْعِهَا دُونَ مَا تَنْتَطِعُ إِلَيْهِ مِنْكَ؛ فَهِيَ وَاقِيَةٌ لَكَ سُخْطَةَ
 رَبِّكَ، دَاعِيَةٌ إِلَيْكَ رِضَا الْعَامَةِ عَنْكَ، سَاتِرَةٌ عَلَيْكَ عَيْبَ مَنْ دُونَكَ؛ فَازِدْنِ بِهَا
 مَتَحَلِّيًّا، وَأَصِبْ بِأَخْلَاقِكَ مَوَاضِعَهَا الْحَمِيدَةَ مِنْهَا، وَتَوَقَّ عَلَيْهَا الْآفَةَ الَّتِي تَقْتَطِعُكَ عَنْ
 بُلُوغِهَا، وَتُقَصِّرُكَ دُونَ شَاوِهَا: فَإِنَّ الْمُؤْتُونَةَ إِنَّمَا أَشْتَدَّتْ مُسْتَضْعِبَةً، وَفَدَحَتْ
 بَاهِظَةً أَهْلَ الطَّلَبِ لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْكَرَمِ الْمُتَحَلِّينِ سُمُو الْقَدْرِ، بِجَهَالَةِ مَوَاضِعِ دَمِيمِ
 الْأَخْلَاقِ وَمُجُودِهَا، حَتَّى فَرَطَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِمْ
 الْآفَاتُ مِنْ جِهَاتٍ أَمْنُوهَا، فَانْسَبُوا إِلَى التَّفْرِيطِ، وَرَضُوا بِذُلِّ الْمَنْزِلِ، فَأَقَامُوا بِهِ
 جَاهِلِينَ بِمَوْضِعِ الْفَضْلِ، عَمِيهِينَ عَنِ دَرَجِ الشَّرْفِ، سَاقِطِينَ دُونَ مَنزِلَةِ أَهْلِ الْحِجَا.
 لِحَاوِلِ بُلُوغِ غَايَاتِهَا مُحَرِّزًا لَهَا بِسَبْقِ الطَّلَبِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَوْضِعِ، مَحْصِنًا أَعْمَالَكَ مِنْ
 الْعُجْبِ: فَإِنَّهُ رَأْسُ الْمَهْوَى، وَأَوَّلُ الْغَوَايَةِ، وَمَقَادُّ الْهَلَاكَةِ؛ حَارِسًا أَخْلَاقَكَ مِنْ
 الْآفَاتِ الْمُتَّصِلَةِ بِمَسَاوِي الْأَلْقَابِ وَدَمِيمِ تَنَابُزِهَا، مِنْ حَيْثُ أَتَتْ الْغَفْلَةَ، وَأَنْتَشِرُ
 الضِّيَاعِ، وَدَخَلَ الْوَهْنُ. فَتَوَقَّ غُلُوبَ الْآفَاتِ عَلَى عَقْلِكَ، فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحَقِّ سَتُظْهِرُ
 بِأَمَارَاتِهَا تَصْدِيقَ آرَائِكَ عِنْدَ ذَوِي الْحِجَا، وَحَالَ الرَّأْيِ وَخِصِّ النَّظْرِ. فَاجْتَلِبْ
 لِنَفْسِكَ مَحْمُودَ الذِّكْرِ وَبَاقِيَ لِسَانِ الصَّدْقِ بِالْحَدَرِ لِمَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) من قولهم افضل ذلك بلا ونية أى بلا توان .

(٢) هو من قولهم تأتى بالأمر ترقق وتنظر . أى لارقق معها .

(٣) فى بعض المؤلفات بمساوى العادات وذميم إيثارها .

(٤) أى غلبة الآفات ولم تقف على هذا المصدر فى بأيدينا من كتب اللغة .

متحرّزا من دُخُول الآفَاتِ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ أَمْنُكَ وَقِلَّةُ نَفْتِكَ بِمُحْكَمِهَا : مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَمْلِكَ أُمُورَكَ بِالْقَصْدِ ، وَتُدَارِيَ جُنْدَكَ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَصُونَ سِرَّكَ بِالْكِتْمَانِ ، وَتُدَاوِيَ حِقْدَكَ بِالْإِنْصَافِ ، وَتُدَلِّلَ نَفْسَكَ بِالْعَدْلِ ، وَتُحَصِّنَ عُيُوبَكَ بِتَقْوِيمِ أَوْدِكَ ، وَتَمْتَعَ عَقْلُكَ مِنْ دُخُولِ الآفَاتِ عَلَيْهِ بِالْعُجْبِ الْمُرْدِي . وَأَنَاثِكَ فَوْقَهَا الْمَلَالُ وَفُوتَ الْعَمَلِ ، وَمَضَاءَتِكَ فَدَرَعُهَا رَوِيَّةُ النَّظَرِ وَأَكْتَفُفَهَا بِأَنَاةِ الْحِلْمِ . وَخَلَوْتِكَ فَأَحْسِنِهَا مِنَ الْغَفْلَةِ وَأَعْتَمِدِ الرَّاحَةَ ، وَصَمْتِكَ فَانْفِ عَنِ اللَّفْظِ ، وَخَفِ سُوءَ الْقَالَةِ ؛ وَاسْتَمَاعَكَ فَارْعِهِ حُسْنَ التَّفَهُّمِ ، وَقُوَّهُ بِإِشْهَادِ الْفِكْرِ ؛ وَعَطَاءَكَ فَامْهَدْ لَهُ بَيُوتَاتِ الشَّرْفِ وَدَوَى الْحَسَبِ ، وَتَحَرَّزْ فِيهِ مِنَ السَّرْفِ وَأَسْتَطَالَةِ الْبَدَخِ وَأَمْتِنَانِ الصَّبِيْعَةِ ؛ وَحَيَاءَكَ فَامْنَعِهِ مِنَ الْجَلِّ ، وَبِلَادَةِ الْحَصْرِ ؛ وَحِلْمَكَ فِرْزِعِهِ عَنِ التَّهَاوُنِ وَأَحْضِرْهُ قُوَّةَ الشَّكِيمَةِ ؛ وَعُقُوبَتَكَ فَقَصِّرْهَا عَنِ الْإِفْرَاطِ ، وَتَعَمَّدْ بِهَا أَهْلَ الْإِسْتِحْقَاقِ ؛ وَعَفْوِكَ فَلَا تُدْخِلْهُ تَعْطِيلَ الْحَقُوقِ ، وَخُذْ بِهِ وَاجِبَ الْمَفْتَرَضِ ، وَأَقِمْ بِهِ أَوْدَ الدِّينِ ؛ وَاسْتِنْسَاسَكَ فَامْنَعْ مِنْهُ الْبَدَاءَ وَسُوءَ الْمُنَاقَاةِ ^(١) . وَتَمَهَّدْكَ أُمُورَكَ فَحْدَهُ أَوْقَاتًا ، وَقَدْرَهُ سَاعَاتٍ ، لَا تَسْتَفْرِغُ قُوَّتَكَ ، وَلَا تَسْتَدْعِي سَأَمَتَكَ ؛ وَعَزَمَاتِكَ فَانْفِ عَنْهَا مَجَلَّةَ الرَّأْيِ ، وَبِلِحَاجَةِ الْإِقْدَامِ ؛ وَقَرَحَاتِكَ فَاشْكُفْهَا عَنِ الْبَطْرِ ، وَقَيِّدْهَا عَنِ الزُّهْمِ ؛ وَرَوَعَاتِكَ فَحُطِّهَا مِنْ دَهْشِ الرَّأْيِ ، وَاسْتَسْلِمِ الْخُضُوعِ ؛ وَحَدَرَاتِكَ فَامْنَعْهَا مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعْمِدْ بِهَا الْحَزْمَ ؛ وَرَجَاءَكَ فَاقْبِدْهُ بِجَوْفِ الْفَائِتِ ، وَامْنَعْهُ مِنْ أَمْنِ الطَّلَبِ .

هذه جوامعٌ خلال دَخَالِ النِّقْصِ مِنْهَا وَاصِلٌ إِلَى الْعَقْلِ بِلَطَائِفِ أُنْبِهِ وَتَصَارِيفِ حَوِيلِهِ ، فَأَحْكُمِهَا عَارِفًا بِهَا ، وَتَقَدَّمْ فِي الْحِفْظِ لَهَا ، مَعْتَرِمًا عَلَى الْأَخْذِ بِمَرَاشِدِهَا وَالْإِتِّهَاءِ مِنْهَا إِلَى حَيْثُ بَلَغَتْ بِكَ عِظَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) يقال ناقث فلان فلانا بالكلام آذاه انظر القاموس مادة ن ق ث .

ثُمَّ لَتَكُنْ بِطَانَتِكَ وَجُلَسَاؤِكَ فِي خَلَوَاتِكَ، وَدُخْلَاؤِكَ فِي سِرِّكَ، أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْوَرَعِ
 مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَعَامَّةِ قُوَادِكَ مِنْ قَدْ حَنَكْتَهُ السَّنُّ بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ،
 وَخَبَطْتَهُ فِصَالُهَا بَيْنَ فَرَاسِنِ الْبَزْلِ مِنْهَا، وَقَلَّبْتَهُ الْأُمُورَ فِي فُنُونِهَا؛ وَرَكِبَ أَطْوَارَهَا:
 عَارِفًا بِحَاسِنِ الْأُمُورِ وَمَوَاضِعِ الرَّأْيِ وَعَيْنِ الْمَشُورَةِ؛ مَأْمُونًا النَّصِيحَةَ، مُنْطَوِيًا
 الضَّمِيرَ عَلَى الطَّاعَةِ. ثُمَّ أَحْضَرَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَقَارًا يَسْتَدْعِي لَكَ مِنْهُمْ الْهَيْبَةَ،
 وَأَسْتِنَاسًا يَعْطِفُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْمَوَدَّةَ، وَإِنْصَاتًا يَقُولُ إِفَاضَتَهُمْ لَكَ عِنْدَكَ بِمَا تَكْرَهُ أَنْ
 يُنْشَرَّعَكَ مِنْ سَخَافَةِ الرَّأْيِ وَضِيَاعِ الْحَزْمِ. وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ هَوَاكَ فَيَصْرِفَكَ عَنِ
 الرَّأْيِ، وَيَقْطِعَكَ دُونَ الْفِكْرِ. وَتَعَلَّمْ أَنَّكَ - وَإِنْ خَلَوْتَ بِسِرِّهَا لَقَيْتَ دُونَهُ سَتُورَكَ،
 وَأَعْلَقْتَ عَلَيْهِ أَبْوَابَكَ - فَذَلِكَ لِأَحْمَالَةِ مَكْشُوفٍ لِلْعَامَّةِ، ظَاهِرٌ عِنْدَكَ وَإِنْ أَسْتَرْتَهُ [١]
 بَرُّبًا وَلَعَلَّ وَمَا أَرَى إِذَاعَةَ ذَلِكَ وَأَعْلَمُ، بِمَا يَرُونَ مِنْ حَالَاتٍ مِنْ يَنْقَطِعُ بِهِ
 فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ. فَتَقَدَّمَ فِي إِحْكَامِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَأَسَدَّدَ خَلْلَهُ عِنْدَكَ: فَإِنَّهُ
 لَيْسَ أَحَدٌ أَسْرَعُ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَالَةِ وَلَفْطُ الْعَامَّةِ بِنَجْوَى أَوْ شَرٍّ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكَ
 وَمَكَانِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ الْمُنْتَظَرِ فِيكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ
 يُغْمَزَ فِيكَ أَحَدٌ مِنْ حَامَتِكَ وَبِطَانَةِ خَدَمَتِكَ بِضَعْفَةٍ يَجِدُهَا مَسَاعًا إِلَى النُّطْقِ عِنْدَكَ
 بِمَا لَا يَعْتَرِلُكَ عَيْبُهُ، وَلَا تَخْلُو مِنْ لَائِمَتِهِ، وَلَا تَأْمَنُ سُوءَ الْأَحْدُوثِ فِيهِ، وَلَا يَرْخُصَ
 سُوءُ الْقَالَةِ بِهِ إِنْ نَجِمَ ظَاهِرًا أَوْ عَلِنَ بَادِيًا، وَلَنْ يَجْتَرِئُوا عَلَى تِلْكَ عِنْدَكَ إِلَّا أَنْ يَرَوْا
 مِنْكَ إِصْغَاءً إِلَيْهَا، وَقَبُولًا لَهَا، وَتَرْخِيصًا لَهُمْ فِي الْإِفَاضَةِ بِهَا. ثُمَّ إِيَّاكَ وَأَنْ يُفَاضَ
 عِنْدَكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفُكَاهَاتِ وَالْحِكَايَا، وَالْمِزَاحِ وَالْمُضَاحِكِ الَّتِي يَسْتَخِفُّ بِهَا أَهْلُ
 الْبَطَالَةِ، وَيَتَسَرَّعُ نَحْوَهَا ذَوُو الْجَهَالَةِ؛ وَيَجِدُ فِيهَا أَهْلَ الْحَسَدِ مَقَالًا لِعَيْبِ يَذِيعُونَهُ،

(١) كذا في الأصل ومفتاح الأفكار مع توقف والمراد أنه يجذر من نشره بهذه الألفاظ .

وَطَعْنَا فِي حَقِّ يَجْحَدُونَهُ ؛ مع مافى ذلك من نقص الرأى ، ودَرَن العِرْض ، وهَضَم الشرف ، وتَأْيِيل الغفلة ، وقُوَّة طِبَاعِ السُّوءِ الكامنةِ في بنى آدم كَكُؤُنِ النَّارِ في الحجر الصَّلد ، فإذا قُدِح لَاح شَرُّهُ ، وتَلَهَّبَ وَمِضُّهُ ، ووقَدَ تَصَرُّمُهُ . وليست في أحد أقوى سَطْوَةً ، وأظْهَرَ تَوْقُذًا ، وأعلى كُؤُنًا ، وأسْرَعَ إِلَيْهِ بِالْعَيْبِ وَتَطَّرَقَ الشَّيْنِ مِنْهَا لَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ سِنِّكَ : من أغْفَلَ الرجال وذوى العُنْفُوانِ في الحَدَاثَةِ ، الذين لم يقع عليهم سِمَاتُ الأُمُور ، ناطقًا عليهم لِأُحْجَاهَا ، ظاهرًا فيهم وَسْمُهَا ، ولم تَمَحَّضْهُمْ شَهَامَتَهَا ، مَظْهَرَةً لِلْعَامَّةِ فَضْلَهُمْ ، مُدْبِعَةً حَسَنَ الذِّكْرِ عَنْهُمْ ؛ ولم يَبْلُغْ بِهِم الصَّيِّتُ فِي الحُنْكَةِ مَسْتَمَعًا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ نَوَاطِقَ أُنْسِ أَهْلِ البَغْيِ ، وَمَوَادِّ أَبْصَارِ أَهْلِ الحَسَدِ .

ثم تعهد من نفسك لطيف عيبٍ لازم لكثيرٍ من أهل السلطان والقُدرة : من أبطال الذرع ونحوه الشرف والتَّيِّهَ وَعَيْبِ الصِّلَفِ ؛ فإنها تُسْرِعُ بِهِمْ إِلَى فَسَادٍ وَتَهْجِينِ عَقُولِهِمْ فِي مَوَاطِنَ جَمَّةٍ ، وَأَنْحَاءَ مُضْطَرِّفَةٍ ، مِنْهَا قَلَّةٌ أَقْتَدَارُهُمْ عَلَى ضَبْطِ أَنْفُسِهِمْ فِي مَوَاقِبِهِمْ وَمَسَايِرِهِمْ الْعَامَّةِ : فَمِنْ مَقْلِقِلٍ شَخَّصَهُ بِكَثْرَةِ الْإِلْتِفَاتِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، تَزْدَهِيهِ الخِفَّةُ ، وَيُطِّطِرُهُ إِجْلَابُ الرِّجَالِ حَوْلَهُ . وَمِنْ مُقْبِلٍ فِي مَوْكِبِهِ عَلَى مُدَاعِبَةِ مُسَايِرِهِ بِالْمَقَاكِهِ لَهُ وَالتَّضَاكُحِ إِلَيْهِ ، وَالْإِيْجَافِ فِي السَّيْرِ مَرَحًا ، وَتَحْرِيكِ الْجَوَارِحِ مَتَسَّرًا ، يَحَالُ أَنْ ذَلِكَ أَسْرَعُ لَهُ وَأَحْتُ لِمَطِيَّتِهِ ، فَلْتَحَسِّنْ فِي ذَلِكَ هَيْئَتَكَ ، وَتَجَمَّلْ فِيهِ دَعَتَكَ ؛ وَلِقِلَّ عَلَى مُسَايِرِكَ إِقْبَالُكَ إِلَّا وَأَنْتَ مُطَّرِقُ النَّظَرِ ، غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَى مُحَدَّثٍ ، وَلَا مُقْبِلٍ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ فِي مَوْكِبِكَ لِحَادِثَتِهِ ، وَلَا مُوَجِّفٍ فِي السَّيْرِ مَقْلِقِلٍ لَجَوَارِحِكَ بِالتَّحْرِيكِ وَالْإِسْتِنْهَاضِ ؛ فَإِنَّ حُسْنَ مَسَايِرَةِ الْوَالِيِ وَأَتْدَاعِهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ غُيُوبِ أَمْرِهِ وَمَسْتَتِرِ أَحْوَالِهِ .

(١) في مفتاح الأفكار «من أبطال البدع» وفي غيره «من أقطار الذرع» وفي كليهما علامة التوقف تأمل .

وأعلم أنّ أقواما يتسرعون إليك بالسّعاية ، ويأتونك على وجه النّصيحة ، ويستميلونك بإظهار الشّفقة ، ويستدعونك بالإغراء والشّهنة ، ويوطئونك عشوة الحيرة : ليجعلوك لهم ذريعة إلى استئصال العامّة بموضعهم منك في القبول [منهم] ^(١) والتصديق لهم على من قرفوه بثّمة ، أو أسرعوا بك في أمره إلى الظّنة ؛ فلا يصلنّ إلى مشافهتك ساعٍ بشّهنة ، ولا معروفٍ بثّمة ، ولا منسوبٍ إلى بدعة [فيرضّك] ^(٢) لإيتاغ دينك ، ويملكك على رعيتك بما لا حقيقة له عندك ، ويُلحِمك أعراض قوم لا علم لك بدخلهم ، إلا بما أقدم [به] عليهم ساعيا وأظهر لك منهم متصّحا .
ويُكِنُّ صاحبُ شرطتك المتولّي لإنهاء ذلك هو المنصوب لأولئك ، والمستمع لأقاويلهم ، والفاحص عن نصائحهم ؛ ثمّ لئنّه ذلك إليك على ما يرفع إليه منه لتأمره بأمرك فيه ، وتقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامّة : فإن كان صوابا نالتك خيرته ، وإن كان خطأ أقدم به عليك جاهلٌ أو فرطٌ سعى بها كاذبٌ فنالت الساعي منهما أو المظلوم عقوبته ، أو بدر من وإليك إليه عقوبته ونكال ، لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تُنسب إلى تفريط ، وخلوت من موضع الدّم فيه : محضرا إليه ذهناك وصواب رأيك . وتقدّم إلى من تولى ذلك الأمر وتعتمد عليه فيه أن لا يُقدم على شيءٍ ناظرا فيه ، ولا يحاول أخذ أحد طارقاله ، ولا يعاقب

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره وهي لازمة . وفي القاموس في مادة (وت غ) وأوتغ دينة

بالتم أفسده .

(٣) دخل الرجل بالفتح والكسر نيته ومذهبه .

(٤) الذى فى "مفتاح الأفكار" وغيره «ولیکن صاحب شرطتك ومن أحیبت أن يتولى ذلك من قوادك

إليه آتتهاء ذلك وهو المنصوب الخ» .

أحداً مُتَّكِلًا به، ولا يُحْتَلَى سَبِيلَ أَحَدٍ صَاحِبًا عَنْهُ : لِإِصْحَارِ بَرَاءَتِهِ ، وَصِحَّةِ طَرِيقَتِهِ ؛ حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْكَ أَمْرَهُ ، وَيُنَبِّئَكَ بِإِيكَ قَضِيَّتِهِ عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ ، وَمَنْحَى الْحَقِّ ، وَيَقِينُ الْخَبَرَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ سَبِيلًا لِمَحْبَسٍ أَوْ مَجَازًا لِعُقُوبَةٍ ، أَمْرَتَهُ بِتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِهِ عَلَيْكَ ، وَلَا مُشَافَهَةِ لَكَ مِنْهُ ؛ فَكَانَ الْمَتَوَلَّى لِذَلِكَ وَلَمْ يَجْرِ عَلَى يَدَيْكَ مَكْرُوهٌ رَأَى وَلَا غِلْظَةٌ عَقُوبَةٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ إِلَى الْعَفْوِ [عَنْهُ] سَبِيلًا ، أَوْ كَانَ مِمَّا قُرِفَ بِهِ خَلِيًّا ؛ كُنْتَ أَنْتَ الْمَتَوَلَّى لِلْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ ، وَالصَّفْحِ عَنْهُ بِإِطْلَاقِ أَسْرِهِ ؛ فَتَوَلَّيْتَ أَجْرَ ذَلِكَ وَأَسْتَحَقَّقْتَ ذُنُوبَهُ ، وَأَنْطَقْتَ لِسَانَهُ بِشُكْرِكَ ، وَطَوَّقْتَ قَوْمَهُ حَمْدَكَ ، وَأَوْجِبْتَ عَلَيْهِمْ حَقَّكَ ؛ فَقَرَنْتَ بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ ، وَأَحْرَزْتَ حُطُوبَتَيْنِ : ثَوَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَمُجُودَ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا .

ثُمَّ وَإِيَّاكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِكَ وَجُلَسَائِكَ وَخِصَّامَتِكَ وَبِطَانَتِكَ بِمَسْأَلَةٍ يَكْشِفُهَا لَكَ ، أَوْ حَاجَةً يَبْدُوهَا بِطَلْبِهَا ، حَتَّى يَرْفَعَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِكَ الَّذِي أَهْدَفْتَهُ لِذَلِكَ وَنَصَبْتَهُ لَهُ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْكَ مُنْبِئًا لَهَا عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ عَنْهَا ، وَتَكُونُ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ قَدْرِهَا : فَإِنْ أَرَدْتَ إِسْعَافَهُ بِهَا وَنَجَاحَ مَسْأَلِهَا مِنْهَا ، أَذِنْتَ لَهُ فِي طَلْبِهَا ، بِأَسْطَلِّهِ كَتَفَكَ ، مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ ؛ مَعَ ظُهُورِ سُرُورِكَ بِمَا سَأَلَكَ ، وَفَسْحَةٍ رَأَى وَبَسْطَةِ دَرْعٍ ، وَطِيبِ نَفْسٍ . وَإِنْ كَرِهْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ، وَأَحْبَبْتَ رَدَّهُ عَنْ طَلْبَتِهِ ؛ وَتَقَلَّ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ إِلَيْهَا ، وَإِسْعَافَهُ بِهَا ، أَمَرْتَ كَاتِبَكَ فَصَفَحَهُ عَنْهَا ، وَمَنْعَهُ مِنْ مُوَاجَهَتِكَ بِهَا ؛ نَخَفْتُ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْمُتُونَةَ ، وَحَسُنَ لَكَ الذِّكْرُ ، وَلَمْ يُنْشَرْ عَنْكَ تَجَهُّمُ الرَّدِّ ، وَيَنْلِكَ سُوءُ الْقَالَةِ فِي الْمَنْعِ ، وَحَمِلَ عَلَى كَاتِبِكَ فِي ذَلِكَ لِأُمَّةٍ أَنْتَ مِنْهَا بَرِيءٌ السَّاحَةِ .

(١) أى لوضوح براءته ففى حديث على فأصحح لعدوك أى كن من أمره على أمر واضح انظر اللسان

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرسل ، فلا يصلن إليك أحدٌ منهم إلا بعد وصول علمه إليك ، وعلم ما قدم له عليك ؛ وجهته ما هو مكنمك به ، وقدر ما هو سائلك إياه إذا هو وصل إليك ، فأصدرت رأيك في حوائجه ، وأجلت فكرك في أمره ، وأخترت معترماً على إرادتك في جوابه ، وأقذت مضدور رويتك في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله إليك ؛ فرفعت عنك مؤونة البديهة ، وأرخت عن نفسك خناق الروية ، وأقدمت على رد جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه . فإن دخل إليك أحدٌ منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كتابك وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا جميلا ، ومنعته جوابك منعا وديعا ؛ ثم أمرت حاجبك بإظهار الحقوة له ، والغلظة عليه ، ومنعه من الوصول إليك ؛ فإن ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب ، صارفاً عنك مؤونتها ، ومسهلاً عليك مستصعبها .

احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والغضب وأعتوارهما إياك ، فلا يزدهينك إفراط عجب تستخفك روائعه ، ويستهويك منظره ، ولا يبدرت منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه إن حل بك ، أو حادث إن طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجأ تحجز به من آفات اللدئى ، وتستعضد في موهم النازل ، وتتعقب به أمورك في التدبير . فإن أحتجت إلى مادة من عقلك ، وروية من فكرك ، أو أنيساط من منطقتك ؛ كان أنحيازك إلى ظهرك مُردادا مما أحببت الإمتياح منه والإمتيار ؛ وإن استدبرت من أمورك بوادر جهل أو مضى زلل أو معاندة حق أو خلطل تدبير ، كان ما أحتجت إليه من رأيك عذرا لك عند

(١) في رسائل البلغاء وتستعده في مهم نازل .

(٢) كذا في المفتاح ورسائل البلغاء أيضا ولعله وإن أبدرت الخ . تأمل .

نفسك ، وظهرياً قوياً على رد ما كرهت ، وتخفيفاً لمؤونة الباغين عليك في القالة
وآنتشار الذكرك ؛ وحصنا من غُلوب الآفاتِ عليك ، وأستعلائها على أخلاقك .

وأمنع أهل بطانتك وخاصة خدامك من آستلحام أعراض الناس عندك بالغبية ،
والتقرب إليك بالسعاية ، والإغراء من بعض ببعض ؛ أو التئمة إليك بشيء من
أحوالهم المستترة عنك ، أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومدَّهَب
الشَّفقة : فإنَّ ذلك أبلغ بك سُموًا إلى منالة الشرف ، وأعونُك لك على محمود الذكر ،
وأطلق لعنان الفضل في جرّالة الرأي وشرف الهمة وقوة التديير .

وأملك نفسك عن الإنبساط في الضحك والإنفهاق ، وعن القُطوب بإظهار
الغضب وتخلله : فإنَّ ذلك ضعف عن ملك سورة الجهل ، ونحروج من آنتخان آسيم
الفضل . وليكن سخحك تبسماً أو كسراً في آحيان ذلك وأوقاته ، وعند كل رافع
مستخف مطرب ؛ وقطوبك إطراقاً في مواضع ذلك وأحواله ، بلا عجلة إلى
السطوة ، ولا إسراع إلى الطيرة ، دون أن يكتفها روية الحلم ؛ وتملك عليها بادرة
الجهل .

إذا كنت في مجلس ملتك ، وحيث حضور العامة مجلسك ، فإياك والرمي بنظرك
إلى خاص من قوادك ، أو ذى أثرة عندك من حشمتك . وليكن نظرك مقسوماً
في الجميع ، وإراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن ، وحضور
فهم مجتمع ، وقلة تضجّر بالحدث . ثم لا يبرح وجهك إلى بعض حرسك وقوادك
متوجّها بنظير ركين ، وتفقد محض . وإن وجه إليك أحد منهم نظره محققاً ،
أو رماك ببصره ملحاً ، فاحفض عنه إطراقاً جميلاً باتداع وسكون . وإياك

والتسرع في الإطراق ، والحففة في تصريف النظر، والإلحاح على من قصد إليك في مخاطبته إياك رامقًا بنظره .

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَصَفُّحَكَ وَجُوهَ جَلَسَاتِكَ وَتَفَقُّدَكَ مَجَالِسَ قُودَاكَ ، مِنْ قُوَّةِ التَّسْدِيرِ ، وَشَهَامَةِ الْقَلْبِ ، وَذَكَاءِ الْفِطْنَةِ ، وَآتِبَاءِ السَّنَةِ . فَتَفَقَّدَ ذَلِكَ عَارِقًا بِنَ حَضْرِكَ وَغَابَ عَنْكَ ، عَالِمًا بِمَوَاضِعِهِمْ مِنْ مَجْلِسِكَ ، ثُمَّ أَعْدَبَهُمْ عَنْ ذَلِكَ سَائِلًا لَهُمْ عَنْ أَشْغَالِهِمْ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ مِنْ حَضُورِ مَجْلِسِكَ ، وَعَاقَبْتَهُمْ بِالتَّخْفِ عَنْكَ .

إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ حَشَمِكَ وَأَعْوَانِكَ تَبَقُّ مِنْهُ بِغَيْبِ ضَمِيرٍ ، وَتَعْرِفُ مِنْهُ لَيْنَ طَاعَةٍ ، وَتُسْرِيفُ مِنْهُ عَلَى صِحَّةِ رَأْيٍ ، وَتَأْمَنُ عَلَى مَشُورَتِكَ ، فَإِيَّاكَ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ يَرِدُ عَلَيْكَ ، وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَهُ بِنَظْرِكَ عِنْدَ طَوَارِقِ ذَلِكَ ، وَأَنْ تُرِيَهُ أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَجْلِسِكَ أَنَّ بَكَ حَاجَةً إِلَيْهِ مُوحِشَةً ، أَوْ أَنَّ لَيْسَ بِكَ عَنْهُ غَيٌّ فِي التَّسْدِيرِ ، أَوْ أَنَّكَ لَا تَقْضِي دُونَهُ رَأْيًا ، إِشْرَاقًا مِنْكَ لَهُ فِي رَوِيَّتِكَ ، وَإِدْخَالًا مِنْكَ لَهُ فِي مَشُورَتِكَ ، وَأَضْطْرَارًا مِنْكَ إِلَى رَأْيِهِ فِي الْأَمْرِ يَمْرُوكَ : فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَخَائِلِ الْعُيُوبِ الَّتِي يَنْتَشِرُ بِهَا سُوءُ الْقَالَةِ عَنْ نَظْرَاتِكَ فَانْفِئْهَا عَنْ نَفْسِكَ خَائِفًا لِاعْتِلَاقِهَا ذِكْرَكَ ، وَأَعْجِبْهَا عَنْ رَوِيَّتِكَ قَاطِعًا لِأَطْعَامِ أَوْلِيَائِكَ عَنْ مَثَلِهَا عِنْدَكَ ، أَوْ غُلُوبِهِمْ عَلَيْهَا مِنْكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَشُورَةِ مَوْضِعَ الْخَلْوَةِ وَأَنْفِرَادِ النَّظَرِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ غَايَةٌ تُحِيطُ بِجُدُودِهِ ، وَتَجْمَعُ مَعَالِمَهُ . فَأَبْنِهَا مُحَرِّزًا لَهَا ، وَرُمِّهَا طَالِبًا لِنَيْلِهَا ، وَإِيَّاكَ وَالْقُصُورَ عَنْ غَايَتِهَا أَوْ الْعَجْزَ عَنْ دَرَكِهَا ، أَوْ التَّفْرِيطَ فِي طَلَبِهَا . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إِيَّاكَ وَالْإِغْرَامَ عَنْ حَدِيثٍ مَا أَعْجَبَكَ ، أَوْ أَمْرٍ مَا أَزْدَهَاكَ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، أَوْ الْقَطْعَ لِحَدِيثٍ مَنْ أَرَادَكَ بِحَدِيثِهِ حَتَّى تَقْضِيَهُ عَلَيْهِ بِالْحَوْضِ فِي غَيْرِهِ أَوْ الْمَسْأَلَةَ

عَمَّا لَيْسَ مِنْهُ : فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَنْسُوبٌ إِلَى سُوءِ الْفَهْمِ وَقِصْرِ الْأَدَبِ عَنِ تَأْوِيلِ
نَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَسَاوِيهَا ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ لِمَحَدِّثِكَ وَأَرَعِهِ سَمْعَكَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ
قَدْ فَهِمْتَ حَدِيثَهُ ، وَأَحْطَتْ مَعْرِفَةٌ بِقَوْلِهِ : فَإِنْ أُرِدْتَ إِجَابَتَهُ فَعِن مَعْرِفَةٍ بِحَاجَتِهِ
وَبَعْدَ عِلْمِ بَطْلِيَّتِهِ ، وَإِلَّا كُنْتَ عِنْدَ أَنْقِضَاءِ كَلَامِهِ كَالْمَتَعَجِّبِ ^(١) مِنْ حَدِيثِهِ بِالتَّبَسُّمِ
وَالِإِغْضَاءِ ، فَأَجْزِيْ عِنكَ الْجَوَابَ ، وَقَطْعَ عِنكَ أَلْسُنَ الْعُتْبِ .

إِيَّاكَ وَأَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ تَبَرُّمٌ بِطُولِ مَجْلِسِكَ ، أَوْ تَضَجُّرٌ مِنْ حَضْرِكَ ، وَعَلَيْكَ
بِالتَّبَيُّتِ عِنْدَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ ، وَحِمِيَّةِ الْأَنْفِ ، وَمَلَالِ الصَّبْرِ فِي الْأَمْرِ تَسْتَعِجِلُ بِهِ
وَالْعَمَلِ تَأْمُرُ بِإِنْفَازِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُخْفٌ شَائِنٌ ، وَخِيفَةٌ مُرْدِيَةٌ ، وَجَهَالَةٌ بَادِيَةٌ .
وَعَلَيْكَ بِبُيُوتِ الْمَنْطِقِ ، وَوَقَارِ الْمَجْلِسِ ، وَسُكُونِ الرِّيحِ ، وَالرَّفْضِ لِحَشْوِ الْكَلَامِ ،
وَالْتَّرْكِ لِفَضُولِهِ . ^(٢) وَالِإِغْرَامَ بِالزِّيَادَاتِ فِي مَنْطِقِكَ وَالتَّرِيدِ لِلْفُظْكَ : مِنْ نَحْوِ أَسْمِعْ ،
وَأَفْهَمْ عَنِّي ، وَيَاهَنَاهُ ، وَالْأَتْرَى ، أَوْ مَا يُهَجُّ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْفَضُولِ الْمُقْصَرَّةِ بِأَهْلِ
الْعَقْلِ ، الشَّائِنَةِ لِدَوَى الْجِحَا فِي الْمَنْطِقِ ، الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِمْ بِالْعِيِّ ، الْمُرِيَّةِ لَهُمْ بِالذِّكْرِ .
وَخِصَالٌ مِنْ مَعَايِبِ الْمُلُوكِ وَالسُّوْقَةِ عَنْهَا غِيَّةُ النَّظَرِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا مِنْ أَهْلِ
الْأَدَبِ ، وَقَلَمًا حَامِلًا لَهَا ، مَضْطَلَعًا بِهَا ، صَابِرًا عَلَى ثِقَلِهَا ، آخِذًا لِنَفْسِهِ بِجِوَامِعِهَا .
فَانْفِهَا عَنِ نَفْسِكَ بِالتَّحْفُظِ مِنْهَا ، وَأَمَلِكْ عَلَيْهَا أَعْتِيَادَكَ إِيَّاهَا مَعْنِيَا بِهَا : مِنْهَا كَثْرَةُ
التَّنَحُّمِ ، وَالتَّبَصُّقِ ، وَالتَّنَخُّعِ ، وَالتُّؤَبَاءِ ، وَالتَّمَطِّيِّ ، وَالجُشَاءِ ، وَتَحْرِيكِ الْقَدَمِ ،
وَتَقْيِضِ الْأَصَابِعِ ، وَالعَبْثِ بِالْوَجْهِ وَالتَّلْحِيَةِ أَوْ الشَّارِبِ أَوْ المِنْخَصْرَةِ أَوْ ذُوَابَةِ السِّيفِ ،
أَوْ الإِيْمَاضِ بِالنَّظَرِ ، أَوْ الإِشَارَةِ بِالطَّرْفِ إِلَى بَعْضِ خَدَمِكَ بِأَمْرٍ إِنْ أُرِدْتَهُ ، أَوْ السَّرَارِ
فِي مَجْلِسِكَ ، أَوْ الإِسْتِعْجَالِ فِي طَعْمِكَ أَوْ شُرْبِكَ . وَلِيَكُنْ طَعْمُكَ مَتَدَعَا ، وَشُرْبُكَ

(١) فِي الْمَفْتَاخِ وَغَيْرِهِ كَالْمَتَلَلِ وَهِيَ وَاضِحَةٌ .

(٢) مَرَادُهُ وَالتَّرْكَ لِلْإِغْرَامِ أَيْ الْوَلُوعَ بِالزِّيَادَاتِ الْخِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْهَى عَنْهُ بِدَلِيلِ بَقِيَّةِ الْكَلَامِ فَتَبَهُ .

أنفاسا ، وجرعك مصا . وإياك والتسرع إلى الأيمان فيما صغر أو كبر من الأمور ،
والشئمة بقول يا ابن الهنأة ؛ أو الغمزة لأحد من خاصتك بتسويغهم مقارفة
الفسوق بحيث محضرك أو دأرك وفناؤك : فإن ذلك كله مما يقبح ذكره ، ويسوء
موقع القول فيه ، وتحمل عليك معاييه ، وينالك شينه ، وينتشر عليك سوء النبا به .
فأعرف ذلك متوقيا له ، وأحذره مجانباً لسوء عاقبته .

استكثر من فوائد الخير : فإنها تنشر المحمدة ، وتقبل العثرة ؛ وأصبر على كظم
الغيظ : فإنه يورث الراحة ، ويؤمن الساحة ؛ وتهد العامة بمعرفة دخالهم ، وتبطن
أحوالهم ، واستتارة دقاتهم ؛ حتى تكون منها على رأى عين ، ويقين خبرة ؛ فتعش
عديهم ، وتجبر كسيهم ؛ وتقيم أودهم ، وتعلم جاهلهم ، وتستصلح فاسدهم : فإن
ذلك من فعلك بهم يورثك العزة ، ويقدمك في الفضل ؛ ويبقى لك لسان الصدق
في العاقبة ، ويجرز لك ثواب الآخرة ، ويرد عليك عواطفهم المستفجرة منك ، وقلوبهم
المتنجحة عنك .

قس بين منازل أهل الفضل في الدين والحج والرأى ، والعقل والتدبير ،
والصيت في العامة ، وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله ،
والخمول عند مباهاة النسب ؛ وأنظر بصحبة أيهم تتأل من مودته الجميل ، وتستجمع
لك أفاويل العامة على التفضيل ؛ وتبلغ درجة الشرف في أحوالك المنصرفه بك .
فاعتمد عليهم مديلا لهم في أمرك ، وآثرهم يجالستك لهم مستمعا منهم ؛ وإياك
وتضييعهم مفترطا ، وإهمالهم مضيعا .

هذه جوامع خصال قد تلخصها لك أمير المؤمنين مفسرا ، وجمع لك شواذها
مولفا ، وأهداها إليك مرشدا ؛ فقف عند أوامرها ، وتناه عن زواجرها ، وثبت

في مجامعها؛ وخذُ بوثائقِ عَراها تَسَلِّمَ من مَعاطبِ الرَدَى ، وتَسَلِّ أَنْفَسَ الحُطُوظِ
ورِغِيبَ الشَّرَفِ ؛ وأعلى دَرَجِ الذِّكْرِ ، وتَأْتِلُ سَطْرَ العِزِّ (؟) واللهِ يَسْأَلُ لكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
حُسْنَ الإِرْشَادِ ، وتَتَأَبَّحُ المَزِيدَ وبلوغَ الأَمَلِ ، وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غِبْطَةِ
يُسْوَعِكَ إِيَّاهَا ، وعافيةٍ يُحِلُّكَ أَكْثَافَهَا ، ونعمةٍ يُهَيِّمُكَ شُكْرُهَا : فإنه الموقِّ للخير ،
والمعينُ على الإِرْشَادِ ؛ منه تَمَامُ الصَّالِحَاتِ ، وهو مُوقِّ الحَسَنَاتِ ، عنده مَفَاتِيحُ
الخَيْرِ ، وبيده المُلْكُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فإذا أَفْضَيْتَ نَحْوَ عُدُوكَ ، وَأَعْتَرَمْتَ على لِقَائِهِمْ ، وَأَخَذْتَ أَهْبَةَ قِتَالِهِمْ ، فَاجْعَلْ
دِعَامَتَكَ الَّتِي تَلْجَأُ إِلَيْهَا ، وَثِقَتَكَ الَّتِي تَأْمَلُ النِّجَاةَ بِهَا ، وَرُكْنَكَ الَّذِي تَرْتَجِي مَنَالَةَ
الظَّفَرِ بِهِ ، وَتُكْتَمِفُ بِهِ لِمَعَالِقِ الحَذَرِ تَقْوَى اللهُ مُسْتَشْعِرًا لَهَا بِمِرَاقِبَتِهِ ، وَالْأَعْتِصَامِ
بِطَاعَتِهِ مُتَبَعًا لِأَمْرِهِ ، مُجْتَنِبًا لِسُخْطِهِ ، مُحْتَذِيًا سُنَّتَهُ ، وَالتَّوَقِّيَ لِمَعَاصِيهِ فِي تَعْطِيلِ
حُدُودِهِ ، أَوْ تَعَدِّي شَرَائِعِهِ ؛ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ فِيمَا صَمَدَتَ لَهُ ، وَاثْمًا بِنَصْرِهِ فِيمَا تَوَجَّهَتْ
نَحْوَهُ ، مُتَبَرِّثًا مِنَ الحَوْلِ وَالْقُوَّةِ فِيمَا نَالَكَ مِنَ ظَفَرِ ، وَتَلَقَّكَ مِنْ عِزِّ ؛ رَاغِبًا فِيمَا أَهَابَ^(١)
بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ الجِهَادِ وَرَمَى بِكَ إِلَيْهِ ، مَجْمُودَ الصَّبْرِ فِيهِ عِنْدَ اللهِ مِنْ
قِتَالِ عَدُوِّ المُسْلِمِينَ ، أَكْلَبَهُمْ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ عِدَاوَةَ لَهُمْ ، وَأَفْذَحَهُ ثِقْلًا لِعَامَّتِهِمْ ، وَأَخَذَهُ
بِرَبْقِهِمْ ، وَأَعْلَاهُ عَلَيْهِمْ بَغْيًا ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهِمْ فِسْقًا وَجُحُورًا ، وَأَشَدَّهُ على فَيْئِهِمُ الَّذِي
أَصَارَهُ اللهُ لَهُمْ وَفَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَثُونَةً وَكَلًّا . وَاللهِ المُسْتَعَانُ عَلَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَنْصَرُ على
جَمَاعَتِهِمْ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِيَّاهُ يَسْتَصْرِخُ عَلَيْهِمْ ، وَإِلَيْهِ يَفِضُضُ أَمْرَهُ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا ، وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ .

(١) هو من قولهم أهاب بالابل إذا دعاها فتنه .

ثم خذ من معك من تبايعك وجُندك بكفِّ معرتهم ، وردَّ مشتعلِ جهلهم ،
واحكام ضياع عملهم ، وضَمَّ منتشرِ قواصبيهم ، ولمَّ شعثَ أطرافهم ، وتقيدهم عمن
مروا به من أهل ذمتك وملتك بحسن السيرة ، وعفاف الطعمة ، ودعة الوقار ، وهدى
الدعة ، وحمام المستجم ، محكما ذلك منهم ، متفقدا لهم تفقدك إياه من نفسك .
ثم أضحِد لعدوك المتسمى بالإسلام ، الخارج من جماعة أهله ، المتحلل ولاية الدين
مستحلا لدماء أوليائه ، طاعنا عليهم ، راغبا عن سنتهم ، مفارقا لشرائعهم ؛ يبيغهم
الغوائل ، وينصب لهم المكاييد ؛ أضرم حقا عليهم ، وأرصد عداوة لهم ، وأطلب
لغزات فرصهم من التُّرك ، وأمَّ الشرك ، وطواغى الملل ؛ يدعُو إلى المعصية والفرقة ،
والمُرُوق من دين الله إلى الفتنه ، مخترا بهواه للأديان المتحللة والسدع المنفرقة
خسارا وتخسيرا ، وضللا وتضليلا ، بغير هدى من الله ولا بيان . ساء ما كسبت
له يدها [وما الله بظلام للعبيد ^(١)] وساء ما سولت له نفسه الأمارة بالسوء ، والله من
ورائه بالمِرصاد : ﴿ وَسِعِلْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

حصن جُندك ، وأشكَّم نفسك بطاعة الله في مجاهدة أعدائه ، وأرج نصره ، ونجَّز
موعوده ، متقدما في طلب ثوابه على جهادهم ، معتزما في آبتغاء الوسيلة إليه على
لقاتهم : فإنَّ طاعتك إياه فيهم ، ومرأقتك له ورجاءك نصره مسهل لك وعوره ،
وعاصمك من كل سُبَّة ، ومُنْجيك من كل هُوَّة ، وناعشك من كل صرعة ، ومُقيلك
من كل كَبُوة ، ودارئ عنك كل شُبْهة ، ومُدْهِب عنك لَطْخة كل شك ، ومُقَوِّبك
بكل أيد ومكيدة ، ومُعزِّك في كل معترك قتال ، ومؤيِّدك في كل مجمع لقاء ، وكالئك

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٣ .

عند كل فتنة مغشيه ، وحائطك من كل شبهة مُرديه ، والله وليك وولى أمير المؤمنين
فيك ، والمستخلف على جُندك ومن معك .

اعلم أن الظفر ظفران : أحدهما وهو أعم منفعةً ، وأبلغ في حُسن الذكر قالةً ،
وأحوطه سلامة ، وأتمه عافيةً ، وأحسنه في الأمور وأعلاه في الفضل شرفاً ،
وأصححه في الروية حرماً ، وأسلمه عند العامة مَصدراً - مانيل بسلامة الجنود ،
وحُسن الجيلة ، ولطف المكيمة [ويمن النقيبة ^(٢)] وأستزال طاعة ذوى الصدوف
بغير إخطار الجيوش في وقدة بجمرة الحرب ، ومبارزة الفرسان في معترك الموت ،
وإن ساعدتك طلوق الظفر ، ونالك مزيد السعادة في الشرف ، ففي مخاطرة التلف
مكروه المصائب ، وعصاض السيوف وألم الجراح ، وقصاص الحروب وسببها
بمغاورة أبطالها . على أنك لا تدرى لأى يكون الظفر في البديهة ، ومن المغلوب
بالدولة ، ولعلك أن تكون المطلوب بالتمحيص . فحاول إصابة أبلغهما في سلامة
جُندك ورعيّتك ، وأشهرهما صيناً في بدو تدبيرك ورأيك ، وأجمعهما لألفة وليك
وعدوك ، وأعوّنهما على صلاح رعيّتك وأهل ملّتك ، وأقواهما شكيمة في حزمك ،
وأبعدهما من وضم عزمك ، وأعلّقهما بزمام النجاة في آخرتك ، وأجزّلها ثواباً
عند ربك .

وأبدأ بالإعذار إلى عدوك ، والدعاء لهم إلى مراجعة الطاعة ، وأمر الجماعة ، وعز
الألفة ؛ أخذاً بالجمّة عليهم ، متقدماً بالإنذار لهم ، باسطاً أمانك لمن لجأ إليك منهم ،
داعياً [لهم إليه ^(٢)] بالين لفظك والطف حيلك ، متعظفا برأفتك عليهم ، مترققاً بهم

(١) أى مدلهمة سوداء من قولهم أغشى الليل إذا أظلم . تأمل .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٤ وغيره .

في دُعائك ، مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ مِنْ غَلْبَةِ الْغَوَايَةِ لَهُمْ ، وَإِحَاطَةً الْهَلَكَةِ بِهِمْ ، مُنْقِذًا رُسُلَكَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْإِنْذَارِ ، تَعُدُّهُمْ إِعْطَاءَ كُلِّ رَغْبَةٍ يَهْشُ إِلَيْهَا طَمَعُهُمْ فِي مَوَاقِفِ الْحَقِّ ، وَبَسْطَ كُلِّ أَمَانٍ سَأَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ؛ مَوْطِنًا نَفْسَكَ فِيمَا تَبَسُّطَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أُعْطِيْتَهُمْ مِنْ وَثَاقٍ عَقْدِكَ ؛ قَابِلًا تَوْبَةَ نَازِعِهِمْ عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَمُرَاجَعَةَ مُسِيئِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ ؛ مُرْصِدًا لِلتُّحَازِ إِلَى فِتْنَةِ الْمَسَامِينِ وَجَمَاعَتِهِمْ إِبْجَابَةً إِلَى مَادِعُوْتِهِ إِلَيْهِ وَبَصْرَتِهِ إِيَّاهُ مِنْ حَقِّكَ وَطَاعَتِكَ ، بِفَضْلِ الْمُنْزِلَةِ ؛ وَإِكْرَامِ الْمَثْوَى ، وَتَشْرِيفِ الْجَاهِ . وَلِيُظْهَرَ مِنْ أَرْكَ عَلَىهِ ، وَإِحْسَانِكَ [إِلَيْهِ] مَا يَرْغَبُ فِي مِثْلِهِ الصَّادِقُ عَنْكَ ، الْمُصْرُّ عَلَى خِلَافِكَ وَمَعْصِيَتِكَ ؛ وَيَدْعُو إِلَى آعْتِاقِ حَبْلِ النِّجَاتِ وَمَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ فِي الْإِعْتِصَامِ عَاجِلًا ، وَأُنْجِي لَهُ مِنَ الْعِقَابِ آجِلًا ، وَأَحْوِطُهُ عَلَى دِينِهِ وَمُهَيِّجَتِهِ بَدَأَ وَعَاقِبَتِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَدْعِي بِهِ مِنْ اللَّهِ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْتَضِدُّ بِهِ فِي تَقْدِيمِهِ الْحُجَّةَ إِلَيْهِمْ ، مُعْذِرًا أَوْ مُنْذِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثم أذكِّ عِيونَكَ عَلَى عَدُوِّكَ مُتَطَلِّعًا لِعِلْمِ أَحْوَالِهِمُ الَّتِي يَتَقَلَّبُونَ فِيهَا ، وَمَنَازِلِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا ، وَمَطَامِعِهِمُ الَّتِي قَدِمَتْهُوا أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهَا ؛ وَأَيُّ الْأُمُورِ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الصَّلْحِ ، وَأَقْوَدُهَا لِرِضَاهُمْ إِلَى الْعَافِيَةِ ، وَأَسْهَلُهَا لِاسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ ، وَمِنْ أَيِّ الْوُجُوهِ مَأْتَاهُمْ : أَمِنْ قَبْلِ الشَّدَةِ وَالْمُنَافَرَةِ وَالْمَكِيدَةِ وَالْمُبَاعَدَةِ وَالْإِرْهَابِ وَالْإِيْعَادِ ، أَوْ التَّرْغِيبِ وَالْإِطَاعِ ، مُتَبَيِّنًا فِي أَمْرِكَ ، مُتَخَيِّرًا فِي رُؤْيَيْكَ ، مُسْتَمَكًّا مِنْ رَأْيِكَ ، مُسْتَشِيرًا لَدَوِي النَّصِيحَةَ الَّذِينَ قَدِ حَنَّكَتْهُمُ السَّنُّ ، وَخَبَطَتْهُمُ التَّجْرِبَةُ ، وَنَجَّدَتْهُمُ الْحُرُوبُ ؛ مُتَشَرِّفًا (١) فِي حَرْبِكَ ، آخِذًا بِالْحَزْمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مُعِدًّا لِلحَدَّرِ ، مُحْتَرِسًا مِنَ الْغِرَّةِ ؛ كَأَنَّكَ فِي مَسِيرِكَ كُلَّهُ وَنُزُولِكَ أَجْمَعَ مُوَاقِفٌ لِعَدُوِّكَ رَأَى عَيْنٍ تَنْتَظِرُ حَمَلَاتِهِمْ ، وَتَخَوْفُ

(١) هو من قولهم تَشَرَّفَ لِمَا مَرَّ تَأْهَبُ .

كِرَاتِهِمْ ، مُعِدًا أَقْوَى مَكَائِدِكَ ، وَأَرْهَبَ عِتَادِكَ ، وَأُنْكَأَ جُنْدَكَ ، وَأَجَدَّ تَشْمِيرِكَ ؛ مَعْظَمًا
 أَمْرَ عَدُوِّكَ لِأَعْظَمِّ مِمَّا بَلَغَكَ ، حَدْرًا يَكَادُ يُفْرِطُ : لِنُعْدَلِهِ مِنَ الْإِحْتِرَاسِ عَظِيمًا ، وَمِن
 الْمَكِيدَةِ قَوِيًّا ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْتَأَكَ ذَلِكَ عَنْ إِحْكَامِ أُمُورِكَ ، وَتَدْبِيرِ رَأْيِكَ ، وَإِصْدَارِ
 رَوِيَّتِكَ ، وَالتَّأَهُبِ لِمَا يَحْزُبُكَ ؛ مَصْغَرًا لَهُ بَعْدَ اسْتِشْعَارِ الْحِذْرِ ، وَأَضْطِرَّارِ الْحَزْمِ ،
 وَإِعْمَالِ الرُّوِيَّةِ ، وَإِعْدَادِ الْأَهْبَةِ : فَإِنَّ أَلْفَيْتَ عَدُوِّكَ كَلِيلَ الْحَدِّ ، وَقَمَّ الْحَزْمِ ،
 نَضِيضُ الْوَفْرِ ، لَمْ يَضْرُكْ مَا أَعْتَدَدْتَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ، وَأَخَذْتَ لَهُ مِنْ حَزْمٍ ؛ وَلَمْ يَزِدْكَ
 ذَلِكَ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْهِ ، وَتَسْرَعًا إِلَى لِقَائِهِ . وَإِنْ أَلْفَيْتَهُ مَتَوَقَّدَ الْحَرْبِ ، مُسْتَكْنِفِ
 الْجَمْعِ ، قَوِيًّا تَتَّبَعِ ، مُسْتَعْلِي سَوْرَةِ الْجَهْلِ ؛ مَعَهُ مِنْ أَعْوَانِ الْفِتْنَةِ وَتَبَعِ الْإِبْلِيسِ مِنْ
 يُوقِدُ لَهَبَ الْفِتْنَةِ مَسْعَرًا ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَى لِقَاءِ أَبْطَالِهَا مَتَسْرَعًا ، كُنْتَ لِأَخْذِكَ بِالْحَزْمِ ،
 وَأَسْتِعْدَادِكَ بِالْقُوَّةِ ؛ غَيْرِ مُهْمِينَ الْجُنْدِ ، وَلَا مُفْرَطٍ فِي الرَّأْيِ ، وَلَا مُتْلَهِّفٍ عَلَى إِضَاعَةِ
 تَدْبِيرِ ، وَلَا مُحْتَاجٍ إِلَى الْإِعْدَادِ وَعَجَلَةِ التَّأَهُبِ مَبَادِرَةً تَدَهَّشُكَ ، وَخَوْفًا يُقْلِقُكَ .
 وَمَتَى تَفَتَّرَ بِتَرْبِيقِ الْمُرَقِّقِينَ ، وَبِأَخْذِ الْبُهْمُونِيِّ فِي أَمْرِ عَدُوِّكَ لِتَصْغِيرِ الْمَصْغَرِّينَ ، يَنْتَشِرُ
 عَلَيْكَ رَأْيُكَ ، وَيَكُونُ فِيهِ أَنْتِقَاضُ أَمْرِكَ وَوَهْنُ تَدْبِيرِكَ ، وَإِهْمَالُ الْحَزْمِ فِي جُنْدِكَ ،
 وَتَضْيِيعُ لَهُ وَهُوَ مُمَكِّنُ الْإِصْحَارِ ، رَحْبُ الْمَطْلَبِ ، قَوِيٌّ الْعِصْمَةِ ، فَسِيحُ الْمَضْطَرَبِ ؛
 مَعَ مَا يَدْخُلُ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ وَالْعَفْلَةِ عَنْ إِحْكَامِ أَحْرَاسِهِمْ ، وَضَبْطِ مَرَاكِرِهِمْ ؛
 لِمَا يَرُونَ فِيهِ مِنْ أَسْتِنَامَتِكَ إِلَى الْعِزَّةِ ، وَرُكُونِكَ إِلَى الْأَمْنِ ، وَتَهَاوُنِكَ بِالتَّدْبِيرِ ؛ فَيَعُودُ
 ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي أَنْتِشَارِ الْأَطْرَافِ ، وَضِيَاعِ الْأَحْكَامِ ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ بِمَا لَا يُسْتَقَالُ
 مَحْذُورَهُ ، وَلَا يُدْفَعُ مَخُوفَهُ .

(١) بالفاء والثاء المثلثة أى يكسرک و يؤخرك عن الخ .

(٢) أى قليل الوفرة والمال من قولهم رجل فضيض اللحم قليله .

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك . وإياك ومعاقبة
أحد منهم على خبر إن أتاك به أتهمته فيه أو سؤت به ظناً وأتاك غيره بخلافه ،
أو أن تكذبه فيه فترده عليه ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر ،
وكذبك الأول ، أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك ،
وقد أبرموا لك أمراً ، وحاولوا لك مكيده ، وأرادوا منك غيرة ، فأزدلفوا إليك
في الأهبة ثم انتقض بهم رأيهم ، واختلف عنه جماعتهم ؛ فأرادوا رأياً ، وأحدثوا
مكيده ، وأظهروا قوة ، وضربوا موعداً ، وأموا مسلكاً لمدد أتاها ، أو قوة حدثت
لهم ، أو بصيرة في ضلالة شغلتم ؛ فالأحوال بهم متنقلة في الساعات ، وطوارق
الحدائث . ولكن ألبسهم جميعاً على الإلتصاح ، وأرضخ لهم بالمطامع ، فإنك لن
تستعبدهم بمنها . وعدهم جزالة المناوب ، في غير ما استنامة منك إلى ترفيقهم أمر
عدوك ، والأعترار إلى ما يأتونك به دون أن تعمل رويتك في الأخذ بالحزم ،
والإستكار من العدة . وأجعلهم أوثق من تقدر عليه ، وآمن من تسكن إلى ناحيته :
ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك إن أستطعت ذلك ، فتقض عليهم
برأيك وتدبيرك ما أبرموا ، وتأتيهم من حيث آمنوا ، وتأخذ لهم أهبة ماعليه أقدموا ،
وتستعد لهم بمثل ما حذروا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ جَوَاسِيسَكَ وَعُيُونَكَ رُبَّمَا صَدَقُواكَ ، وَرُبَّمَا غَشَوْكَ ، وَرُبَّمَا كَانُوا لَكَ
وَعَلَيْكَ فَنَصَحُوا لَكَ وَغَشَوْا عَدُوَّكَ وَغَشَوْكَ وَنَصَحُوا عَدُوَّكَ ، وَكَثِيرًا مَا يَصَدُقُونَكَ
وَيَصَدُقُونَهُ . فَلَا تَبْدُرَنَّ مِنْكَ فَرَطَةٌ عَقُوبَةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَلَا تَعْجَلْ بِسُوءِ الظَّنِّ
إِلَى مَنْ أَتَمَّتْهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَأَسْتَنْزِلْ نَصَائِحَهُمْ بِالْمِيَاحَةِ وَالْمَنَالَةِ ، وَأَبْسُطْ مِنْ آمَالِهِمْ
فِيكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّكَ أَخَذْتَ مِنْ قَوْلِهِ أَخْذَ الْعَامِلِ بِهِ وَالْمَتَّبِعِ لَهُ ،
أَوْ عَمِلْتَ عَلَى رَأْيِهِ عَمَلَ الصَّادِرِ عَنْهُ ، أَوْ رَدَدْتَهُ عَلَيْهِ رَدَّ الْمَكْذُوبِ بِهِ ، الْمَتَّبِعِ لَهُ ،

المستخف بما أتاك منه، فتفسد بذلك نصيحته، وتستدعي غشه، وتجتر عداوته .
 وأحذر أن يعرفوا في عسكرك أو يُشار إليهم بالأصابع، وليكن منزهم على كاتب رسائك
 وأمين سرك، ويكون هو الوجه لهم، والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِعَدُوِّكَ فِي عَسْكَرِكَ عِيُونًا رَاصِدَةً، وَجَوَاسِيسَ مَتَجَسِّسَةً، وَأَنَّهُ لَنْ يَقَعَ
 رَأْيُهُ عَنِ مَكِيدَتِكَ بِمَثَلِ مَا تُكَايِدُهُ بِهِ، وَسِيحْتَالُ لَكَ كَأَحْتِيَالِكَ لَهُ، وَيُعَدُّ لَكَ
 كِعَادِدِكَ فِيمَا تُزَاوِلُهُ مِنْهُ، وَيُحَاوِلُكَ كِمِحَاوِلَتِكَ إِيَّاهُ فِيمَا تُفَارِعُهُ عَنْهُ؛ فَاحْذَرُ أَنْ يُشْهَرَ
 رَجُلٌ مِنْ جَوَاسِيسِكَ فِي عَسْكَرِكَ فَيَبْلُغُ ذَلِكَ عَدُوَّكَ وَيَعْرِفُ مَوْضِعَهُ، فَيُعِدُّ لَهُ
 الْمَرَّاصِدَ، وَيَحْتَالُ لَهُ بِالْمَكَايِدِ . فَإِنْ ظَفِرَ بِهِ فَأَظْهَرَ عَقُوبَتَهُ، كَسَرَ ذَلِكَ تِقَاتِ عِيُونِكَ،
 وَخَدَلَهُمْ عَنِ تَطَلُّبِ الْأَخْبَارِ مِنْ مَعَادِنِهَا، وَأَسْتَقْصَايَ مِنْ عِيُونِهَا، وَأَسْتَعْدَابِ
 أَجْتِنَائِهَا مِنْ بِنَايِعِهَا، حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى أَخْذِهَا مِمَّا عَرَضَ مِنْ غَيْرِ الثَّقَةِ وَلَا الْمَعَايِنَةِ،
 لَقَطًا لَهَا بِالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَحَادِيثِ الْمُرْجَفَةِ . وَأَحْذَرُ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُ عِيُونِكَ
 بَعْضًا: فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ تَوَاطُؤَهُمْ عَلَيْكَ، وَمُمَالَاتِهِمْ عَدُوَّكَ، وَأَجْتِمَاعَهُمْ عَلَى غِشِّكَ،
 وَتَطَابُقِهِمْ عَلَى كَذْبِكَ، وَإِصْفَاقِهِمْ عَلَى خِيَانَتِكَ^(٣)، وَأَنْ يُورِطَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عِنْدَ
 عَدُوِّكَ . فَأَحْكِمْ أَمْرَهُمْ فَإِنَّهُمْ رَأْسُ مَكِيدَتِكَ، وَقِيَامُ تَدْيِيرِكَ؛ وَعَلَيْهِمْ مَدَارُ حَرْبِكَ،
 وَهُوَ أَوَّلُ ظَفَرِكَ . فَاعْمَلْ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ وَحَيْثُ رَجَاؤُكَ بِهِ، تَتَلَّ أَمْلَكَ مِنْ
 عَدُوِّكَ، وَقُوَّتَكَ عَلَى قِتَالِهِ، وَأَحْتِيَالِكَ لِإِصَابَةِ غِرَّاتِهِ وَأَتَهَازِ قُرْصِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فإذا أحكمت ذلك وتقدمت في إتقانه، وأستظهرت بالله وعونه، فول شرتك
 وأمر عسكرك أوتق قوادك عندك، وأظهرهم نصيحة لك، وأنفد بهم بصيرة

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره « كائنة » .

(٢) كذا في الأصول . وفي "رسائل البلغاء" « وأن رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده به » . تأمل .

(٣) أي اجتمعهم من قولهم اصفقوا على الأمر اجتمعوا عليه .

في طاعتك ، وأقواهم شكيمةً في أمرك ، وأمضاهم صريمةً ^(١) ، وأصدقهم عفاً ، وأجزأهم غناءً ، وأكفاهم أمانةً ، وأصحهم ضميراً ، وأرضاهم في العامة ديناً ، وأحمدهم عند الجماعة خُلُقاً ، وأعطفهم على كآبتهم رأفةً ، وأحسنهم لهم نظراً ، وأشدهم في دين الله وحقه صلابةً . ثم فوض إليه مقوراً له ، وأبسط من أماله مُظهِراً عنه الرضا ، حامداً منه الأبتلاء . وليكن عالماً بمرآة الجُنود ، بصيراً بتقدم المنازل ، مجرباً ، ذا رأى وتجربةٍ وحزمٍ في المكيده ، له نباهةٌ في الذكر ، وصيتٌ في الولاية ، معروف البيت ، مشهور الحسب . وتقدم إليه في ضبط معسكره ، وإذكاء أحراسه في آناء ليله ونهاره ، ثم حذره أن يكون منه إذنٌ لجنوده في الإلتشار والأضطراب ، والتقدم لطلائئك ، فتصاب لهم غزوةٌ يجترئ بها عدوك عليك ، ويسرع إقداً إليك ، ويكسر من إباد جُندك ويوهن من قوتهم : فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جُندك أو عبيدهم مُطمعٌ لهم فيك ، مُقو لهم على شُخذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك ، وتوهينهم تدبيرك . فحذره ذلك وتقدم إليه فيه . ولا يكون منه إفراطٌ في التضييق عليهم ، والخصر لهم ، فيعمهم أنزله ، ويشملهم صنكته ؛ وتساء عليهم حاله ، وتشتد به المئونة عليهم ، وتخبث له طُنونهم . وليكن موضعُ إنزاله إياهم ضاماً لجماعتهم ، مستديراً بهم جامعاً لهم ، ولا يكون منبسطةً منتشرةً متبدداً ، فيشق ذلك على أصحاب الأحراس ، وتكون فيه النهزة للعدو ، والبعد من الماددة إن طرق طارق في بقات الليل وبعثاته . وأوعز إليه في أحراسه ، وتقدم إليه فيهم كأشد التقدّم وأبلغ الإيعاز . ومرة فليول عليهم رجلاً ركيناً مجرباً جرىء الإقدام ، ذاكى الصرامة ،

(١) الصريمة العزيمة .

(٢) في مفتاح الأفكار وغيره « أفئدة » وفي بعض الأصول من اباده بالياء الموحدة وهاء التأنيث

وفي اللسان في مادة أي دإباد «العسكر الميمته والميسرة وكل ماتحزبه فهو اباد» . تأمل .

جَدَّ الجَوَارِحَ ، بصيراً بمَوَاضِعِ أَحْرَاسِهِ ، غيرَ مُصَانِعٍ ، ولا مُشَفِّعٍ للنَّاسِ في التَّنَجُّحِ إلى الرَّفَاهِيَةِ والسَّعَةِ ، وتَقَدُّمِ العِسْكَرِ والتَّأخُّرِ عِنْدَهُ ، فإنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُ الوَالِيَّ وَيُوهِنُهُ لاسْتِنَامَتِهِ إلى مَنْ وِلاَهُ ذَلِكَ وَأَمَنَهُ بِهِ عَلَيَّ جَيْشِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَوَاضِعَ الأَحْرَاسِ مِنْ مُعَسِّكَكَ ، وَمَكَانَهَا مِنْ جُنْدِكَ ، بِحَيْثُ الغِنَاءُ عَنْهُمْ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَفِظُ لَهُمْ ، وَالكَلاَةُ لِمَنْ بَغْتَهُمْ طَارِقًا ، أَوْ أَرَادَهُمْ خَاتِلًا ؛ وَمَرَاصِدُهَا المُتَسَلِّ مِنْهَا وَالآبِقُ مِنْ أَرْقَائِهِمْ وَأَعْبُدِهِمْ ؛ وَحِفْظُهَا مِنَ العِيُونَِ وَالجِوَابِيسِ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَأَحْذِرُ أَنْ تَضْرِبَ عَلَيَّ يَدِيهِ أَوْ تَشْكُكَهُ عَنِ الصَّرَامَةِ بِمُؤَامَرَتِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ وَطَارِئٍ إِلَّا فِي المُهَيِّمِ النَّازِلِ وَالْحَدِثِ العامِّ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ ، دَعَوْتَهُ إِلَى نُصْحِكَ ، وَأَسْتَوْلَيْتَ عَلَيَّ مَحْضُولِ ضَمِيرِهِ فِي طَاعَتِكَ ؛ وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي تَرْتِيكِ ، وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ فِي بُلُوغِ مَوَافَقَتِكَ وَإِعَانَتِكَ ؛ وَكَانَ نَفْتِكَ وَرِدَّاكَ وَقُوتَكَ وَدِعَامَتَكَ ، وَتَفَرَّغَتْ أَنْتَ لِمُكَايَدَةِ عَدُوِّكَ ، مُرِيحًا لِنَفْسِكَ مِنْ هَمِّ ذَلِكَ وَالعِنَايَةِ بِهِ ، مُلْقِيًا عَنْكَ مَسُونَةً بَاهِظَةً وَكُلْفَةً فَادِحَةً .

وَأَعْلَمُ أَنَّ القِضَاءَ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الأَحْكَامِ ، وَلَا بِمَثَلٍ مَحَلَّهُ أَحَدٌ مِنَ الوَلَاةِ : لِمَا يَجْرِي عَلَيَّ يَدِيهِ مِنْ مَغَالِيطِ الأَحْكَامِ وَبِحَارِي الحُدُودِ . فليَكُنْ مِنْ تَوَلِيهِ القِضَاءَ فِي عِسْكَرِكَ [مِنْ ذَوِي] الخَيْرِ فِي القِنَاعَةِ وَالعَفَافِ وَالنَّزَاهَةِ وَالْفَهْمِ وَالوَقَارِ وَالعِصْمَةِ وَالوَرَعَ ، وَالْبَصَرَ بِوَجْهِهِ القِضَايَا وَمَوَاقِعِهَا ، قَدْ حَنَكَنَهُ السِّنُّ وَأَيَّدَتْهُ التَّجْرِبَةُ وَأَحْكَمَتْهُ الأُمُورُ ، مِمَّنْ لَا يَتَصَنَّعُ لِلوَالِيَةِ وَيَسْتَعِدُّ لِلنَّهْزَةِ ، وَيَجْتَرِي عَلَى المَحَابَاةِ فِي الحُكْمِ ، وَالْمُدَاهَنَةِ فِي القِضَاءِ ، عَدْلَ الأَمَانَةِ ، عَفِيفَ الطَّعْمَةِ ، حَسَنَ الإِنصَافِ ، فَهَمَّ القَلْبِ ، وَرِعَ الضَّمِيرِ ، مَتَحَشَّعَ السَّمْتِ ، بَادِيَ الوَقَارِ ، مُحْتَسِبًا للخَيْرِ . ثُمَّ أَجْرُ

عليه ما يَكْفِيهِ وَيَسَعُهُ وَيُصْلِحُهُ ؛ وَفَرَّغَهُ لِمَا حَمَلْتَهُ ، وَأَعِنَهُ عَلَى مَا وَلَيْتَهُ : فَإِنَّكَ قَدْ عَرَضْتَهُ لَهْلَكَةِ الدُّنْيَا وَبَوَارِ الآخِرَةِ ، أَوْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَحُضُوتِ الآجَلَةِ ، إِنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ ، وَصَدَقَتْ رِوِيَّتُهُ ، وَصَحَّتْ سِرِّيَّتُهُ وَسَلَّطَ حَكَمَ اللَّهِ عَلَى رِعِيَّتِهِ ؛ مُطْلَقًا عَنَانَهُ ، مَنفَعًا قِضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، عَامِلًا بِسُنَّتِهِ فِي شَرَائِعِهِ ، آخِذًا بِمُجْدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ .

(١)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ جُنْدِكَ بِحَيْثُ وَلايَتِكَ ، الجاريةُ أَحْكَامُهُ عَلَيْهِمْ ، النافذةُ أَفْضِيَّتُهُ فِيهِمْ ؛ فَاعْرِفْ مَنْ تَوَلَّيْتَهُ ذَلِكَ وَتُسْنِدُهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ تَقَدَّمْ فِي طَلَاعِكَ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَكِيدَتِكَ ، وَرَأْسُ حَرْبِكَ ، وَدِعَامَةُ أَمْرِكَ ، فَاتَّخِذْ لَهَا مِنْ كُلِّ قَادَةٍ وَصَحَابَةٍ رَجُلًا ذَوِي نَجْدَةٍ وَبَأْسٍ ، وَصَرَامَةٍ وَخُبْرَةٍ ، حُمَاةً كَفَاءَةً ، قَدْ صَلَّوْا بِالْحَرْبِ وَذَاقُوا سِجَالَهَا ، وَشَرِبُوا مِرَارَ كُثُوسِهَا ، وَتَجَرَّعُوا غُصَصَ دِرَّتِهَا ؛ وَزَبَنَتْهُمْ بِتَكَرُّرِ عَوَاطِفِهَا ، وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى أَصْعَبِ مَرَاكِبِهَا ، وَذَلَّلَتْهُمْ بِثِقَافِ أَوْدِهَا . ثُمَّ أَنْتَقِهِمْ عَلَى عَيْنِكَ ، وَأَعْرِضْ كُرَاعَهُمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَوَخَّ فِي آتِقَاتِكَ ظُهُورَ الجَلْدِ ، وَشَهَامَةَ الخُلُقِ ، وَكِبَالَ الآلَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ دَوَابِهِمْ إِلَّا الإِنَاثَ مِنَ الخَيْلِ المَهْلُوبَةِ ، فَإِنَّهُنَّ أَسْرَعُ طَلَبًا ، وَأَنْجَى مَهْرَبًا ، وَأَلْيَنَ مَعْطَفًا ، وَأَبْعَدُ فِي الخُوقِ غَايَةً ، وَأَصْبَرُ فِي مَعْرَكِ الأَبْطَالِ إِقْدَامًا . وَخُذْهُمْ مِنَ السَّلَاحِ بِأَبْدَانِ الدُّرُوعِ ، مَازِيَّةِ الحَدِيدِ ، شَاكَّةِ النَّسْجِ ، مُتَقَارِبَةِ الخَلْقِ ، مُتَلَاحِمَةِ المَسَامِيرِ وَأَسْوَاقِ الحَدِيدِ ، مُمَوَّهَةِ الرِّكْبِ ، مُحْكَمَةِ الطَّبْعِ ، خَفِيفَةِ الصَّوْغِ ؛ وَسَوَاعِدِ طَبْعِهَا هِنْدِيٍّ ، وَصَوُغِهَا فَارِسِيٍّ ؛ رِقَاقِ المَعَاطِفِ بِأَكْفِ وَأَقِيَسَةِ وَعَمَلِ مُحْكَمِ . وَيَلْمُقُ البَيْضَ مُدْهَبَةً وَمُجَرَّدَةً ، فَارِسِيَّةَ الصَّوْغِ ، خَالِصَةً الجَوْهَرِ ، سَابِغَةَ المَلْبَسِ ، وَاقِيَةَ الجَنْنِ ، مُسْتَدِيرَةَ الطَّبْعِ ، مُبْهَمَةَ السَّرْدِ ، وَاقِيَةَ الوِزْنِ كَثِيرِكَ النَّعَامِ فِي الصَّنْعَةِ وَأَسْتَدَارَةَ التَّقْيِيبِ ، وَأَسْتَوَاءِ الصَّوْغِ ، مُعْلَمَةَ بِأَصْنَافِ

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية الخ تأمل .

الحرير وألوان الصبغ؛ فإنها أهيبُ لعدوهم، وأفتُ لأعضاء من لقيهم، والمعلمُ مخشىٌ محذور، له بديهةٌ رادعه، وهيبة هائلة؛ معهم السيف الهنديه، وذُكُور البيض ايمانيه؛ رِقاقُ الشِّقرات، مسنونةُ الشَّحد، مُشطبةُ الضرائب، معتدلةُ الجواهر، صافيةُ الصفائح؛ لم يدخلها وهن الطبع، ولا عابها أمتُ الصَّوغ، ولا شائها خفةُ الوزن، ولا فدح حاملها بهورُ الثقل؛ قد أشرعوا لُدنَ الثنا، طوال الهوادى، مقومات الأود، زُرُقُ الأسننة، مستويةُ الثعالب؛ وميضها متوقِّد، وسنخها متلهب، معاقصُ عقدها منحوتة، ووصوم أودها مقومة، وأجناسها مختلفة، وكعوبها جعدة، وعقدتها حبكة؛ شطبةُ الأسنان، مؤههُ الأطراف، مستحثةُ الجنبات، دِقاقُ الأطراف، ليس فيها آلتواءُ أود، ولا أمتُ وضم، ولا بها مسقط عيب، ولا عنها وقوعُ أمية؛ مستحقي كائنِ النَّبلِ وقسي الشَّوْحطِ والنَّبغ؛ أعرابيةُ التعقيب، روميةُ النَّصُولِ، مسمومةُ الصَّوغ؛ ولتكن سهاؤها على خميس قبضات سوي النَّصُولِ، فإنها أبلغُ في الغاية، وأنفذُ الدُّروع، وأشكُ في الحديد؛ سامطين حقايبهم على مُتون خيولهم، مستخفين من الآلة والأمتعة والزاد [إلا مالا غناءً بهم عنه] .

وأحذر أن تكل مباشرة عرضهم وأنتخبهم إلى أحد من أعوانك وكُتَّابك : فإنك إن وكلته إليهم أضعت مواضع الخزم، وفزطت حيث الرأي، ووقفت دون عزم الروية، ودخل عملك ضياع الوهن، وخلص إليك عيبُ المحابة، وناله فساد

(١) الثلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان، وفي "مفتاح الأفكار" وغيره «وشحدها متلهب» .

(٢) في الأصول والمفتاح بالغين والفاء ولم تقف له على معنى مناسب .

(٣) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٥١ .

المداهنة، وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة للمسلمين ولا عُدَّة ولا حصنا يدريون به، ويكتفون بموضعه. والطلائع حصون المسلمين وعيونهم، وهم أول مكيدتك، وعروة أمرك، وزمام حربك. فليكن آعتناؤك بهم، وانتقاؤك إياهم بحيث هم من مهم عمالك، ومكيدة حربك؛ ثم آتخب للولاية عليهم رجلا بعيد الصوت، مشهور الاسم، ظاهر الفضل، نبيه الذكرك؛ له في العُدَّة وقعات معروفة، وأيام طوال وصولات متقدّمات؛ قد عرفت نكايته، وحذرت شوكته، وهيب صوته، وتك لبأؤه؛ أمين السريرة، ناصح الحيب؛ قد بلوت منه ما يستك إلى ناحيته: من لين الطاعة، وخالص المودة، ورعاية الصرامه، وغلوب الشهامه، واستجاع القوة، وحصافة التدبير. ثم تقدّم إليه في حُسن سياستهم، واستنزال طاعتهم، واجتلاب موداتهم، واستعدادب ضمايرهم؛ وأجر عليهم وعليه أرفاقاً تسعهم، وتمتد من أطاعهم سوى أرفاقهم في العامة، فإن ذلك من القوة لك عليهم، والاستنامة إلى ما قبلهم.

وأعلم أنهم في أهم الأماكن لك، وأعظمها غناء عنك وعمن معك؛ وأقمعها كتبنا لمحادك، وأشجها غيظا لعدوك؛ ومن يكن في الثقة، والجلد، والبأس، والطاعة، والقوة، والنصيحة، والعُدَّة، والنجدة حيث وصف لك أمير المؤمنين وأمرك به، يضع عنك مئونة الهمة، ويرخ من خناقك روع الخوف، وتلتجى إلى أمر منيع، وظهر قوي، ورأي حازم، تأمن به بجأت عدوك، وغرأت بغتاتهم، وطوارق أحداثهم؛ ويصير إليك علم أحوالهم، ومتقدّمات خيولهم؛ فانتهجهم رأى عين، وقوه بما يصلحهم من المنال والأطاع والأرزاق، وأجعلهم منك بالمزلة الذي هم به من محارز علاقتك، وحصانة كهوفك، وقوة سياره عسكريك. وإياك أن تدخل فيهم أحداً بشفاعه، أو تحتمله على هواده، أو تقدّمه لأثرة؛ أو أن يكون

مع احدٍ منهم بغل نفل ، أو فضل من الظهر ، أو نفل فادح ، فتشتد عليهم مئونة أنفسهم ، ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أنقالمهم ، ويستعلون به عن عدوهم إن دهمهم منه راع ، أو فخاهم منه طليعة . فتفقد ذلك محملاً له ، وتقدم فيه آخذا بالحزم في إمضائه ؛ أرشدك الله لإصابة الحظ ، ووقفك ثمن التدبير ، وقصد بك لأسهل الرأي وأعوده نفعاً في العاجل والآجل ، وأكتبته لعدوك وأشجاء لهم ، وأردعه لعاديتهم .

ول دراجة عسكري وإخراج أهله إلى مصافهم ومراكبهم رجلاً من أهل بيوتات الشرف ، محمود الخبرة ، معروفاً بالتجدة ، ذا سن وتجربة ، لين الطاعة ، قديم النصيحة ، مأمون السرية ، له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ، ونية صادقة عن الإدهان تحجزه . وأضمن إليه عدة نفر من ثقات جنك وذوي أسنانهم يكونون شرطاً معه ؛ ثم تقدم إليه في إخراج المصاف ، وإقامة الأحراس ، وإذكاء العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحذر ؛ ومره فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كل قائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ، قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرمح شارعة ، والترسة موضونة ، والرجال راصدة ، ذاكية الأحراس ، وجلة الروع ، خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج كل ليلة قائداً في أصحابه أو عدة منهم إن كانوا كثيراً ، على غلوة أو اثنتين من عسكريك ، متنبداً عنك محيطاً بمنزلك ، ذاكية أحراسه ، قلقة التردد ، مفرطة الحذر ، معدة للزوع ، متأهبة للقتال ، آخذة على أطراف المعسكر ونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كُردوساً كُردوساً ؛ يستقبل بعضهم بعضاً [في الاختلاف]^(١) ويكسع تال متقدماً في التردد ؛ وأجعل ذلك بين قوادك وأهل

عسرك نوباً معروفة ، وحِصصاً مفروضة ، لا تُعْرِمُهَا مُرْدَلِفًا مِنْكَ بِمَوَدَّةٍ ،
ولا تتعامل فيه على أحدٍ بموجِدةٍ ، إن شاء الله تعالى .

فَوْضُ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقُودَ حَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخْذَ عَلَى قَافِيَةِ أَيْدِيهِمْ ،
رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَائِهِمْ ، وَالِاتِّبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ
نَهْيِهِمْ ؛ وَتَقَدَّمَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النُّوَابِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ بِهَا ، وَالْأَعْمَالَ الَّتِي
اسْتَجَدَّتْهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةَ وَالْكَرَاعَ الَّتِي كَتَبْتَهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَاحْذَرِ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ
قُودِكَ عَلَيْكَ بِمَا يُحْوِلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنْدِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَعْمَهُمْ عَنِ
الْإِخْلَالِ بِمَرَاكِهِمْ لِشَيْءٍ مِمَّا وَكَلُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْئَاةٌ
لِلْقُودِ عَنِ الْحَدِّ وَالِإِيثَارِ لِلنَّاصِحَةِ ، وَالتَّوَقُّدِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقُودِهِمْ وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضِّيَاعِ عَلَى
أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتَمِرُونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَبِي . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقُودِ
أَنْ لَا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عِقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عِقُوبَةَ تَأْدِيبٍ فِي تَقْوِيمِ مَيْلٍ ،
وَتَثْقِيفِ أَوْدٍ ؛ فَأَمَّا عِقُوبَةُ تَلْبُغِ تَلْفِ الْمُهْجَةِ وَإِقَامَةُ حَدٍّ فِي قَطْعِ ، أَوْ إِفْرَاطٍ فِي ضَرْبِ
أَوْ أَخْذِ مَالٍ ، أَوْ عِقُوبَةُ فِي شَعْرٍ فَلَا يَلِينُ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرِكَ ، أَوْ صَاحِبُ
شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنْ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ؛ وَمَتَى لَمْ تُدَلِّلِ الْجُنْدَ لِقُودِهِمْ ، وَتُضَرِّعَهُمْ
لِأَمْرَائِهِمْ ؛ تَوَجَّبَ لَهُمْ عَلَيْكَ الْحِجَّةَ بِتَضْيِيعِ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلَ
- إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجَزَ - إِنْ فَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلْتَهُمْ بِهِ
أَوْ أَسْنَدْتَهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَلَا تَجِدُ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللُّومِ وَعَضِّ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ مَجَازًا
تَصَلُّ بِهِ إِلَى تَعْنِيفِهِمْ ، بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَإِسْفَادِكَ لِإِيَّاهُمْ عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِمْ . فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَقَدَّمْ فِيهِ بِرِفْقٍ تَقَدُّمًا بَلِيجًا ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ

يَدْخُلُ حَزْمَكَ وَهَنْ ، أَوْ يَشُوبَ عَزْمَكَ إِيْثَارًا ، أَوْ يَخْلِطَ رَأْيَكَ ضِيَاعًا ؛ وَاللَّهُ يَسْتَوِدِعُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَكَ وَدِينَكَ .

إِذَا كُنْتَ مِنْ عَدُوِّكَ عَلَى مَسَافَةٍ دَانِيَةٍ وَسَنَّ لِقَاءَ مَخْتَصِرًا ، وَكَانَ مِنْ عَسْكَرِكَ
مُقْتَرِبًا قَدْ شَامَتْ طَلَاتُكَ مُقَدِّمَاتِ ضَلَالَتِهِ ، وَحُمَاةَ فِتْنَتِهِ ؛ فَتَاهَبْ أَهْبَةَ الْمُنَاجِزِ ،
وَخُذِ اعْتِدَادَ الْحَذِرِ ، وَكُتِّبْ خِيُولَكَ ، وَعَبَّ جُنْدَكَ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْمَسِيرَ إِلَّا فِي مُقَدِّمَةِ
وَمَيْمَنَةٍ وَمَيْسِرَةٍ وَسَاقِيَةٍ ؛ قَدْ شَهَرُوا الْأَسْلِحَةَ ، وَنَشَرُوا الْبُنُودَ وَالْأَعْلَامَ ؛ وَعَرَّفَ
جُنْدَكَ مَرَكَزَهُمْ سَائِرِينَ تَحْتَ أَلْوِيَتِهِمْ ، قَدْ أَخَذُوا أَهْبَةَ الْقِتَالِ ، وَاسْتَعْدُوا لِلْقَاءِ ؛
مَلْتَجِينَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، عَارِفِينَ بِمَوَاضِعِهِمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمَعَسَكِهِمْ . وَلِيَكُنْ تَرْحُلُهُمْ
وَتَنْزَلُهُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَفِي مَرَكَزِهِمْ ، قَدْ عَرَّفَ كُلَّ قَائِدٍ مِنْهُمْ أَصْحَابَهُ
مَوَاقِفَهُمْ : مِنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسِرَةِ وَالْقَلْبِ وَالسَّاقَةِ وَالطَّلِيعَةِ ، لِأَزْمِنَ لَهَا ، غَيْرِ مُخْلِينَ
بِمَا اسْتَنْجَدُوا لَهُ ، وَلَا مُتَهَاوِنِينَ بِمَا أُهَيْبَ بِهِمْ إِلَيْهِ ؛ حَتَّى تَكُونَ عَسَاكِرُكَ فِي مَنْهِلٍ
تَصِلُ إِلَيْهِ وَمَسَافَةٍ تَخْتَارُهَا كَأَنَّهَا عَسْكَرٌ وَاحِدٌ فِي اجْتِمَاعِهَا عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَخَذَهَا بِالْحَزْمِ ،
وَمَسِيرِهَا عَلَى رَايَاتِهَا ، وَزُؤُولِهَا فِي مَرَكَزِهَا ، وَمَعْرِقَتِهَا بِمَوَاضِعِهَا : إِنْ ضَلَّتْ دَابَهُ مِنْ
مَوْضِعِهَا ، عَرَفَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مِنْ أَىِّ الْمَرَكَزِ هِيَ ، وَمَنْ صَاحِبُهَا ، وَفِي أَىِّ
الْمَحَلِّ حُلُولُهُ مِنْهَا فُرِدَتْ إِلَيْهِ ، هِدَايَةً مَعْرُوفَةً بِسَمْتِ صَاحِبِ قِيَادَتِهَا ؛ فَإِنَّ تَقَدَّمَكَ
فِي ذَلِكَ وَإِحْكَامَكَ لَهُ طَارِحٌ عَنْ جُنْدِكَ مَثُونَةَ الطَّلَبِ ، وَعِنَايَةَ الْمَعْرِفَةِ ،
وَأَبْتِغَاءَ الضَّالَّةِ .

ثُمَّ أَجْمَلْ عَلَى سَاقَتِكَ أَوْثَقَ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فِي نَفْسِكَ صَرَامَةً وَنَفَازًا وَرِضًا فِي الْعَامَّةِ ،
وَإِنصَافًا مِنْ نَفْسِهِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَأَخْذًا بِالْحَقِّ فِي الْمَعْدِلَةِ ، مُسْتَشْعِرًا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ ؛
أَخْذًا بِهَدْيِكَ وَأَدَبِكَ ، وَاقْفًا عِنْدَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، مَعْتَرِمًا عَلَى مَبَاحِثِكَ وَتَرْبِيَتِكَ ، نَظِيرًا

(١)

لك في الحال ، وشيئاً بك في الشرف ، وعديلاً في الموضع ، ومقارِبا في النسب ؛
ثم أكتيف معه الجمع ، وأيده بالقوة ، وقوه بالظهر ، وأعنه بالأموال ، وأعمده بالسلاح ،
ومره بالتعطف على ذوى الضعف من جنسك ومن أرحفت به دابته وأصابته
نكبة : من مرض أو رُجلة أو آفة ، من غير أن يأذن لأحدٍ منهم في التنجى عن
عسكره ، أو التخلف بعد ترحله ، إلا لمجهودٍ سُقما ، أو لمطروقٍ بأفةٍ جائحةٍ . ثم تقدم
إليه محذرا ، ومره زاجرا ؛ وأنه مُغلظا في الشدة على من مرَّ به منصرفا عن معسكر
من جنسك بغير جوازك ، شادا لهم أسرا ، وموقرهم حديدا ، ومعاقبهم موجعا ،
وموجههم إليك فنهكهم عقوبةً ، وتجعلهم لغيرهم من جنسك عظة .

وأعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه واثقا بنصيحته قد بلوت منه
أمانة تُسكتك إليه ، وصرامة تؤمنك مهاتته ، ونقادا في أمرك يُرخى عنك خناق
الخوف في إضاعته - لم يأمن أمير المؤمنين تسلل الجند عنك لوادا ، ورفضهم
مراكرهم ، وإخلالهم بمواضعهم ، وتخلفهم عن أعمالهم ، آمين تغيير ذلك عليهم ؛
والشدة على من آجترمه منهم ، فأوشك ذلك في وهنك ، وخذل من قوتك ، وقلل
من كثرتك .

اجعل خلف ساقك رجلا من وجوه قوادك ، جليدا ، ماضيا ، عفيفا ، صارما ،
شهم الرأي ، شديد الحذر ، شكيم القوة ، غير مدهين في عقوبة ، ولا مهين في قوة ،
في خمسين فارسا يحشرُ إليك جنسك ، ويلحق بك من تخلف عنك بعد الإبلاغ
في عقوبتهم ، والنهك لهم والتنكيل بهم . وليكن بعقوتك في المتزل الذي ترحل عنه ،
والمنهل الذي تتقوض منه ، منرطا في النفض له ، والتببع لمن تخلف عنك به ؛

(١) في مفتاح الأفكار وغيره « في الصيت » وهى أوضح .

مشتداً في أهل المنزل وساكته بالتقدم، موعزاً إليهم في إزعاج الجند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم؛ وإبعاد العقوبة الموجعة والنكال المبسل في الأشعار والأبشار، وأستصفاء الأموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحداً أو ستر موضعه، أو أخفى محله. وحدّره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لذي قرابة، والأختصاص بذلك لذي أثره وهوادة. ولتكن فرسانه منتخين في القوة، معروفين بالنجدة؛ عليهم سوايغ الدروع دونها شعار الحشو وجب الاستجنان؛ متقدين سيوفهم، سامطين كائهم، مستعدين لهيغ إن بدهم [أو كين إن يظهر لهم] (١). وإياك أن تقبل منهم في دوابهم إلا فرساً قوياً أو رذونا ويحيا: فإن ذلك من أقوى القوة لهم، وأعون الظهري على عدوهم، إن شاء الله.

ليكن رحيلك إيانا واحداً، ووقنا معلوماً: لتخف المئونة بذلك على جندك، ويعلموا وأن رحيلهم، فيقدّموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وأعلاف دوابهم، وتسكن قلوبهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه، ويطمئن ذؤو الرأي إلى إبان الرحيل، ومتى يكن رحيلك مختلفاً، تعظم المئونة عليك وعلى جندك ولا يزال ذؤو السلفه [والترق] (١) يترحلون بالإرجاف ويتزلون بالتوهم، حتى لا ينتفع ذؤو رأي بنوم ولا طمأنينة.

إياك أن تظهر استقلالا، أو تئادي برحيل من منزل تكون فيه، حتى تأمر صاحب تعبتك بالوقوف بأصحابه على معسكرك آخذاً بجنتي فوهته، بأسلحتهم عدّة لأمر إن حضر، أو مفاجأة من طليعة للعدوان رأيت منكم نهزة، أو لمحت عندهم غرة. ثم مرّ الناس بالرحيل وخيلك واقفة، وأهبتك معدة، وجنتك

(١) الزيادة عن «مفتاح الأفكار» وغيره.

واقية، حتى إذا استقلتم من معسكركم، وتوجهتم من منزلكم، سرتم على تعبثكم بسكون ريح، وهُدُو حَمَلَة ، وحسن دَعَة . فإذا انتهيت إلى مهل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به ، فأياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله ، والمعرفة بمرافقه ؛ ومُر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله ، ويستثيرك علم دفينه ، ويستبين علم أموره ثم يُنهيها إليك على ما صارت إليه : لتعلم كيف آحتاله لعسكرك ، وكيف ماؤه وأغلافه وموضع معسكرك منه ، وهل لك - إن أردت مقاماً به ، أو مطاولة عدوك أو مكاليدته فيه - قوة تملك ومدد يأتيه : فإنك إن لم تفعل ذلك ، لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وأقطاع مواده ، إن أردت بعدوك مكيدة ، أو أحتجت من أمورهم إلى مطاولة . فإن آرتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ، ولم تجد إلى المحاربة والاختار سبيلاً ، وإن أقت به أقت على مشقة وحصر وفي أزل وضيق ، فأعرف ذلك وتقدم فيه . فإن أردت نزولاً أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متحية من معسكرك ، عدة لأمر إن غالك ، ومفرعاً لبديهة إن راعتك ، فقد أمنت بحمد الله وقوته بقاء عدوك ، وعرفت موقعها من حركك ، حتى يأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الأثقال مواضعها ، ويأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بعسكرك ، وعدة إن أحتجت إليها . ولكن دبابات جنك أهل جلد وقوة ، قائداً أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم ، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم ؛ فإذا غربت الشمس ووجب نورها ، أخرج إليهم صاحب تعبثك أبدأهم ، عسسا بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار ، يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محاباة لأحد فيه ولا إدهان .

إياك وأن يكون منزلك إلا في خندق وحصن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه إلى الحزم من مكيدتك إذا وضعت الأثقال وحطت أبنية أهل العسكر ، لم يمدد

طُنْب ، ولم يُرْفَع خِيَاء ، ولم يُنْصَب بِنَاءً حَتَّى تَقْطَعَ لِكُلِّ قَائِدٍ ذَرْعًا مَعْلُومًا مِنْ
الْأَرْضِ بِقَدْرِ أَصْحَابِهِ ، فَيَحْفِرُوهُ عَلَيْهِمْ خَنْدَقًا يُطِيفُونَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَنْدَاقِ الْحَسَكِ ،
طَارِحِينَ لَهَا دُونَ أَشْجَارِ الرِّمَاحِ ، وَنَصَبَ التَّرْسَةَ ، لَهَا بَابَانِ قَدْ وَكَلَّتْ بِحِفْظِ كُلِّ بَابٍ
مِنْهُمَا رَجُلًا مِنْ قُوَادِكِ فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَإِذَا فُرِغَ مِنَ الْخَنْدَقِ كَانَ ذَانِكَ
الرَّجُلَانِ الْفَائِدَانِ بَيْنَ مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِمَا أَهْلَ ذَلِكَ الْمَرْكَزِ ، وَمَوْضِعَ تِلْكَ الْخَلِيلِ ،
وَكَانُوا هُمُ الْبَوَائِيْنَ وَالْأَحْرَاسَ لِذَيْنِكَ الْمَوْضِعَيْنِ ، قَدْ كَفَّوهُمَا وَضَبَطُوهُمَا وَأَعْفَوْا مِنْ
أَعْمَالِ الْعَسْكَرِ وَمَكْرُوهُ غَيْرِهِمَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي خَنْدَقٍ ، أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ طَوَارِقَ عَدُوِّكَ وَبَعَثَاتِهِمْ ،
فَإِنْ رَامُوا تِلْكَ مِنْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْكَمْتَ ذَلِكَ وَأَخَذْتَ بِالْحَزْمِ فِيهِ ، وَتَقَدَّمْتَ
فِي الْإِعْدَادِ لَهُ ، وَرَتَقْتَ مَجُوفَ الْفَتَقِ مِنْهُ ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْعَافِيَةُ أَسْتَحْقِيَتْ حَمْدَ اللَّهِ
عَلَيْهَا ، وَارْتَبَطَتْ شُكْرُهَا بِهَا ، وَلَمْ يَضُرَّكَ أَخْذُكَ بِالْحَزْمِ : لِأَنَّ كُلَّ كُفْلَةٍ وَنَصَبٍ
وَمَسْئُومَةٍ إِنْفَاقٍ وَمَشَقَّةٍ عَمَلٍ مَعَ السَّلَامَةِ غُتْمٌ وَغَيْرُ خَطَرٍ بِالْعَاقِبَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَإِنْ أَبْتَلَيْتَ بِنِيَّاتِ عَدُوِّكَ أَوْ طَرَقَكَ رَائِعًا فِي لَيْلِكَ ، فَلْيُلْفِكَ حَدْرًا مُشْمِرًا عَنْ
سَاقِكَ ، حَاسِرًا عَنْ ذِرَاعِكَ ، مَتَشَرَّنَا لِحَرْبِكَ ؛ قَدْ تَقَدَّمْتَ دَرَجَاتِكَ إِلَى مَوَاضِعِهَا
عَلَى مَا وَصَفَهُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَبَّابَتِكَ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَّرَ لَكَ ، وَطَلَائِعِكَ حَيْثُ
أَمْرُكَ ، وَجُنْدُكَ عَلَى مَا عَبَأَ لَكَ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَقَدَّمْتَ إِلَى جُنْدِكَ
إِنْ طَرَقَهُمْ طَارِقٌ ، أَوْ فَاجَأَهُمْ عَدُوٌّ ، أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ مُغْرَقًا
فِي الْإِجْلَابِ ، مُعَلِّنًا بِالْإِرْهَابِ لِأَهْلِ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْعَدُوُّ طَارِقًا ، وَلِيُشْرِعُوا رِمَاحَهُمْ
نَاشِيِينَ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ ، وَيُرَشِّقُونَهُمْ بِالنَّبْلِ مُكْتَنِينَ بِأَتْرَسَتِهِمْ ، لِأَزْمِينِ لَمَرَّا كَرَهُمْ ،

(١) فِي الْمِفْتَاحِ وَغَيْرِهِ « مَلْبَدِينَ تَرَسْتَهُمْ » وَفِي الْأَصْلِ أَرَسْتَهُمْ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ لَا يُقَالُ أَرَسَةٌ أَوْ رَسَةٌ وَزَانَ
أَرْسَفَةٌ وَإِنَّمَا جُمِعَ التَّرْسُ تَرَسَةً وَتَرَسًا وَرَسًا وَرَبْمَا قِيلَ أَرَسًا فَتَنَبَّهُ .

غير مُزِيلٍ قَدَمٍ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَلَا مُتَجَاوِزِينَ إِلَى غَيْرِ مَرَكَبِهِمْ . وَيُكَبِّرُوا ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ وَسَائِرَ الْجُنْدِ هَادُونَ ، لِتَعْرِفَ مَوْضِعَ عَدُوِّكَ مِنْ مَعْسِكَ ، فُتَمِدَّ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِالرِّجَالِ مِنْ أَعْوَانِكَ وَشُرَطَتِكَ ، وَمَنْ آتَتْكَ قَبْلَ ذَلِكَ عُدَّةٌ لِلشَّدَائِدِ بِحَضْرَتِكَ ، وَتَدَسَّ إِلَيْهِمُ النَّشَابُ وَالرَّمَاحُ .

وَأَيَّاكَ وَأَنْ يَشْهَرُوا سَيْفًا يَتَجَالَدُونَ بِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكُونَ قِتَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ لَمَنْ طَرَقَهُمْ إِلَّا بِالرَّمَاحِ مُسْنِدِينَ لَهَا إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَالنَّشَابِ رَاشِقِينَ بِهِ وَجُوهَهُمْ ؛ قَدْ أَلْبَدُوا بِالْأَتْرَسَةِ ، وَأَسْتَجَنُوا بِالْبَيْضِ ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِمْ سَوَابِغَ الدَّرُوعِ وَجِبَابِ الْحَشْوِ ؛ فَإِنْ صَدَّ الْعَدُوُّ عَنْهُمْ حَامِلِينَ عَلَى جِهَةٍ [أخرى ، كَبْرًا] أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كِفْعَلُ النَّاحِيَةِ الْأُولَى ، وَبَقِيَّةُ الْعَسْكَرِ سَكُوتٌ وَالنَّاحِيَةُ الَّتِي صَدَّ عَنْهَا الْعَدُوُّ لِأَزْمَةِ مَرَاكِبِهِمْ مَتَطَقَّةٌ الْهَدُوسَا كُنَّةُ الرِّيحِ ، ثُمَّ عَمِلَتْ فِي تَقْوِيَتِهِمْ وَإِمْدَادِهِمْ بِمِثْلِ صَنِيعِكَ فِي إِخْوَانِهِمْ .

وَأَيَّاكَ أَنْ يُتَّخَذَ نَارُ رُوقِكَ [وَإِذَا وَقَعَ الْعَدُوُّ فِي مَعْسِكَ نَأْتِجُهَا سَاعِرًا لَهَا وَأَوْقَدُهَا حَطْبًا جَزَلًا يَعْرِفُ بِهِ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مَكَانَكَ وَمَوْضِعَ رُوقِكَ] ^(١) فَيَسْكُنُ نَافِرُ قُلُوبِهِمْ ، وَيَقْوَى وَاهِي قُوَّتِهِمْ ، وَيَشْتَدُّ مَنَحْدِلُ ظُهُورِهِمْ ، وَلَا يَرْجُمُونَ بِكَ الظُّنُونَ ، وَيَجْعَلُونَ لَكَ آرَاءَ الشُّوءِ ، وَيُرْجِفُونَ بِكَ آثَاءَ الْخَوْفِ ، وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ رَادُّ عَدُوِّكَ بَغِيظِهِ لَمْ يَسْتَفْلِلْ مِنْكَ ظُفْرًا ، وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْ نِكَائِكَ سُرُورًا . وَإِنْ أَنْصَرَفَ عَنْكَ عَدُوُّكَ وَنَكَلَ عَنِ الْإِصَابَةِ مِنْ جُنْدِكَ وَكَانَتْ بِجَيْسِكَ قُوَّةٌ عَلَى طَلَبِهِ أَوْ كَانَتْ لَكَ مِنْ فُرْسَانِكَ خَيْلٌ مُعَدَّةٌ وَكَتِيئَةٌ مُتَّخَبَةٌ ، [وَأَقْدَرْتَ عَلَى أَنْ تَرَكَّبَ بِهِمْ أَكْسَاءَهُمْ ، وَتَجَلَّهَمَ عَلَى سَنَنِهِمْ ؛ فَاتَّبِعَهُمْ بِرِيْدَةِ خَيْلِهَا الثَّقَاتِ مِنْ فُرْسَانِكَ ، وَأُولُو النَّجْدَةِ مِنْ حِمَاتِكَ ؛ فَإِنَّكَ تَرَهَّقُ عَدُوِّكَ وَقَدْ أَمِنَ مِنْ بَيَّاتِكَ ، وَشَغِلَ بِكَلَالِهِ عَنِ التَّحَرُّزِ

(١) الزيادة من مفتاح الافكار وغيره وهي من سقطات النسخ كما لا يخفى .

منك والأخذِ بأبوابِ معسكره ، والضبطِ لمحارِسِه عليك ، موهنةً حماتهم لغبةً
أبطلهم : لما ألقوكم عليه من التشميرِ والحدِّ ، قد عقر الله فيهم ، وأصاب منهم ،
وجرح من مقاتلتهم ، وكسر من أمانى ضلّاهم ، وردّ من مستغلي جمّاحهم .

وتقدّم إلى من توجّهه في طلبهم ، وتنبّعه أكساءهم : في سُكونِ الرّيح ، وقلةِ الرّفت ،
وكثرةِ التسيبِ والتهليل ، وأستنصارِ الله عزّ وجلّ بالسّنتهم وقلوبهم سرّاً وجهراً ،
بلا لجبِ صحّة ، ولا ارتفاعِ ضوّاء ؛ دون أن يردوا على مطلبهم ، ويتنزّوا فرصتهم .
ثم ليثمروا السّلاح ، وينتصوا السيوف ، فإنّ لها هيبةً رائعة ، وبديهةً مخوفة ،
لا يقوم لها في بهمة الليل وحندسه إلا البطلُ المحارب ، ودو البصيرة المحامي ،
والمستमितُ المقاتل ، وقليلُ ما هم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع .

ليكنّ أوّل ما انتقدّم به في التهيؤ لعدوك ، والأستعداد للقائه ، أنتخابك من فرسان
عسرك وحمّة جنك ذوى البأس والحنكة والحدّ والصرامة ، ممن قد اعتاد
طراد الكماة ، وكسر عن ناجذه في الحرب ، وقام على ساق في منازلة الأقران ،
تقف الفروسية ، مجتميع القوّة ، مستحصّد المريّة ، صبورا على هول الليل ، عارفاً
بمنازرة الفرص ؛ لم تمهّنه الحنكة ضعفاً ، ولا بلغت به السنّ كلالاً ، ولا أسكرته
غرّة الحدائث جهلاً ، ولا أبطرتّه تجدة الأعمار صلفاً ، جريئاً على مخاطرة التلف ،
مقدّماً على أدراع الموت ، مكابراً لمهيب الهول ، متقحماً مخشى الخوف ، خائضاً
عمرات المهالك ؛ برأى يويده الحزم ، ونية لا يخالجها الشك ، وأهواء مجتمعة ،
وقلوب مؤتلفة ؛ عارفين بفضل الطاعة وعزّها وشرّها ، وحيث محلّ أهلها من
التأييد والظفر والتمكين ، ثم أعرضهم رأى عين على كراعهم وأسلحتهم . ولتكنّ
دوابهم إناث عتاق الخيل ، وأسلحتهم سوابغ الدروع وكال آلة المحارب ، متقلّدين

سُوفَهُمِ الْمَسْتَخَلَصَةَ مِنْ جَيْدِ الْجَوْهَرِ وَصَافِي الْحَدِيدِ، الْمُنْخِيْرَةَ مِنْ مَعَادِنِ الْأَجْنَاسِ،
 هِنْدِيَّةِ الْحَدِيدِ يَمَانِيَةِ الطَّعِيعِ، رِقَاقِ الْمَضَارِبِ، مَسْمُومَةِ الشَّحْدِ، مُشْطَبَةِ الصَّرِيْبَةِ؛
 مُبْدِيْنَ بِالرَّسَةِ الْفَارْسِيَّةِ، صِيْنِيَّةِ التَّعْقِيْبِ، مُعَلِّمَةِ الْمَقَابِيضِ بِحَلَقِ الْحَدِيدِ، أَنْحَاؤُهَا
 مَرْبَعَةٌ، وَخَارِزْمُهَا بِالْجَلِيدِ مُضَاعَفَةٌ، مَحْمَلُهَا مُسْتَخَفٌ؛ وَكَأَنَّ النَّبْلَ وَجِعَابُ الْقِيْسِ
 قَدْ اسْتَحْقَبُوهَا، وَقِيْسِي الشَّرِيَانِ وَالنَّبْعِ أَعْرَابِيَّةِ الصَّنْعَةِ، مُخْتَلِفَةُ الْأَجْنَاسِ، مُحْكَمَةٌ
 الْعَمَلِ، مُقَوِّمَةُ التَّنْقِيْفِ؛ وَنُصُولُ النَّبْلِ مَسْمُومَةٌ، وَعَمَلُهَا مَصِيصِيٌّ، وَتَرْكِيْبُهَا
 عِرَاقِيٌّ، وَتَرْبِيْثُهَا بَدْوِيٌّ؛ مُخْتَلِفَةُ الصَّوْعِ فِي الطَّعِيعِ، شَتَّى الْأَعْمَالِ فِي التَّشْطِيْبِ
 وَالتَّجْنِيْحِ وَالْإِسْتِدَارَةِ. وَلِتَكُنِ الْفَارْسِيَّةُ مَقْلُوبَةً الْمَقَابِيضِ، مِنْبَسَطَةُ السِّيَّةِ،
 سَهْلَةٌ الْإِنْعَاطِ، مُقَرَّبَةٌ الْإِنْجِنَاءِ، مُمَكِّنَةُ الْمَرْمَى، وَاسِعَةٌ الْأَسْهُمِ؛ فَرُضْهَا سَهْلَةٌ
 الْوُرُودِ، وَمَعَاطِفُهَا غَيْرُ مَقْتَرِبَةِ الْمَوَاتَاةِ. ثُمَّ وَلَّ عَلَى كُلِّ مَائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
 خَاصَّتِكَ وَثِقَاتِكَ وَنُصَحَائِكَ، لَهُ صِيْبٌ فِي الرِّيَاسَةِ، وَقَدَمٌ فِي السَّابِقَةِ، وَأَوْلِيَّةٌ
 فِي الْمَشَايِعَةِ. وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي ضَبْطِهِمْ، وَكَفِّ مَعَرَّتِهِمْ، وَأَسْتَنْزَالِ نَصَائِحِهِمْ،
 وَأَسْتَعْدَادِ طَاعَتِهِمْ، وَأَسْتِخْلَاصِ ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعَاهِدِ كِرَاعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ: مُعْفِيَا لَهُمْ
 مِنَ النَّوَائِبِ الَّتِي تَلَزِمُ أَهْلَ عَسْكَرِكَ وَعَامَّةَ جُنْدِكَ؛ وَاجْعَلْهُمْ عُدَّةً لِأَمْرٍ إِنْ حَزَبَكَ
 أَوْ طَارِقٍ إِنْ أَتَاكَ؛ وَمُرَّهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مُعَدَّةٍ، وَحَدَرَ نَافٍ لِسِنَّةِ الْغَفْلَةِ
 عَنْهُمْ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ السَّاعَاتِ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ تَكُونُ إِلَيْهِمْ حَاجَتُكَ. فَلْيَكُونُوا
 كَرَجُلٍ وَاحِدٍ فِي التَّشْمِيرِ وَالتَّرَادُفِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ؛ فَإِنَّكَ عَسَيْتَ أَنْ لَا تَجِدَ عِنْدَ
 جَمَاعَةِ جُنْدِكَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الرُّوعَةِ وَالْمُبَاغْتَةِ - إِنْ أَحْتَجَّتْ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - مَعُونَةً
 كَافِيَةً، وَلَا أَهْبَةَ مُعَدَّةٍ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ. فَلْيَكُنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَنْتَخِبُ عُدَّتَكَ
 وَقُوَّتَكَ، بَعُونًا قَدْ وَطَّفَقَتْهَا عَلَى الْفُؤَادِ الَّذِينَ وَلِيَتْهُمْ أُمُورَهُمْ، فَسَمِيَتْ أَوْلَا وَثَانِيَا وَثَالِثًا
 وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَسَادِسًا؛ فَإِنْ أَكْتَفَيْتَ فِيمَا يَطْرُقُكَ وَيَبْدَهُكَ بَيْعَتْ وَاحِدًا، كَانَ

معدًا لم تخرج إلى آتخابهم في سابعتك تلك فقطع البعث عليهم عند ما يرهقك . وإن احتجت إلى آتئين أو ثلاثة ، وجهت منهم إرادتك أو ماترى قوتك ، إن شاء الله .
 وكل بخزائنك ودواوينك رجلاً ناصحاً أميناً ، ذا ورع حاجز ، ودين فاصل ، وطاعة خالصة ، وأمانة صادقة ؛ وأجعل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزلها ومرحلها مع خزانتك وحولها . وتقدم إليه في حفظها ، والتوقى عليها ، وآتاهم كل من تسند إليه شيئاً منها على إضاعته والتهاون به ، والشدة على من دنا منها في مسير ، أو ضاتها في منزل ، أو خالطها في مهل . وليكن عامة الجند والجيش - إلا من استخلصت للسير معها - منتخين عنها ، مجابين لها في المسير والمنزل ؛ فإنه ربما كانت الجولة وحدت الفرعة ، فإن لم يكن للخزائن من يوكل بها أهل حفظ لها وذبح عنها ، وحيطة دونها ، وقوة على من أراد آتياها ؛ أسرع الجند إليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يتراعى ذلك بهم إلى آتيا العسكر ، وأضطراب الفتنة ؛ فإن أهل الفتن وسوء السيرة كثير ، وإنما همتهم الشر ؛ فإياك أن يكون لأحد في خزانتك ودواوينك [وبيوت أموالك] مطمع ، أو يجد سبيلاً إلى اغتيالها ومرزأتها .

اعلم أن أحسن مكيديك أثراً في العامة ، وأبعدها صيتاً في حُسن القالة ، مانلت الظفر فيه بحزم الروية ، وحُسن السيرة ، ولطف الحيلة . فلتكن رويتك في ذلك وحرصك على إصابته بالحيل ، لا بالقتال وأخطار التلف ؛ وأدسس إلى عدوك ، وكتب رؤسائهم وقادتهم وعندهم المنال ، ومنهم الولايات ، وسوغهم التراث ، وضع عنهم الإحن ، وأقطع أعناقهم بالمطامع ، وأستدعهم بالمناوب ؛ وأملأ قلوبهم بالترهيب إن أمكنتك منهم الدوائر ، وأصابتهم إليك الرواجع ؛ وأدعهم إلى الوئوب بصاحبهم أو أعتزاله إن لم يكن لهم بالوئوب عليه طاقة ؛ ولا عليك أن تطرح إلى

بعضهم كُتِبَ كأنها جوابُ كُتِبَ لهم إليك ، وتكتب على ألسنتهم كتباً إليك تدفعها إليهم ، وتجمل بها صاحبهم عليهم وتزلم عنده بمنزلة التهمة ومحل الظنة ؛ فلعل مكيديك في ذلك أن يكون فيها آفاتك كلمتهم ، وتشتيت جماعتهم ، وإحن قلوبهم ، وسوء الظن من واليهم بهم ، فيوحشهم منه خوفهم إياه على أنفسهم إذا أيقنوا بآثامه إياهم ؛ فإن بسط يده فقتلهم ، وأولع سيفه في دمائهم ، وأسرع الوثوب بهم ، أشعرهم جميعاً الخوف ، وشلهم الرعب ، ودعاهم إليك الهرب فهاقتوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب . وإن كان متائباً محملاً رجوت أن تستميل إليك بعضهم ، ويستدعي الطمع ذوى الشره منهم ، وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم ، إن شاء الله .

إذا تدانى الصقان ، وتواقف الجمعان ، واحتضرت الحرب ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ؛ فأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه ، ومسأله توفيقك وإرشادك ، وأن يعزم لك على الرشد المنجى ، والعصمة الكائنة ، والحياطة الشاملة . ومر جندك بالصمت وقلة التلفت عند المصاولة ، وكثرة التكبير في أنفسهم ، والتسبيح بضائهم ؛ ولا يظهروا تكبيراً إلا في الكترات والحملات ، وعند كل زلفة يذلقونها ؛ فأما وهم وقوف فإن ذلك من الفشل والجبن ، وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم ، وليكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أنصرنا على عدوك وعدونا الباغي ، وآكفنا شوكته المستحده ، وأيدنا بملائكتك الغاليين ، وأعصمنا بعونك من الفشل والعجز إنك أرحم الراحمين .

وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقفة ، وقوم موقوفون يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ،

وَيَدُّ كُرُونَهُمُ الْجَنَّةَ وَدَرَجَاتِهَا وَيُنْعِمُ أَهْلِهَا وَسُكَّانَهَا، وَيَقُولُونَ : أَذْكَرُوا اللَّهَ يَدُّ كُرُومَهُمْ ،
وَأَسْتَنْصِرُوهُ يَنْصُرُكُمْ ، وَالتَّجِئُوا إِلَيْهِ يَمْنَعُكُمْ . وَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُبَاشِرَ
لَتَعِيَّةِ جُنْدِكَ ، وَوَضَعِهِمْ مَوَاضِعَهُمْ مِنْ رَأْيِكَ ، وَمَعَكَ رِجَالٌ مِنْ ثِقَاتِ فُرْسَانِكَ ،
ذَوُوسِنٍّ وَتَجْرِبَةٍ وَنَجْدَةٍ عَلَى التَّعَبَةِ الَّتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاصَفُهَا لَكَ فِي آخِرِ كِتَابِكَ ،
فَأَفْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَيْدِكَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ ، وَعَلَبَ لَكَ عَلَى الْقُوَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ
الزَّيْغِ ، وَأَوْجَبَ لِمَنْ آسْتَشْهَدَ مَعَكَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ وَمَنَازِلَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة .

الطرف الثالث

(فيما كان يكتب عن خلفاء بني العباس ببغداد إلى حين أنقراض)

(الخلافة العباسية من بغداد)

وهو على أربعة أنواع :

النوع الأول

(ما كان يكتب لوزراء الخلافة)

وكان رسمهم فيه أن يفتح بلفظ « أما بعدُ فالحمد لله » ويؤتى فيه بثلاث
تحميدات ، وربما اقتصر على تحميدة واحدة . وعلى ذلك كانت تقاليد وزراءهم من
أرباب السيف والأقلام .

وهذه نسخةٌ تقليدٍ من ذلك كتب بها العلاء بن موصلاً ، عن القائم بأمر الله ،
للوزير نجر الدولة بن جَهِير ، في شهور سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وهو :

أما بعدُ ، فالحمدُ لله ذِي الآلَاءِ الصَّافِيَةِ المَوَارِدِ ، والنِّعْمَاءِ الصَّادِقَةِ الشُّوَاهِدِ ،
وَالطُّوْلِ الجَامِعِ شَمَلِ أسبابِ المِنَحِ الشُّوَارِدِ ؛ ذِي القُدْرَةِ المَصْرُفَةِ عَلى حُكْمِهَا مَجَارِي
القَدَرِ ، وَالمِشِيئَةِ الحَالِيَةِ بِالنَّفَازِ فِي حَالَتِي الوَرْدِ وَالصَّدَرِ ؛ المِذَلِّ بِمِجْمَلِ صُنْعِهِ أَعْنَاقَ
المِصَّاعِبِ ، المُدِيمِ بِكَرِيمِ لُطْفِهِ مِنْ أَمْتِدَادِ ذَوَابِ النَّوَابِ ؛ الذِي جَلَّ عَن إدْرَاكِ
صِفَاتِهِ بَعْدَ أَوْحَدٍ ، وَدَلَّ بِبَاهِرِ آيَاتِهِ عَلى كَوْنِهِ القَرْدِ الوَلِيِّ بِكُلِّ شُكْرٍ وَحَمْدٍ ؛ سَبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون .

وَالْحَمْدُ لله الذِي أَخَصَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرِّسَالَةِ وَاجْتَبَاهُ ، وَحَبَّاهُ
بِالْكَرَامَةِ بِمَا أَشْرَقَ لَهُ مَطْلَعُ الجَلَالِ ، وَأَخْتَارَهُ وَبَعَثَهُ لِإِظْهَارِ كَلِمَةِ الحَقِّ بَعْدَ أَنْ
مَدَّ الضَّلَالُ رُوقَهُ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يَأْعِزُّ الشَّرْعَ قَائِمًا ، وَلسَاعَاتِ زَمَانِهِ فِي طَلَبِ رِضَا
اللهِ قَاسِمًا ؛ لَا يَنْحَرِفُ عَن مَقَاصِدِ الصَّوَابِ وَلَا يَمِيلُ ، وَلَا يُغْلِي مَطَايَا جِدِّهِ فِي تَقْوِيَةِ
الدِّينِ مِمَّا يُتَابِعُ فِيهِ الرِّسِيمَ وَالدَّمِيلَ ، إِلَى أَنْ أزالَ عَن القُلُوبِ صَدَأَ الشُّكُوكِ وَجَلَا ،
وَأَجْلَى مَسْعَاهُ عَن كُلِّ مَا أودَعَ نُفُوسَ أَحْلَافِ البَاطِلِ وَجَلَا ؛ وَمَضَى وَقَدِ أَضَاءَ
لِلإِيمَانِ هَلَالٌ أَمِنَ سِرَّارُهُ ، وَأَنْتَضَى لِإِبَادَةِ الشَّرِكِ حُسَامًا لَا يَبْنُو قَطُّ غِرَارُهُ ؛
فصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ المُنْتَخَبِينَ ؛ صَلَاةً يَتَّصِلُ الأَصِيلُ فِيهَا
بِالقُدُورِ ، وَتَرَى قِيمَتَهَا فِي الأَجْرِ وَافِيَةِ العُلُوِّ وَالعُلُوِّ .

وَالْحَمْدُ لله الذِي أَصَارَ إِلَى أميرِ المُؤْمِنِينَ مِنْ إرْثِ النُّبُوءَةِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى ،
وَأَنَارَ لَهُ مِنْ مَطَالِعِ العِزِّ مَا أَسْدَى بِهِ كُلَّ نِعْمَةٍ وَأَوْلَى ؛ وَأَحَلَّهُ مِنْ شَرَفِ الإِمَامَةِ

(١) كذا في الأصول المديم بالميم ولعله المديل باللام تأمل .

بِحَيْثُ عَنَتْ لَطَاعَتَهُ أَعْنَاقُ الرِّقَابِ الصَّعَابِ ، وَأذَعَنْتَ لَهُ الْقُلُوبُ بِالْأَنْطَوَاءِ عَلَى
الْوَلَاءِ الْفَسِيحِ الرَّحَابِ وَالشَّعَابِ ؛ وَجَعَلَ أَيَّامَهُ بِالنَّضَارَةِ أَهْلَةَ الْمَعَانِي ، مُتَقَابِلَةً
أَسْمَاؤُهَا فِي الْحُسْنِ بِالْمَعَانِي ؛ فَمَا يَجْرِي فِيهَا إِلَّا مَا الصَّوَابُ فِي فِعْلِهِ كَامِنٌ ، وَالْحَظُّ
يَأْتِيهَا سُبُلُهُ كَائِنٌ ؛ إِبَانَةٌ عَنِ اقْتِرَانِ الرَّشْدِ بَعِزَائِهِ فِي حَالَتِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَاقْتِرَابِ
مَرَامِ كُلِّ مَا يَحُلُّ مِنَ الصَّلَاحِ فِي الدَّهْرِ أَفْضَلَ الْحَلِّ .

ثم إنه يرى من إقرار الحقوق في نصابها، وإمرار جبال التوفيق في جانبها من
الأطباع الممتدة إلى اغتصابها ؛ ما يُعْرِبُ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى طُرُقِ الرَّشْدِ ، وَالْإِفْتِدَاءِ
بِمَنْ وَجَدَ ضَالَّةَ الْمَرَادِ حِينَ تَشَدُّ ؛ وَيَقْصِدُ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَوَارِفِ ، عِنْدَ كُلِّ عَالَمٍ بِقَدْرِهَا
فِي الزَّمَانِ عَارِفٌ ؛ مَا يَحْلُوجُنِي تَمَرُهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَيَحْدُو أَنْتِشَارُ خَبْرِهِ عَلَى إِعَانَةِ كُلِّ
فِكْرٍ فِي وَصْفِهِ عُنْوَانٌ ، فَيَتَنَاوَلُ الرُّوَاةُ ذَكَرَ ذَلِكَ غَوْرًا وَتَجَدًّا ، وَتَلَقَى الْهِمَمُ الْعَلِيَّةُ
أَدْخَالَ الْجَمَالِ بِهِ أَنْفَعَ مِنْ كُلِّ قِنِيَّةٍ وَأَجْدَى ؛ اسْتِمْرَارًا عَلَى شَاكِلَةِ تَحَلَّتْ بِالكَرَمِ ، وَحَلَّتْ
مِنَ الْجَلَالِ فِي الْقَلَلِ وَالْقِسَمِ ، وَحَلَّتْ آثَارَهَا فِي إِبْلَاءِ نَفِيسِ الْمَنْحِ وَجَزِيلِ الْقِسَمِ .

ولما غدا منصب الوزارة موقوفًا على الذين طالما جزوا بهمهم نواصي الخطوب،
وحازوا بذمهم المنال في مقاصد استشهدوا بها على إحراز كل فضيلة وأستدلوا؛
وكفوا بكفائتهم أكف الفساد وردوا، وحازوا الفعال في كل ماسعوا له وجدوا؛
وخلا الزمان ممن ينهض بعء هذا الأمر الجسيم، وتُصَيِّخُ أُنْبَاءُهُ فِيهِ ذَكِيَّةَ الْأَرْجِ
وَالنَّسِيمِ - لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّخْيِيمَ فِي عِرَاصِهِ ، وَالتَّحْكِيمَ فِي آجِنَاءِ الْفَخْرِ
مِنْهُ وَأَسْتِخْلَاصِهِ ؛ وَكَانَ الْقَدْرُ سَبَقَ بِأَنْفِصَالِكَ عَنِ الْخِدْمَةِ لِالضَّعْفِ سِرِيرِهِ ،
وَلَا لِقُوَّةَ جَرِيرِهِ ، وَلَا لِكُدْرَ سِيرِهِ ؛ وَكَيْفَ وَأَنْتَ الْمُنْفَرِدُ بِالْكَمَالِ ، وَالْمُتَجَرِّدُ فِي كُلِّ

(١) لعله في صياتها .

(٢) أى يبعث ويسوق أنتشار الخ .

مقام سلمٍ حَدِّتْ قَرْبِكَ فِيهِ مِنْ حَادِثِ الْكَلَالِ ؛ وَلَكَ فِي الدَّوْلَةِ الْحُقُوقُ الَّتِي أَعْتَدْتَ لَكَ مِنْ وَقَعِ الْإِسْتِرَادَةِ بِحَسَبِهَا ، وَالْمَوَاقِفُ الَّتِي أَعْتَدْتَ مِنْ دِرَّةِ الْإِحَادِ بِمَا أَيْنَ الظُّرِّ لَهَا وَأَنَا ، وَالْمَقَاصِدُ الَّتِي أَعْدَمْتَ مِنْكَ الْبَدَلَ ، وَلَا أَنْحَرَفَ لَكَ مِنْهَا مَسْعَى عَنْ مَنَاحِجِ الْإِصَابَةِ وَلَا عَدَلٍ ؛ وَتَمَكَّنْتَ فِيهَا مِنْ عِنَانِ التَّوْفِيقِ بِمَا لَا يُجَارِي سَيْفَكَ فِيهِ قَطْ ، وَلَا يُحْسِنُ لَهُ حَالِ الْمَسْرَى إِلَيْهِ الْمَحَطُّ ؛ وَالْآثَارُ الَّتِي أَنْارْتَ مِنْ كَوَامِنِ الرِّضَا أَفْضَلَ مَا يُذَنَّرُ وَيُقْتَنَى ، وَأَنْارْتَ مِنْ دَلَائِلِ الزُّلْفَى مَا يُتَجَزَّبُ بِهِ وَعُدُّ الْمُنَى وَيُقْتَضَى ؛ لَكِنْ كَانَ ذَلِكَ مَسْطُورًا فِي الْكِتَابِ ، وَلِيَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا عِوَضَ عِنْدَكَ فِي الْإِسْتِحْقَاقِ لِلْأَمْرِ وَالْإِسْتِجَابِ ؛ لَمْ يُوجَدْ لِهَذِهِ الرِّثْبَةِ كُفُوًا سِوَاكَ ، وَلَا يُزَيِّهَهَا عَنِ الْعَطَلِ غَيْرُ رَائِقِ حَلَاكٍ ؛ فَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَسْلِيمَ مَقَالِيدِهَا إِلَيْكَ إِذْ كُنْتَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَمَنْ يَجْمَعُ بَعْدَ الشَّتَاتِ شَمْلَهَا ؛ فَطَوَّقَكَ مِنْ قَلَائِدِهَا مَا هُوَ بِأَعْطَافِكَ الْأَصْقِ ، وَبِتَمَامِ أَوْصَافِكَ أَلْبَقِ : لَتَدْرِعَ مِنْ عِزِّ الْوِزَارَةِ جِلْبَابًا لَا تُنْحَتِقِ الْأَيَّامُ لَهُ جِدَّهُ ؛ وَلَا تَزَالُ السُّعُودُ بِمَا يَسْئَلُ إِلَى دَوَامِ مُدَّتِهِ مَمْتَدَّةً ؛ وَتَرْتَضِعُ مِنْ لِبَانِ خِلَافِهَا مَا يَقْضِي لَكَ بِأَنْ تَقِفَ نَفْسَهَا عَلَيْكَ ، وَتَقِفَ آمَالُ الْأَمْثَالِ دُونَ مَا أَنْتَهِتِ الْغَايَةُ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَتَعْتَمِدَ فِيمَا عَدَقَهُ بِكَ مِنْهَا وَنَاطَهُ ، وَوَفَّكَ فِيهِ حَقُوقَ النَّظَرِ وَأَشْتِرَاطَهُ ؛ بِحِكْمِ تَوَحُّدَتِ فِي إِحْرَازِ أَدْوَاتِهَا الَّتِي لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ لَكَ مِنْهَا مَدَى ، وَلَمْ يَمُدَّ طَامِعٌ إِلَى مَسَاجِلَتِكَ فِيهَا يَدًا - مَا يُرِضِي اللَّهُ تَعَالَى وَيُرْضِيهِ ، وَيُحْصَى ذِكْرُكَ بِالطَّيِّبِ وَيُحِيطُهُ فَتُفُوزَ فَوْزًا كَبِيرًا ، وَتُعِيدُ السَّاعِيَّ فِي إِدْرَاكِكَ شَاوِكَ ظَالِمًا حَسِيرًا .

ثم إنه شفع هذه المنحة التي قصصك مجاسد نقرها بالوجوب ، وعوضك فيها الدهر بجادث البشر عن سابق القطوب - بإيصالك إلى حضرة ، وإدنائك من سُدته ؛ ومناجاتك بما يُتَّبَعُ لَكَ أَمْتِطَاءَ غَارِبِ الْمَجْدِ وَصَهْوَتِهِ ، وَالْإِحْتَوَاءَ عَلَى خَالِصِ السَّعْدِ

(١) لعل الصواب أن يقال شرب الرجل حتى أون أي امتلا .

وَصَفْوَتِهِ ؛ وَجِبَائِكَ مِنْ صُنُوفِ التَّشْرِيفَاتِ الَّتِي تَرُوقُ حِلِيَّ خَلَالِهَا ، وَتُتَوَّقُ الْآمَالَ
إِلَى إِدْرَاكِهَا وَمَنَالِهَا ؛ وَصَفَتِ الْكِرَامَاتُ الَّتِي وَفَّتِ الْمُنَى بِهَا بَعْدَ مَطَالِهَا ، وَنَفَّتِ
الْقَدَى عَنْ مُقَلِّ مَغْضُوضَةٍ بِسُوءِ فِعَالِ الْأَيَّامِ وَمَقَالِهَا ؛ بِمَا يُوْطِئُ عَقَبَكَ الرَّجَالَ ،
وَيُضَيِّقُ عَلَيَّ مَنْ يُجَاوِلُ مُجَارَاتِكَ الْمَسْرَحَ وَالْمَجَالَ ؛ وَلَمْ يَقْتَسِعْ بِذَلِكَ فِي حَقِّ النَّعْمَى الَّتِي
أَعْدَاكَ فِيهَا عَلَى الْغَيْرِ ، وَأَعْدَاكَ مِنْهَا فِي ظِلِّ مِنَ الْأَمْنِ الْبَادِي الْأَوْضَاحِ وَالغُرْبِ ؛
حَتَّى أَلْحَقَ بِسِمَاتِكَ «تَاجَ الْوُزَرَاءِ» تَتَوِيهَا بِذِكْرِكَ فِي الزَّمَانِ ، وَتَتِيهَا عَلَى اخْتِصَاصِكَ
لَدَيْهِ بِوَجَاهَةِ الرَّبَّةِ وَالْمَكَانِ ؛ فَصَارَ مَكْرُوهَ الْأُمُورِ فِي مَحْبُوبِهَا سَبَابًا ، وَخَبَتَ نَارُ كُلِّ
مَنْ سَعَى فِي تَفْضِيلِ النِّزَامِ وَجِيْفَا وَخَبِيَا ، حَتَّى الْآمِلُونَ أَنْ يَجْعَلُوا تَحْتَ الْخِلَافَةِ ^(١)
زِمْنَا ، وَتُصْبِحَ رِبَاعُهُ بَعْدَ النَّصْرَةِ دِمْنَا ؛ لِيُعْقِبَهُمْ ذَاكَ نَيْلَ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْإِمْضَاءُ (؟)
لِذَا الْعَزْمِ . وَبِالْجَمَلَةِ فَالسَّامَةُ وَاقِعَةٌ مِنْ تَتَابُعِ هَذِهِ الشُّكَاوَى ، وَقَدْ كَانَ الْأَحَبُّ أَنْ
لَا يُضْمَنَ الْكُتُبَ النَّافِذَةَ سِوَى تَعْهَدِ الْأَنْبَاءِ ، لِأَزَالِ عَرْفُهَا أَرْجًا مِنْ سَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَالنَّوَاحِي . لَكِنْ تَأْتِي مَجَارِي الْأَقْدَارِ ، وَدَوَاعِي الْأِضْطِرَارِ ، إِلَى مَا يَرْتَقِي مَاءَ الْإِرَادَةِ ^(٢)
وَالإِيثَارِ ؛ وَالْآنَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَاءُ ، وَجَلَبَ مِنْ عِدَمِ الصَّبْرِ الْحِنَاءَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ هِرَّةٍ
دِينِيَّةٍ مِنْكَ تَكْشِفُ بِهَا هَذِهِ الْمَعْرَةَ ، وَتُخْفِ مِنْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُتِمُّ لَدَيْهِ أَكْمَلَ
الْمَسْرَةِ ؛ فَقُمْ فِي ذَلِكَ مَقَامَ مَثَلِكَ - وَإِنْ كَانَ لَا نَظِيرَ لَكَ يُوجَدُ - تَحْتَظُّ بِمَا يُمَضَى
لَكَ فِيهِ آسْتَحْقَاقَ كُلِّ الْحَمْدِ وَيُوجِبُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد من ذلك ، كتب بها عن المسترشد - فيما أظن - لبعض
وزرائه ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله المنفرد بكبريائه ، المنتفضل على أوليائه ؛ مجزئ النعماء ،
وكاشف النعماء ؛ ومُسْبِغِ الْعَطَاءِ ، وَمُسْبِلِ الْغِطَاءِ ؛ وَمُسْنِي الْحَبَاءِ ، وَمُسْدِي الْآلَاءِ ؛

(١) في الأصل الخفاة ولا معنى له . (٢) لعله بما يرتق .

الذي لا يُؤدّه الأعباء ، ولا يَكِيدُهُ الأعداء ؛ ولا تَبْلُغُهُ الأوهام ، ولا تُحَيِّطُ بِهِ الأَفْهَامُ ؛ ولا تُدْرِكُهُ الأبصار ، ولا تُخَيِّلُهُ الأفكار ؛ ولا تُهْرِمُهُ الأَعْوَامُ بِتَوَالِيهَا ، ولا تُعْجِزُهُ الخُطُوبُ إِذَا أَدْلَمَّتْ لِيَالِيهَا ؛ عَالِمٌ هُوَ اجْسَ الفِكرِ ، وَخَالِقٌ كُلِّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ؛ مَصْرَفُ الأَقْدَارِ عَلَى مَشِيئَتِهِ وَمُجْرِيهَا ، وَمَانِحٌ مَوَاهِبِهِ مَنْ أَحْسَى بِيَدِ الشُّكْرِ يَمْتَرِيهَا ؛ حَمْدًا يَصُوبُ حَيَّاهُ ، وَيَعُدُّبُ جَنَاهُ ؛ وَتَهَلَّلُ أَسْرَةُ الإِخْلَاصِ مِنْ مَطَاوِيهِ ، وَيَسْتَدْعِي الْمَزِيدَ مِنْ آلائِهِ وَيَقْتَضِيهِ .

والحمد لله الذي استخلص محمداً صلى الله عليه وسلم من زكي الأَصْلَابِ ، وَأَنْتَجَبَهُ مِنْ أَشْرَفِ الأَنْسَابِ ؛ وَبَعَثَهُ إِلَى الخَلِيقَةِ رُسُولًا ، وَجَعَلَهُ إِلَى مَنْهَجِ النِّجَاةِ دَلِيلًا ؛ وَفَدُوهُ السَّرْكَ بَوْرًا لَدَلْ وَقَضَاهُ (١) وَشَهَرَ عَضْبَ العِزِّ وَأَتَتْضَاهُ ؛ وَالأُمَمُ عَنْ طَاعَةِ الرِّحْمَنِ عَازِفَةٌ ، وَعَلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ عَاكِفَةٌ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِأَمْرِ رَبِّهِ صَادِعًا ، وَعَنِ التَّمَسُّكِ بَعْرًا الضَّلَالِ الوَاهِيَةِ وَازِعًا ؛ وَإِلَى رُكُوبِ مِحْجَةِ الهُدَى دَاعِيًا ، وَعَلَى قَدَمِ الإِجْتِهَادِ فِي إِبَادَةِ العَوَايَةِ سَاعِيًا ؛ حَتَّى أَصْبَحَ وَجْهُ الحَقِّ مُنِيرًا مُشْرِقًا ، وَعُودُهُ بَعْدَ الذُّبُولِ أَخْضَرَ مُورِقًا ؛ وَمَضَى البَاطِلُ مُؤَلِّيًا أَدْبَارَهُ ، وَمَسْتَضْجِبًا تَبْيِيرَهُ وَبَوَارَهُ ؛ وَقَضَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ مَهَّدَ مِنَ الإِيمَانِ قَوَاعِدَهُ ، وَأَحْكَمَ آسَاسَهُ وَوَطَائِدَهُ ؛ وَأَوْضَحَ سُبُلَ الفُوزِ لِمَنْ أَقْتَفَاهَا ، وَحَبَّبَ طَرِيقَهَا بَعْدَ مَا دَثَّرَتْ صُورَاهَا ؛ فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَصَحَّبَهُ الأَكْرَمِينَ ؛ صَلَاةً مَتَّصِلًا سَخَّ عَمَامَاهَا ، مُسْفِرًا صَبْحُ دَوَامِيهَا .

والحمد لله على أن حاز لأمر المؤمنين من إرث النبوة ما هو أجدرُ بِجِيازَةِ نَجْمِهِ ، وَأَوْلَى بِقِيُضِ عِدَّةِهِ ؛ وَوَطَّأَ لَهُ مِنَ الخِلافةِ المَعْظَمَةِ مِهَادًا أَحْفَزَتْهُ نَحْوَهُ حَوَافِزُ آرْتِيَا حِهِ ، وَجَدَّبَتْهُ إِلَيْهِ أَزْمَةٌ رَاعَهُ وَالتَّيَّاحِ ؛ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ مَنَاهُ ، وَأَلْقَى الأَسْتِقْرَارُ الَّذِي لَا يَرِيمُ عَصَاهُ ؛ وَعَضَّدَ دَوْلَتَهُ بِالتَّأْيِيدِ مِنْ سَائِرِ أُنْحَائِهِ وَمَرَامِيهِ ،

(١) كذا في الأصول على هذه الصورة ولم نهند إلى تحقيقه .

وأعراضه ومغازيه ؛ حتى فاقت الدول المتقدمة إشراقا ، وأعطتها الحوادث من التغيير عهدا وفيا وميثاقا ؛ وأضحت أيامه - أدامها الله - حالية بالعدل أجيادها ، جالية في ميادين النضارة جياؤها ؛ وراح الظلم دارسة أطلاله ، مقلصا سرباله ، قد أنجم سخابه ، وزمت للرحلة ركابه ؛ فما يستمر منها أمر إلا كان صنع الله سبحانه مؤيده ، والتوفيق مصاحبه أثير يم ومُسدده ؛ وهو يستوزعه - جلت عظمته - شكر هذه النعمة ، ويستريده بالتحدث بها من آياته الجمه ؛ ويستمد منه المعونة في كل أرب قصده وأمه ، وشخذ لا تحائه عزمه ؛ وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه يتنب .

ولما كانت الوزارة قُطب الأمور الذي عليه مدارها ، وإليه إيرادها وعنه إصدارها ؛ وحلا منصبها من كاف يكون له أهلا ، وينظم من شماله شملا ، أجال أمير المؤمنين فيمن يختار [لذ] لك فكره ، وأنعم [النظر] لأهل الأصطفاء لهذه المترلة حتى صرح محض رأيه عن زبدة اختيارك ، وهداه صائب تديره إلى اقتراحك وإيثارك ؛ وألق إليك بالمقاليد ، وعول في دولته القاهرة على تديريك السديد ؛ وناط بك من أمر الوزارة ما لم يلف له سواك مستحقا ، ولا لنسيم استيجابه مسترقا ؛ علما بما تبديه كفايتك المشهوره ، وإيالتك المنجوره ؛ من تقويم ما أعجز مياؤه ، وإصلاح ما استشرى فساده ؛ وأستقامة كل حال وهي عمادها ، وأصلت على كثرة الاقتداح زنادها ؛ وتثبتنا لما تبسم عنه الأيام من آثار نظرك المعربة عن آحتوائك على دلائل الجزاله ، وأستيلائك على تحايل الأصاله ؛ اللذين تُنال بهما غايات المعالي ، وتُفزع الذرى والأعلى .

ثم إن أمير المؤمنين بمقتضى هذه الدعاوى اللازمه ، وحرمت جتك وأبيك السالفة المتقاه ؛ التي أستحصدت في الدار العزيزة قوى أمراسها ، وأذنت منك

الآن ثمرة غراسها؛ رأى أن يُشيد هذه العارفة التي تآرج لديك نسيما، وبدت على أعناق فخرك رؤومها؛ وجادت رباعك شأبيها، وضفت عليك جلابيها؛ بما يزيد أزرلك أشنيدادا، وباع أملك طولا وأمتدادا؛ فأذناك من شريف حضرته مناجيا، ومنحك من مزايا الأيام ما يُكسبك ذكرا في الأعقاب ساريا، وعلى الأحقاب باقيا، وأفاض عليك من الملابس الفاخرة ما حزت به أوصاف الجمال، وجمع لك أبايد الآمال؛ وقلدك وحصل (١) بداوه، وأمطاك صهوة ساج يساوي الرياح سبقا، ووسمك بكذا وكذا في ضمن التأهيل للتكنية، إبانته عن جميل معتقده فيك، ورعاية لوسائلك المحكمة المرائر وأواخيك .

وأمرك بتقوى الله التي هي أحسن المعامل، وأعدب المناهل؛ وأنفع الذخائر، يوم تُبلى السرائر؛ وأن تستشعرها فيما تُبديه وتُخفيه، وتذره وتأتيه؛ فإنها أفضل الأعمال وأوجبها، وأوضح المسالك إلى الفوز برضا الله وأحبها، وأجلب الأشياء للسعادة الباقية، وأجناها لقطوف الجنان الدانية؛ عالما بما في ذلك من نفع تتكامل أقسامه، وتنتفع عن نور الصلاح الجامع أحكامه؛ قال الله جلّت آوؤه، وتقدست أسمائه :
 ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .
 وقال تعالى حاضا على تقواه، وغيرها عما خص به متقيه وحباه؛ وكفى بذلك داعيا إليها، وباعثا عليها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأمرك أن تتوحي المقاصد السليمة وتأتيها، وتتوخى الموارد الوخيمة وتجتوبها؛ وأن تُتبع بالحزم أفعالك، وتجعل كتاب الله تعالى إمامك الذي تهتدي به ومثالك؛ وأن تكف من نفسك عند جماحها وإبابها، وتصدها عن متابعة أهوائها؛ وتبني عند احتدام سورة الغضب عنانها، وتُسعرها من حديد الخلائق ما يوافق إسرارها فيه

(١) كذا في الأصل على هذه الصورة والمراد أنه انعم عليه بجملة وسيف وجواد . تأمل .

إعلانها : فإنها لم تزل إلى منزلة السوء المردية داعية ، وعن سلوك مناهج الخير المنجية ناهية ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وأمرك أن تختير للخدمة بين يديك من بلوت أخباره ، وأستشفقت أسرارَه ؛ فعلمته جامعا أدوات الكفاية ، موسوما بالأمانة والدرابيه ؛ قد عرّكته رجا التجارب عرك الثقال ، وحلب الدهر أشطره على تصاريف الأحوال : ليكون أمر ما يؤلاه على منهج الاستقامة جاريا ، وعن ملايس الخلل والارتياب عاريا ؛ فلا يضع في منزلة قداما ، ولا يأتي ما يقرع سنه لأجله ندما ؛ وأن تمتح رعايا أمير المؤمنين من بشرك ما يعقل شوارد الأهواء ، ويلوى إليك بأعناق نوافرها اللاتي اعتصمن بالجماح والإباء ؛ مازجا ذلك بشدة تستولى حيا رهبتها على القلوب ، وتفل مرهفات بأسها صرف الخطوب ، من غير إفراط في استدامة ذلك يضيق نظامها به ، ويغريها اتصاله باستشعار وعمر الخطأ واستيطاء مركبه .

وأمرك أن تُغذّب مورد الإحسان لمن أحمدت بلاهه ، وتحقق غناه ؛ وأستحسننت أثره ، وأرتضيت عيانه وخبره ؛ وتسدل أسمال الهوان على من بلوت فعله ذميا ، وألفيته بعراض الإساءة مقيا ، وإلى رباعها الموحشة مستائسا مستديما ؛ كيلا لكل أمرئ بصاعه ، وأتباعا لما أمر الله باتباعه ؛ وتجنبنا للإهمال الجاعل المحسن والمسيء سواء ، والمعيد هما في موقف الجزاء أكتفاء ؛ فإن في ذلك ترهيدا لدوى الحسنى في الإحسان ، وتتأبأ لأهل الإساءة في العدوان ؛ ولولا ما فرضه الله على أمير المؤمنين من إيجاب الحجّه ، والفكالك من ربة الاجتهاد ببلاغ المعذره ، لثنى عنان الإطالة مقتصرا ، وأكتفى ببعض القول مختصرا ؛ ثقة بامتناع سدادك ونهاك ،

أَنْ يَرَاكَ صَوَابُ الْفِعْلِ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَاسْتِنَامَةٌ إِلَى مَا حَوَّلَكَ اللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ ،
 الْمُطَّلِعِ مِنْ خِصَائِصِ الْبَدِيهَةِ عَلَى مَحْتَجِبِ الْعَوَاقِبِ . فَأَرْتَبْتُ يَا فُلَانُ هَذِهِ التَّعْمِي
 الَّتِي جَادَتْ دِيمَهَا مَغَانِيكَ ، وَحَقَّقَتِ الْأَيَّامُ بِمَكَاتِبِهَا أَمَانِيكَ ؛ بِشُكْرِي نَطِقُ بِهِ لِسَانُ
 الْإِعْتِرَافِ ، فَيُؤْمِنُ وَحِشِي النَّعْمَ مِنَ النِّفَارِ وَالْإِنْحِرَافِ ؛ وَأَسْلُكَ فِي جَمَالِ السَّيْرِ ،
 وَالْإِقْتِدَاءِ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ الْمَبِينَةِ الْمَذْكُورَةِ ، جَدِّدًا يُغْرِي بِجَمْدِكَ الْأَلْسِنَةَ ، وَيُعْرِبُ عَنْ
 كَوْنِكَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ؛ وَاللَّهُ يَصَدِّقُ مَحِبَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فِيكَ ، وَيُوزِعُكَ شُكْرًا مَا أَوْلَاكَ وَيُؤَلِّسُكَ ؛ وَيَجْعَلُ الصَّوَابَ غَرَضًا لِنَيْلِ عِزَّتِهِ ،
 وَيُدَوِّدُ عَنْ دَوْلَتِهِ الْقَاهِرَةِ كِتَابَ الْخُطُوبِ بِصَوَارِمِ السَّعْدِ وَلَهَازِمِهِ ؛ وَيَصِلُ أَيَّامَهُ
 الزَّاهِرَةَ بِالْخُلُودِ ، وَيَسْطُرُ عَلَى أَقْصَى الْأَرْضِ ظِلَّهُ الْمُدُودَ ؛ مَا اسْتَهْلَ جَفْنَ الْغَيْثِ
 الْمُدْرَارِ ، وَأَبْتَسَمَتْ تُغُورُ النُّوَارِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يكتب
 لأرباب الوظائف من أصحاب السيف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(العهود ، وهي أعلاها رتبة)

وطريقتهم فيها أن تُفْتَحَ بلفظ : « هذا ما عهد عبد الله ووليّه فلان أبو فلان
 الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني حين عرف منه » ويذكر بعض مناقبه ، وربما
 تعرض لثناء سلطان دولته عليه . ثم يقال : « فقلده كذا وكذا » ثم يقال : « وأمره
 بكذا » ويأتي بما يناسب من الوصايا . ثم يقال : « فقلده كذا وكذا » ثم يقال :

«هذا عهدُ أميرِ المؤمنين إليك، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ» أو نحو ذلك ؛ ولا يُؤْتَى فِيهِ بِتَحْمِيدِ
فِي أَوَّلِ الْعَهْدِ وَلَا فِي أَثْنَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي عُهُودِ الْخُلَفَاءِ لِللُّوْكَ .

عهدُ أربابِ السيفِ

(وهي عدّة ولايات)

منها — النظر في المظالم .

وهذه نسخة عهدِ كتب به أبو إسحاق الصابئ ، عن المطيع لله ، إلى الحسين
ابن موسى العلوّي ، بتقليد المظالم بمدينة السلام ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى
العلوّي ، حين اجتمع فيه شرف الأعراف ، والأخلاق ؛ وتكامل فيه بين النقائب ،
والضرائب ؛ وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد
والأنحاء ؛ في سالف ما ولاه إياه من أعماله الثقيلة التي لم يزل فيها محمود المقام ،
مستمرا على النظام ؛ مُصِيبَ النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، سَدِيدَ الْإِسْدَاءِ وَالْإِلْحَامِ ؛ زَائِدًا عَلَى
الْمُرَائِدِينَ ، رَاجِحًا عَلَى الْمَوَازِينَ ؛ فَائِتًا لِلْحَازِنِينَ ، مُبْرًا عَلَى الْمُبَارِينَ ؛ فَقَلَّدَهُ النَّظَرَ
فِي الْمَظَالِمِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَوَادِهَا وَأَعْمَالِهَا ، وَمَا يَجْرِي مَعَهَا ؛ ثِقَةً بِعِلْمِهِ وَدِينِهِ ،
وَأَعْتِمَادًا عَلَى بَصِيرَتِهِ وَيَقِينِهِ ؛ وَسُكُونًا إِلَى أَنَّ الْأَيَّامَ قَدْ زَادَتْهُ تَحْلِيمًا وَتَهْنِئًا ، وَالسَّنَّ
قَدْ تَنَاهَتْ بِهِ تَحْنِيكًا وَتَجْرِيًا ؛ وَأَنْ صَنِيعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَقَرَّةٌ مِنْهُ عِنْدَ أَكْرَمِ
أَكْفَائِهَا ، وَأَشْرَفِ أَوْلِيَائِهَا ؛ بِرَحْمَةِ الْمَنَاءِ الدَّانِيَةِ ، وَحُرْمَةِ الشَّامِخَةِ الْعَالِيَةِ ، وَمَغْرَفَةِ
النَّاقِبَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى التَّفْوِيضِ إِلَيْهِ ، الْبَاعِثَةِ عَلَى التَّعْوِيلِ عَلَيْهِ ؛ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَمُدُّ

الله في ذلك أحسن ماعوده من هداية وتسييد، ومعونة وتأييد؛ وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنِيب .

أمره بتقوى الله التي هي الجُنَّة الحَصِينة ، والعِصْمَةُ المَتِينة ؛ والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب ، والزيادة المبلغ إلى دار الثواب ؛ وأن يستشعرها فيما يسرّ ويعلن ، ويعتمدها فيما يُظْهِر ويُظِن ؛ ويعملها إمامه الذي يَخُوهُ ، ورائده الذي يَقْفُوهُ ؛ إذ هي شِمة الأبرار والأخيار . وكان أولى من تعلق بعلائقها ، وتمسك بوثاقها ؛ لمفخره الكريم ، ومنصبه الصميم ؛ وأستظلاله مع أمير المؤمنين بدوحة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - التي يَكْتُمَانِ في فَنَائِهَا ، ويَأْوِيَانِ إلى أفيائها ؛ وحقيق على من كان منها مَنزَعُهُ ، وإليها مَرَجِعُهُ ؛ أن يكون طيباً زكياً ، طاهراً نقيّاً ، غنياً في قوله وفعله ، نظيفاً في سرّه وجهره ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأمره بتلاوة القرآن ، وتأمل ما فيه من البرهان ، وأن يجعله نصباً لناظره ، ومألفاً لناظره ؛ فأخذ به ويعطى ، ويأمر له ويتبى ؛ فإنه الحجة الواضحة ، والمحجة اللائحة ؛ والمعجزة الباهرة ، والبينة العادلة ؛ والدليل الذي من أتبعه سلم ونجا ، ومن صدّف عنه هلك وهوى ؛ قال الله عز من قائل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يجلس للخصوم جلوساً عاماً ، ويُقبل عليهم إقبالاً تاماً ؛ ويتصفح ما يُرْفَع إليه من ظلاماتهم ، ويُنعم النظر في أسباب محادثاتهم ؛ فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العُدول رده إلى المتولى للحكم ، وما كان طريقه العُصوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص ، والاستشفاف والبحث ؛

نظر فيه نظرَ صاحبِ المظالم ، وأترع الحقّ من غصبِ عليه ، وأستخلصه ممن أمتدت له يدُ التعدي والتغرر إليه ؛ وأعادته إلى مستحقّه ، وأقرّه عند مستوجبِه ؛ غيرَ مراقبٍ كبيراً لكبره ، ولا خاصاً لخصوصه ، ولا شريفاً لشرفه ، ولا متسلطناً لسُلطانه ؛ بل يقدّم أمر الله جلّ ذكره في كل ما يأتى ويَدْر ، ويتوخى رضاه فيما يُورد ويُصدر ؛ ويكونُ على الضعيفِ المحقِّ حَداً رُؤفاً حتى يَتَصَرَّ ويتَصِف ، وعلى القويِّ المُبطلِ شديداً غليظاً حتى يتقادَ ويُدْعى ؛ قال الله جل وعز : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .

وأمره أن يَقَحَّ بابه ، وَيَسْهَلِ حِجَابَه ، وَيَسْطِ وَجْهَه ، وَيَلِينَ كَنَفَه ؛ وَيَصْبِرِ عَلَى الْخُصُومِ النَّاقِصِينَ فِي بَيَانِهِمْ حَتَّى تَطْهَرَ حُجَّتُهُمْ ؛ وَيُنِيمَ النَّظَرَ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ اللِّسَنِ وَالْبَيَانَ مِنْهُمْ حَتَّى يَعْلَمَ مُصِيبَهُمْ ؛ فربّما أَسْتَظْهَرَ الْعَرِيضُ الْمُبْطِلُ بِفَضْلِ بَيَانِهِ ، عَلَى الْعَاجِزِ الْمُحَقِّ لِعَمَى لِسَانِهِ ؛ وَهَنَالِكَ يَجِبُ أَنْ يَقَعَ التَّصَفُّحُ عَلَى التَّوَلِّينِ ، وَالْأَسْتَظْهَارُ لِلْأَمْرَيْنِ : لِيُؤْمِنَ أَنْ يُزُولَ الْحَقُّ عَنْ سَنِينِهِ ، وَيُزَوَّرَ الْحُكْمُ عَنْ طَرِيقِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَبَيِّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

وأمره بأن لا يردَّ للقضاة حُكماً يَمْضُونَهُ ، ولا سِحْلاً يَنْفِدُونَهُ ، ولا يُعَقِّبُ ذَلِكَ بفسخ ، ولا يُطْرَقُ عَلَيْهِ التَّقْضُ ؛ بل يكونُ لهم موافقاً مُؤَاوِراً ، ولأحكامهم عاضداً ناصراً ؛ إذ كان الحقُّ واحداً وإن اختلفتِ المذاهبُ إليه . فإذا وجدَ القِصَّةَ قد سَيِّقَتْ ، والحُكُومَةَ قد وَقَعَتْ ؛ فليس هناك شكٌّ يوقِفُ عنده ، ولا ريبٌ يُحْتَاجُ

إلى الكَشْفِ عنه ؛ وإذا وجد الأمر مشتتاً ، والحق ملتبساً ؛ والتغرر مستعملاً ،
 والتغلب مستجازاً ، نظر فيه نظر الناصر لحق المحقين ، الداحض لباطل المبطلين ؛
 المقوى لأيدي المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين ؛ قال الله عز وجل :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
 وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدُوا وَإِن تَلُوا
 أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاوره الفضاة والفقهاء ، ومباحثة الرَبَّانِيين
 والعلماء ؛ فإن أشتبه عليه أمر استرشدهم ، وإن عزب عنه صواب استدلَّ عليه
 بهم ؛ فإنهم أزيمة الأحكام ، وإليهم مرجع الحُكَم ؛ وإذا اقتدى بهم في المُشكلات ،
 وعَمِلَ بأقوالهم في المُعضلات ؛ أمن من زلَّة العائر ، وغلطة المستائر ؛ وكان خَلِيقًا
 بالأصالة في رأيه ، والإصابة في أبحاثه ؛ وقد أمر الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - بالمُشاورة
 فعَرَفَ النَّاسَ فضلها ، وأسَلَكَهُمْ سُبُلَهَا ؛ بقوله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ آلِهِ :
 ﴿ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝

وأمره أن يكتب لمن تَوَجَّبَ له حَقٌّ من الحُقُوق إلى صاحب الكُوفَةِ بالشَّد
 على يده والتكُنُّ له منه ، وقَبْضُ الأيْدِي عن مُنازَعَتِهِ ، وَحَسْمُ الأَطْطَاعِ في مُعَارَضَتِهِ ؛
 إذ هو مُنْدُوبٌ لتنفيذ أحكامه ، ومأمورٌ بِإِمْضَاءِ قَضَايَاهُ ؛ ومتى أخذ أحدٌ من
 الخِصُومِ إلى مَكَادِيَةٍ في حَقِّ قَدْحٍ عليه به ، أَخَذَ عَلَى يَدِهِ وَكَفَّهُ عن عُذْوَانِهِ ، وَرَدَّهُ
 إلى حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُعَدَّلُ عَنْهُ ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، ومجَّته عليك ؛ قد أرشدك وذَكَرك ، وهَدَاك
وبَصَّرَكَ ؛ فكنْ إليه مُنتَبِهاً ، وبه مُقتدياً ؛ وأستعين بالله يُعِنَكَ ، وأستكفِه يكفِكَ .
وكتب الناصح أبو الطاهر في تاريخ كذا .



ومنها — نِقَابَةُ الطالِبِينَ : وهي المعبر عنها الآن بِنِقَابَةِ الأشراف .

وهذه نسخةُ عهدِ نِقَابَةِ الطالِبِينَ ، كتب به أبو إسحاق الصابى ، عن الطائع لله
إلى الشريف أبي الحسن محمد بن الحسين العلوى الموصى ، مضافاً إليها النظرُ
في المساجد وعمارتها ، وأستخلافه لوالده الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى على
النظر في المظالم والحج بالناس ، في سنة ثمانين وثلثمائة ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن
الحسين بن موسى العلوى ، حين وصلته به الأنساب ، وقُرئت لديه الأسباب ؛
وظهرت دلائل عقله ولبابته ، ووضحت مخايل فضله ونجابته ؛ ومهد له بهاء الدولة
وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة مامهد عند أمير المؤمنين من المحلل المكين ،
ووصفه به من الحلم الرزين ؛ وأشار به من رفع المنزلة ، وتقديم الرتبة ؛ والتأهيل
لولاية الأعمال ، وتحمل الأعباء والأثقال ؛ وحيث رغبه فيه ، سابقة الحسين أبيه ،
في الخدمة والنصيحة ، والمشايعة الصحيحة ؛ والمواقف المحموده ، والمقامات
المشهوده ؛ التي طابت بها أخباره ، وحسنت فيها آثاره ؛ وكان محمد متخلقا بخلائقه ،
وذاهباً على طرائقه : علماً وديانته ، وورعاً وصيانته ؛ وعفةً وأمانه ، وشهامةً وصرامه ؛

(١) في "المثل السائر" ص ١٢٢ « وتأكدت له الأسباب » .

وتفردًا بالخط الحزيب : من الفضل الجميل والأدب الجزل ، والتوجه في الأهل ؛ والإيفاء في المناقب على لداته وأترابه ، والإبرار على قرآنه وأضرابه - فقلده ما كان داخلًا في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبين بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار ؛ شرقًا وغربًا ، وبعداً وقربًا ؛ وأختصه بذلك جذبًا بضعه ، وإنافة بقدره ، وقضاء لحق رحمة ؛ وترفيها لأبيه ، وإسعافًا له بإيثاره فيه ؛ إلى ما أمر أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم ، وتسير الحجيج في أوان المواسم ؛ والله يعرف أمير المؤمنين الحيرة فيما أمر ودبر ، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنب .

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسيمًا للصالحين ، وعِصمة عباد الله أجمعين ؛ وأن يعتقدها سرًا وجهرًا ، ويعتمدها قولًا وفعلًا ؛ فيأخذ بها ويعطي ، ويريش ويرى ؛ ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ؛ فإنها السبب المتين ، والمعقل الحصين ؛ والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المفضي إلى دار الثواب ؛ وقد حَصَّ الله أوليائه عليها ، وهداهم في مُحْكَم كتابه إليها ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبًا ، وتصفحه مداومًا ملازمًا ؛ والرُجوع إلى أحكامه فيما أحلَّ وحرم ، ونقض وأبزم ، وأتاب وعاقب [وبعاد وقارب] ؛ فقد صحَّح الله برهانه [وُحِّجته] ، وأوضح منهاجه ومحجته ؛ وجعله جفرا في الظلمات طالعا ، ونورا في المشكلات ساطعا ؛ فمن أخذ به نجا وسلم ، ومن عدل عنه هلك وهوى

(١) في "المثل السائر" بدله «ويسروني» .

(٢) الزيادة من "المثل السائر" .

[وَنَدِمَ] ^(١) . قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ أَكْثَبَ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بتزيره نفسه عما تدعو إليه الشهوات ، وتتطلع إليه التزوات ؛ وأن يضبطها ضبط الحكيم ، ويكفها كف الحليم ؛ ويجعل عقله سلطاناً عليها ، وتميزه أمراً ناهياً لها ؛ فلا يجعل لها عُذراً إلى صَبُوة ولا هَفْوَه ، ولا يُطلق منها عناناً عند تَوْرَة ولا فَوْرَه ؛ فإنها أمارَة بالسوء ، مُنْصَبَة إلى النعي ؛ فالحازم يَتَمَهَمها عند تحرك وطره وأربه ، وأهتياج غيظه وغضبه ؛ ولا يدع أن يعضها بالشكيم ، ويعركها عرك الأديم ؛ ويقودها إلى مصالحها بالخرايم ، ويعتقلها عن مُقارَفة المحارم والمآثم ؛ كما يعزُّ بتذليلها وتأديبها ، ويجلُّ برياضتها وتقويمها ؛ والمفتَرطُ في أمره تطمَّح به إذا طمَّحت ، ويصحح معها أئى جمحت ؛ ولا يلبث أن تُورده حيث لا صدر ، وتُلججه إلى أن يعتذر ؛ وتُقيمه مقام النادم الواجم ، وتنتكب به سيدل الراشد السالم ؛ وأحق من تحلّى بالمحاسن ، وتصدقى لاكتساب الحماد ؛ من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف ، ومنصبه المنيف ؛ وأجتمع معه في ذُؤابة العترة الطاهره ، وأستظل بأوراق الدوحة الفاسحه ؛ فذاك الذى نتضاعف له المآثر إن آثرها ، والمثالب إن أسف إليهما ؛ ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره ، ومُرشحاً للتقليد على أهله ؛ إذ ليس ينهى بإصلاح من ولى عليه ، من لا ينهى بإصلاح ما بين جنبه ؛ وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ، ويزجر ولا يزدجر ؛ قال الله عز وجل : ﴿ أَمْرُؤُنَ النَّاسِ بِالرِّئَاسَةِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكُتُبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

(١) الزيادة من "المثل السائر" .

وأمره بتصفح أحوال من وُلِّي عليهم وأستقرأ مذاهبيهم ، والبحث عن بواطنهم ودخاللهم ؛ وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزله ، ويوقيه حقه وربته ؛ وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم : فإن ذلك يلزمه لشئئين : أحدهما يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم ، والآخر يعمه والمسلمين جميعا ، وهو قول الله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ فالموودة لهم والإعظام لأكارهم ، والإشبال على أصاغيرهم ؛ [واجب] متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكد اللزوم له ؛ ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يَحْتَنِكُوا ، أو جُدَعَانٍ لم يقرحوا ؛ مُجْرِمِينَ إلى ما يُزْرَىٰ بآنسابهم ويعُضُّ من أحسابهم ، عدلهم ونهبيهم ، ونهائم ووعظهم ؛ فإن زرعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم ، والمقصود إليه فيهم ؛ وإن أصرّوا وثابَعُوا ، أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويَدْعُ ؛ فإن نفع وإلا تجاوزه إلى ما يوجب ويلدع ؛ من غير تطرق لأعراضهم ، ولا آتتهك لأحسابهم ؛ فإن الغرض منه الصيانة ، لا الإهانة ؛ والإداله ، لا الإداله . وإذا وجبت عليهم الحقوق ، أو تعلقت بهم دواعي الخُصوم ، قادمهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويوجب ، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتهه ويلتبس . ومتى لزمهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها ، بعد أن تثبت الجرائم وتصح ، وتبين وتوضح ؛ وتجرد عن الشك والشبهة ، وتقبل من الظن والتمه ؛ فإن الذي يُستحب في حدود الله أن تُدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تُحضى عليهم مع قيام الدليل والبيّنة . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) الإشبال العطف وفي "المثل السائر" « والاشتغال » وهو بمعناه .

(٢) الزيادة عن "المثل السائر" .

وأمره بجياطة هذا النسب الأظهر، والشرف الأضخر، عن أن يدعيه الأدياء،
أو يدخل فيه الدخلاء؛ ومن آتني إليه كاذبا، وأنتحل به باطلا، ولم يوجد له بيت
في الشجره، ولا مضداق عند النسابين المهره، أوقع به من العقوبة ما يستحقه،
ووسمه بما يعلم به كذبه وفسقه؛ وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه، ويتزعم
بها غيره ممن تسؤل له مثل ذلك نفسه. وأن يخصص الفروج عن مناقحة من ليس لها
كفؤا، ولا مشاركتها في شرفها ونفخها؛ حتى لا يطمع في المرأة الحسية النسبية
إلا من كان مثلا لها مساويا، ونظيرا موازيا؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

وأمره بمراعاة متبلى أهله ومتهجدتهم، وصلحاتهم ومجاوريتهم، وأراملتهم
وأصاغيرهم؛ حتى يسد الخلة من أحوالهم، ويُدز الموائد عليهم، وتتعادل أقساطهم
فيما يصل إليه من وجوه أموالهم؛ وأن يزوج الأيما، ويربي اليتامى؛ ويلزمهم
المكاتب ليتلقنوا القرآن، ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان؛ ويتأدبوا بالآداب،
اللائقة بذوى الأحساب؛ فإن شرف الأعراق، محتاج إلى شرف الأخلاق؛ ولا حمد
لمن شرف نسبه، وتخف أدبه؛ إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعى
ولا طلب، ولا اجتهد ولا دأب؛ بل بضع من الله عز وجل له، ومزيد في المنة
عليه؛ وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطيّة، والاعتداد
بما فيها من المنزىة، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن
الذائل والمتالب .

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين
باستخلافه عليه من النظر في المظالم، والأخذ للظلم من الظالم؛ وأن يجلس للترافعين

إليه جُلوسًا عامًا ، ويتأمل ظلماتهم تأملًا تامًا ؛ فما كان منها متعلقًا بالحكيم رده إليه ، ليحمل الخُصومَ عليه ؛ وما كان طريقه طريق الغشم والظلم ، والتغلب والغصب ، قبضَ عنه اليدَ المبطلة ، وثبتَ فيه اليدَ المستحقة ؛ وتحرقى في قضاياه أن تكونَ موافقةً للعدل ، ومجانبةً للعدل ؛ فإن غابتي الحاكم وصاحب المظالم واحدة : وهي إقامة الحق ونصرتُهُ ، وإبانتُهُ وإنارتُهُ ؛ وإنما يختلف سيلاهما في النظر : إذ الحاكم يعمل على ما ثبتَ وظهر ، وصاحب المظالم يفحص عما غمض وأستر ؛ وليس له مع ذلك أن يرُدَّ لحاكم حُكومه ، ولا يُعلِّ له قضيته ؛ ولا يتعقب ما يُفنده ويُضيه ، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه ؛ والله يهديه ويُستدده ، ويُوقفه ويُرشده .

وأمره أن يسيرَ حجاجَ بيتِ الله إلى مقصدهم ، ويحيمهم في بداتهم وعودتهم ؛ ويرتّبهم في مسيرهم ومسلكهم ، ويرعاهم في ليلهم ونهارهم ؛ حتى لا تتألم شدته ، ولا تصل إليهم مضرّة ؛ وأن يُريحهم في المنازل ، ويوردهم المناهل ؛ ويُناوبَ بينهم في النهل والعلل ، ويُمكنهم من الأرتواء والإكتفاء ؛ مجتهدًا في الصيانة لهم ، ومُعذرًا في الذب عنهم ؛ ومُتولمًا على متأخرهم ومتخلفهم ، ومُنهضًا لضعيفهم ومهيضهم ؛ فإنهم حجاج بيتِ الله الحرام ، وزوّار قبر الرسول عليه السلام ؛ قد هجروا الأوطان ، وفارقوا الأهل والإخوان ؛ وتجشموا المغارم الثقيل ، وتَسَفُّوا السُّهول والحبال ؛ يلبون دعاء الله عز اسمه ، ويُطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه ؛ وحقيق على المسلم المؤمن أن يُجرسهم متبرعًا ، ويحوطهم متطوعًا ؛ فكيف من تولى ذلك وصنمه ، وتقلده وأعتقه ، قال الله : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ .

وأمره أن يُرَاعِيَ أمورَ المساجد بمدينة السلام وأطرافها ، وأقطارها وأكافها ؛
 وأن ينجيَ أموالَ وقوفها ، ويستقصيَ جميعَ حقوقها ؛ وأن يلمَّ شعنها ، ويسدَّ خللها ؛
 بما يتحصّل من هذه الوجوه قبله ، حتى لا يتعطلَ رسمُ جرى فيها ، ولا تنقضَ عادةً
 كانت لها ؛ وأن يثبتَ اسمَ أمير المؤمنين على ما يعمره منها ، ويذكرُ اسمه بعده
 بأنَّ عمرانها جرى على يديه ، وصلاحها أداها قولُ أمير المؤمنين إلى فعله ؛ فقد فسّح له
 أمير المؤمنين بذلك تنويهاً باسمه ، وإشادةً بذكره ؛ وأن يولّيَ ذلك من قبله من حسنت
 أمانته ، وظهرت عفته وصيانتُه ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
 مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ
 أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال : في الأمصارِ
 الدائنية ، والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء الرجال ، وذوى الوفاء
 والاستقلال ؛ وأن يعهد إليهم مثل الذى عهد إليه ، ويعتمد عليهم فى مثل ما اعتمد
 عليه ؛ ويستقرى مع ذلك آثارهم ، ويتعرف أخبارهم ؛ فمن وجده محموداً أقره
 ولم يزله ، ومن وجده مذموماً صرفه ولم يمهلّه ؛ وأعتاض منه من تُرجى الأمانة
 عنده ، وتكون الثقة معهودةً منه ؛ وأن يختار لكتابته وحجّته والتصرف فيما قُرب
 منه وبعد عنه ؛ من يزينه ولا يشينه ، وينصح له ولا يعشّه ، ويحمله ولا يهجنه ، من
 الطبقة المعروفة بالظلف ، المتصونة عن النطف ؛ ويجعل لهم من الأرزاق الكافية ،
 والأجرة الوافية ، ما يصدّهم عن المكاسب الذميمة ، والمآكل الوخيمة ؛ فليس تجب
 عليهم الحجّة إلا مع إعطاء الحاجة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ
 وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يَرَىٰ ثُمَّ يُجْرَاهُ الْجَزَاءُ الْآوْفَىٰ ﴾ .

وأمره بأن يكتب لمن يقوم بيئته عنده وتكشف حجه له ، إلى أصحاب
المران بالشدة على يديه ، وإيصال حقه إليه ؛ وحسم الطمع الكاذب فيه ،
وقبض اليد الظالمة عنه ؛ إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه ، والوقوف عند
رسمه وحده .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ؛ قد أنار فيه سيديك ، وأوضح
دليلك ؛ وهداك وأرشدك ، وجعلك على بينة من أمرك ؛ فاعمل به ولا تخالفه ،
وآتته إليه ولا تتجاوزة ؛ وإن عرض لك أمر يعجزك الوفاء به ، ويستبه عليك وجه
الخروج منه ، أنهتته إلى أمير المؤمنين مبادرا ، وكنت إلى ما يأمرك به صائرا ؛
إن شاء الله تعالى . وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلثمائة .



ومنها - ولاية الصلاة .

وهذه نسخة عهد كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله ، لأبي الحرث
محمد بن موسى العلوّى الموسوى ، بتقليده الصلاة في جميع النواحي والأمصار
والأطراف ، وتوقف عن إظهاره لرأى رآه في ذلك ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله إلى محمد بن موسى العلوّى ، لما استكفاه النظر في نقابة
الطالبيين فكفاه ، وتمجّل ذلك العبد فأغناه ، وفات النظراء في الاستقلال والوفاء ؛
وبدّ الأمثال في الاضطلاع والغناء ؛ جامعا إلى شرف الأحساب والأعراق ، شرف
الآداب والأخلاق ؛ وإلى كرائم المفاخر والمناقب ، مكارم الطبائع والضرائب ؛
على الحدائث من سنّه ، والغضاضة من عوده ؛ مستوليا من البراعة والنجابة ؛ والفراة
واللبابه ؛ على التي لا يبلغها الشيب المفاقر ، فضلا عن البالغ المراهق ؛ وغايات

تَقَطَّعَ دُونَهَا أَنْفَاسُ الْمَنَافِسِينَ ، وَتَضَرَّمَ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ ؛ لِاسِيَّآ وَقَدْ أَطَّتْ^(١) بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ شَوَاجِنُ الْأَرْحَامِ ، وَعَطَفَتْهُ عَلَى أَصْطِنَاعِهِ عَوَاطِفُ الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ ؛ وَأَقْتَضَتْ آثَارُهُ الْمَحْمُودَةَ ، وَطَرِائِقُهُ الرَّشِيدَةَ ؛ أَنْ يُنَاوِبَهُ عَلَى رُتْبَةٍ لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَقْتَرِعْ ذَوَاتِهَا رَجُلٌ دُونَهُ ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي خَمْسَةِ جَوَامِعِهَا : فَأَوَّلُهَا الْجَامِعُ الدَّخَلُ فِي حَرِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَامِعُ الرِّصَافَةِ ، وَجَامِعُ الْمَنْصُورِ ، وَجَامِعُ بُرَائِي ، وَجَامِعُ الْكَفِّ الَّذِي تَوَلَّى أَبُوهُ إِشَادَتَهُ وَعِمَارَتَهُ ، وَحَسُنَتْ آثَارُهُ فِي إِنْشَائِهِ وَإِعْلَانِهِ ؛ وَحَيْثُ سَمَتْ هِمَّتُهُ إِلَيْهِ ، وَبَدَلَ الْمَجْهُودَ فِي إِتْفَاقِ الْأَمْوَالِ الدُّثْرَةِ عَلَيْهِ ؛ وَاسْتَنْزَلَ بِذَلِكَ مِنْ اللَّهِ أَجْرَ لِبَابَةِ الْمُتَشَابِهِينَ ، وَأَوْفَرَ أَجْرَ الْمَأْجُورِينَ ؛ وَجَمِيعَ الْمَنَابِرِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَبَعِيدِ الْأَقْطَارِ وَقَرِيبِهَا ؛ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهُ حُسْنَ التَّسْهِيدِ فِي ذَلِكَ وَسَائِرِ مَرَامِيهِ ، وَجَمِيعَ مَطَالِبِهِ وَمَغَازِيهِ ؛ وَجَوَارِي هِمَمِهِ الَّتِي يُمِضُّهَا ، وَسَرَايَا عَزَمَاتِهِ الَّتِي يَنْوِيهَا ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ النِّجَاحَ قَائِدَهَا وَسَائِقَهَا ، وَالصَّلَاحَ أَوْلَهَا وَآخِرَهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَحْرَزُ الْمَعَاقِلِ ، وَأَحْصَنُ الْجُنُنِ عِنْدَ النَّوَازِلِ ؛ وَأَعْظَمُ مَلْجَأٍ يُلْجَأُ إِلَيْهِ ، وَأَمْنٌ مَوْثَلٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ؛ وَأَنْ يَعْتَقِدَهَا فِي خَلْوَتِهِ وَحَفَلَتِهِ ، وَيَعْتَمِدَهَا فِي سِرِّهِ وَعِلَاقَتِهِ ؛ وَيَجْعَلَهَا سَبَبًا يَنْتَبِعُهُ ، وَلِبَاسًا يَدْرِعُهُ ؛ فَيُنَازِعُ بِهَا مَنْ نَازَعَهُ ، وَيُؤَادِعُ بِهَا مَنْ وَادَعَهُ : فَإِنَّهَا أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ ، وَأَوْصَلُ الْقُرْبِ وَالْأَنْسَابِ . وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْتَّمَسْكِ بِجَبَلِهَا ، وَالْإِسْتِمَالِ بِظِلِّهَا ؛ مَنْ كَانَ بِأَجَلِّ الْمُنَاسِبِ تَمَلُّقُهُ ، وَبِأَشْرَفِ الْخَلَائِقِ

(١) في القاموس « أطت له رحى رقت وتحركت » فانظره .

(٢) في اللسان ج ٥ ص ٣٦٢ « الدر بالفتح المال الكثير لا يثنى ولا يجمع يقال مال دثر ومالان دثر

وأموال دثر » فقل هاء التأنيث زائدة من قلم الناصح . تأمل .

تَحَقُّقُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وَأَمْرَهُ بِتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْمُواظَبَةِ عَلَيْهِ وَالْإِدْمَانَ ، وَالْأَثْمَارَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ ، وَالْأَزْدِجَارِ عَمَّا تَضَمَّنَ مِنَ الزَّوَابِرِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَهُ الْإِمَامَ الْمَتَّبِعَ فَيَقْفُوهُ ، وَالطَّرِيقَ الْمَتَّبِعَ فَيَقْصِدَهُ وَيَتَّبِعْهُ : فَإِنَّهُ الْعِلْمُ الْمُنْجِي مِنَ الْغَوَايَةِ ، وَالذَّلِيلُ الْقَائِدُ إِلَى الْهَدَايَةِ ؛ وَالنُّورُ السَّاطِعُ لِلظَّلَامِ إِذَا أَشْكَلَ مُشْكَلًا ، وَالْحَاكِمُ الْقَاضِي بِالْحَقِّ إِذَا أُعْضِلَ مُعْضِلًا ؛ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ بِتَهْذِيبِ لُبِّهِ ، مِنْ جَوَامِجِ الْوَسَاوِسِ ، وَتَطْهِيرِ قَلْبِهِ ، مِنْ مَطَايِحِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَأَنْ يَتَوَقَّى اللَّحْظَةَ الْعَارِمَةَ ، وَيَتَجَنَّبَ اللَّفْظَةَ الْمُؤَلِّمَةَ ؛ عَاصِيًا جَوَادِبَ الْخَلَاعَةِ ، وَمُطِيعًا أَوَامِرَ التَّرَاهَةِ ؛ حَتَّى يَسْتَوِيَ خَافِيَهُ وَعَالِيَتُهُ ، وَيَتَّفِقَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ ؛ فِعَالٌ مِنْ جَعَلَهُ إِمَامًا الْمُسْلِمِينَ إِمَامًا ، وَقَدَمَتَهُ الرَّعِيَّةُ أَمَامًا ؛ وَكَانَ إِلَى اللَّهِ دَاعِيًا ، وَلَهُ عَنِ عِبَادِهِ مُنَاجِيًا ؛ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِقِهِمْ وَسَيْطَانِهِ ، وَعَلَى مَا قَلَدَهُ مِنَ الصَّلَاةِ بِهِمْ أَمِينًا ؛ لِتَصِحَّ شُرُوطُ صَلَاتِهِ ، وَيُقْبَلَ مَرْفُوعَ دَعَوَاتِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وَأَمْرَهُ بِالْحَفَاطَةِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَاتِّهَازِ فُرْصَتِهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ ؛ وَالذَّخُولِ فِيهَا بِالرِّقَّةِ وَالْحُشُوعِ ، وَالتَّوَقُّرِ بِالْإِخْبَاتِ وَالْحُضُوعِ ؛ وَحَقِيقُ عَلَى كُلِّ مَسْتَشْعِرٍ شِعَارَ الْإِسْلَامِ ، وَمَتَجَلِّبٍ جِلْبَابَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مُسْتَوْفِيًا شُرُوطَهُ ، وَمُسْتَقْصِيًا حُدُودَهُ وَرُسُومَهُ ، فَكَيْفَ بِنِ إِقَامِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [مَقَامِهِ] فِي أَمْتِطَاءِ غَوَارِبِ الْمَنَابِرِ

(١) لعله من قولهم رجل عارم أى خبيث شرير .

وذرأها ، ونصبه منصبه في أم الرعية أذناها وأقصاها . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ . وقال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تُمُونُوا إِلَّا بِأَنفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره بالسعى في الجمع إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية ؛ وأن يخص أحدها بصلاته فيه وقصده له ؛ ويأمر خلفاءه على الصلاة بالافتراق في سائر الجوامع وبقية المنابر ؛ بعد الأمر بجمع المؤذنين والمكبرين ، وإحضار القوام والمرتبين ، في أتم أهبة وأجمل هيئة ، بقلوب مستشعرة للخشوع ، متصدية للدموع ؛ وأتسن بالتسبيح والتقدیس منطلقه ، وآمال في حسن الجزاء وجزيل الثواب منفسحة ، حتى تعبر ألسنتهم إذا أقرعوا الخطب وافتتحوا الكلم عن مكنون ضمائرهم ، ومضمون سرائرهم ؛ فتجىء المواعظ بالغة ، والزواجر ناجعة ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بمراعاة المساجد ، وتعهد الجوامع ؛ وسد خللها ، ولم شعثها ؛ فإنها مقام عزه ونفخه ، ومحاضر صيته وذكره ؛ ومراكز أعلام الدين الخالقة ، ومطالع شمس الإسلام الشارقة ؛ ومواقف الحق المشهوده ، وقواعد الإيمان الموطوده ؛ مما لا يتضعض أحدها إلا تتضعض من أركان الإسلام له ركن ، ولا آلتات بعضها إلا آلتات من أعضاء الدين عضو ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

(١) جمع مقوم وفي اللسان « المقوم الخشبة التي يسكها الحراث » ولعله يريد أنها آلات عزه ونفخه .

وأمره في خُطْبته بكثرة التحفُّظ ، وعند آفتاحه وأختتامه بطول التيقُّظ ؛
 فإن العيون به منوطة ، والأعناق إليه ممدودة ؛ والمسامع فارغة تتلقَّف ما يقوله ،
 والقلوب فارغة لحفظ ما يُسَدِّد وما يُعِيد ؛ فقليل الزَّلَل ، في ذلك الموقف كثير ،
 وصغير الخَطَل ، في ذلك المقام كبير ؛ والله تعالى يُسَدِّده إلى المحجَّة الوسطى ،
 ويقفُّ به على الطريقة المثلى ، بمنه .

وأمره بالسكينة في آتصابه للصلاة الجامعة ، وتقدُّمه لفضاء الفروض اللازمة ؛
 وأن يسكن [في كلِّ] حدٍّ من حدودها في الرُّكوع والسُّجود ، والقيام والقعود ؛
 فإنه عليها محاسب ، وبما يلحق من يَأْتُمُّ به في جميعها مُطالب ؛ وأن يفتِّر قلبه
 لما يتلوهُ من البيان ، ويرفع صوته بما يترتبه من قوارع القرآن ؛ مرَّ تلا لقراءته ،
 ومُسْتَرَسِلاً في تلاوته : ليشترك في سَماعها الأقرب والأقصى ، ويتنفع بمواعظها
 الأبعد والأدنى ، بعد إخلاص سرِّه وانتراعه ، وتسويته في الطهور بين يديه
 وخافيه ، وغائبه وحاضره ؛ فليس بالطاهر عند الله تعالى من يُصيب بالماء أطرافه ،
 وأدرن بالخباثتِ شغافه ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ
 مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
 عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يقيم الدعوة على منابر أعماله القاصية والدانية والغائبة والحاضرة
 لأمر المؤمنين ؛ ثم للنهوض عنه بالأعباء ، والقائم دونه في البأساء والضراء ؛ الذي
 عُذِّي بلبان الطاعة ، وأتقاد بزمام المتابعة ؛ بهاء الدولة ؛ ولولاة الأعمال من بعده
 الذين يدعى لهم على المنابر ، ما يكون منها على العادة الجارية فيها ، فإنها دعوة تلزم
 إقامتها ، وكلمة تجبُّ إعادتها ؛ إذ كانت متعلقة بطاعة الله عزَّ وجلَّ ، وقد أوجبه الله

تبارك وتعالى على كافة المسلمين وجميع المعاهدين، إذ يقول [وهو] اصدق القائلين :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ؛ وعائذتها
 نعمهم، وفائدتها تشملهم؛ إذ كان صلاح الرعية مقرونا بصلاح راعيها، وفساد
 الأمة منوطا بفساد راعيها .

وأمره باستخلاف من يرى استخلافه على الصلاة في الأقطار والأطراف والنواحي
 والبلدان ، وأن يختار من الرجال كل حسن البيان ؛ مصقع اللسان ؛ بليغ الريق إذا
 خطب ، بليغ القول إذا وعظ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحنجته لك وعليك ؛ قد أعذر فيه وأنذر ، وهدى
 من الضلالة وبصر ؛ وأعلقك زمام رشدك وغيك ، وقلدك عنان هلكك وفوزك ؛
 وخيرك في كلا الأمرين ، ووقفك إزاء الطريقين ؛ فإن سلكت أهداهما لم تلبث أن
 تعود غائبا ، وإن ولجت أضلها فغير بعيد أن تشوب نادما ؛ وأستعين بالله يعنك ،
 وأسترده من الكفاية يزدك ؛ وأستليسه الهداية يلبسك ، وأستدله على نجاح
 المطالب يذكلك ، إن شاء الله ، والحمد لله وحده .

ومنها — نظر الأوقاف .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله -
 للحسين بن موسى العلووى ، وهى :

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن
 موسى العلووى ، حين طابت منه العنصر ، ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر ؛ جمع
 إلى شرف الأعراق الذى ورثه ، شرف الخلق الذى اكتسبه ؛ ووضعت آثار دينه

وأمانته ، وبانت أدلة فضله وكفايته ، في جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من الأعمال ، وحمله إياه من الأثقال ؛ فأضاف إلى ما كان ولآه من [ذلك] النظر في الوقوف التي كانت يد فلان فيها بالحضرة وسوادها ، ثقة بسداده ، وسكونا إلى رشاده ؛ وعلمنا بأنه يعرف حق الصنيعه ، ويرعى ما يستحفظه من الوديعه ؛ ويجرى في المنهل الذي أحده أمير المؤمنين منه ووكل إليه . والله يمد أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما تحاه وتوحاه ، ويؤمنه في عاقبه الندم فيما قضاه وأمضاه ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين ، وشعار المؤمنين ، وأن يعتقدها في سره ونجواه ، ويعملها الذخيرة لأولاه وأخراه ؛ ويتجنب الموانع المونية ، ويتوقى الموارد المرية ؛ وينص طرفه عن المطامع المغوية ، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية ؛ فإنه أحق من فعل ذلك وآثره ، وأولى من اعتمده وأستشعره ؛ بنسبه الشريف ، ومفخره المنيف ؛ وعادته المشهورة ، وشا كلته الماثورة ؛ وتلاوة كتاب الله الذي هو وعرة رسول الله الثقلان المخلفان في الأمة ، وقد جمعته ،^(١) وأخرهما الأنساب وجمعه والثاني عصمة أولى الألباب ، وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه ، وأنه غضن من دوحة أمير المؤمنين ، التي تحداها الله بالإندار قبل الخلائق أجمعين ؛ إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . وقد حصّ تبارك وتعالى على التقوى ، ووعد عباده عليها الزلفى ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بالإشتغال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف مستنفدا طوقه في عمارتها ، مستفرغا وسعته في مصلحتها ؛ دأباً في أستغلالها وتشميرها ، مجتهداً

(١) هذه الجملة هكذا في الأصول وهي غير مستقيمة .

في تدبيرها وتوفيرها ؛ وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يُخرج منه للنفقة على حفظ أصله ، وأسند راحلته ؛ والمثونة الراتبية للقوام عليه ، والحفظة له ؛ إلى أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوهها التي سبل لها ، ووقف عليها ؛ واضعاً جميع ذلك مواضعه ، موقعا له موقعا ؛ خارجاً إلى الله من الحق فيه ، مؤدياً الأمانة إليه ؛ وأن يُشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ، ويكتب البرات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ؛ ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفعه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه منها إلى أهلها ؛ ويُجرجه منها في حقوقها وأبواب ربها ، وسائر سبلها ووجوهها ؛ سالكاً في ذلك مذهبه المعروف في أداء الأمانة ، واستعمال الظلف والتراهه ؛ معقبا على من كان ناظراً فيها من الخونة الذين لم يرعوا عهداً ، ولم يتصونوا عن سحت المطاعم ، وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور بالرشاد ؛ معلوم منه نصيحة الأصحاب ، والضبط للحساب ؛ وتفويض ديوان الوقوف وتدييره إليه ، وتوصيته بصيانة ما شتم عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحجج وكثيرها ؛ وأن يحتاط لأربابها في حفظ رؤسومها ومعاملاتها ، وحراسة طسوقها ومقاسماتها ؛ حتى لا يستمر عليها حيف يبق أثره ، ولا يتغير فيها رسم يُحاف ضرره ؛ وأن ينصف الأكرة فيها والمزارعين ، وسائر المخالطين والمعاملين ؛ ولا يحشمهم حيفا ، ولا يسومهم خسفاً ؛ ولا يُغضي لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا ما عادت الساحة به بزيادة عماراتهم ، وتأليف نياتهم ، واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ؛ فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة ، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قسوم أمين ؛ يخزن حجج هذه الوقوف وسجلاتنا ، وسائر دفاترها وحسباناتها ؛ فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها

جُهدَه؛ ففتى شَكَّ في شرط من الشروط، أو حَدَّ من الحدود؛ أو عَارَضَ مُعَارِضَ،
 أو شَاغَبَ مُشَاغِبَ، في أَيَّامِ نَظَرِهِ وَأَيَّامِ مَنْ عَسَى أَنْ تُنْقَلَ وَلايَهُ هَذِهِ الْوُقُوفِ إِلَيْهِ،
 وَيُنَاطَ تَدْيِيرُهَا بِهِ، دَفَعَ مَا يَجِدُ مِنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي هِيَ مَعَارِفُ الْبُرْهَانِ،
 وَقَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ؛ وَإِلَيْهَا الْمَرْجِعُ فِي كُلِّ بِنْتَةٍ تُنْصَرُ وَتُقَامُ؛ وَشُبْهَةٌ تُدْحَضُ وَتُضَامُ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ووثيقته الحاصلة في يديك ؛ فاتبع آثار أواصره ،
 وأزدجر عن نواهيهِ وزواجره ؛ وأستمسك به تتج وتسلم ، وأعمل عليه تفز وتغتم ؛
 وأسترشد الله يرشدك ، وأستهد بهدك ؛ وأستعين به ينصرك ، وفوض إليه يعصمك ؛
 إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(مما يكتب من ديوان الخلافة لأرباب السيف التقليد . وهي لمن دون
 أرباب العهود في الرتبة ، وليس لأفتتاحها عندهم ضابط)

وهذه نسخة تقليد بحماية الكوفة ، لأبي طريف بن عليان العقيلي ، من إنشاء
 أبي إسحاق الصابي ، وهي :

قد رأينا تقليدك - أطل الله بقاءك - الحماية بالكوفة وأعمالها وما يجري معها
 ثقةً بشهامتك وغنائك ؛ وسكوناً إلى استقلالك ووفائك ، واعتقاداً لإصطناعك
 وأصطفائك ؛ وحسن ظن بك في شكر ما يسدي إليك ، ومقابلته بما يحق عليك ؛
 من الأثر الجميل فيما تولاه ، والمقام الحميد فيما استكفاه ؛ فتول - أيدك الله - ذلك
 مقدماً تقوى الله ومراقبته ، ومستمداً توفيقه ومعونته . وأحرس الرعية في مساكنها ،
 والسابلة في مسالكها . وأدفع عن عمالك ونواحيه أهل العيث جميعاً ، وأطلبهم طلباً

شديداً ، وأطرقهم في مكانهم ، وتَوَجَّحَ عليهم في مظانهم ؛ ونكَّلَ بمن تظفَّرَ به منهم
نكلاً يُقيم به حُكْمَ الله عليهم ، وحدودَه في أمثالهم ؛ وبالغُ في ذلك مبالغةً تُحيف
الظَّئِنِ وتُوجِّسُه ، وتؤمِّن السَّليم وتؤنِّسُه . وراعى الأكرَّةَ والمزارعين حتى يَنبَسِطُوا
في معاشهم ، ويتصرفوا في مصالحهم ؛ وتيسرَ عوامِلهم في عماراتها ، ومواشيمهم
في مسارحها ؛ ومتى طُرِدَتْ لأحدٍ منهم طريدةٌ أو امتدَّتْ إليهم يدٌ عاتيةٌ ، أرتجعتْ
ما أخذَ له ، ورددته بعينه أوقمةً مثله . وحفَّفَ عن وُلَّتِ عليه الوطأةُ ، وأرفعَ
عنهم المِثونةَ والكلفةَ ؛ وحُدِّمَ بالتناصُفِ ، وأقبِضَهم عن التظالمِ ، وأمنعَ قويمهم من
تُحيفِ المضعوفِ ، وشربفهم من استِضامةِ المشرُوفِ ؛ وأولِّمَ من عدلك وحسن
سيرتك ، واستقامةِ طريقتك ، ما يتصل عليه شُكرك ، ويطيبُ به ذِكْرُك ؛ ويقتضى
لك دوامَ الولاية ، وتضاعفَ العناية .

وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِيمَا وُلِّيتَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مُتَضَمِّنٌ لِلْمَالِ وَالْدَّمِ ، وَمَأْخُودٌ بِكُلِّ
مَا يَهْمُكَ مِنْ ذِمَّةٍ وَمُحْرَمٌ ؛ فليكن اجتهادُكَ في الضَّبطِ والحِمايَةِ ، وأحتراسُكَ من
الإهمالِ والإضاعةِ ، بحسبِ ذلك . وَأَكْتُبُ بِأَخْبَارِكَ عَلَى سِيَّاقَتِهَا ، وَأَتَارِكُ لِأَوْقَاتِهَا :
لِيَتَّصِلَ لَكَ الْإِحْمَادُ عَلَيْهَا ، وَالْمَجَازَةُ عَنْهَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .^(١)

النوع الثالث

(مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يكتب
لأرباب الوظائف ببغداد من أصحاب الأقاليم)

وهي على ضربين :

(١) من أحده استبان له أنه مستحق للحمد .

الضرب الأول

(العُهود)

ورسّمها على نحو ما تقدّم في عهود أرباب السيف ، تفتّح بـ «هَذَا مَا عَهْدٌ»
إلى آخر الترتيب المتقدم ذكره .

وهذه نسخة عهد بولاية قضاء حاضرة بغداد وسائر الأعمال ؛ كُتِبَ به المسترشدُ
بالله لقاضي القضاة أبي القاسم عليّ بن الحسين الزينبي ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله أبو منصور الفضل ، الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين ،
إلى قاضي القضاة عليّ بن الحسين الزينبي : لَمَّا تَأَمَّلَ طَرِيقَتَهُ ، وَشَخَّذَ عَقِيدَتَهُ ؛
وَأَحْمَدَ مَذَاهِبَهُ ، وَأَرْتَضَى ضَرَائِبَهُ ؛ وَتَكَاثَرَتْ دَوَاعِيهِ ، وَحَسُنَتْ مَسَاعِيهِ ؛ وَوَجَدَهُ
عِنْدَ الْإِخْتِبَارِ ، وَفِي مِضْمَارِ الْأَعْتِبَارِ ، رَاجِعًا إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَدِينٍ مَتِينٍ ؛ وَأَمَانَةٍ
مَشْكُورَةٍ ، وَنَزَاهَةٍ مَجْبُورَةٍ ؛ وَوَرَعَ ثَمَرَ الْمَشْرِعِ ، عَارٍ مِنْ دَنَسِ الْمَطْمَعِ ؛ وَعِلْمٌ تَوَفَّرَ مِنْهُ
قِسْمُهُ ، وَأَصَابَ فِيهِ سَهْمُهُ . وَحِينَ رَاعَى فِيهِ مَوْرُوثَ شَرَفِ النَّسَبِ ، إِلَى شَرَفِ
الْعِلْمِ الْمَكْتَسَبِ ، مَعَ مَسَلَفِ لَبِيئَتِهِ مِنَ الْحُرْمَاتِ الْمُرْعِيَةِ الْمَتَأَكَّدَةِ ، وَالقُرْبَاتِ الْمَرْضِيَّةِ
الْمَتَمَهَّدَةِ ؛ وَالسَّوَابِقِ الْمُحْكَمَةِ الْمَرَاتِرِ ، الْحَمِيدَةِ الْمَبَادِيِّ وَالْمَصَابِرِ ؛ فَقَلَّدَهُ قِضَاءَ الْقِضَاةِ
بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ الْأَمْصَارِ ، فِي الْآفَاقِ وَالْأَفْطَارِ ؛ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا وَقُرْبًا ؛
إِنَافَةً بِهِ إِلَى مَا أَصْبَحَ لَهُ مَسْتَحَقًّا ، وَأَسْتَمَّرَ اسْتِجَابُهُ مَسْتَرَقًّا ؛ وَجَدَّابًا بَضْبَعَهُ إِلَى
مَا يَتَحَقَّقُ نُهْوُضَهُ بِأَعْبَانِهِ ، وَحُسْنَ اسْتِقْلَالِهِ بِهِ وَغَنَائِهِ ؛ وَأَقْتَفَاءً لِأَنَارِ الْأُمَّةِ الرَّاشِدِينَ
فِي إِيدَاعِ الْوَدَائِعِ عِنْدَ مَسْتَحَقِّهَا ، وَتَفْوِيضِ الْأُمُورِ إِلَى أَكْفَائِهَا وَأَهْلِهَا ؛ لِاسِيَّ
أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِهِمْ ، وَأَعْدِيَاءِ نِعْمَتِهِمْ ؛ الَّذِينَ كَشَفَتْ عَنْ سَجْفِ خَبْرَتِهِمُ التَّجَارِبَ ، وَوَرَدُوا
مِنَ الْخِلَالِ الرَّشِيدَةِ أَعْدَبَ الْمَشَارِبِ ؛ وَاتَّهَجُّوا الْجَدِّدَ الْوَاضِعَ ، وَتَقَبَّلُوا الْخُلُقَ

الصالح ، والله سبحانه يَقْرُنُ عِزَّتَهُ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ رَأْيٍ يَرْتَبِيهِ ، وَأَمْرُهُ يُؤْمَهُ وَيُنْتَجِيهِ ؛ وَيَصَدِّقُ مَخِيلَتَهُ فِي كُلِّ حَالٍ يَأْتِيهَا ، وَيُضِي عِزْمَهُ فِيهَا ؛ وَمَا تَوَفَّقُهُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أمره بتقوى الله التي لا يسعد أحدٌ إلا بالتسكُّ بسببها ، ولا يشقُّ إلا مع إضاعتهَا ؛ فَإِنَّهَا الْجَنَابُ الْمَرْبِيعُ ، وَالْمَعْقِلُ الْمَنْبِعُ ؛ وَالنَّجَاةُ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ ، وَالْعُدَّةُ النَّافِعَةُ فِي الْمَعَادِ وَالْمَحْشَرِ ؛ وَالْعِصْمَةُ الْحَامِيَةُ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَحَابِلِهِ ، الْمُنْقِذَةُ مِنْ أَشْرَاكِهِ وَحَبَائِلِهِ ؛ وَبِهَا تُمَحَّصُ الْأَوْزَارُ ، وَتُنَالُ الْأَوْطَارُ ؛ وَتُدْرَكُ الْمَارِبُ ، وَتَبْجَحُ الْمَطَالِبُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وأمره باستشعار خشية الله سبحانه في قوله وفعله ، واختلاف أطواره وأحواله ؛ وَتَذَكُّرُ مَا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ ، وَوَأْفَادُهُ إِلَيْهِ : يَوْمَ ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ . فلا يقوده الهوى إلى أتباع شهوه ، أو إجابة داعي هفوة أو صبوه ، إلا كان الخوف قادعه ، والحذر مانعه ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ التَّوَاضُّعَ وَالْوَقَارَ شَيْئَةً ، وَالْحِلْمَ دَأْبَهُ وَخَلِيقَتَهُ ؛ فَيَكْظِمُ غَيْظَهُ عِنْدَ أَحْتِدَامِ أَوَارِهِ ، وَأَضْطِرَامِ نَارِهِ ؛ مَجْتَنِبًا عِزَّةَ الْغَضَبِ الصَّائِرَةِ إِلَى ذَلَّةِ الْإِعْتِدَارِ ، وَمَتَوَخِّيًا فِي كُلِّ حَالٍ لِلْقَاصِدِ السَّلِيمَةِ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ . وَأَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ غَيْرِهِ تَأَمُّلٌ مَنْ جَعَلَهَا لِنَفْسِهِ مِثَالًا ، وَأَتَّخَذَهَا لِنَسْجِهِ مِثْوَالًا ؛ فَمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْهَا فَيَأْتِيهِ ، وَمَا كَرِهَهُ فَيَجْتَنِبُهُ ؛ غَيْرَ نَاهٍ عَمَّا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَا آمِرٍ بِمَا هُوَ مُجَانِبٌ لِفِعْلِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ جَلَّتْ عِظَمَتُهُ : ﴿ أَمَّا مَرُونَ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَتَسْوُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله مواظبا، والإكثار من قراءته دائما؛ وأن يجعله إماما يقتفيه، ودليلا يتبعه فيهديه؛ ونورا يستضيء به في الظلمات، وهاديا يسترشده عند اعتراض الشبهات؛ وموقفا يستند إليه في سائر أحكامه، وحصنا يلجأ به في نقضه وإبرامه؛ عاملا بأوامره، ومزدهرا بزواجره؛ ومنعيا نظره في محكم آياته، وصادع بيناته؛ ومعملا فكره في خوض غماره، وأستخراج غوامض أسراره؛ فإنه الحق الذي لا يبور متبعه، والمتجر الذي لا يبور مبتضعه؛ والمنار الذي به يقتدى، والمنهج الذي بأعلامه يهتدى؛ والمصدر الذي تغرى به الأمور في ملئ الإشكال، وتشرع معه الأحوال المستبهمة في ورود الوضوح السلسال؛ وينبوع الحكمة الذي ضرب الله فيه الأمثال؛ وفرق فيه بين الحرام والحلال، والهداية والضلال؛ قال الله سبحانه: ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بدراسة السنن النبوية صلوات الله على أصحابها، والافتداء بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي ندب إليها، وحض عليها؛ وتتبع ما يتداخلها من الأخبار الجريئة، والروايات غير الصحيحة؛ والفحص عن طرقها وإسنادها، وتمييز قويمها وميادها؛ والبحث عن رواياتها، منحوزها وثقاتها؛ فألفاه بريئا من الطعن، آمنا من القدح والوهن؛ عاريا من ملابس الشك والإرتياب، عاطلا عن حل الشبهة والأغتياب، أتبعه وأقتفاه، وتمثله وأحتذاه؛ وكان به حاكما، ولادواء الباطل باتباعه حاسما؛ وما كان مترجحا بين كفتي الشك واليقين، ولم تبد فيه محابيل الحق المئين، جعل الوقف حكمة، وردع عن العمل به عزمه؛ إلى أن يوضح الحق فيه، فيعتمد ما يوجبُه ويقتضيه؛ فإنه - عليه السلام - الداعي إلى الهدى، والرحمة

(١) أي مترددا ومتذبذبا . انظر اللسان والقاموس .

التي عصم الله بها من عوادي الردى؛ والهادي الذي لم يفصل بين العمل بفرائض كتابه وسننه في قوله تقدست أسماؤه، وحلت آلاؤه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وأمره بإقامة الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها، والمبادرة إليها قبل فواتها؛ والإتيان بشرائطها المحدودة وأركانها .

وأمره بمجالسة العلماء، ومباحثة الفقهاء؛ ومناقشة ذوى البصيرة والفهم، والفطنة والحزم؛ ومشاورتهم في عوارض الأمور المشككة، وسوانح الأحكام المستتمة المعضلة؛ حتى يصرح محض رأيه وآرائهم عن زبدة الصواب، وتنتج أفكارهم باستجماعها نظراً شافياً بالجواب، رافعاً عنه منسدل الحجاب؛ وإن في ذلك تلجاً للصدور، واستظهاراً في الأمور؛ واحترافاً من دواعي الزلل، واستمرار الخلل؛ وأمناً من غوائل الأفراد، وحطاً للتعويل على الاستبداد؛ فلرب ثقة أدت إلى تجمل، وأمن أفضى إلى وجل؛ وما زالت الشورى مقرونة بالإصباح، محكمة عمرى الحق وأسبابه؛ حارسة من عواقب الندم، داعية إلى السلامة من زلة القدم؛ وقد أمر الله نبيه صلى الله وسلم عليه، وأزلف محله لديه، بالاستظهار بالمشاورة مع عظم خطره، وشرف قدره؛ فقال: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ .

وأمره أن يختار للحكم الأماكن الفسيحة الأرجاء، الواسعة الفضاء؛ وينظر في أمور المسلمين نظراً تفتقر شعور العدل فيه، وتلوح خشية الله من مطاويه؛ فيوصل إليه كافة الخصوم، ويبرز لهم على العموم؛ غير مشدد حجاب، ولا مرتج دون المترافعين إليه بابه؛ وأن يولي كلاً من الإقبال عليه، وحسن الإصغاء إليه، ما يكون بينهم فيه

مساويًا، ولهم في تجميع الموازنة حاويًا؛ ولا يُعطى من ألتفاتِهِ [إلى] الشريف لشرفه،
 وذى الشارة الحسنة من أجل تويهِ ومِطْرَفِه ، ما ينعته من تَقَحُّمِه العيون، وتَرَجِّم
 في نُحْمولِه الظُّنُونُ : فإنَّ ذلك مُطْمَع لذي الرِّوَاءِ في دَفْعِ الحَقِّ إذا وجب عليه،
 وأتَمَّاسِ الباطل وإن ضَعُفَتِ الدَّوَاعِي إليه؛ مَوْيَسُّ لذي انْجَمُولِ من الِاتِّصَارِ
 لحَقِّه، وإن أسْفَرَ صَبِحُ يَقِينِه ونَطَقَتِ أُنْسَةُ أَدْلَتِه؛ فالنَّاسُ وإن تَبَّأْنُوا في الأَقْدَارِ
 والقِيَمِه، وتَفَاوَتُوا في الأَرْزَاقِ المَقْسُومِه، فالإِسْلَامُ لهم مَجْتَمَعٌ، والحَقُّ أَحَقُّ أن
 يَتَّبَعَ؛ وهم عند خَالِقِهِمْ سَوَاءٌ إِلَّا مَنْ مِيزَتْهُ التَّقْوَى، وتَمَسَّكَ بِسَبِيحِهَا الأَقْوَى؛
 قال اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . وقال تَعَالَى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
 أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

وأمره أن يتأمل أحوال المترافعين إليه، والخصوم لديه؛ ويتطلب ما وقع نزاعهم
 لأجله في نص الكتاب، ويعدل إلى السنة عند عدمه من هذا الباب؛ فإن قُتِدَ
 من هذين الوجهين، فيرجع إلى ما اختاره السلف المهتدون، وأجمع عليه الفقهاء
 المجتهدون؛ فإن لم يُلَفَّ فيه قولًا ولا إجماعًا، ولا وجد إليه طريقًا مستطاعًا، أعمل
 رأيه وأجتهاده، وأمتطى ركب وسعه وجياده؛ مستظهرًا بمشورة الفقهاء في هذه
 الحال، ومستخلصًا من آرائهم ما يقع عليه الاتفاق الآمن الاعتلال : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ
 الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ .

وأمره باستعمال الأناة عند الحكومات، واستماع الدعاوى والبيئات؛ من غير
 سرعة مُخَدِّثِ خَطَلَا، ولا إفراطٍ في التأنِّي يورث مَلَلًا؛ فإنَّ الحَقَّ بينَ ذَيْنِكَ على شَفَا
 خَطَرٍ، وظَهَرِ غَرَرٍ؛ ولا سِيًّا إذا كان أحد الخصمين منطيقًا، يثق كلامه تَمَيِّقًا؛

فإنه يجلب ببلاغة نطقه مستمعه، ويغطي وجه الباطل بالفاظه الموشّعة؛ فإذا اتفق لديه ما هذا سبيله، شخّذ له غرب فطته، وأزهق غرار فكره وبصيرته؛ ومنع كلاً من الإنصات ما يجتلي وجه النصف منيرا، ويغدو لأشياخ الجور ميرا. وإن ذو اللسن روعه، وأوهمه أن الحق معه، بما يلقفه من كلام يقصر خصمه عن جوابه، ويحصر عن جداله وأستيفاء خطابه؛ مع عدم البينة المشهوده، وتعدّر الحجة الموجوده، أستعاد كلامه وأستنطقه، وأستوضح مغزاه وتحققه؛ من غير إظهار إعجاب بما يذكّره، ولا أعتار بما يطويه وينشره؛ ولا إصغاء بيدو أثر الرغائب من قواه، ولا أختصاص له بما يمنع صاحبه شرواه: ^(١) لئلا يولد ذلك له أشطاطا، ويحدث له أنظلاقاً في الخسومة وأنساطا؛ حتى إذا أبتم الحق، وأتصر الصدق؛ وقلج أحدهما بحجته، ولحن بيئته، أقر الواجب في نصابه، وأداله من جنود الظلم وأحزابه؛ وأمضى الحكم فيه بأعترا م صادق، ورأي محصد الوثائق؛ غير ملتفت إلى مراجعة الخسوم وتشاجرهم، وشكواهم وتناقيرهم؛ أعتادا للواجب، وأتتهاجا لجدد العدل اللاحب. قال الله تعالى: ﴿يَادَاؤُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

وأمره إذا أنتدب للقضاء أن يفرغ باله، ويقضى أمامه أوطاره وأشغاله؛ ويحلى من أحوال الدنيا سره، ويشرح لما هو بصدده صدره؛ فلا تترع نفسه إلى تحصيل مآرب، ولا تتطلع إلى درك مطلب؛ فإن القلب إذا أكتفتته شجونه، وأحاطت به شؤنه، كان عرضة لتشعب أفكاره، وحمله على مرّكب اضطارره الجارى بضد إيناره وأختياره؛ حرياً بالتقصير عن الفهم والإفهام، والضجر عند مشتجر الخصام.

(١) « شروى الشئ مثله » .

وأمره بالثبوت في الحدود، والإستظهار عند إقامتها بمن يسكن إلى قوله من
الشهود؛ والأحتياط من عجل يُحيل الحكم عن بيانه، أو ريث يرجيه عند وضوحه
وتبينه؛ وأن يتجافى عما لم يصرح له بذكره وشرحه، ولا يسرع إلى تصديق ساع
وإن تشبه بالناصحين في نصحهم؛ حتى يستين له الحق فيمضيه، عاملاً بما يوجهه
حكم الله فيه. وأن يدرأ من الحدود ما عترضت الشبهة دليله، وكانت شواهد
مدخوله؛ ويُقيم منها ما قامت شهوده، ولم يمكن إنكاره وجوده؛ قال الله تعالى:
مُكْرًا لِلتَّجَافِيهِ، وَمُعْظَمًا لِلتَّجَوُّزِ فِيهَا: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وأمره بتصفح أحوال الشهود المعدلين، المسموعة أقوالهم في أمور المسلمين
وأحوال الدين؛ ومواصلة البحث عن طرائقهم، وأستشفاف خلايقهم؛ مستخدماً
في ذلك سره وجهره، وواصلًا بعوان دأبه فيه بكره؛ فمن علمه سليماً في فعله،
غير ظنين في أصله؛ متحرراً في كسبه، مرضياً في مذهبه؛ حافظاً لكتاب الله سبحانه،
متمسكاً من علم الشريعة بما يلوي عن مهاوى الخطأ عنانه؛ حاليًا بالديانة المنيرة
المطالع، حامياً نفسه عن الإسفاف إلى دنايا المطامع، حاوياً من الظلف والأمانه،
والقدر والصيانه، والأحتراس والتحفُّظ، والتحرُّز واليقظ؛ ماتيِّز به على أشكاله
وأترابه، وطال مناكب أمثاله وأضرابه، فقد كملت صفاته، وأقتضت تقديمه
أدواته؛ ووجب أن يُمضى كونه عدلاً، ويجعله لقبول الشهادة أهلاً. ومن رآه عن
هذه الخلال مقصراً، وبيعضها مستظهِراً؛ وكان موسوماً بديانة مشكوره، ونزاهة
مأثوره، رضى بذلك منه قانعا، وحكم بقوله سامعا. ومن كان عن هذين الفريقين
نائياً، ولأحوالهم المبين ذكرها نائياً، ألغى قوله مطرِّحاً، وردَّ شهادته مصرِّحاً؛
فإن هؤلاء الشهود أعوان الحق على انتصاره، وحبُّ الباطل على تبثيره وبواره؛

وَمَجَّةَ الْحَاكِمِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَوَزَّرَهُ الَّذِي يَسْتَعِينُ إِلَيْهِ فِي سَائِرِ أُنْحَائِهِ ؛ فَإِذَا أُعِدَّرَ فِي آرْتِيَادِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ فِي آتْتِقَادِهِمْ ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ عَهْدَةِ الْأَجْتِمَادِ ، وَاسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ جَزَاءَ الْمَجْتَدِ يَوْمَ النَّادِ ؛ وَمَتَى غَرَّرَ فِي ذَلِكَ تَوَجُّهَاتِ اللَّائِمَةِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ قِنًّا بِنِسْبَةِ التَّقْصِيرِ فِي الْإِحْتِيَاظِ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ يُتَوَلَّى السَّرَائِرَ ، وَيَبْلُوُ خَفِيَّاتِ الضَّائِرِ ، قَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ . وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكِلَ أُمُورَ الْيَتَامَى فِي أَمْلاكَهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَمِرَاعَاةَ شُؤْنِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ ؛ إِلَى الثَّقَاتِ الْأَعْقَاءِ ، وَالْكَفَاءَةِ الْأَثْقِيَاءِ ؛ الَّذِينَ لَا تَسْتَهْوِيهِمْ دَوَاعِي الطَّمَعِ ، وَلَا يُورِدُهُمُ الْإِسْفَافُ مَوَارِدَ الطَّبَعِ ؛ وَأَنْ يَتَّبِعَ أُمُورَهُمْ وَيَتَصَفَّحَهَا ، وَيُسَارِفَهَا بِنَفْسِهِ وَيَسْتَوْضِحَهَا ؛ عَلِمَا أَنَّهُ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ مَسْئُولٌ ، فَإِنَّ عُدْرَةَ فِي إِهْمَالٍ يَتَخَلَّلُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَنْ يُوعِزَ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى أَرْبَابِهَا بِالْمَعْرُوفِ : لِيَتَهَيَّجُوا فِيهَا جَدَدَ الْقَصْدِ الْمَأْلُوفِ ؛ حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا الْحُلْمَ ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدَ وَعُلِمَ ؛ وَسَاغَ لَهُمُ التَّصَرُّفُ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَوَثِقَ مِنْهُمْ بِاسْتِدْرَارِ مَعَانِيهِمْ ، دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ مَعْرُوسَةً ، وَوَقَّاهُمْ أَيَّاهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَقْصُوصَةٍ ؛ مُسْتَظْهِرًا بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْهَا بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ؛ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وأمره بترويج الأيامى اللواتي فقدن الأولياء ، واعتدى عليهن صرف الدهر
وأساء ؛ وأضربهن طول الإزمال ، وبدت عليهن آثار الخلة في الحال ؛ فينكحهن
أكفاهن من الرجال ، ويقيم عقد نكاحهن على مهور الأمثال .

وأمره بتفويض أمر الوُوقف الجارية في نظره إلى من يأمته ويختاره ، وتقرن
بإعلانه في ارتضائه أسراره : من أهل التجربة والحياة ، ذوى الاضطلاع والغناء ؛
فإنهم أقل إلى المطامع تشوفاً ، وأبعد في عواقب الأمور نظراً وتلطفاً ؛ وأن يوسع
عليهم في الأرزاق ، فيوصلها إليهم مهتأة عند الوجوب والاستحقاق ؛ فبذلك يملك
المرء نفسه ويستصلحها ؛ ويتجنب مواقف التهم ويطرأها ؛ وتجنب عليه الحجة
إن نلم أمانه ، أو قارف خيانه ؛ مستظهِراً بترتيب المشرفين الذين خبر أحوالهم ،
وسبر أفعالهم .

وأن يتقدم إلى المستنابين قبله بالإنفاق عليها حسب الحاجة من محضوها ؛
حافظاً بما تعمد من ذلك لأصولها ؛ وجباية ارتفاعها من مظانها ؛ والتماس حقوقها
في أوانها ؛ وصرفها في وجوهها التي شرطها واقفوها ، وعين عليها أربابها وأهلؤها ؛
غير محل مع ذلك بالإشراف والتطلع ، ولا مهمل للفحص والتبليغ ؛ فمن ألفاه حميد
الأثر ، ورضى العيان والخبر ، عول عليه ، وفوض مستنيا إليه ؛ ومن وجده قد مد
إلى خيانة يده استبدل به وعزله ، جزاء بما فعله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَانًا أَيْمًا ﴾ .

وأمره أن يستخلف على ما نأى عنه من البلاد من جمع [إلى الوقار] الحلم ،
وإلى الدراية الفهم ؛ وإلى التيقظ الاستبصار ، وإلى الورع الاستظهار ؛ من
لا يضيق بالأمر ذرعاً ، ولا يحدث له مراجعة الخصوم صحراً ولا تبرماً ؛ ولا يتأدى

في أسباب الزلّة ، ولا يُفَصِّرُ عن الرجوع إلى الحقِّ إذا اتَّضح له ، ولا يكتفي بأدنى معدّلة عن بلوغ أقصاها ، ولا تهافت نفسه على طاعة هواها ، ولا يريحي الأخذ بالحجة عند انكشافها ، ولا يعجل بحكم مع اعتراض الشبهة وأكتنافها ؛ ولا يستميله إغراء ، ولا يزديه مدح وإطراء ؛ وأن يعهد بمنثل ما عهد أمير المؤمنين إليه ، ويعذر في الإجهاد بإيجاب الحجّة عليه : ليرأى من تبعه بادرة عساه يأتيها ، أو مزلفة تُناديه فيهب ملبياً لداعياها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنَّ الله شديد العقاب ﴾ .

وأمره أن يُمضيَ ما مضاه الحكم قبله ولا يتعقب أحكامهم بتأويل ، مجتنباً تتبع عثراتهم ، والبحث عن هفواتهم ؛ ومهما رُفِعَ إليه من ذلك مما الإجماع عليه موافق ، ولسانُ الكتاب والسنة به ناطق ، أمضاه وحكم به ، وإن كان مبايناً لمذهبه : فإنَّ الحكومات كلّها ماضية على اختلاف جهاتها ، مستمرة على تنافى صفاتها ؛ محمية عن التأويل والتعليل ، محروسة من التغيير والتبديل ؛ ما كان لها مخرج في بعض الأقوال ، أو وُجِدَ لها عند الفقهاء احتمال ؛ إلا أن يكون الإجماع منعقداً على ضدها ، أخذاً بالنساء وردّها ؛ فيستفرغ في إيضاحها جهده ، ويُنفق في تلافيها من الاستطاعة وُجده ، حتى يعيدها إلى مقرّها من الواجب ، ويمضيها على الحقِّ اللازب ؛ قال الله عز وجل : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وأمره أن يتخذ كتاباً بالظلف مؤسوماً ، وبأدق ما ينط به قسوماً ؛ خبيراً بما يسطره ، عالماً بما يدركه ، عارفاً بالشروط والسجلات ، وما يتوجه نحوها من التأويلات ، ويتداخلها من الشبهة والتليسات ؛ مطلعاً على أسرارها وعلالها ، وتصاريف حيلها ؛ متحرراً في كل حال ، متترها عن مذموم الفعال ؛ متخذاً خشية

الله شعارا ، مُسْبِلًا دُونَ عَصِيَانِهِ مِنَ التَّقِيّ أَسْتَارَا : فإنها نظاماته التي يَرْجِعُ إليها ، وَيَدُّهُ التي يَبْطِشُ بها وَيَعُولُ عليها ؛ ومتى لم يكن له من نَفْسِهِ وازع ، ولا من عَقْلِهِ وَدِينِهِ رَادِع ؛ لم يُؤْمَنْ أن تَدَبَّ عَقَارُبه لَيْلًا ، وَيَسْحَبَ عَلَى الغَوَائِلِ وَالْمُؤَبِّقَاتِ ذَيْلًا ؛ فَيَعِمُّ الضَّرْرُ بِمَكَانِهِ ، وَيُسْرِعُ أَذَاهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ حَدَّ سِنَانِهِ . وَأَنْ يَخْتِجِرَ حَاجِبًا طَاوِيًا كَشَحَهُ دُونَ الْأَشْرَارِ ، جَامِعًا لِأَدَبِ الْأَخْيَارِ ؛ مُدْرِعًا جِلْبَابَ الْحَيَاءِ ، طَلَّقَ الْوَجْهَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ؛ سَهَّلَ الْجَانِبَ لِيَنَّهُ ، مَسْتَشْعِرِ الْخَيْرِ مَتَيْقَنَهُ ؛ غَيْرِ مُتَجَهِّمٍ لِلنَّاسِ ، وَلَا مُعَامِلِهِمْ بِغَيْرِ الْبَشَاشَةِ وَالْإِيْنِاسِ ؛ فَإِنَّهُ الْبَابُ إِلَيْهِ ، وَالْمَعْتَمَدُ فِي لِقَائِهِ عَلَيْهِ ؛ فَلْيَنْتَخِبْهُ آتِنَابَ مَنْ عِلْمٌ أَنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ خَيْرُ زَادٍ ، وَأَنْفُسُ ذُخْرُ وَعْدَادٍ ؛ وَرَأَى طَيْبَ الْمُحَمَّدَةِ أَجْمَلَ كَسْبٍ مُرَادٍ ، وَحَظَّ مَجْسَدَ مُسْتَفَادٍ . ومتى كان عن هذه الخلالِ مُتَخَلِّيًا ، وَبِخِلَافِهَا مُتَحَلِّيًا ، أَعْتَاضَ عَنْهُ بِنِ هُوَ أَسْلَمٌ غِيَا ، وَأَمْنٌ رِيَا ، وَأَنْقِيَّ جِيَا ، وَأَقْلُ عِيَا ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَسَلَّمَ دِيوَانَ الْقَضَاءِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْوَنَائِقِ وَالْكَفَالَاتِ ، وَالْمَحَاضِرِ وَالْوَكَالَاتِ ؛ بِمُحَضَّرٍ مِنَ الْعُدُولِ لِيَكُونُوا لَهُ مَشَاهِدِينَ ، وَعَلَيْهِ شَاهِدِينَ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ خَزَانَهَا مِنْ يَرْتَضِيهِ ، بِاجْتِمَاعِ أَدْوَاتِ الْخَيْرِ فِيهِ ؛ عَامِلًا فِي حِفْظِهَا بِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَمَانَةُ الَّتِي أَشْفَقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْهَا ، وَأَقْرَرْنَ بِالْعِزِّ عَنْهَا ؛ مُتَحَرِّيًا مِنْ أَمْرِ يَبُوءُ مَعَهُ بِالْأَمْنَامِ ، فِي دَارِ الْمَقَامِ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِمِرَاعَاةِ أَمْرِ الْحِسْبَةِ فَإِنَّهَا أَكْبَرُ الْمَصَالِحِ وَأَهْمُهَا ، وَأَجْمَعُهَا لِنَفْعِ النَّاسِ وَأَعْمُهَا ؛ وَأَدْعَاهَا إِلَى تَحْصِينِ أَمْوَالِهِمْ ، وَانْتِظَامِ أَحْوَالِهِمْ ؛ وَحَسْمِ مَوَادِّ الْفَسَادِ ،

وَكَفَّ يَدَهُ عَنِ الْأَمْتِدَادِ ؛ وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُسْتَنَابِ فِيهَا بِمُدَاوِمَةِ الْأَطَّلَاعِ عَلَى كَمِيَّةِ الْأَسْعَارِ ، وَالْفَحْصِ عَنِ مَادَّةِ الْخُلُوقَاتِ فِي الْأَتْقَاعِ وَالْإِسْتِمْرَارِ ؛ وَمَوَاصِلَةِ الْجُلُوسِ فِي أَمَاكِنِ الْأَقْوَاتِ وَمَطَانِّهَا : لِيَكُونَ تَسْعِيرُهَا بِمَقْتَضَى زِيَادَتِهَا وَقُصَانِهَا ؛ غَيْرَ خَارِجٍ فِي ذَلِكَ عَنِ حُدِّ الْأَعْتِدَالِ ، وَلَا مَائِلٍ إِلَى مَا يُخَيِّفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنْ إِكْثَارٍ وَإِقْلَالٍ ؛ وَأَنْ يُرَاعِيَ عِيَارَ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ ، لِيُمَيِّزَ ذَوِي الصَّحَّةِ مِنَ الْمَطْفُفِينَ ؛ فَيَقُولُ لِمَنْ حَسُنَ آخِتَابُهُ [مَرَّ] حَىٰ وَيُقَابِلَ مَنْ سَاءَ آخِتَابُهُ بِمَا يَجْعَلُهُ لِأَمثَالِهِ رَادَعًا ، حَتَّىٰ يَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَتَجَنَّبُوا التَّطْفِيفَ بِقَلْبٍ مِنْ إِضْمَارِ الْمَعَاوِدَةِ سَلِيمٍ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَلِّ لِلطَّافِّينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ؛ وَفَقَّكَ [فِيهِ] عَلَىٰ مَنَهِجِ الصَّلَاحِ ، وَأَعَلَّقَكَ مِنْهُ إِنْ اتَّبَعْتَهُ بِأَسْبَابِ النَّجَاحِ ؛ وَأَدَّرَ بِهِ عَلَيْكَ خِلْفَ السَّعَادَةِ إِنْ أَمْرِيَّتَهُ بِيَدِ الْقَبُولِ ، وَجَمَعَ لَكَ مَعَ آخِتَابِهِ بَدَائِدَ الْمَأْمُولِ ، وَعَطَفَ لَدَيْكَ مَتَى تَمَثَّلَتْهُ شَوَارِدُ السُّوْلِ ؛ وَأَوْجَدَكَ ضَالَّةً مُتَاعِكَ إِنْ أَصْغَيْتَ إِلَيْهِ سَامِعًا مُطِيعًا ، وَأَعَادَ إِنْ أَثْمَرْتَ بِأَوَامِرِهِ شَمْلَ أَقْوَالِكَ جَمِيعًا ، وَأَرَادَكَ مَرَعَى النَّجَاةِ إِنْ نَهَضْتَ بِأَعْبَائِهِ مَرِيحًا ؛ لَمْ يَدْنَحْكَ فِيهِ شَفِيفًا ، وَلَا حَقَرَكَ إِرْشَادًا وَتَعْرِيفًا ؛ خَلَعَ بِهِ رِبْقَةَ الْأَمَانَةِ عَنِ عُنُقِ اجْتِهَادِهِ ، وَأَوْصَحَ لَكَ مَا يُسْأَلُ غَدًا عَنْ فِعْلِهِ وَأَعْتَادِهِ .

فبَادِرْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ مُسْرِعًا ، وَتَمِّمْ بِالْمَحْدُودِ فِيهِ مُضْطَلِعًا ؛ وَأَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَهُ ، وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَهُ ؛ فَاغْضُضْ عَنِ مَطَالِحِ الْهَوَىٰ طَرْفَكَ ، وَأَثْنِ عَنِ أَضَالِيلِ الدُّنْيَا

(١) مرعى كلمة تقال للراعى إذا أصاب تعجباً من رعيه .

(٢) مرى الدم وأمرأه أستخرجه .

(٣) لعله مع أختراله . تأمل

الغزارة عطفك ، وأخش موقفاً تشخص فيه الأبصار ، وتعدم الأعوان والأنصار ؛
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، وتتقطع الوسائل لإلّا ممن أطاع الله وأتقاه ؛ ينعم
عوفك^(١) ، ويأمن يوم القيامة خوفاً ؛ ومهما عرض لك من شبهة لم تُلّف محرّجا منها ،
ولا صدرا عنها ، ولا وجدت لسقمها هناء ، ولدائها شفاء ، فطالع حضرة أمير المؤمنين
بحالها مستعلما ، وأنها إليه مستفتحا باستدعاء الجواب عما أصبح لديك مستغلقا
مبهما ، يُمددك منه بما يُريك صبح الحق منبججا ، وضيق الشك مُنفرجا ؛ عن علم
عنده البحر كالقياس ، إلى أوْشال الناس ؛ والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين
بالصواب ، ويمدّه بالتوفيق في سائر الآراب ؛ ويقود لمراده أزيمة جوامحها الصّعب ،
ما أنجم سخاب ، وأنجم ربّاب ، بمنه وسعة فضله .



وهذه نسخة عهد بولاية القضاء بسرّ من رأى ، كتب بها أبو إسحاق الصّابي ،
عن الطائع لله ، للقاضي أبي الحسين محمد بن قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله ،
ابن أحمد بن معروف ، حين ولّاه القضاء بسرّ من رأى وغيرها ، وما أضيف إلى
ذلك من أعمال الجزيرة ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن
قاضي القضاة عبيد الله بن أحمد ، حين عرفت الفضيلة فيه ، وتقبل مذهب أبيه ؛
ونسأ من حصنه في المنشأ الأمين ، وتبوا من سببه ونسبه المتبوا المصون ؛ ووجده
أمير المؤمنين مستحقا لأن يوسم بالصنّيعه ، والمنزلة الرفيعه ؛ على الحدّائة من سنّه ،

(١) العوف من معانيه البال والحال ومنه يقال في الدماء نعم عوفك .

(٢) يقال تقبيل فلان أباه [أى بالياء المثناة] تقبلا اذا نزع اليه في الشبه .

والغضاضة من عوده ، سامياً به في ذلك إلى مراتب أعيان الرجال ، التي لا تُدرَك إلا مع الكمال والأكتمال : لما آتس من رُشده ونجابهته ، وأستَوْضَح من عقله ولبأبته ، وأستَرَجح من وقاره وحلمه ، وأستَغزَرَ من درايته وعلمه ، وللذى عليه شيخه قاضي الفضاة عبيد الله بن أحمد من حَصَافَةِ الدِّين ، وِخْلُوصِ اليقين ، والتقدم على المتحليين بحيلته ، والمتحليين لصناعته ؛ والأستبدادِ عليهم بالعلم الحِجْم ، والمعنى الفخْم ؛ والأفتنانِ في المساعي الصالحة التي يسودُّ أحدهم بأحدها ، ويستحقُّ التَّجَاوُزَ لهم من أَسْتَوْعَبَهَا بِأَسْرَهَا ؛ وبالثقة والأمانة ، والعفة والتزاهة ؛ التي صار بها علماً فرداً ، وواحداً فداً ؛ حتى تكلفها من أجله مَنْ لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِهِ وَلَا سِنَخِهِ ، فهو المحمود بأفعاله التي أخص بها وبأفعال غيره من حذاه فيها ، وبما نَفَقَ من بضائع الخير بعد كسادها ، وبالسابقة التي له في خدمة المطيع لله أولاً ثم خدمة أمير المؤمنين ثانياً ، فإنها [سابقة] شائع خبرها ؛ وحميلٌ أثرها ؛ قوِيَّةٌ دَوَاعِيهَا ، متمكِّنةٌ أَوَاخِيهَا . وللمكانة التي خُصَّ بها من أمير المؤمنين [ومن عزَّ الدولة أبي منصور مولى أمير المؤمنين أيده الله] ^(١) ومن نصير الدولة الناصح أبي طاهر رعاه الله ؛ ومن عِظَاءِ أَهْلِ حَوَازِمِهِمْ ، وَأَفَارِيقِ عَوَامِّهِمْ وَرِعِيَّتِهِمْ ؛ فلما صدق محمد فِرَاسَةَ أمير المؤمنين ونجايته ، وأخذتْ سَبَجَايَا أَبِيهِ وَشِمَائِلَهُ ؛ وحصل له ما حصل من الحُرْمَاتِ المُنَائِلَهُ ، والمَوَاتِ المُنَاصِلَهُ ، أحرز من الأثرة على قُرب المدى ، ما لا يُحِرِّزُهُ غَيْرُهُ عَلَى بُعْدِ المَرْمَى ؛ وَأَسْتَعْنَى أمير المؤمنين فيه عن طول التَّجْرِبَةِ والأخْتِبَارِ ، وتكرَّرَ الأَمْتِحَانِ والأَعْتِبَارِ . فَقَلَّدَهُ الحُكْمَ بَيْنَ أَهْلِ سُرِّ مَنْ رَأَى ، وَتِكْرِيَتِ ، والطبرهان ، والسَّنِّ ، والبَوَازِيحِ ، ودَقُوقَا ، وَخَانِجِيَارِ ، وَالبَنْدِ بَيْعِيْنَ ، وَبوحسابور ، والرَّادَانِيْنَ ، [وَمَسْكِنِ] وَقُطْرَبُلْ ، وَنَهْرَبُوقِ ، والدين ، وجميع الأعمال

(١) الزيادة من "رسائل الصافي" .

(٢) أفاريق جمع أفراف وأفراف جمع فرقة .

المُضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ وَالْمُنَسُوبَةِ إِلَيْهِ ، وَشَرَّفَهُ بِالْخَلْعِ وَالْمُحْلَانِ ، وَضُرُوبِ الْإِنْعَامِ
وَالْإِحْسَانِ ؛ وَكَانَ فِيهَا أَعْطَاهُ مِنْ هَذَا الصَّيِّتِ وَالْمَجْدِ ، وَنَحَلَهُ مِنْ الْمَفْخَرِ الْعَدْبِ ؛
مَبْتَغِيًّا مَا كَسَبَهُ مِنْ اللَّهِ الرَّضَا وَالرِّزْقِي ، وَالسَّلَامَةَ فِي الْفَاتِحَةِ وَالْعُقْبَى ؛ وَرَاعِيًّا
لِمَا يُوجِبُهُ لِقَاضِي قُضَايَاهُ عِيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي أَخْفَى مِنْهَا أَكْثَرَ
مِمَّا أَبْدَى ، وَأَمْسَكَ عَنْ أَضْعَافِ مَا أَحْصَى ؛ وَذَاهِبًا عَلَى آثَارِ الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ،
وَالْوَلَاةِ الْمُجْتَهِدِينَ ، فِي إِقْرَارِ وَدَائِعِهِمْ عِنْدَ الْمُرْتَبِعِينَ لِحِفْظِهَا ، الْمُضْطَلَعِينَ بِجَمَلِهَا ، مِنْ
أَوْلَادِ أَوْلِيَانِهِمْ ، وَوَدْرِيَّةِ نُصَحَائِهِمْ : إِذْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْأَسْلَافِ أَنْ تَمْضَى ، وَالْأَخْلَافِ
أَنْ تَتِمَّى ؛ كَالشَّجَرِ الَّذِي يُغْرَسُ لَدُنَّا فَيَصِيرُ عَظِيمًا ، وَالنَّبَاتِ الَّذِي يَنْجُمُ رَطْبًا فَيَصِيرُ
هَشِيمًا ؛ فَالْمُصِيبُ مِنَ تَحْيِيرِ الْغُرْسِ مِنْ حَيْثُ اسْتَنْجَبَ الشَّجَرُ ، وَاسْتَحْلَى الثَّمَرُ ،
وَتَعَمَّدَ بِالْعُرْفِ مَنْ طَابَ مِنْهُ الْخَبْرُ ، وَحَسُنَ مِنْهُ الْأَثَرُ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى
تَسْهِدًا لِمُحَمَّدٍ عَائِدَتُهُ ، وَتَدْرِثًا عَلَيْهِ مَادَتُهُ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ فِي الْعَزَائِمِ الَّتِي يَعْرِضُهَا ، وَالْأُمُورِ الَّتِي
يُزِمُّهَا ، وَالْعُقُودِ الَّتِي يَعْقِدُهَا ، وَالْأَغْرَاضِ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرُهُ بِاعْتِمَادِ التَّقْوَى ، فَإِنَّهَا شِعَارُ أَهْلِ الْهُدَى ؛ وَأَنْ يُرَاقِبَ اللَّهُ مِرَاقِبَةَ الْمُتَحَرِّزِ
مِنْ وَعِيدِهِ ، وَالْمُتَنَجِّزِ لِمَوَاعِيدِهِ ؛ وَيَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنْ مَوْبِقَاتِ الْوَسَاوِسِ ، وَيُهْدِبَهُ مِنْ
مُرْدِيَّاتِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِمَا خَذَ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيَكْلِفُهَا كَلْفَ الْأَبْرَارِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْهَوَى ، وَأَضَالِيلِ الْمُنَى ؛ فَإِنَّهَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، صَبَّةٌ إِلَى
الْفِتْنَى ؛ صَادَةٌ عَنِ الْخَيْرِ ، صَادِفَةٌ عَنِ الرَّشْدِ ؛ لَا تَرْجِعُ عَنْ مَضَارِئِهَا إِلَّا بِالشَّكَاكِمِ ،
وَلَا تَتَقَادُ إِلَى مَنَافِعِهَا إِلَّا بِالْحَزَائِمِ ؛ فَمَنْ كَبَحَهَا وَشَتَّأَهَا نَجَّأَهَا ، وَمَنْ أَطْلَقَهَا وَأَمْرَجَهَا

(١) أى مائلة الى الخ . (٢) فى الأصول والرسائل وأمرجها بالهاء ولعله تصحيف فى اللسان

”وأمرجها [أى الدابة] تركها تذهب حيث شاءت“ فتنبه .

أرداها . وأولى من جعل تقوى الله دأبه وديدنه ، والحيفة منه منهاجه وسننه ؛ من
 ارتدى رداء الحكام ، وأمر ونهى في الأحكام ، وتصدى لكف الظالم ، ورد المظالم ؛
 وإيجاب الحدود ودرئها ، وتحليل الفروج وحظرها ؛ وأخذ الحقوق وإعطائها ،
 وتنفيذ القضايا وإمضاءها : إذ ليس له أن يأمر ولا يأمر ، ويحرم ولا يزدجر ؛ ويأتي
 مثل ما ينهى عنه ، وينهى عما يأتي مثله ؛ بل هو محقوق بأن يصلح ما بين جنبيه ،
 قبل أن يصلح ما رده أمره إليه ؛ وأن يهدب من نيته ، ما يحاول أن يهدب من
 رعيته ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴾ : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

وأمره بالإكثار من تلاوة القرآن الواضح سبيله ، الراشد دليله ؛ الذى من استضاء
 بمصايحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنها زلّ وغوى ؛ وأن يتخذ إماماً يهتدى بأياته ،
 ويقتدى ببيئته ؛ ومثلاً يحذو عليه ، ويرد الأصول والفروع إليه ؛ فقد جعله الله
 حجته الثابتة الواجبه ، ومجته المستبينة اللاجبه ؛ ونوره الغالب الساطع ، وبرهانه
 الباهر الناصع ؛ وإذا ورد عليه معضل ، أو غم عليه مشكل ، اعتصم به عائداً ،
 وعطف عليه لا إذا ؛ فبه يكشف الخطب ، ويذل الصعب ؛ وينال الأرب ،
 ويدرك المطلب ؛ وهو أحد الثقلين اللذين خلقهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
 وسلم فينا ، ونصبهما معلماً بعده لنا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً ﴾ . وقال تعالى :
 ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
 حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بالمحافظة على الصلوات ، وإقامتها في حقائق الأوقات ، وأن يدخل فيها
 أو أن خلوطها بإخلاص من قلبه ، وحضور من لبه ، وجمع بين لفظه ونيتته ،
 ومطابقة بين قوله وعمله ، مرتلاً للقراءة فيها ، مفصلاً بالإبانه لها ، مثبتاً في ركوعها
 وسجودها ، مستوفياً لحدودها وشروطها ، متجنباً فيها جرائر الخطأ والسهو ، وعوارض
 الخطل واللقو : فإنه واقف بين يدى جبار السماء والأرض ، ومالك البسط
 والقبض ، والمطلع على خائنة كل عين وخافية كل صدر ، الذى لا تحتجب دونه
 طويته ، ولا تستعجم عليه خيبه ، ولا يضيع أجر محسن ، ولا يصلاح عمل مفسد ،
 وهو القائل عز وجل : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ ﴾ .

وأمره بالجلوس للخصوم ، وفتح بابه لهم على العموم ، وأن يوازى بين الفريقين
 إذا تقدما إليه ، ويحاذى بينهما فى الجلوس بين يديه ، ويقسم لهما أقساماً ممتثلة
 من نظره ، وأقساطاً متعادلة من كلمه : فإنه مقام توازن الأقدام ، وتكافؤ الخواص
 والعوام ، ولا يقبل على ذى هيئة لهيئته ، ولا يعرض عن دمى لدمايته ، ولا يزيد
 شريقاً على مشروف ، ولا قوياً على مضعوف ، ولا قريباً على أجنبي ، ولا مسلماً
 على ذمى ، ما جمعهما التضام ، وضمهما التحاكم . ومن أحسن منه بقصان بيان ،
 أو عجيز عن برهان ، أو قصور فى علم ، أو تأخر فى فهم ، صبر عليه حتى يستنيط
 ماعنده ، ويستشف ضميره ، ويتق بالإنقاع غلته ، ويريح بالإيضاح غلته . ومن
 أحسن منه بلسنٍ وعبارةٍ وفضل من بلاغه ، أعمل فيما يسمعه منه فكره ، وأحضره
 ذهنه ، وقابله بسد خلة خصمه ، والإبانه لكل منهما عن صاحبه ، ثم سأل على
 أقوالها ودعاويهما تأمله ، وأوقع على بيناتهما ومججها تدبره ، وأنفذ حينئذ الحكومة
 إنفاذاً يعلمان به أن الحق مستقر مقره ، وأن الحكم موضوع موضعه ، فلا يبقى
 للمحكوم عليه استرابة ولا للمحكوم له استرادة ، وأن يأخذ نفسه مع ذلك بأظهر

الخلائق وأحمدها ، وأهدى السجايا وأرشدتها ؛ وأن يقصد في مشيه ، ويُغض
من صوته ، ويحذف الفُضول من [لفظه و] ^(١) لحظه ؛ ويحفف من حركاته ولفظاته ،
ويتوقر من سائر جنابه [وجهاته] ^(١) ، ويتجنب الخرق والحدة ، ويتوق الفُظاظة
والشدة ؛ ويلين كنفه من غير مهانة ، ويرب هيبته في غير غلظة ؛ ويتوحن في ذلك
وقوفا بين غايته ، وتوسطا بين طرفيه ؛ فإنه يخاطب أخلاطا من الناس مختلفين ،
وضروبا غير متفقين ؛ ولا يخلو فيهم من الجاهل الأهوج ، والمظلوم المخرج ؛ والشخ
الهم ، والناشئ العز ؛ والمرأة الركيكة ، والرجل الضعيف النحيزة ؛ وواجب عليه
أن يغمهم بعقله ، ويشملهم بعذله ؛ ويقمهم على الاستقامة بسياسته ، ويعطف
عليهم بحلمه ورياسته . وأن يجلس وقد نال من المطعم والمشرب طرفا يقف به عند
أول الكفاية ، ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية ؛ وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة
كلها ؛ وعوارض البشرية بأسرها : لئلا يلم به من ذلك ملم أو يطيف به طائف
فيحيلانه عن جلده ، ويحولان بينه وبين سده . وليكن همه إلى مايقول
ويقال له مصروفا ، وخاطره على مايرد عليه ويصدر عنه موقوفا ؛ قال الله تعالى :
﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .

وأمره إذا ثبت عنده حق من الحقوق لأحد من الخصوم . أن يكتب له متى
آتمس ذلك إلى صاحب المعونة في عمله بأن يمكثه منه ، ويحسم المعارضات فيه
عنه ، ويقبض كل يد تمتد إلى منازعته ، أو تتعدى إلى مجادبته ؛ فقد ندب الله

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" .

الناس إلى معاونة المحق على المبطل، والمظلوم على الظالم؛ إذ يقول عز وجل:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّوَدُّانِ﴾ .

وأمره أن يستصحب كاتباً درّبا بالمحاضر والسجلات؛ ماهرا في القضايا والحكومات؛ عالماً بالشروط والحدود؛ عارفاً بما يجوز وما لا يجوز؛ غير مقتصّر عن القضاة المستورين، والشهود المقبولين، في طهارة ذنبه، ونقاء جيبه، وتصوّنه عن حُبِّ المالِ والطمع، ومُقارفة الرّيب والتّم، فإن الكاتب زمام الحاكم الذي إليه مرّجعه، وعليه معوّله؛ وبه يحترس من دواهي الحيل، وكوامن الغيل. وحاجباً سديداً رشيداً، أديباً لبيباً؛ لا يسف إلى ذنبة ولا يلم بمنكرة؛ ولا يقبل رشوه، ولا يلتبس جعالة؛ ولا يججب عنه أحداً يحاول لقاءه في وقته، والوصول إليه في حينه. وخلفاء يرُدُّ إليهم مابعد من العمل عن مقرّه، وأعجزه أن يتولّى النظر فيه بنفسه؛ ينتخبهم من الأمانت، ويتخبرهم من الأفاضل؛ ويعهد إليهم في كلّ ماعهد فيه إليه، ويأخذهم بمثل مأخذ به؛ ويجعل لكلّ من هذه الطوائف رزقاً يكفّه ويكفيه، وقوتاً يحجزه ويغنيه؛ فليس تلزمهم الحجّة إلا مع إعطائهم الحاجة، ولا تؤخذ عليهم الوثيقة إلا مع إزاحة العلة؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَاسَعِي وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءَ الْآوْفَىٰ﴾ .

وأمره بإقرار الشهود الموسومين بالعدالة على تعديدهم، وإمضاء القضاء بأقوالهم؛ وحملهم على ظاهر السّلامه، وشعار الاستقامه؛ وأن يعتمد مع هذا البحث عن أديانهم، والفحص عن أماناتهم، والإصغاء إلى الأحاديث عنهم: من ثناء يتكرر، أو قدح يتردد؛ فإذا تواتر عنده أحد الأمرين، ركن إلى المزكّي الأمين، وبنّا عن المتّم الظنّين: فإنه إذا فعل ذلك أغتبط أهل الأمانة بأماناتهم، ونزع أهل الخيانة

عن خياناتهم ؛ وتقرّبوا إليه بما تتفق سؤفه ، ويستحقّ به التوجّه عنده ، وأستمرّ
شهوذه وأمنأؤه ، وأتباعه وخلفأؤه ، على المنهج الأوضح ، والمسلك الأنجح ؛ وتحصّنت
الأموال والحقوق ، وصيئت الحرّمت والفروج ؛ ومتى وقّف لأحد منهم على هفوة
لا تغفر ، وعثرة لا تُقال ، أسقطه من عددهم ، وأخرجه عن مجملتهم ؛ وأعتاض منه من
يحمّد دينه ، ويرضى أمانته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَحَافَنَ مِنْ قَوْمٍ حِيَانَةً فَاِنْبِذْ إِلَيْهِمْ
عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَأَيُّبُ الْخَائِنِينَ ﴾ . وقال في الشهادة : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ .

وأمره بالضبط لما يجري في عمله من الوقوف الثابتة في ديوان حكمه ؛
والتعويل فيها على الأمانة الثقات ، والحصفا الكفاة ، المعروفين بالظلف والورع ،
المتزّهين عن النطف والجشع ؛ والتقدّم إليهم في حفظ أصولها ، وتوفير فروعها ؛
وتثيّر غلاها وارتفاعها ؛ وصرفها إلى أهلها ومستحقّها وفي وجوها وسبلها ؛ ومطالبتهم
بحساب ما يجري على أيديهم ، والاستقراء لآثارهم فيه وأفعالهم ؛ وأن يحمّد منهم من
كفى وكف ، ويذم من أضاع وأسف ؛ ويُنزل كلّا منهم منزلة التي استحقّتها
بعمله ، وأستوجبها بأثره ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

وأمره بالاحتياط على أموال الأيتام ، وإسنادها إلى أعفّ وأوثق القوام ؛
والتقدّم إلى كل طائفة بأن يجريهم مجرى ولده ، ويقمهم مقام سلّته ، في الشفقة
عليهم ، والإصلاح لشؤونهم ، والإشراف على تأديبهم ؛ وتلقينهم مالا يسع المسلم
جهله من الفرائض المفترضة ، والسّنن المؤكّدة ؛ وتحرّيجهم في أبواب معاشهم ،

وأَسباب مَصَالِحِهِمْ ؛ وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَضِ أَمْوَالِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي لَاشْطَطَ فِيهِ وَلَا تَبْذِيرَ ، وَلَا تَضْيِيقَ وَلَا تَقْتِيرَ ؛ فَإِذَا بَلَغُوا مَبَالِغَ كَالِهِمْ ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدَ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِمْ ، أَطْلَقَ لَهُمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَشْهَدَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ بِمَا تَقَلَّدَهُ مِنْ الْحُكْمِ ، خَلْفًا مِنَ الْآبَاءِ لِلذَّوِي الْيَتِيمِ ؛ وَصَارَ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيْهِمْ مُسْئُولًا عَنْهُمْ ، وَجَزِيًّا عَمَّا سَارَ بِهِ فِيهِمْ ، وَأَوْصَلَهُ مِنْ خَيْرِ أَوْشُرِّ إِلَيْهِمْ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا فِي دِيْوَانِهِ مِنَ الْوَنَائِقِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْمُحَاجِّ وَالْبَيْتَاتِ ، وَالْوَصَايَا وَالْإِقْرَارَاتِ ؛ فَإِنَّهَا وَدَائِعُ الرِّعْيَةِ عِنْدَهُ ، وَوَاجِبٌ أَنْ يَحْرَسَهَا جُهْدَهُ ؛ وَأَنْ يَكْلِمَهَا إِلَى الْخَزَائِنِ الْمَأْمُونِينَ ، وَالْحَفِظَةَ الْمُتَّقِظِينَ ؛ وَيُوعِزُّ إِلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يُخْرِجُوا شَيْئًا مِنْهَا عَنْ مَوْضِعِهِ وَلَا يُضَيِّفُوا إِلَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ بَعْلَمِهِ ؛ وَأَنْ يَتَّخِذَ لَهَا بَيْتًا يَحْصُرُهَا بِهِ ؛ وَيَجْعَلُهُ بِحَيْثُ يَأْمَنُ عَلَيْهِ ؛ لِيَرْجِعَ مَتَى أَحْتَاَجَ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يُعِينُهُ فَصَلُّهُ ، وَيَسْتَبِيهِ عَلَيْهِ وَجْهَ الْحُكْمِ فِيهِ ، أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَيَطْلُبَ بِهِ سَبِيلَ الْمُخْلِصِ مِنْهُ ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَالْإِفْقَى الْأَثْرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ أَدْرَكَهُ وَإِلَّا أَسْتَفْتَى فِيهِ مَنْ يَلِيهِ مِنْ ذَوِي الْفِقْهِ وَالْفَهْمِ ، وَالْهُدَايَةِ وَالْعِلْمِ ؛ فَمَا زَالَتِ الْأُئِمَّةُ وَالْحُكَّامُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَطُرُقِ السَّنَنِ الْوَاضِحِ ؛ يَسْتَفْتَى وَاحِدًا مِنْهُمْ وَاحِدًا ، وَيَسْتَرْشِدُ بَعْضُ بَعْضًا ؛ لَزُومًا لِلْاجْتِهَادِ ، وَطَلْبًا لِلصَّوَابِ ؛

وتحرزا من الغلط ، وتوقيا من العثار ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ .

وأمره أن لا يتقضى حكما حكم به من كان قبله ولا يفسخه ، وأن يعمل عليه ولا يعدل عنه ، ما كان داخلا في إجماع المسلمين ، وسائغا في أوضاع الدين ؛ فإن خرج عن الإجماع ، أو صحَّ الحال فيه لمن بحضرة من الفقهاء والعلماء حتى يصيروا مثله في إنكاره ، ويجتمعوا معه على إيجاب رده ، ثم يتقضه حينئذ نقضا يشيع ويذيع ، ويعود به الأمر إلى واجبه ، ويستقر معه الحق في نصابه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ومجته عليك ؛ قد شرح به صدرك ، وأوضح به سبلك وأقام أعلام الهداية لك ، ولم يألُك تبصيرا وتذكيرا ، ولم يدرك تعريفا وتوقيفا ؛ ولم يجعلك في شيء من أمرك على شبهة تعترضك ، ولا حيرة تعتاقك ؛ والله شاهد له بجروجه من الحق فيما وصى وعهد ، وعليك بقبولك ما قبلت مما وثى وقلد ؛ فإن عدلت واعتدلت - وذلك خليق بك - فقد فاز وفزت معه ، وإن تجانفت وزللت - وذلك بعيد منك - فقد ربح وخسرت دونه ؛ فلتكن التقوى زادك ، والاحتراس شعارك ؛ وأستعن بالله يعينك ، وأستهده يهدك ؛ واعتضد به يعضدك ، وأستمد من توفيقه يمددك ؛ إن شاء الله تعالى .

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم كذا من رجب سنة ست وستين
(١)
وثلاثمائة] .

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" .



وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة شرقاً وغرباً ، كُتِبَ به عن الإمام الناصر لدين الله أحمد ، للقاضي محيي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان ، من إنشاء أستاذ الدار عضد الدين بن الضحَّاك ، وهي :

هذا ماعهدَ عبدُ الله وخليفته في العالمين ، المقترَضُ الطاعة على الخلق أجمعين ، أبو العباس أحمدُ الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن يحيى بن فضلان : حين سَبَرَ خِلاله وأستقرَّها ، وأعتَبَرَ طرائقه وأستبرَّها ، فألفاه رشيداً في مذاهبه ، سديداً في أفعاله وصرائبه ، موسوماً بالرَّصانه ، حاليًا بالورع والديانه ، مبرزاً من العلوم في فنونها ، عالماً بمفروض الشريعة المطهرة ومسئونها ، مُدْرِعا ملبس العفاف ، قد أناف على أمثاله في بوارع الأوصاف ؛ فقلَّده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال ، والنواحي والأمصار : شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ سُكُونًا إلى ما علم من حاله ، وأضطلاله بالنهضة المنوطة به وأستقلاله ، وركُونًا إلى قيامه بالواجب فيما أُسند إليه ، ونهوضه بعبء ماعول في حفظ قوانينه عليه ؛ وأستنامةً إلى حلول الأصبطناع عنده ، ومصادفته منه مكاناً تتبَّأه بالاستحقاق وحده ؛ والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ، ويحسن له الخيرة فيما يؤمُّه من منازم الدين وصلاح الجمهور ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكَّل وإليه يُنيب .

أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره ، وتقمُّص شعارها في إظهار أمره وإضماره ؛ فإنها العروة الوثقى ، والذخر الأبقى ، والسعادة التي مادونها فوز ولا فوقها مرقى ؛ وهي حلية الأبرار ، وسيا الأخيار ، والمنهج الواضح ، والمتجر الرابع ؛ والسبيل

المؤدى إلى النجاة والخلّاص ، يوم لا وزر ولا ت حِينَ مَنَاصٍ ؛ وأنفعُ العَدَدِ
والذخائر ، وخيرُ العتادِ يوم تُنشرُ الصُّحفُ وتبلى السُّرائرُ ؛ يومَ تُشخّصُ الأبصارُ ،
وتعدَمُ الأنصارُ : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَّابِهِمْ مِنْ قَطْرَانٍ
وَتَعَسَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارِ ﴾ . ولا ينجو من عذاب الله يومئذٍ إلا من كان زاده التقوى ،
وتمسك منها بالسبب الأقوى ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَتَزودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّادِ التَّقْوَىٰ
وَأَتَقُونَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره أن يجعل كتابَ الله إمامًا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ ، ويستصبح بيواهر أنواره ؛
ويستضيءُ في ظلمِ المشكلاتِ بِمِيزِ مِصْبَاحِهِ ، ويقفُ عند حُدُودِ مُحْظُورِهِ وَمُبَاحِهِ ؛
ويَحْتَدِيهِ مِثْلًا يَحْتَدِيهِ ، ودليلاً يَتَّبِعُ أثره فيهِدِيهِ ؛ ويعمَلُ به في قضاياه وأحكامه ،
ويقنَدِي بأوامره في تقضيه وإبرامه : فإنه دليلُ الهدى ورائدُه ، وسائقُ النَّجْحِ
وقائدُه ؛ ومعدنُ العلمِ ومَنبَعُهُ ، ومَنجَمُ الرِّشَادِ وَمَظْلَعُهُ ؛ وأحدُ الثَّقَلَيْنِ اللّذَيْنِ خَلَقَهُمَا
رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأُمَّةِ ، وَالَّذِي كَرَّمَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى تَبْيَانًا لِكُلِّ
شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً ، فقال عز من قائل : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ
وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بأنتراع الآثارِ النبويةِ صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والأهتداءِ
بُسْمُوسِهَا الَّتِي تَنْجِي بِهَا دُجَنَةَ كُلِّ مَشِئِلٍ وَظَلَامُهُ ؛ والافتداءِ بِسُنَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمَتَّبُوعَةِ ،
وتصَفُّحِ الْأَخْبَارِ الْمَسْمُوعَةِ ؛ والعملِ منها بما قامت أدلةٌ صَحَّتْهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ ،
وَأَسْتَحْكَمَتِ الثَّقَنَةَ بِقَلْبَتِهِ عَنْهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَرُؤَاتِهِ ؛ وَسَامَتِ أَسَانِيدُهُ مِنْ قَدَحِ ،
وَرِجَالُهُ مِنْ ظَنَّةٍ وَجَرَحِ ، فَإِنَّهَا التَّالِيَةُ لِلقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي وَجُوبِ الْعَمَلِ بِأوامره ،

(١) في اللسان ج ١٠ ص ٢٢٩ « أتزع بالآية والشعر تمثل ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من
كتاب الله قد أتزع معنى جيدا » .

والإتهام بَرَوادعه وزواجِهِ ؛ وهو عليه الصلاة والسلامُ الصادقُ الأمينُ الذي ماضلَ
وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ؛ وقد قرَنَ اللهُ سبحانه طاعته بطاعته ، والعملَ
بكتابه والأخذَ بسنته ؛ فقال عز من قائل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَاتَّقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره بمجالسة العلماء ، ومباحثة الفقهاء ؛ ومشاركتهم في الأمور المشيكله ،
وعوارض الحكومات المُعضله : لتستبين سبيلَ الصواب ، ويعرَى الحكم من مَلابس
الشبه والأرتياب ؛ ويُخلص من خطئ الأفراد ، وغوائل الاستبداد ؛ فالمشورة باليمن
مقرونة ، والسلامة في مطاويها مضمونة ؛ وقد أمر اللهُ تعالى بها نبيه صلى اللهُ عليه
وسلم مع شرف منزلته وكِمال عِصمته ، وتأبيده بوحيه وملائكته ؛ فقال سبحانه :
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بفتح بابه ، ورفع حجابهِ ؛ وأن يجلس للخصوم جلوساً عاقماً ، وينظر
في أمورهم نظراً حسناً تاماً ؛ مساوياً بينهم في نظره ولحظه ، وإصغائه ولقلبه ؛ محترزاً
من ذى اللسن وجرأة جنانه ، وتأنيباً بذى الحصر عند إقامة برهانه ، فربما كان
أحد الخصمين ألحنَّ بحجته ، والآخرُ ضعيفاً عن مُقاومته ؛ هذا مقامُ الفحص
والاستفهام ، والتثبت وإمضاء الأحكام : ليسلم من خديعة مُحتمل ، وكيد مُعتال ؛
مائلاً في جميع ذلك مع الواجب ، سالكاً طريق العدل الألاحب ؛ غير فارق في إمضاء
الحكم بين القوي والضعيف ، والمشروف والشريف ؛ والمالك والمملوك ، والغنيّ
والصعلوك ، قال اللهُ تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وأمره أن يتصفَّح أحوالَ الشهود، المسموعة أقوالهم في الحقوق والحُدود؛ المرجوع إلى أمانتهم، المعمول بشهادتهم؛ الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض، وتبرم الأحكام وتُنقض؛ وثبتت الدعاوى وتُبطل، وتُمنى القضايا وتُسجل؛ مجتهداً في البحث عن طرائقهم وأحوالهم، وانتقاد تصاريقهم وأفعالهم، واستشفاف سجاياهم، وعرفان مزاياهم؛ مخصّصاً بالتمييز من كان حميد الخلال، مرضى الفاعل؛ راجعاً إلى ورع ودين، متمسكاً من الأمانة والتزاهة بالسبب المتين، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ .

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم، ومراعاة شئونهم وأحوالهم؛ وأن يرتب بسبب أساق مصالحيهم الثقات الأعفاء، والأمناء الأثقياء؛ ممن ظهرت ديانته، وحسنت سيرته؛ وأشهر بالظلف والعفاف، والتزّه عن الطمع والإسفاف؛ ويأمرهم بحفظها من خلل يتخللها، ويد خائفة تدخلها؛ وليكن عليهم حديبا، وفي قرط الختو أبا؛ وخالفا من آباؤهم في الإشفاق عليهم، وحسن الكفالت إليهم؛ فإنه عنهم مسئول، والعدر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول؛ وأن يأذن لهم في الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير، ولا تضيق ولا تبذير؛ فإذا بلغ أحدهم النكاح، وآس منه أمارات الرشد والصلاح، دفع ماله إليه، وأشهد بقبضه عليه؛ على الوجه المنصوص، غير منقوص ولا منغوص؛ ممثلاً أمر الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ .

وأمره بترويج الأيامي اللواتي لأولياءهن من أكفائهن، بمهور أمثالهن؛ وأن يشمل ذوات الغنى والفقير منهن بعله، ويتحرى لهن المصلحة في عقده وحله .

وأمره ان يستنيب فيما بعد عنه من البلاد ودنأ، وقرب منه ونأى، كل ذى علم وأستبصار، وتيقظ في الحكم وأستظهار؛ ونزاهة شائعه، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعته؛ ممن يتحقق هوضه بذلك وأضطلاعه، ويأمن أستزلاله وأخذاعه؛ وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه ولا يألؤهم تنبيها وتذكيرا، وإرشادا وتبصيرا؛ قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ .

وأمره بامضاء ما أمضاه قبله الحُكَّام، من القضايا والأحكام؛ غير متعقب أحكامهم بنقض ولا تبديل، ولا تغيير ولا تأويل؛ إذا كانت جائزة في بعض الأقوال، مُمضاة على وجه من وجوه الاحتمال؛ غير خارقة للإجماع، عارية من ملبس الابتداع؛ وإن كان ذلك منافيا لمذهبه، فقد سبق حكم الحاكم به؛ قال الله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ .

وأمره أن يتخذ كاتباً قيماً بشروط القضايا والسجلات، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات، ويتداخلها من النقص والتلبسات؛ متحرراً في كل حال، متزهاً عن دميم الأفعال. وأن يتخير حاجباً نقي الجيب، مأمون المشهد والغيب؛ مستشعراً للتقوى، في السر والنجوى، سالكاً للطريقة المثلى؛ غير متجهم للناس، ولا معتمد مائتافي بسط الوجه لهم والإيناس؛ فإنه وُصِّلهم إليه، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه؛ فلينخبه من بين أصحابه، ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسلم ديوان القضاء والحكم، والاستظهار على ما في خزائنه بالإثبات والحثم؛ والاحتياط على ما به من المال والسجلات، والمُحجج والمحاضر والوكالات؛

والقبوض والوثائق والأثبات والكفالات ، محضّر من العُدُول الأمانة الثقات ؛
وأن يرتب لذلك خازنا يؤدى الأمانة فيه ، ويتوخى ما توجبه الديانة وتقتضيه .

وأمره بمراعاة أمر الحسبة : فإنها من أكبر المصالح وأهمها ، وأجمعها لمنافع
الخلق وأعمها ؛ وأدعاها إلى تحصيل أموالهم ، وانتظام أحوالهم ؛ وأن يأمر المستناب
فيها باعتبار سائر المبيعات فيها : من الأقوات وغيرها في عامة الأوقات ؛ وتحقيق
أسباب الزيادة والتقصان في الأسعار ، والتصدي لذلك على الدوام والاستمرار ؛ وأن
يُجْرِى الأمر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ؛
واعتبار الموازين والمكاييل ، وإعادة الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل ؛
فإن أطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل دميم ، أو تطفيف عدل فيه
عن الوزن بالقسطاس المستقيم ، أناله من التأديب ، وأسباب التهذيب ، ما يكون
له رادعا ، ولغيره زاجرا وإزعا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَيَلْ لِلْظَّالِمِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عند الله تعالى عليك ؛ قد أولاك من
صنوف النعم والآلاء ، وجزيل الكرم والحباء ؛ ما يوجب عليك الاعتراف بقدره ،
وأستيزاع شكره ؛ ووقف بك على محجة الرّشاد ، وهداك إلى منهج الحق وسنن
السّداد ؛ ولم يالك تثقيفا وتبصيرا ، وتنبها وتذكيرا . فتأمل ذلك مندبرا ، وقف
عند حدود أوامره ونواهيهِ مستبصرا ؛ وأعمل به في كل ما تاتيهِ وتذره ، وتورده
وتصدّره ؛ وكن للخيلة في آرتيادك محققا ، وللمعتقد فيك مُصدقا ؛ تفز من خير
الدارين بمعلّى القِداح ، وإحماد السرى عند الصّباح ؛ وحسب أمير المؤمنين الله
وبنعم الوكيل .

الضرب الثاني

(مما كان يكتب يديوان الخلافة ببغداد لأرباب الوظائف
من أصحاب الأقلام التواقيع)

وطريقتهم فيها أن يفتح التوقيع بلفظ «أحق» أو «أولى» أو «أقمن من أبيضت
عليه النعم» أو «من فؤض إليه كذا» أو «من توه بذكره» ونحو ذلك «من كان
بصفة كذا وكذا» ثم يقال: «ولما كان فلان بصفة كذا وكذا، فؤض إليه كذا
وكذا» أو «أسند إليه كذا وكذا» ونحو ذلك.

وهذه نسخة توقيع بتدريس، كتب به عن الإمام الناصر لدين الله، للقاضي
محيي الدين «محمد بن فضلان» بتدريس المدرسة النظامية ببغداد، في سنة
أربع عشرة وسمائة، وهي:

أحق من أبيضت عليه مجاسد النعم،^(١) وجذب بصبغه إلى مقام التنويه وتقدم
القدم، من أسفر في أفضية الفضائل صباحه، وانتشر في العالم علمه وأزهر
مضباحه.

ولما كان الأجل الأوحى، العالم، محيي الدين، حجة الإسلام، رئيس
الأصحاب، مفتي الفريقين، مفيد العلوم، أبو عبد الله «محمد بن يحيى بن فضلان»
أدام الله رفعته، ممن نظم فرائد المحامد عقده النضيد، وأوى من العلم والعمل إلى
ركن شديد، وثبت قدمه من الديانة على مستنبت راسخ وقرار مهيد - روى التعويل
في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه: ثقة بأضطلاحه وأستقلاله، وتبريزه

(١) المجاسد جمع مجسد بالضم والكسر الثياب التي تلى الجسد وقد تكون مصبوغة بالجسد وهو الزعفران.

في حلّبات الإسْتِباقِ على نُظرائه وأمثاله ، وتراجُعِ المُساجِلين له عن قُوْتِ غايتهِ وبعْدِ
مَناله ، وأُسْنيدِ إليه - أدام الله رفعتَه - النظرُ في أوقافِ المدرسة المذكورة بأجمعها ،
واعتِمادِ ما شرطه الواقفُ في مَصارِفها وسُبلها ؛ سُكُوننا إلى كفايته ، ورُكُوننا إلى
سَدادِهِ وأمانتِهِ .

ورِسمِ له تقدِيمُ تقوى الله تعالى التي ما زال مُنتهجا لطرائِقها ، متمسكا بعصِمها
ووثائقها ؛ وأن يشرح صدره للتعلّمين ، ولا تأخذه سُجْرَةٌ من المُستفيدين ، ولا تعدو
عيناه عن جُهلاء الطالبين ؛ ولا يتبرّم بالمبالغة في تفهيم المبتدئ ، ولا يعقل عن تذكير
المنتهى : فإنه إذا احتمل هذه المشقّة ، وأعطى كلّ تلميذ حقّه ، كان الله تعالى كفيلاً
بمعاونته ، بحسب ما يعلم من حرصه عليهم وإخلاص نيّته . وليكن بسائر المتفكّهة
معتنياً رقيقاً ، وعليهم حداً شقيقاً ؛ يفترع لهم من الفقه ما وضح وتسهّل ، ويبيّن لهم
ما التبس من غوامضه وأشكّل ؛ حتى تستدير قلوبهم بأضواء علوم الدين ، وتتطّق
السنتهم فيها باللفظ الفصيح المبين ، وتظهر آثارُ بركاته في مرآشده وتبين ؛ ولتتوقرّ همتّه
في عمارة الوقوف وأستنائها ، والتوقرّ على كلّ ما عاد بتزايدها وزكاها ؛ بحيث يتضح
مكانُ نظره فيها ، ويبلغ الغاية الموفية على من تقدّمه ويوفيه ؛ ولا يستعين إلاّ بمن
يؤدى الأمانة ويوفيه ، ويقومُ بشرائط الاستحفاظِ ويكفيها ؛ وهو - أدام الله
رفعتَه - يجرى من عوائد المدرّسين والمتولّين قبله على أوفى معهود ، ويسامى به إلى
أبعد مُرتقى ومقامٍ محمود ؛ وأذنبَ له في تناولِ إيجابِ التدريس ونظرِ الوقوف
المذكورة ، أسوة من تقدّمه في التدريس والنظر في الوقوف ، على ما شرط الواقفُ
في كلِّ وردٍ وصدر ، واعتِمادِ كلِّ ماحده في ذلك ومثله من غير تجاوز .

النوع الرابع

(بما كان يُكْتَب من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يُكْتَب لِرُجْمَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ)

وطريقهم فيه أن يُفْتَحَ بلفظ : « هذا كتابٌ أمرَ بكتبه فلانٌ أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين لفلان » ثم يقال : « أما بعدُ فالحمدُ لله » ويؤتى فيه بتحميدة أو ثلاث تحميدات إن قُصِدَ المبالغة في قهر أهل الذمَّة بدُخولهم تحت ذمَّة الإسلام وأتقيادهم إليه . ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى أهل الذمَّة ، وأنه أُنهى إليه حالُ فلان وسُئِلَ في توليته على طائفته قولاه عليهم للميزة على غيره من أبناء طائفته ونحو ذلك ؛ ثم يُوصيه بما يناسبه من الوصايا .

وهذه نسخة من ذلك ، كُتِبَ بها عن القائم بأمر الله ، لعبد يسوع الجائليق ، من إنشاء العلاء بن موصلايا ، وهي :

هذا كتابٌ أمرَ بكتبه عبدُ الله أبو جعفر عبد الله الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، لعبد يسوع الجائليق الفطرك .

أما بعدُ ، فالحمدُ لله الواحدِ بغيرِ ثانٍ ، القديمِ لآعنِ ووجودِ زمانٍ ؛ الذي قَصُرَتْ صنيعه الأوهام ، عن إدراكه وحارت ؛ وضَلَّتْ صنيعه الأفهام ، عن بلوغ مدى صفاته وحالت ؛ المتنزّه عن الولدِ والصاحبه ، العاجزة عن إحاطة العلم به . دلائلُ العُقُولِ الصافيةِ الصائبه ؛ ذى المشيئةِ الحالِيةِ بالمضاء ، والقُدرةِ الجاريةِ عليها تصاريقُ القَدَرِ والقضاء ؛ والعظمةِ الغنيّةِ عن العونِ والظهيرِ ، المتعالى بها عن الكُفءِ والنظير ؛ والعزةِ المكتفيةِ عن العَضُدِ والنصير ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) .

والحمد لله الذى آختر الإسلام ديناً وأرنا نضاه، وشام به عَضَبَ الحقِّ على الباطل
 وانتضاه ؛ وأرسل محمداً - صلى الله عليه - مُتَقِداً من أشراك الضَّلَّه ، وكاشفاً عن
 الإيمان ما عمَّره من الإشراك وأظَلَّه ؛ وبعثه ماحياً أثر الكُفْر من القلوب والأسماع ،
 وناحياً فى آتباع أوامره ماجد فى البدار إليه والإسراع ؛ وأدى ما حمَّله أحسن الأداء ،^(٢)
 وداوى بمعجز النبوة من النفوس معضل الداء ؛ ولم يزل لأعلام الهدى مُبيناً ، ولجبابل
 النجى حاسماً مُبيناً ؛ إلى أن خَلَصَ الحقُّ وَصفاً ، وغدا الدينُ من أضداده متصفاً ؛
 وأنّضح للحائرسنن الرشد ، وأنقاد الأئبي بالدين والأشد ؛ فصلّى الله عليه وعلى آله
 الطاهرين ، وأصحابه المنتخبين ، وخلفائه الأئمة الراشدين ؛ وسلم تسليماً .

والحمد لله الذى استخلص أمير المؤمنين من أزكى الدوحة والأرومه ، وأحلّه من
 عزّ الإمامة ذروةً للجد غير مرومه ؛ وأصار إليه من تراث النبوة ما حواه بالاستحقاق
 والوجوب ، وأصاب به من مرامي الصلاح ما حميت شموسه من الأقول والوجوب ؛
 وأولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر فلبى ، واستخدم معه الدهر فما تأبى ؛
 ومنح أيامه من ظهور العدل فيها وانتشاره ، ولقّاح حوامل الإنصاف فيها ووضع
 عِشاره ، ما فضل به العُصُور الخاليه ، وظلّت السير متضمنةً من ذكرها ما كانت
 من مثله عاريةً خاليه ؛ وهو يستدئمه - سبحانه - المعونة على ما يقرب لديه
 ويُزلف عنده ، ويستمدّه التوفيق الذى يقدو لعزائم الميمونة أوفى العُضد والعُدّه ؛
 وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

(١) شام السيف شيا سله .

(٢) فى الأصول وأدلى الادلاء . وهو تصحيف كما لا يخفى .

وأمر المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه [بالمواهب]
 التي يمد عليهم رواقها، ويرد بها إلى أغصان صلاحهم أوراقها؛ ويلقى على أجيادهم
 عقودها، ويبقى رباح أثلاثهم ركودها، يرى أن يولي أولى الاستقامة من أهل
 ذمته ضروب الرأفة وصنوفها، وأقسام العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغير وصورها؛
 بمقتضى عهودهم القوية القوي، وأذمتهم^(١) التي يلزم أن يحافظ عليها أهل العدل
 والتقوى؛ ويعتمد من الضرر الفاسر، والإجماع المضاهي الآنف منه الغابر؛
 بما يقبض يد الضيم وكفه، وأن يحبهم من الحياطة بما يحرس رسومهم المستمرة
 من أسباب الاختلال، ويحريهم فيها على ماسنه السلف معهم من مألوف السجايا
 والخلال.

ولما أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك، وتحليك من السداد
 بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصفك وإطرائك؛ وتخصصك بالإنحاء التي
 فت فيها شأو أقرانك، وأدنت بها ماقصر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعدلك
 في ميزانك؛ وما عليه أهل نحلتنك من حاجتهم إلى جائلق كافل بأمرهم، كاف
 في سياسة جمهورهم؛ مستقيل بما يلزمه القيام به، غير مقل بما يتعين مثله في أدوات
 منصبه؛ وأن كلاً من يرجع إليه منهم لما تصفح أحوال متقدمي دينهم وأستشف،
 وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشرف؛ وأتفقوا من بعد على إجمالة الرأي
 الذي أفاضوا بينهم قداحه، وراضوا به زند الاجتهاد إلى أن أوري حين راموا
 اقتيداحه؛ فلم يصادفوا من هو بالرياسة عليهم أحق وأحرى، وللشروط الموجبة
 التقديم فيهم أجمع وأحوى؛ وعن أموال وقوفهم أعف وأورع، ومن نفسه لداعي
 التحزى فيها أطوع وأتبع، منك. اختاروك لهم راعياً، ولما شد نظامهم ملاحظا

(١) جمع ذمام بالذال المعجمة وفي اللسان الذمام والمذمة الحق والحرمة .

مُرَاعِيَا ؛ وَسَأَلُوا إِمضَاءَ نَصِّهِمْ عَلَيْكَ وَالإِذْنَ فِيهِ ، وَإِجْرَاءَ الأَمْرِ فِيمَا يُحْصُّكَ أَسَدٌ
بِحَارِيهِ ؛ وَتَرْتِيْبِكَ فِيمَا أَهْلَتْ لَهُ وَحَمَلَتْ تِقَلَهُ ، وَأَخْتِصَاصَكَ عَلَيَّ مِنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ
الأَضْرَابِ ، بِمَزِيدٍ مِنَ الإِرْعَاءِ وَالإِيْجَابِ ؛ وَحَمَلِكَ وَأَهْلَ نِحْمَاتِكَ عَلَى الشُّرُوطِ الْمُعْتَادَةِ ،
وَالرُّسُومِ الَّتِي إِمضَاءُ الشَّرِيعَةِ لَهَا أَوْفَى الشَّهَادَةِ - رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الإِجَابَةَ إِلَى
مَا وَجَّهَتْ إِلَيْهِ فِيهِ الرَّغْبَةَ ، وَأَسْتِخَارَةَ اللهِ تَعَالَى فِي كُلِّ عَزْمٍ يُطْلَقُ شَبَاهُ وَيُضَيَّ
عَرَبُهُ ؛ مَقْتَدِيَا فِيمَا أَسَدَاهُ إِلَيْكَ ، وَأَسْنَاهُ مِنْ أَنْعَمَ لَدَيْكَ ؛ بِأَفْعَالِ الأُئِمَّةِ المُؤْمِنِينَ ،
وَالخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، مَعَ أَمْثَالِكَ مِنَ الخِتَابَةِ الَّتِي سَبَقُوا ،
وَفِي مَقَامِكَ أَسْقُوا ؛ وَأَوْعَزَ بِتَرْتِيْبِكَ جَانِبِيًّا لِنُسْطُورِ النِّصَارِيِّ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ
الْبِلَادِ وَالأَصْقَاعِ ، وَزَعِيًّا لَهُمْ وَلِلرُّومِ وَاليَعَاقِبَةِ طَرًّا ، وَلِكُلِّ مَنْ تَحْوِيهِ دِيَارُ الإِسْلَامِ
مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مَنَّ بِهَا يَسْتَقِرُّ وَإِلَيْهَا يَطْرَأُ ؛ وَجَعَلَ أَمْرَكَ فِيهِمْ مِمْتَثَلًا ، وَمَوْضِعًا
مِنْ الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ مَثَالًا ؛ وَأَنْ تَنْفَرِدَ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعٍ : لِيَكُونَ قَوْلُكَ
فِيمَا يُجَيِّزُهُ الشَّرْعُ فِيهِمْ يُقْبَلُ وَإِلَيْكَ فِي أَحْوَالِهِمْ يُرْجَعُ ؛ وَأَنْ تُتَمَيِّزَ بِأَهْبَةِ الرَّعَامَةِ ،
فِي مَجَامِعِ النِّصَارِيِّ وَمُصَلِّياتِهِمْ عَامَّةً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَكَكَ فِيهَا أَوْ يَشَاكِكَ فِي النِّسْبَةِ
الدَّالَّةِ عَلَيْهَا مَطْرَانٌ أَوْ أَسْقُفٌ لِلرُّومِ أَوْ اليَعَاقِبَةِ : لَتَنْغَدُوا شَوَاهِدُ وَلا يَتَكَ بِالْأَوَامِرِ
الإِمَامِيَّةِ بَادِيَةً لِلسَّمَاعِ وَالنَّاطِرِ ، وَأَنْتَ أَرُ قُصُورِهِمْ عَنْ هَذِهِ الرِّبَّةِ الَّتِي لَمْ يَلْفُوهَا كَافَّةً
لِلْمُجَادِلِ مِنْهُمْ وَالْمُنَاطِرِ ؛ وَمُنِعُوا بِأَسْرِهِمْ عَنْ مَسَاوَاتِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ هُوَ مِنْ شُرُوطِ
الرِّعَايَةِ وَرُسُومِهَا ، وَالتَّزْيِيْنِ بِمَا هُوَ مِنْ عِلَامَاتِهَا وَوُسُومِهَا ؛ إِذْ لَاسَبِيلَ لِأَحَدِهِمْ أَنْ
يَمُدَّ فِي مُبَارَاتِكَ بَاعَهُ ، وَلا أَنْ يُخْرِجَ عَنِ المُوجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَكَ وَالتَّبَاعَةِ ؛
وَحَمَلِكَ فِي ذَاكَ عَلَى مَا يُدِلُّ عَلَيْهِ المَنْشُورُ المَنْشَأُ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ ، المُضَيُّ لَكَ وَلِكُلِّ مَنْ
يَأْتِي بَعْدَكَ ؛ المُجَدِّدُ بِمَا حَوَاهُ ذِكْرُ مَا نَطَقَتْ بِهِ المُنَاشِيرُ المُقْتَرَةُ فِي أَيَّامِ الخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، لِمَنْ تَقَدَّمَكَ فِي مَقَامِكَ ، وَأَحْرَزَ سَبْقَ مَعْرَاكَ

ومرامِك : من كون المنصوب في الحثقة إليه الزعامة على ما تضمه ديار الإسلام من هذه الفرق جمعا ، والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياضه مرعى ؛ وتقدم أمير المؤمنين بجياطتك وأهل نحتك في نفوسكم وأموالكم وبيعكم ، ودياركم ومقار صلواتكم وحراسة أموالكم ، وأعتادكم بأقسام الكلاءة على أجمل الرسم معكم ؛ وأن تمحووا من نقض سنة رضية فزرت لكم ، ودحض وتيرة حميدة استعملت في فرضكم ؛ وأن تقبض الحزبه من رجالكم ذوي القدرة على أدائها بحسب ما جرت به عاداتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة في السنه ، وتجرؤوا في ذلك على السجية التي تناقلها الرواة وتداولتها الألسنه ؛ من غير تئنه ولا تكرير ، ولا تزنيق لمنهل المعدلة عندكم ولا تكدير ؛ وأن تحي بالشد دائما وتقوية يدك على من نصبته في أمورهم ناظرا ولشملهم ناظرا ؛ ويفسح لك في فصل ما يشجر بينهم على سبيل الوساطه : لتقصد في ذلك ما يحسب دواعي الخلف ويطوي بساطه ؛ وأن تمضي تثقيفك لهم وأمرك فيهم ، أسوة ماجرى عليه الأمر مع من كان قبلك يليهم ؛ لتحسن معه السيرة العادلة عليهم بحفظ السوام ، المطابقة للشروط السائغة في دين الإسلام .

وأمر بإنشاء هذا الكتاب مشتملا على ما خصك به ، وأمضى أن تعامل بموجبه ؛ فقابل نعمة أمير المؤمنين عندك بما تستوجه من شكر تبلغ فيه المدى الأقصى ، وبشير لا يوجد التصفح له عندك قصورا ولا تقصا ؛ وواظب على الاعتراف بما أوليته من كل ما جملك ، وصدق ظنك وأملك ؛ وأسترد الإنعام بطاعة تطوى عليها الجوائح ، وأدعية لأيامه تتبع الغادي منها بالرائح ؛ وتجنب التصغير فيما بك عديق ، وإليك وكل عليك علق ؛ واحتفظ بهذا الكتاب جنة تمنع عنك ريب الدهر وغيره ،

وَحِجَّةٌ تَحْمَلُ فِيهَا عَلَى مَا يَمِجِي مَأْنِحَتُهُ مِنْ كُلِّ مَاشِعْتِهِ (؟) وَغَيْرِهِ ، وَلِيَعْمَلَ بِهَذَا الْمَثَالِ كَأَفَّةِ الْمَطَارِنَةِ وَالْأَسَاقِفَةِ وَالْقِسِيِّينَ ، وَالنَّصَارَى أَجْمَعِينَ ، وَلِيَعْتَمِدُوا مِنَ التَّبَاعَةِ لَكَ مَا يَسْتَحِقُّهُ تَقْدِيمُكَ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَلِيَثِقُوا بِمَا يَغْمُرُهُمْ مِنَ الْعَاطِفَةِ الْحَامِيَةِ سِرِّهِمْ مِنَ التَّفْرِيقِ وَالْإِضَاعَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وأربعمائة .

الطرف الرابع

(فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب والأندلس)

وَكَانُوا يَعْبُرُونَ عَمَّا يُكْتَبُ مِنْ ذَلِكَ بِالظَّهَائِرِ وَالصُّكُوكِ : فَالظَّهَائِرُ جَمْعُ ظَهِيرٍ ، وَهُوَ الْمُعِينُ ، سُمِّيَ مَرْسُومُ الْخَلِيفَةِ أَوْ السَّلْطَانِ ظَهِيرًا لِمَا يَقَعُ بِهِ مِنَ الْمُعَاوَنَةِ لِمَنْ كُتِبَ لَهُ . وَالصُّكُوكُ جَمْعُ صَكٍّ وَهُوَ الْكِتَابُ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَهُوَ فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ وَالْجَمْعُ أَصْكٌ وَصِكَكٌ وَصُكُوكٌ ؛ ثُمَّ تَحَامَى الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ لَفْظَ الصَّكِّ ، لِمَا جَرَى بِهِ عُرْفُ الْعَامَّةِ مِنْ غَلْبَةِ اسْتِعْمَالِهِ فِي أَحَدِ مَعْنَى الْأَشْتِرَاكِ فِيهِ وَهُوَ الصَّفْعُ ؛ وَأَقْتَصَرُوا عَلَى اسْتِعْمَالِ لَفْظِ الظَّهِيرِ .

ولذلك حالتان :

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في الزمن القديم)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِهْمُ مِصْطَلَحِ يَقْفُونَ عِنْدَ حُدِّهِ فِي الْإِبْتِدَاءَاتِ ، بَلْ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ قَرِيحَةُ الْكُتَّابِ ؛ فَتَارَةً يَبْتَدَأُ بِلَفْظِ : « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » أَوْ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى أَهْلِ فُلَانَةٍ » أَوْ « إِلَى الْأَشْيَاخِ بِفُلَانَةٍ » أَوْ « يَصِلُكُمْ فُلَانٌ بِهَذَا الْكِتَابِ » .

وتارة يُبتدأ بـ «أما بعد حمد الله» . وتارةً يبتدأ بلفظ «تقدّم فلان بكذا» . وتارة يبتدأ بلفظ «مكتوبنا هذا» وغير ذلك مما لا يَنحصر .

فمن الظواهر المكتّبة لأرباب السيوف عندهم ، ما كتّبت به بولاية ناحية ، وهي :
من فلانٍ إلى أهل فلانة أدام الله لهم من الكرامة أتمّها ومن الرّعاية أوفّاها ؛
وأسبغ عليهم برود نعمة الجزيلة وأضفاها .

أما بعد حمد الله ميسر أسباب النّجاح ، ومُسنّى مرّام الرّشاد والصّلاح ؛ والصلاة على سيدنا محمد رسول الله نبي الرحمة والرّفق والإسّباح^(١) ، وعلى آله وصحبه المتّصّفين بالقوّة في ذات الله تارةً وتارةً بحفض الجناح ؛ والرّضا عن الخليفة أمير المؤمنين ذي الشرف الذي لم ينزل بالهدى النبوي متوقّد المصباح ، والدعاء للقام الإماري بالنصر الذي يُوقّي مقلد الأفتاح ، والتأييد الماضي حدّ رعيه حيث لا يمتضي غرار المهند وشبّ الرّماح - فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سُكون الأرجاء وهُدوّها ، وأجرى لكم بالصّلاح رواح الأيام وغدوّها «من فلانة» وللدولة العلية بركات تكاثر السّحب في أنسكابها وأنسجامها ؛ وتقود الخيرات والمسرات في كل أوب بزمامها ، والحمد لله حمدا يقضى بوفور جزيلات النعم وجسامها .

وإنّ الأهتمام بكم لمستدقّ على كل غرض جميل ، ومقدّم فيما يُخيطكم بكلّ بغيّة وتأميل ؛ وبحسب هذا لا يزال يختار لكم من الولاة كلّ مختار متّخَب ، ولا يُقدّم عليكم إلّا من ينتهي إلى أثيل حسبٍ وكريم مُنسَب ، ولا يزال يُداول موضعكم بين كل طريقة تتصل من حُسن السير وسداد النظر بأمّن سبب ؛ وعلى هذا الأصل استخرنا الله وهو المستخار ، والذي يقضى ما يشاء ويختار ، في أن قدّمنا عليكم ،

(١) الإسّباح حسن العفو .

وولينا للنظر فيما لديكم، من له التقدم في الإقدام، والأضطلاعُ الثابتُ الأقدام؛
 وذلك فلان . وآثرناكم به أعتناءً بجانبيكم وأهتبالاً،^(١) وخصصناكم منه بمن يُفسح
 في كل أثر حميد مجالاً؛ والمعتقدُ فيه أن يعمل على شاكلته بنبأه مكانه، وأن يبذل
 في الأتهاض والآكتفاء غايةً وسعه وإمكانه؛ وعليه أن يلازم تقوى الله العظيم
 في سره وعلنه، ويحري على سبيل العدل وسننه؛ ويُشمر عن ساعده في الدفاع عن
 أحوالكم كُلِّ التشمير، ويأخذ على أيدي أهل التعدي أخذاً يقضي على الفساد وأهله
 بالنتير؛ ويقصد بكم سيد السعى ورشيد الرأي في الدقيق والخليل والصغير والكبير؛
 ويسوى في الحق بين الحافل والتافه والغني والفقير؛ وعليكم أن تسمعوا وتطيعوا،
 ولا تُهملوا حق الامتثال والائتمار ولا تُضيعوا؛ وأن تكونوا يده التي تبطش،
 وأعوأه فيما يُحاول من مستوفى المساعي المرضية ومستوعبها، وأن تتعاونوا على التقوى
 والبر، وتقفوا له عند النهي والأمر؛ وتجاهدوا معه في مصالحكم كلِّ الاجتهاد،
 وتعمدوا على ما رسمناه لكم أتم الاعتماد؛ وستجدون من مواليكم - إن شاء الله -
 ما يوافق الظن به، ويلائم العمل بحسب حسبه؛ إن شاء الله تعالى والسلام .



ومنها ما كُتب به في ولاية ناحية أيضا، وهي :

من فلان إلى أهل فلانة أدام الله تعالى كرامتهم بتقواه، وعرفهم أحق النظر
 بمصالحهم وأحراه .

وبعد، فإننا كتبنا لكم - كتب الله لكم أحوال متصلة الصلاح، حميدة الاختتام
 والافتتاح - من فلانة ونعم الله سبحانه موفورة الأقسام، صيبة الغام؛ وقد أقتضى

(١) أى اشتغالا بشأنكم من قولهم اهتبل هبلك أى اشتغل بشأنك انظر اللسان ج ١٤ ص ٢١٢ .

ما تَوَخَّاهُ مِنَ الْاِحْتِطَاطِ عَلَى جَوَانِبِكُمْ ، وَنَعْتَمِدُهُ مِنَ الْاِيشَارِ لَكُمْ وَالْاِعْتِنَاءِ بِكُمْ ،
أَنْ نَتَّخِيزَ لِلتَّقْدِيمِ عَلَيْكُمْ مَنْ نَعْلَمُ مِنْهُ الْاِحْوَالَ الْمَرْضِيَّةَ حَقِيقَةً ، وَنُحْمَدُ سِيْرَهُ فِيمَا يُجَاوِلُهُ
وَطَرِيقَهُ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ مِنْ حُدُثِ مَقَاصِدِهِ ، وَشُكْرَتِ فِي الْمُحَاوَلَاتِ الْاِجْتِهَادِيَّةِ عَوَائِدُهُ ؛
وَحُسْنَتِ فِيمَا نُصَرِّفُهُ فِيهِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ، رَأَيْنَا وَاللَّهِ الْقَاضِي فِيمَا نَذَرَهُ وَنَأْتِيَهُ ،
بِالتَّوْفِيقِ الَّذِي يُكُونُ بِهِ اِتِّقَادُ النَّجْحِ وَتَأْتِيَهُ ، أَنْ نَقَدِّمَهُ لِحِفْظِ جِهَاتِكُمْ ، وَتَأْمِينِ
أَرْجَائِكُمْ وَجَنَابَاتِكُمْ ؛ وَوَصَّيْنَاهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِيمَا قَلَّدْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْاِجْتِهَادِ ، وَيَتَّبِعُ
فِي اِذْهَابِ الشَّرِّ وَارْهَابِ اَهْلِ الْفَسَادِ ؛ وَبِأَنْ يَسْلُكَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْاِحْكَامِ سَبِيلَ
الْحَقِّ ، وَيَجْرِيَ عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالرَّفْقِ ؛ وَيُدْفَعُ اَسْبَابَ الْمِظَالِمِ ، وَيُصَيِّفُ الْمِظَالِمَ
مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَاِذَا وَافَاكُمْ فَتَلَقَّوْهُ بِنُفُوسٍ مَبْسُطَةٍ ، وَعَقَائِدَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَرْتَبَةً ؛
وَكَوْنُوا مَعَهُ عَلَى تَمْثِيَةِ الْحَقِّ يَدًا وَاَحَدَةً ، وَفِئَةً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُتَعَاوِنَةً مُتَعَاذَةً ؛ بِحَوْلِ
اللَّهِ سَبْحَانَهُ .



ومنها ما كُتِبَ به بإعادة وال إلى ناحية، وهي :

وَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَأَعْلَقَكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ
بِالْحَبْلِ الْأَمْتَنِ الْأَقْوَى - مِنْ فُلَانَةٍ : وَالَّذِي نُوصِيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلُ
بِطَاعَتِهِ ، وَالْاِسْتِعَانَةُ بِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْكُمْ فُلَانًا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ هُنَا شَاهِدًا
مَشَاهِدًا لِلتَّعَلُّمِ نَافِعَهُ ، مُبَاشِرًا مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فِي الْكُتَابِ وَالسُّنَنِ مَجَالِسَ ضَامِنَةً خَيْرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَامِعَهُ ؛ مُطَالِعًا لِاِحْوَالِ الْمُوَحِّدِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ فِي مَا خَذَمُوا الدِّيْنِيَّةَ ،
وَمَقَاصِدِهِمُ الْمُحْيِيَّةَ لِمَا دَرَسَ مِنَ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ ؛ فَنَالَ بِذَلِكَ كُلَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَحْرَزَ بِهِ

حظًا من السعادة كـبـيرا ، وظفر منه بما يكون له في كل ما ينظر فيه سراجا منيرا ؛
وقد أعدناه إلى الشغل الذي كان يتولاه لجهتكم حرسها الله ، ووصيناها بتقوى الله
تعالى الذي لا يطالع على السرائر سواه ؛ وأن يكون بما شاهدته مما تقدم ذكره
مقتديا ، وبأنواره الساطعة التي لا يضل من أهتدى بها مهتديا ؛ ولا يستند في شيء
من أحكامه إلى من لا يقوم على عصمته دليل ، ولا جعل إليه تحريم ولا تحليل ؛
فأعينوه - وفقمكم الله - على تمشية هذه المقاصد الكريمة أكرم إمانه ، وأسلكوا
من مظاهرتة على الحق وموازرتة على المسالك التي تستبين هنالك أتم استبانته ؛
إن شاء الله تعالى .



ومن الظواهر المكتتة بالوظائف الدينية ما كتب به في ولاية قاض ، وهو :

أما بعد حمد الله رافع علم الحق لمن أهتدى ، وواضع يزان القسط بالشريعة
المحمدية الآخذة بالجزع عن مهاوى الردى ؛ ومؤيد الدين الحنيفي بن ارتضى لتحديد
حدوده وتجديد عهوده وهدى . والصلاة على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي أرسله
إلى الناس كافة غير مستئن عليه من الخلق أحدا ؛ وعلى آله وصحبه الذين سلكوا
في نصره وإظهار أمره جدا . والرضا عن الخليفة أمير المؤمنين العباسي الأطيب
عنصرا ومختدا ، فإننا كتبناه إليكم - كتبكم الله ممن أعتربطاعته وتقواه ، واعتصم من
حبله المتين بأوثقه وأقواه - من فلانة وفضل الله سبحانه مديد الظلال ، وتوكلنا
عليه - عز وجهه - ظهيرنا المعتمد به في كل حال ، وعمادنا الذي تقدمه فيما ندره
من الأعمال ؛ وإنكم من عنايتنا ، وموصول رعايتنا ، لبالحل الأدنى ؛ ومن خاص

نظرنا وآهتاما لمن نكف بشأنه كله ونعني، ونعتمد من ذلك بالأحسن فلا أحسن
بجزاء الذين أحسنوا الحسنى .

وقد علمتم - وصل الله كرامتكم - أن الأحكام الشرعية هي ملاك الأمور
ونظامها ، وعليها مدار الأعمال الدينية وبها تمامها ؛ وأنه لا يصلح لها إلا من تجرد
عن هواه ، وأثر الحق على ماسواه ؛ وأتبع حكم نبيه - عليه السلام - في كل ما عمله
ونواه ، وتجل بالدراية وحمل الرواية فكانتا أظهر حلاه ؛ وأتسم بالعدل والاعتدال
فيما وليه من ذلك أو تولاه ، وكان ممن أطلق الحق لسانه وقيد الورع يمينه ؛ وقد أمعنا
النظر فيمن له من هذه الأوصاف أو في نصيب ، ومن إن رمى عن قوس نظره
الموفق كان سهمه المسدد مصيب : لنخصمكم به قاضيا في هذه الأحكام ، ونقدمه
للفصل بينكم في القضايا الشرعية حكما من صالح الحكم ؛ فرأينا أهلا لذلك ومحللا
من أختبرت على [النهج] القويم أحواله ، وأرضيت فيما نيظ به من ذلك أعماله
وأقواله ؛ وشهد له الاختبار بالانكشاف عن كل سابق وغائب ، وعن ارتكاب
التنبيات إلى السنن اللاحب ؛ وذلكم « فلان » أدام الله كرامته وتوفيقه ، ويسر إلى
مسالك النجاة مسلكه وطريقه ؛ فأنفذناه إليكم حكما مرضى السير ، وإفر الحظ
من المعارف المصورة للحق في أجمل الصور ؛ مكتفيا بما لديه من استقامة الأحوال
عن الوصايا ما خلا التذكير والتنبية ، والوصية بتقوى الله فهي التي تعصم العامل بها
وتنجيه ؛ فقد وصى بها الله من اختاره من خلقه لإقامة حقه وأرضاه ، فقال تعالى :
(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ آتَيْنَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) . فلتقوه
- أدام الله كرامتكم - بنفوس منبسطه ، وقلوب مبتهجة مغتبطه ، وأهواء على التظافر

والتناصر في الحق مجتمعة مرتبطة ؛ وتعاونوا في ذات الله على الطاعة ، وكونوا في سبيل الله يداً واحدة فبدأ الله مع الجماعة ؛ وأستعينوه سبحانه على الخير بغيركم ، وأشكروا الله يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ؛ وهو سبحانه يتولّاكم بالحفظ الشامل ، ويستعملكم من طاعته وسُلوكم سبيل مرضاته بأجج ما أستعمل به عامل ؛ والسلام .



ومنها ما كتب به أبو الحسن الرعيني في ولاية قاض ، وهي :

من فلان إلى الأشياخ بفلانة أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأستعملهم فيما يحبّه ويرضاه .

أما بعد ، فإننا كتبنا إليكم - كتب الله لكم حسنا ، وأوزعكم شكر ما حولكم من نعمه ورحمته ؛ ومن مقاصد هذا الأمر العزيز - أدامه الله - ما يعلي يد الحق ويسميها ، ويسد سهام العدل إلى أغراضها ومرامياها ، ويتكفل بالجزاء لمن لاذ بأكاف الطاعة وتواحيها ، والحمد لله على نعمه التي لا تحصرها ولا تحصيها .

وإلى ذلكم فإن فلانا لما تمكنت الثقة بجميل صفته ، وأستنامت البصيرة إلى استحكام سننه ومعرفته ؛ وقد كان تقدم له من خدمة الأمر وأوليائه ما تجده مع الأيام وخرجه ؛ وخصصه من كريم الاستعمال بما أستدناه إلى مراقب الذكاء وأستدرجه ؛ رأينا - والله المستعان - أن تقدمه للنظر في قضاياكم الدينيه ، وأحكامكم الشرعيه ؛ بعد أن وصينا بتقوى الله فقدمها ، وعرضنا عليه ما يعلمه ويلزمه من شروط الحكومة فالترمها . فليهنئ إلى ما قدمناه على بركة الله تعالى

(١) في الأصل أنجده بالهمز وهو غير مناسب .

مشمرا عن ساعد الحزم، آخذاً في كافة أموره بما يأخذه أولو العزم؛ جارياً على السنن
الواضح المعروف؛ مسوياً في الحق بين النبيه والخامل والشريف والمشروف؛ محتسباً
على إقامة فروض الدين أكرم احتساب، مكتسباً من الأجر في ردع الظلم والباطل
أفضل آكتساب، راجياً في تمشية العدل على رغم من أباه ما يرجو المؤمن المحقق
من زلفى وحسن مآب؛ ولدنيا من عقده على ذلك ما يحسن مقصده، ويمكن
في بسطة الحق مقعده؛ فإذا وافاكم فاستبشروا بموافاته، وقفوا عند ما يمضيه
من لوازم الشرع وموجباته، وتعاونوا على الخير تعاوناً يجرل حظكم من فضل الله
وبركاته؛ فهو المؤمل في ذلك لأرب سواه .



ومن الظواهر المكتتبه بالوظائف الديوانية ما كتب به أبو المطرف بن عميرة
بولاية وزارة، وهو :

مكتوبنا هذا بيد فلان أدام الله علاءه، وحفظ عنايته وغناه؛ يجد به مكان
العزة مكيئا، ومورد الكرامة عذبا معينا، وسبيل الحرمة المتأكدة واضحاً مستتينا؛
ويتقلد وزارتنا تقلد تفويض وإطلاق، ويلبس ما خلع عليه منها لبسة تمكن
وأستحقاق، وينزل من رتبها العليا منزلة شرفها ثابت وحماها باق؛ ويسوغ الدار
المخزنية التي يسكنها بفلانة تسويغا يملكه إياها أصح تملك، ويفرد فيها من غير
تشرية؛ إن شاء الله تعالى والسلام .



ومنها ما كتب به أبو عبد الله بن الأبار في مشاركة ناحية، وهو :

عن إذن فلان ، يتقدم فلان للنظر في الأشغال الخزنية بفلانة ، موفياً ما يجب عليه من الاجتهاد والتشمير ، والحد الذي أرثسم في الإنماء والتثمير ، مصدقاً ما قدر فيه من الانتهاض والاستقلال ، وقرّره من الأمانة التي رثخته وأهلته لانبه الأعمال ؛ جارياً في ضبط الأمور الخزنية والرفق بجانب الرعية على المقاصد الجليلة والمذاهب المرضية في عامة الشؤون والأحوال ، عاملاً بما تقدمت به الوصية إليه ، وتأكدت الإشارة [به] عليه ؛ من تقوى الله في السر والعلن ، علماً أن المرء بما قدمته يده مرتين .



ومنها ما كتب به المذكور بإعادة مشارف إلى ناحية ، وهو :

يُعاد بهذا المكتوب فلان إلى حُطّة الإشراف بفلانة : رافلاً من ملابس التكرمة والحُطوة في شُفوفها ، مُحلّي بينه وبين النظر في ضروب الأشغال الخزنية وصُنوفها ؛ فهو المعروف بالكفاية والاجتهاد ، الموصوف بحُسن الإصدار والإيراد ؛ وأولى الناس بالانتماء النصيحة ، والأزدياد من بضائع الأعمال الرّبيحة ، من كثرت النعم السلطانية لديه ، ودُفع إلى الحُطط ودُفعت إليه . فليتقلد هذه الحُطّة بحققها من الانتهاض والتشمير ، وتأدية الأمانة بالإنماء والتثمير ؛ وليترود تقوى الله تعالى ليوم يسأل عن التقير والقطمير ؛ جارياً في أموره كلّها على الطريقة السّوية ، جامعاً بين الاحتياط ^(١) للخرن والرفق بالرعيه ، غير عادل في حال من الأحوال وفن من فنون الأعمال عن مقتضى هذه الوصية ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) الخزن بفتح الزاى ما يخرن فيه الشئ .

الطرف الخامس

(فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة أنه كان بها من وظائف أرباب السيوف
الوزارة إذا كان الوزير صاحب سيف، والنظر في المظالم، وزم الأقارب، وتقابة
العلويين، وزم الرجال والطوائف : كالأموية، والحافظية، والأفضلية، وغيرهم
من تقدّم ذكره في ترتيب دولتهم، وولاية الشرطة، وولاية المعاون والأحداث،
وولاية الحماية، وولاية حفظ الثغور، والإمارة على الحج، والإمارة على الجهاد،
وولاية الأعمال، وغير ذلك . ومن الوظائف قضاء القضاة، والدعوة إلى مذهبهم،
والنظر في الأوقاف والأحباس، والنظر في المساجد وأمر الصلاة، وغير ذلك .

وكانت كتابة ما يكتب لديهم لأرباب الولايات على نوعين :

النوع الأول

(ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه)

وكان من شأنهم أنهم يتعرّضون في أثناء الولاية لإشارة الوزير بتولية المولى وشأنه
عليه، وربما أهملوا ذلك . وكانوا يسمون جميع ما يكتب من ديوان الإنشاء
سجلات، وربما سموه عهدودا، وعليه يدل ما كتبه العاضد آخر خلفائهم في طرة
سجل السلطان صلاح الدين بالوزارة : « هذا عهد لأعهد لوزير بمثله » على ما تقدّم
ذكره في الكلام على عهد الملوك .

ولهم فيها أربعة مذاهب :

(١) لعله « ومن وظائف أرباب الأقاليم قضاء » الخ فتنبه .

المذهب الأول

(أن يفتَح ما يكتَب في الولاية بالتَّصدير)

هو « من عبد الله وولَّيه فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، إلى فلان ابن فلان » بالألقاب المنعوت بها من ديوان الخلافة ، ويُدعى له بدعوتين أو ثلاثٍ ؛ ثم يقال : « سلامٌ عليك فإن أمير المؤمنين يحمِّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسأله أن يصلِّيَ على جدِّه محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم وعلى أخيه وأبن عمِّه أمير المؤمنين على بن أبي طالب » ويؤتى من وصف الخليفة ومدحه بما يُناسب المقام .
ثم هو بعد ذلك على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يقال بعد التصدير المقدم «أما بعدُ فالحمد لله»)

ويؤتى من التحميد بما يُناسب تلك الولاية ، ثم يؤتى بتحميدة ثانية وثالثة ، وتكون الثالثة متعلِّقةً بالنعم الشاملةٍ لأمير المؤمنين ؛ ثم يقال : « وإن أمير المؤمنين لما أخصَّه اللهُ به من كذا وكذا » ويذكر ما سَنَح من أوصاف الخليفة ، ويذكر أنه تصفَّح الناس وسبرهم فلم يجد من يصلح لتلك الولاية إلا هو ؛ ويذكر من صفته ما أتفق ذكره ، ثم يذكر تفويض الولاية إليه ، ويوصيه بما يُناسب ، ويختتم بالدعاء ثم بالسلام مع التفضُّن في العبارة ، واختلاف المعاني والألفاظ ، والتقديم والتأخير بحسب ما تقتضيه حال المُنشىء ، وتودى إليه قريحته .

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(١)
(سِجَّلاتُ أربابِ السِّيوفِ)

وعلى ذلك كَتَبُ سِجَّلاتِ وُزرائِهِم أَصحابِ السِّيوفِ القائِمينَ مَقامِ السُّلاطينِ
الآنَ، من لَدُنْ وزارةِ أميرِ الجيوشِ بَدْرِ الجَمالِيِّ وزيرِ المُستَصرِّ: خامِسِ خِلفائِهِم
وإلى أَقراضِ دولَتِهِم . وقد تَقَدَّمَ منها ذِكرُ عَهْدِي المَنصُورِ : أسدِ الدينِ شيركُوه
أبنِ شادِي ، ثم أبنِ أخيه الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيُّوبَ بالوزارةِ عن
العاضدِ في جملَةِ عُهُودِ الخِلفاءِ والملوكِ ، حيثُ أشارَ في "التعريفِ" إلى عَدَمِها
من جملَةِ عُهُودِ الملوكِ .

ومن أَحسَنِها وَصفاً ، وأبجَحِها لفظاً ، وأدقَّها معنًى ، ما كَتَبَ بهِ الموقِّقُ بِنُ الخِلالِ
صاحبُ ديوانِ الإنشاءِ عن العاضدِ المُتَقَدِّمِ ذِكره ، بالوزارةِ لِشَاوَرِ السَّعْدِيِّ ، بعدَ أن
غلبه ضِرغامُ عليها ثم كانتَ له الكَرَّةُ عليه . وهذه نَسختُه :

من عبدِ اللهِ وولِيهِ عبدُ اللهِ أبي محمدِ العاضدِ لدينِ اللهِ أميرِ المُؤمِنينَ ، إلى السَّيِّدِ
الأجَلِّ ، سلطانِ الجيوشِ ، ناصرِ الإسلامِ ، سيفِ الإمامِ ، شَرَفِ الأنامِ ، مُحَمَّدِ
الدينِ ، أبي فلانِ فلانِ .

سلامٌ عليكِ : فَإِنَّ أميرَ المُؤمِنينَ يَمجُدُ إليكَ اللهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هو ، ويسألُهُ أن
يَصَلِّيَ على جَدِّهِ مُحَمَّدِ خاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وإمامِ المُرسَلينَ ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ الطاهِرينَ
الأئمَّةِ المَهديِّينَ ؛ وسَلَّمَ تسليماً .

أما بعدُ ، فالحمْدُ لله مانِحِ الرغائبِ ، ومُنيلِها ، وكاشِفِ المَصاعِبِ ، ومُزِيلِها ؛
ومُذِلُّ كلِّ عُصبةٍ كَافَتْ بِالغَدْرِ والشَّقاقِ ومُذِيلِها . ناصرٍ من بُغْيِ عليه ، وعاكسِ

(١) لم يترجم فيما يأتي للضرب الثاني وهو سجلات أرباب الأقلام وإن كان قد ذكرها ضمن المراتب
الثلاث الآتية فتنبه .

كَيْدِ الْكَائِدِ إِذَا فَوْقَ سَهْمِهِ إِلَيْهِ ؛ وَرَادَ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَمَرْتَجِعَ الْمَرَاتِبَ إِلَى مَنْ هُوَ أَجْدَرُ بِرُقِيَّتِهَا وَأَوْلَىٰ بِهَا ؛ وَمُسْنَى الْخَيْرِ بِتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ ، وَمَسْهَلُ الرَّتَبِ ^(١) بِتَهْيِيدِ طُرُقِهِ وَفَتْحِ أَبْوَابِهِ ، وَمُدْنَى نَائِيِ الْحِطِّ بَعْدَ نُفُورِهِ وَأَعْتْرَابِهِ ؛ وَمُطْلِعِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْمَغِيبِ ، وَمُتْدَارِكِ الْخَطْبِ إِذَا أَعْضَلَ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ ؛ مُبْدِعِ مَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمُسَبِّبِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ؛ مُحْسِنِ التَّسْدِيرِ ، وَمَسْهَلِ التَّعْسِيرِ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَصَّ أَوْلِيَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ بِالْأَسْتِعْلَاءِ وَالظُّهُورِ ، وَذَلَّلَ لَهُمْ جَوَارِحَ الْأَخْطُوبِ وَمَصَابِعَ الْأُمُورِ ؛ وَأَتَاهُمْ مِنَ التَّأْيِيدِ كُلِّ بَدِيعٍ مُسْتَعْرَبٍ ، وَأَنَالَهُمْ مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ إِذَا أُورِدَ قَصَصُهُ أَطْرَبَ ؛ وَمَكَّنَهُمْ مِنْ نَوَاصِي الْأَعْدَاءِ ، وَشَمَلَهُمْ بِعَنَائِيَتِهِ فِي الْإِعَادَةِ وَالْإِبْدَاءِ ؛ وَضَمَّنَ لَهُمْ أَحْمَدَ الْعَوَاقِبِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي ثَبَّتَتْ لَهُمْ فِي صَحَائِفِ الْأَيَّامِ أَفْضَلَ الْمَنَاقِبِ ؛ وَهَدَاهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَارَاقِ زُلَّالِهِ ، وَتَمَّ غَايَةَ التَّمَامِ كَمَا أَنَّهُ كَانَ لِرِضَا اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ مَالَهُ ؛ وَيُمِدَّهُمْ فِي الْجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَتِهِ بِالتَّأْيِيدِ وَالتَّحْكِيمِ ، وَيُحْظِيهِمْ مِنْ أَنْوَارِ الْيَقِينِ ، بِمَا يَجْلُو عَنْ أَفْتَدَتِهِمْ دُجَى الشُّكِّ الْبَهِيمِ ؛ وَيُظْهِرُ لِأَفْهَامِهِمْ خِصَائِصَ الْإِمَامَةِ فِي حُلَلِ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَيُرِيهِمْ أَنَّ خُلُوصَ الطَّاعَةِ مَنجَاةٌ فِي الْمَعَادِ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَثْمَرَ مِنْ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ الْأُمَّةَ الْهَادِيْنَ ، وَأَقَامَهُمْ أَعْلَامًا مُرْشِدَةً فِي مَحَبَّةِ الدِّينِ ؛ وَبَيَّنَّ بِتَبْصِيرِهِمُ الْحَقَائِقَ وَوَرَّثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَرَفَ مَقَامَاتِهِمْ ،

(١) مراده الصعب . والرتب بالتحريك من معانيه الشدة والغلظة يقال ما في هذا الأمر رتب ولا عتب أى عناء وشدة .

(٢) لم يتقدم ما يعطف عليه وهو من متعلقات أمير المؤمنين كما لا يخفى .

وجعله مُحَرِّزَ غَايَاتِهِمْ ، وَجَامِعَ مُعْجَزَاتِهِمْ وَأَيَاتِهِمْ ؛ وَقَضَىٰ لِمَنْ أَلْتَحَفَ بِظُلِّ فَنَائِهِ ،
وَأَشْتَمَلَ بِسَابِغِ نَعِيمِهِ وَأَلَائِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ وَاعْتَصَمَ بِوَلَائِهِ ؛ بِالْخُلُودِ فِي النِّعَمِ
الْمُقِيمِ ، وَالْحُلُولِ فِي مَقَامِ رِضْوَانِ كَرِيمٍ : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ نِعْمَةَ الَّتِي جَعَلَتْهُ لِلبَشَرِ إِمَامًا ، وَأَمَصَّتْ لَهُ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ أَوَامِرَ وَأَحْكَامًا ؛ وَجَرَّدَ مِنْ عَزْمِهِ فِي حَيَاةِ دِينِ اللَّهِ عَضْبًا مُرْهَفًا
حُسَامًا ، وَأَسْتَخْلَصَ لِإِنْجَادِ دَوْلَتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهَا أَكْلَهُمْ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا ؛ وَأَحْسَنَهُمْ
فِي تَدْيِيرِ أُمُورِهَا قَانُونًا وَنِظَامًا ؛ وَأَتَمَّهُمْ لِمَصَالِحِ أَجْنَادِهَا وَرِعَايَاهَا تَفَقُّدًا وَأَهْتِمَامًا ،
وَأَوْلَاهُمْ بِأَنْ لَا يُوجَّهَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ مَلَامًا ، وَأَجْدَرَهُمْ بِأَنْ يُحَلَّلَ
مِنْ جَمِيلِ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَارَ سَلَامٍ يَلْقَىٰ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ
عَلَىٰ جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الَّذِي أَعْلَنَ بِالتَّوْحِيدِ وَجَهَرَ ، وَغَلَبَ بِالتَّائِيدِ وَقَهَرَ ؛ وَأَظْهَرَ
الْمُعْجِزِ الْبَدِيعِ وَأَسْتَطَالَ إِعْجَازَهُ وَبَهَرَ ، وَأَطْلَعَ نُورَ الْإِسْلَامِ وَأَشْتَهَرَ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ إِشْرَاقَهُ وَظَهَرَ ؛ وَعَلَىٰ أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَبِيْنَا عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيْفِ اللَّهِ
الَّذِي شَهَرَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَسَلَّهُ ، وَكَفَّلَهُ إِعْزَازَ الدِّينِ فَأَعْظَمَهُ بِجِهَادِهِ وَأَجَلَّهُ ؛ وَقَرَعَ
بِعِزِّهِ صَفَاةَ الْإِلْحَادِ فَأَعَانَهُ (؟) بِعِزِّهِ وَأَذَلَّهُ ، وَقَصَّدَ الْأَصْنَامَ وَأَرْغَمَ مِنْ أَسْتَعْوَاهِ
الشَّيْطَانَ بِاتِّبَاعِهَا وَأَضَلَّهُ ؛ وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتَيْهَا أَعْلَامِ الدِّينِ ، وَهُدَاةِ الْمُتَّقِينَ ؛
وَمَوْصِيَّ سَبِيلِ الْحَقِّ لِأَهْلِ الْيَقِينِ ؛ وَمَوْصِلِي الْأَنْوَارِ الدِّينِيَّةِ إِلَى بَصَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
صَلَاةً تُتَكَرَّرُ وَتَتَرَدَّدُ ، وَتُدُومُ مَدَى الْأَيَّامِ وَتُتَجَدَّدُ .

وَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَخْتَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْصِبِ الشَّرِيفِ ، وَسَمَّا بِهِ إِلَيْهِ مِنَ
الْحَلِّ الشَّائِخِ الْمُنِيفِ ؛ وَفَوَّضَهُ إِلَيْهِ مِنْ تَدْيِيرِ خَلْقِهِ ، وَأَفْرَدَهُ بِهِ مِنْ آتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالْقِيَامِ

بحقّه ؛ وناطه به من المحاماة عن المِلَّة الحنيفيَّة ، والأجتهادِ في أن يشمَل أهلها بالحالة السنيَّة والعيشة الهنيئة ؛ وإعانتة في إظهار شعاعها ، وتأيدته في إظهار علوها على المُلْك وأقنندارها - يبدُل جهده في الاستعانة بمن تقوم به حجته عند الله بالأعتماد عليه ، ويتوثق لنفسه في اختيار من يقوم برضا الله في إسناد الأمور إليه ؛ ويحرص على النفويض لمن يكفي في التدبير ، ويحيط غاية نظره بالصغير من رجال الدولة والكبير ، تقرُّبا إلى الله بالعمل فيما ولَّاه بما يرضيه ، وأزديلافا باتباع أمره في كل ما ينفذه ويؤمضيه . وقد كان أمير المؤمنين تصفح أولياء دولته ، وعظماة مملكته وأكابر شيعته وأنصار دعوته ؛ فوجدك أيها السيد الأجلُّ أكلهم فضلا ، وأقلهم مثلا ؛ وأمهم في التدبير والسياسة إنصافاً وعدلاً ، وأحقهم بأن تكون لكلِّ رياسة وسيادة أهلا ؛ ففوض إليك في أمور وزارته ، وعوّل عليك في تدبير مملكته وجمع لك النظر فيما وراء سرير خلافته ؛ فخرت الأمور بمقاصدك السعيدة على إيثار أمير المؤمنين وإرادته ، وأستمت أمر المملكة بمباشرتك على أحسن قانونه وعادته ، وشملت الميامن والسعود أتمَّ أشتمال على تفصيله وجملته ؛ وأنحسمت الأدواء ، وذلت بسطوتك الأعداء ، وزالت في أيامك المظالم والأعتداء ؛ وحسنت بأفعالك الأمور ، وظهرت بك الصلح وكان قبل وزارتك قليل الظهور ؛ فانبسطت الآمال ، وأتسقت الأعمال ؛ وأقع الضلال ، وأمنت الأهوال ؛ وخلصت من الرأي السقيم ، وحظيت بالملك العقيم ، وغدا جندُها ورعاياها بركة رأيك في النعم المقيم .

فلما رمقت عين الكمال ، وأهلب قلوب حسدتك مأوتيته من تمام الخلال ، تكاثرت من يحوك المكائد ، وتظافر عليك المنافس والمعاند ؛ ورنّت إليك إساءة من عاملته بالإحسان ، وعدت عليك خيانه من أتمنته أتمَّ أتمنان ؛ وتم له المراد بوقائك

وَعَدْرَهُ ، وَسَلَامَةَ صَدْرِكَ وَمَكْرَهُ ، وَأَتَّفَاقَ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ وَمَبَايَنَةَ سِرِّهِ لَجْهَرِهِ ؛
فَكَانَ مَا هَوَّنَهُ فِي نَفْسِهِ سَلَامَةُ النَّفْسِ وَأَكْبَرُ الْوَلَدِ ، وَمَنْحٌ فِي اسْتِدَادِهِ نِعْمًا لَا تَحْتَصِرُ
بَعْدَهُ ؛ وَأَفْطَحَ مَا كَانَ فِيهِ مَا أُصِيبَ بِهِ وَلَدُكَ الْأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أُصِيبَ
وَهُوَ مَظْلُومٌ ، وَلَوْ لَمْ يُصَبِّ لَمْ يَتَمَنَّعْ مِنَ الْأَجَلِ الْمُحْتَمِمْ ؛ فَرِيحَتْ بِمَا نَالَكَ ثَوَابًا ،
وَأَسْتَفْتَحَ لَكَ الْحِطُّ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْبَاغِي بَابًا ؛ وَأَغْتَصَبَ الْغَادِرُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ ،
وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِصُورَةِ الْمُبْطَلِ وَرَأَى بِصُورَةِ الْمُحَقِّ ؛ وَهَدَّتْكَ السَّعَادَةُ إِلَى الْعَمَلِ
بِسِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي الْأَنْحِيَاظِ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالتَّبَاعِدِ عَنِ أَهْلِ النِّغَى وَالْإِعْتِدَاءِ ؛ فَانْسَلَّتْ
مِنَ الْغَوَاةِ أَنْسَالُ الصَّارِمِ مِنْ غَمْدِهِ ، وَتَوَارَيْتَ مِنَ الْعَتَاةِ تَوَارِي النَّارِ فِي زَنْدِهِ ؛
وَقَطَعْتَ الْمَفَاوِزَ مَصَاحِبًا لِلْعُقْرِ وَالْعَيْنِ ، حَتَّى حَلَلْتَ بَرَبَوِيَّةَ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ؛
وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُمِدُّكَ فِي ذَلِكَ بِدُعَائِهِ ، وَيُعِدُّكَ لِتُدْبِرَ دَوْلَتَهُ وَقَعَ أَعْدَائِهِ ؛ وَرَأَى
وَأَنَّ أَعْدَتَكَ الضَّرُورَاتُ عَنِ بَابِهِ ، وَأَنَّكَ الْحَادِثَاتُ عَنِ جَنَابِهِ ، أَنَّكَ وَزِيرُهُ
الْمَكِينُ ، وَخَالِصَتُهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ؛ الَّذِي لَا يُتْرَعُ عَنْهُ شَمْسٌ وَزَارَتُهُ ، وَلَا يُؤْمِرُهُ
غَيْرَ سُلْطَانِهِ وَمَمْلَكَتِهِ .

وَمَا وَجَّهْتَ إِلَى أَعْمَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ اسْتَصْحَابَتِهِ رَاجِيًا مِنْ عُدُوكَ الْأَنْتِصَارَ ،
قَاصِدًا إِدْرَاكَ النَّارِ ؛ وَحَلَلْتَ بِعَقْوَتِهِ ، وَخِيَمْتَ فِي جِهَتِهِ ؛ فَاتَّصَلَتْ بَيْنَكُمْ الْحُرُوبُ ،
وَعَزَّ عَلَى كُلِّ مَنْكَا نَيْلِ الْمَطْلُوبِ - أَمْجِدُكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ عِلْمِهِ بِبَلُوغِ الْكُتَابِ
أَجَلَهُ ، وَأَسْتِيفَاءِ الْوَقْتِ الْمَحْدُودِ مَهَلَهُ ، بِإِظْهَارِ مَيْلِهِ إِلَيْكَ وَمَيْلِهِ عَنِ ضِدِّكَ ، وَأَنَّ
قَصْدَهُ مَبَايِنٌ لِقَصْدِ الْمَذْكَورِ مُوَافِقٌ لِقَصْدِكَ ؛ فَسَبَّبَ ذَا نَصْرِكَ وَخِذْلَانَهُ ،
وَتَقْوِيَتَكَ وَإِيهَانَهُ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِهِ عِنَايَةً تُسْعِدُكَ ، وَرِعَايَةً تُؤَيِّدُكَ .

(١) أى بساحته يقال ما بعقوة هذه الدار مثل فلان .

فحين عُدت إلى بابه عودَ الشُّموس إلى مَشَارِقِهَا قَبْلِكَ أَحْسَنَ قَبُولٍ ، وَتَلَقَّكَ
 بِتَبْلِيغِ السُّوْلِ ؛ وَكَشَفَ الْغِطَاءَ عَمَّا كَانَ يُسِرُّهُ إِلَيْكَ وَيُضْمِرُهُ ، وَيُرِيدُهُ بِكَ وَيُؤْتِرُهُ ؛
 وَجَدَدَ لَكَ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنَ الْوِزَارَةِ ، وَمَبَاشِرَةَ مَا كَانَ مَرْدُودًا إِلَيْكَ مِنَ السَّفَارَةِ
 وَالظَّهَارَةِ : لِأَنَّكَ أَوْحَدُ مَلُوكِ الْعَصْرِ كَالْأَيَّامِ ، وَأَوْسَعُهُمْ فِي حَسَنِ التَّدْيِيرِ مَجَالًا ؛ وَأَشْرَفُهُمْ
 شِيمًا بَدِيعَةً وَخِلَالًا ، وَأَصْلَحَهُمْ آثَارًا وَأَعْمَالًا ؛ وَأَمْتُهُمْ سَعَادَةً وَإِقْبَالًا ، وَأَكْثَرُهُمْ
 تَقِيَّةً لِلَّهِ تَعَالَى ؛ وَمَا زِلْتَ لِأَفْئَاتِ جَامِعَا ، وَلِرَايَةِ الْمَجْدِ رَافِعًا ؛ وَلِذُرَى الْعَلَاءِ وَالسَّنَاءِ
 فَارِعًا ؛ تَرْدَاتُ الْعُصُورِ بَعْضُكَ ، وَتَجَمَّلَ الدُّنْيَا بِبَقَاءِ نَهْيِكَ وَأَمْرِكَ ؛ وَتَتَعَجَّبُ
 الْأَفْلَاكُ الْعَلِيَّةُ مِنْ سَعَةِ صَدْرِكَ ، وَتَتَضَاعَلُ الْأَقْدَارُ السَّامِيَّةُ لِعَظِيمِ قَدْرِكَ ؛ وَكَمْ لَكَ
 مِنْ مَنَقِبَةٍ تَجِلُّ أَنْ يَكْفِيَهَا بَدِيعُ الْأَقْوَالِ ، وَتَعْظُمُ أَنْ يَتِمَّهَا بَدِيعُ الْأَقْوَالِ ؛ فَالدُّوْلَةُ
 الْعَالَوِيَّةُ بِتَدْيِيرِكَ مَخَالَةٌ زَاهِيَةٌ ، وَأَرْكَانُ أَعْدَائِهَا وَأَضْدَادِهَا بِحَزْمِكَ وَعَزَمِكَ وَاهِيَةٌ ،
 وَسَعَادَاتُ مَنْ تَضَمَّهُ وَتَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مَتَضَاعِفَةٌ غَيْرُ مَنَقِطَةٍ وَلَا مَتَنَاهِيَةٍ ؛ وَلَمْ تَزَلْ
 لِلْإِسْلَامِ سَيْفًا قَاطِعًا مَاضِيًا ، وَعَلَى الْإِلْحَادِ سَيْفًا مَرْهَفًا قَاضِيًا ؛ تَدُودُ الشَّرْكَ عَنْ
 التَّوْحِيدِ ، وَتَصُدُّ الْكُفْرَ عَنِ الْإِيمَانِ فِيحِيدٍ مُرْعَمًا وَيَبِيدُ . وَكَمْ لَكَ فِي خِدْمَةِ أُمَّةِ
 الْهُدَى مِنْ مَأْتَمَةٍ تُؤَثِّرُ فِتْجَهَجَ ، وَيُورِدُ ذِكْرَهَا فِغْرَى بِنِشَاءِ عَلَيْكَ وَيُلْهِجَ ؛ وَتَبْدُلُ
 فِي طَاعَتِهِمُ النَّفْسَ وَالْوَلَدَ ، وَتَنْتَهِي فِي مَنَاصِحَتِهِمْ إِلَى الْأَمِدِ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَمَدٌ ؛
 فَلِذَلِكَ فُزْتَ بِدَعْوَاتِهِمُ الَّتِي أَعْقَبَتْكَ حُسْنَ الْعَوَاقِبِ ، وَأَحْلَتَكَ الْمَحَلَّ الَّذِي لَا تَسْمُو
 إِلَى رُقِيَّةِ النُّجُومِ الثَّوَابِقِ ؛ فَإِذَا رَفَعَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنَزَلَةٍ سَامِيَةٍ ، وَجَدَ مَحَلَّكَ
 لَدَيْهِ عَنْهَا يَجِلُّ وَيُسْمُو ، وَإِذَا خَصَّكَ بِفَضِيلَةٍ مَا ، صَادَفَ أَسْتِحْقَاقَكَ عَنْهَا يَرْتَفِعُ
 وَيَعْلُو ؛ وَإِذَا أَسْتَشَفَّ خِصَائِصَكَ ، وَجَدَهَا بَدِيعَةَ الْكَمَالِ ، يَمْتَنِعُ أَنْ يُدْرِكَ مِثْلَهَا

(١) الأَقْوَالُ جَمْعُ قَوْلٍ (وَأَصْلُهُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ) وَهِيَ مَلُوكٌ حَيْرٌ وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى أَقْيَالٍ عَلَى

بِحِرْصٍ سَاجٍ أَوْ يُنَالُ ؛ وَقَدْ تَوَافَقَتِ الْخَوَاطِرُ عَلَى أَنَّكَ أَوْحَدُ وُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ
ظَفَرًا وَنَظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي طَاعَتِهَا وَمَخَالَصَتِهَا أَثَرًا ، وَأَفْضَلُهُمْ خُبْرًا وَأَطْيَبُهُمْ خَبْرًا ؛
وَقَدْ جَدَّدَ لَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصْطَفَاءَكَ لُوزَارَتِهِ ، وَأَجْتَبَأَكَ لِتُدِيرَ مَمْلَكَتَهُ ، وَجَعَلَكَ
الْفَرْدَ الْمَشَارَكَ فِي دَوْلَتِهِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَهْمَاتِ الْحَسَامِ ، وَتَسَمَّ مَا وَطَّدهَ لَكَ مِنْ
هَذِهِ الرُّتَبِ الْعِظَامِ ؛ وَتَلَقَّ آلاءَهُ بِمَا يُثَبِّتُكَ فِي جِرَائِدِ الْأَبْرَارِ ، وَيَمْنَحُكَ مَصَاحِبَةَ التَّوْفِيقِ
فِي الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ وَبَاشَرَ مَا نَاطَ إِلَيْكَ مِنْ كَبِيرِ الْأُمُورِ وَصَغِيرِهَا ، وَجَلِيلِ الْأَحْوَالِ
وَحَقِيرِهَا ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ فِي تَدِيرِ دَوْلَتِهِ ، وَأَنْفَذَ أَوْامِرَكَ فِي أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ ؛ وَأَعْنَبَ بِمَا
جَعَلَهُ لَكَ مِنْ تَدِيرِ جُيُوشِ الْمَيَامِينِ وَأَوْلِيَاءِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَكَفَالَةِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَدَايَةِ
دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَبَّ أَحْوَالِ جُنُودِهِ وَرِعَايَاهُ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَعْمَلَ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
الَّذِي مَابَرِحَتْ لَكَ دَابًّا وَطَرِيقَهُ ، وَشِمِيَّةً وَخَلِيقَهُ ؛ وَبِهَا النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالسَّلَامَةُ
فِي دَارِ الْقَرَارِ ؛ وَالْفَوْزُ بِمَعْنَى الْخَلَاصِ ، فِي يَوْمِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْقِصَاصِ . فَالْعَارِفُ مِنْ
مَهَّدَ بِهَا مَقَامَهُ فِي الْآخِرَةِ تَمْهِيدًا ، وَأَحْرَزَ بِهَا مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ مَزِيدًا ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ
فِي الْكِتَابِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي الْإِعْجَازِ فَرِيدًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

وَرَاقِبِ اللَّهَ فِيمَا أَلْفَاهُ إِلَيْكَ فَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالرَّفْعِ
وَالْخَفْضِ ؛ وَالْوَالِيَةَ وَالْعِزَّانَ ، وَالْقَطْعَ وَالْوَصْلَ ؛ وَالتَّوْلِيَةَ وَالتَّصْرِيفَ وَالصَّرْفَ ،
وَالْإِمْضَاءَ وَالْوَقْفَ ؛ وَالغَضَّ وَالتَّيْبَةَ ، وَالْإِنْخَالَ وَالتَّنْوِيَةَ ؛ وَالْإِعْزَازَ وَالْإِذْلَالَ ،
وَالْإِسَاءَةَ وَالْإِنْجَالَ ؛ وَالْإِبْدَاءَ وَالْإِعَادَةَ ، وَالتَّنْقِصَ وَالتَّزْيِيدَ ؛ وَالْإِنْعَامَ وَالْإِرْغَامَ ،

وكل ما تُحدثه تصاريُف الأيام، وتقتضيه مطالبُ الأنام ؛ فهو إليك مُردود، وفيما عُدق بنظرك معدود .

وأما العدلُ ومدُّ رواقه ، وإقامةُ موااسمه وأسواقه ؛ والإنصافُ وأتباعُ محجته ، والاعتمادُ على أحكامه وأفضيته ؛ وكفُّ عوادي الجورِ والمظالم ، وحملُ الأمرِ على قُصدِ التصاحبِ والتسالمِ ؛ وإظهارُ شعارِ الدين ، في إنصافِ المتداعين إلى الشرع المتحامين ؛ والدعوةُ الهاديةُ وفتحُ أبوابها للمستجيبين ، وإعزازُ من يمتسك بها من كافةِ المؤمنين ؛ والأموالُ والنظرُ فيها ، والأعمالُ أفاضيلها وأدانيها - فكلُّ ذلك محررٌ في تقليدِ وزارتكِ الأول ، وأنتِ أوْلَى مَنْ حافِظٌ على العملِ به وأكمل .

وأماُ أمراءِ الدولةِ الأكابرِ ، وصُدورها الأمانيل ؛ وأمرؤها الأعيان ، وأولياؤها الذين بسُيوفهم تُقامُ دعائمُ الإيمان - فأنتِ شفيعهم في كلِّ مكان ، ومُعِينهم الذي يُبدلُ جهدهُ بغايةِ الإمكان ؛ والجاهدُ لهم في النفعِ والصِّلاح ، والحريصُ على دَفْعِ مايلُهم بكلِّ منهم من الضررِ والأجتياح ؛ ومازلتَ لهم في الأغراضِ بمحضرةِ أميرِ المؤمنين مساعدا ، وعلى مايلتفهم الآرابِ حريصًا جاهدا ؛ وتخصُّمهم دائما بعنايتك ، وتُمَدِّهم برعايتك ، وتُعَمِّلُ لهم في الحاجاتِ صائبَ رأيك ؛ فأجرهم على ما ألقوه من الاعتناء والإجمال ، وبلغهم من محافظتكِ نهاياتِ الآمال ؛ فهم أبناءُ الملاحم ، ومُصْطَلو هَبِّ الجمرِ الجاحمِ ، ومصالحو الصِّفاح ، المُرهفةُ الضروب ، وملاعبو الرِّماح ، العاسلةُ ذاتِ الكعُوب ؛ ومُعَمِّلو العِناقِ الأعوجية ، ومُرْسِلو السَّهامِ المِريشةِ المَبْرِيه .

وأميرِ المؤمنين يعلمُ أنكِ بفضلِ فطرتك ، وثاقبِ فطنتك ، وما مِيرَكَ اللهُ به من قديمِ حُكمتك ونَجْرَتك ؛ تغنى عن الوصايا ، وتُنزَّه عن توسيعِ الشرحِ في القضايا ؛ وإنما أوردتُ لكِ هذا التَّزْر منْها على جهةِ التيمُّنِ بأوامرِ الأئمة ، والتبرُّكِ بمراسيمِ هُداةِ

الأمه ؛ والله يحقق لأمر المؤمنين فيك الأمل ، ويوفِّقك في خدمته للقول والعمل ؛
ويُعينك على إصلاح دولته ، وأغتنم فرص طاعته ؛ وبذل الجُهد والطاقة
في مناصحته ، والأجتهاد في رفع منار دعوته ؛ ويؤيدك على أعداء مملكته ، ويرشدك
إلى العمل بما يُسبِّغ عليك لباس نعمته ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ،
وانته إلى موجب حركه ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،
والتحميد .



وعلى ذلك كتب الموفق بن الخلال أيضا عن العاضد بولاية ابن شاور السعدي
نيابة الوزارة عن أبيه ، وتفويض الأمور إليه ، وهذه نسخه :

من عبد الله ووليه (باللقاب الخليفة) إلى فلان (بالنعوت اللائقة به) .

سلام عليك (إلى آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم
في سبيل الوزارة لأبيه) .

أما بعد ، فالحمد لله مؤيد الحقائق بأفضل الأنصار ، ومُعز الممالك بأكمل ذوي
النفاذ والاستبصار ؛ وجاعل الولد الباز لوالده رُحماً وسنداً ، والنجل المختار لناجيه
تجدة ومددا ؛ مرتب الممالك على أفضل نظامها ، ومرقى الدول إلى المؤثر من إجلالها
وإعظامها : ليتضح للتأملين فضل تأكيد الأواصر ، ويستبين للناظرين فصل تباين
العناصر ؛ إبراماً منه - جل وعز - لأسباب الحكمة ، وتوسيعاً لسبيل الحنان
والرحمة ؛ وشمولاً لما يتتابع به إحسانه من المن الجسيم (فضلاً من الله ونعمة
وأنه عليه السلام) .

والحمد لله معلي الدرجات ورافعها، ومفيد الأمم ونافعها؛ ومزيل البأساء ودافعها،
 ومجيب الدعوات وسامعها، ومضاعف المصالح وجامعها؛ الذي وقف على الدولة
 العلوية أحسن السير، وخصها فيمن تُوثر أصفاءه بمساعدة القدر، ويسر لها رائق
 التدبير بعد ملائسة الرئق والكدر؛ وأدخر لها من الأصفياء من تُشرق الدنيا بأنواره،
 وتزين الدهور بحاسن آثاره؛ وتسمو المفانح بمفانحه، ويتوالى الثناء على ما ابتكره
 من المكارم في أول نشئه وآخره؛ ويتتابع الإحساد لمن يختاره ويحتويه، وتتضاءل
 أقدار الملوك إذا ذكر فضله وفضل أبيه؛ وتسكن النفوس إلى تمام ورعه ودينه،
 ويتطق لسان الإجماع بصحة معتقده ويقينه .

والحمد لله الذي شمل البرايا فضله، وعم الخلائق عدله؛ وأقرت العقول بأن إليه
 يرجع الأمر كله .

يحمده أمير المؤمنين على نعمه الظاهرة التي أحظت دولته الظاهرة، بمؤازرة البيت
 الجليل الشاوري، وأيدت مملكته القاهرة، بحاماته عن حوزتها بالعصب المرهف
 والسّمهري؛ ويشكره على مننه التي استخلصت له منه أنصارا يرهفون في طاعته
 العزائم، ويحرقون في إرادته العظام، فيدبّون عن حوزته ولا يخافون في ذات الله
 لومة لائم؛ ويسأله أن يصلي على جدّه مجدّ الداعي إلى الهدى، والمبعوث إلى الخلائق
 وهم إذ ذاك سدى؛ والمناضل في نصرة الإسلام بالأسرة والآل، والمطرح
 عاجل الدنيا الفانية لأجل المال؛ وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذي
 أقام من دين الله منكر الأود، وقام لنبي الله مقام النجل المرتضى والوَلد؛ وقطّ من
 طواغيت الكفر شايخ الحام، وأوضح غامض التنزيل بما أفرده الله به من مزايا

الإلهام؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتَيْهِمَا أبناءِ الرِّسَالَةِ والإمامة، والمختصِّين بِإرثِ بَيْتِهِ المُحِبُّو
بِتَظْلِيلِ العَمَامَةِ، والقائمين بِنُصْرَةِ الدِّينِ، والمتفردين بِإمْرَةِ المؤمنِينَ .

وإنَّ أميرَ المؤمنِينَ لِمَا أقامه اللهُ له من تمكينِ قَوَاعِدِ الدِّينِ، واختاره لإيضاحه
من إرشادِ فِرْقِ المُسلمِينَ؛ وأفضى به إليه من سِرِّ الإمامة المكنُونِ، وألقاه إليه من
خَفَايَا الإلهام الذي تُسْتَبْطِ من أنوارها عِلْمٌ ما كَانَ ويَكُونُ؛ وأمدّه [به] من التأييد
الذي يستأصل طواغيتِ النَّفاقِ بقوارعِ المَهَالِكِ، ويسلُكُ بِمَرْدَةِ أهلِ العِنَادِ أوعَرَ
السُّبُلِ والمسَالِكِ؛ وأنجده في كُلِّ الحَالَاتِ بالأطرافِ الخَفِيَّةِ التي تتكفَّلُ بِإِعْلَاءِ
كَلِمَتِهِ، وتتضمَّنُ نُصْرَ أعلامه وَذُرَّ دَعْوَتِهِ؛ وآتاه جوامعَ المعارفِ والحِكَمِ، وفرضَ
طاعته على مَنْ دانَ بالتوحيدِ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ؛ وألزمَ مقاصدهَ وأنحاءَه التوفيقِ،
وأوجبَ لها السعادةَ في كُلِّ جليلٍ ودقيقٍ - يفوقُ أمرَه إلى الخالقِ، ويُفِيضُ
جودَه وِرَّه في الخلائقِ؛ فلا يزالُ لأحوالِ دولته مُراقِبًا، ولا ينفكُ يُفِيدُ كُلَّ
ما يتعلَّقُ بها نظرًا ناقِبًا؛ فإذا لاحتْ له لائحةُ صلاحِ، أو بدتْ لنظره مَحِيلَةٌ تُجَاحِ،
أجتهَدَ في توسيعِ مَجَالِها، وحرَّضَ على حَمِّها وقصدِ إعْجَالِها؛ وأتمسَّ للدَّولةِ آجتلابَها،
وفتَحَ إلى آسْتِدْعَاءِ النَّفْعِ بابها: لينمى الخَيْرُ العميمُ، في دولته، ويتضاعفَ النَّفْعُ
الجسيمُ، لرعيته، وتكونُ كافَّةُ الخلقِ فيها بالأمانةِ والسُّكُونِ مغمُورين، وبِحُسْنِ
صنيعِ اللهُ بهم فَرِحِينَ مُسرُورِينَ .

ولَمَّا تصفَّحَ أميرَ المؤمنِينَ أحوالَ دولته، وتأمَّلها تأمُّلًا من يُؤثِّرُ أن يَفْقَهَ النَّفْحَ
في كلِّ مهمٍ على حَقِيقَتِهِ، رأى أن اللهُ جلَّ وعَلَا قد مَنَحَ أميرَ المؤمنِينَ من خالصته
وصفيَّةً، ووزيره وكافيه ووليَّه؛ السيدَ الأجلَّ (بالنعوتِ والدعاء) الذي قام بِنُصْرَتِهِ،
وكفَّلَ أهوالَ الحُرُوبِ بِنَفْسِهِ وأولاده وأُسْرَتِهِ؛ وحالفَ التَّغْرِبَ والأسْفَارَ،

واستبدل من لين العيش بملافة السهام واللاهزم والشفار؛ واتخذ ظهور الحيات عوضاً من الحشايا، ومنازلة الأبطال دأباً في الحنادس والبكر والعشايا؛ وآثر على لبس الغصص الموق الجديده، لباس اليب ولألمات الحديد؛ ولازم في ذات الله قرع أبواب الختوف، والتهم على كل مخشي مخوف؛ حتى ذل الأعداء، وقمع الاعتداء، وحسم الأدواء، وأزم الدهر بعد خطئه الاستهواء؛ وأفاد دولة أمير المؤمنين باجتاده عزاً، وأذخر لها عند الله من الأجر والثوبة كنزاً؛ وسير عنها في الآفاق أحسن الأحاديث، وبين فضلها على غيرها في القديم من الدهر والحديث؛ وأخلص لأمر المؤمنين في الطاعة حتى استخدم الموالى الموافق، والمباین المنافق؛ وكل فضائله التي لا تحصى، ومحاسنه التي لا تحصى ولا تعد؛ بفضيلة ثبوت الفضائل، ومثبته تفوق بفضورها المناقب الجلائل؛ وهي ماوجهه الله [له] من بقوة الأجل فلان الذي لم يزل للدولة عزاً حاضراً، وولياً ناصراً؛ وعوناً قاهراً، ومجداً ظاهراً؛ وجملاً باهراً. وما برح الله - جلّ وعلا - مراقباً، وليرضاه وغفرانه طالباً؛ قد جمع إلى كمال الدين وصحة اليقين، المخالصة في طاعة أمير المؤمنين؛ لا يفتر منذ مدة الطفولية [عن] درس القرآن، ولا يبارى بغير الأمور الدينية مجباء الأقران؛ إن تصفحت محاسنه الدنيوية عد ملكاً مهذباً، وإن تأملت مناقبه الدينية حسب ملكاً مقرباً؛ وكم له من منقبة تستنقص الغيوث، وشجاعة تستجيب اللبوث؛ ومهابة ترد أحاديثها الجيوش على الأعقاب، وتغريها بموالاة الحذر والأرتياب؛ إذا أسهبت الخطوب أوجرت تدبيره، وإذا استطالت الحوادث قصر طولها فأعجب تقريره؛ فالدولة العلوية من ذبّه في الحرم الآمن، والخلافة العاضدية من ملاحظاته في تدبيره يجمع أشنات الميآمن؛ فأجتمع المآثر قد وحده، بشهادة الإجماع، وتوآلى المحامد قد أفردته، بما شاع منه في الممالك وذاع؛ تتحاسد عليه غر الأخلاق، وتنافس فيه المكارم منافسة

ذوات الإشراق؛ فلا تُوجد خَلَّةٌ فضليّ بارعٍ إلا وقد جمَّعها، ولا مِكنةٌ جبر قارعٍ إلا وهو الذي مهَّد مَحَجَّتْها ووسَّعها؛ ومقاماته في الجهاد والحلاد مقاماتٌ أوضحت الحقائق للأفهام، وثبتت الدقائق تثبتنا بيقٍ على غير الأيام؛ وأعزّت دعوة الدولة العلوية وأيدتها، ونصرت أعلامها ونشرتها؛ وأكسفت بالفضل والإحسان رجالها، وأزلت بالحِدِّ والتشمير أوجالها؛ ومحت آثار عُداتها بالسُّيوف، وألقتهم عن النكايات المُجحفة بوزع المنايا والختوف.

والحروبُ قَرِباةٌ في مَهودها، ومَنشاه بين أسودها، ورُعائها وقْفٌ على إضرارها وإخماد وقودها؛ فإذا تورَّدها تورَّدها باسمًا متهللاً، وإذا اقتحم مضايقتها تصرَّف فيها متوقفاً متهللاً؛ لا يخفى بأهوالها، ولا يرى لقارعةٍ من عظام قوارعها وإلها؛ وحسبك فتكاته في طُغاة الكُفَّار، وقصدُ أولياء الدولة بالإظهار: فإنَّ الكُفَّار حين نهَّدوا للنفاق، واجتلبوا أشباههم من بعيد الآفاق؛ وتَهَجَّموا على الأعمال بخاهم بعزمة من عزماته أقامت راية الدين، وجعلتهم حصيداً خامدين؛ وأفنت منهم الصناديد، وأصطلمتهم ببلايا تريد على التعديد؛ واجتحتقتهم بالقتل والأسر والتفريق، ورمتهم بدواه لا يقدر بشرى على دفاعها ولا يطيق؛ ولما ألتجأ طاغية الكُفْرِ إلى الحيرة وركد، ورام الاعتصام بعروتها واجتهد، وأغتر بما معه من الجمع وكثرة العدد؛ نهَّد إليه في الأبطال الأتجاد، ونهض نحوه ثابتاً للقرع والحلاد؛ فأزاله عن مجتمه، ودعره دُعراً شرده عن معلمه؛ ورماه بالحرَّك بعد السُّكون، والتعب الذي قدَّر باعتراره أن مثله لا يكون؛ ولم له فتكةٌ في أهل العمود ذلَّت حماهم، وأستلبت أرواحهم، وأعادت ليلاً بالنقع صباهم.

وعند تَمَادِي عَتَاةِ الكُفَّارِ فِي الإِصْرَارِ، وَجَوَسِهِمْ خِلَالَ الدِّيَارِ؛ وَفَقْهِهِمْ فِي وُجُوهِ الأَذَى وَالإِضْرَارِ، وَطَمَعِهِمْ فِي أَجْتِيَاكِ أَهْلِ الأَعْمَالِ وَالْأَقْطَارِ - عَوَّلَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَسْتِنْصَالِهِمْ عَلَى عَزْمِهِ، وَأَعْتَصَدَ بِذَبِّهِ وَحَسْمِهِ؛ وَجَعَلَ إِلَيْهِ التَّدِيرَ بِالقَاهِرَةِ المَحْرُوسَةِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةُ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ، وَدَارُ هِجْرَةِ الإِمَامِ، وَمَعْقِلُ الخِلَافَةِ مُنْذُ غَابِرِ الأَيَّامِ؛ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي رَبِّ جَمِيعِ الأَعْمَالِ، وَتَأَمَّنَ بِهَا مِنْ بَوَائِقِ الأَوْجَالِ؛ وَبَيَّنَّ بِالحِضْرَةِ وَبِالأَعْمَالِ مِنْ مَهَابَتِهِ مَا شَرَّتْ الأَوْجَارُ، وَسَهَّلَ الأُمُصَارَ، وَمَحَقَّ الضُّلَّالَ، وَأَذَقَهُم النِّكَالَ؛ فَعَمَّ السُّكُونُ وَالآمَنَةُ، وَأَسْتَوْلَتْ عَلَى الأَعْمَالِ السِّيَاسَةُ المُسْتَحْسَنَةُ؛ بِخِدَاتِ بِنَصْرَةِ الأَيَّامِ وَصَلَاحِ الوُجُودِ، وَأَعْتَبَطُوا مِنْ تَدْيِيرِهِ بِصُعُودِ الجُنُودِ، وَرَتَعُوا مِنْ عِنَايَتِهِ فِي عَيْشِ يُضَاهِي عَيْشَ جِنَانِ الخُلُودِ؛ فَالْبَلَاغَاتُ بِأَسْرَافِهَا لِانْقِوَامِ بِمَدْحِ مَا أُوتِيَ مِنَ الفَضَائِلِ، وَلَا يُوَازِي جَمْعُهَا مَنَقِبَةً مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي أَرَبَى بِهَا عَلَى المُلُوكِ الأَوَاخِرِ وَالْأَوَائِلِ؛ وَالْخِصَائِصُ المُلُوكِيَّةُ بِجَمَلَتِهَا فِيهِ جِبِلَّةٌ وَفِطْرَةٌ، وَإِذَا قِيَسَتْ نَادِرَةٌ مِنْ نَوَادِرِ فَضْلِهِ بِمَا تَفَرَّقَ فِي جَمِيعِ المُلُوكِ كَانَتْ فَضَائِلُهُ بِمِثْلَةِ البَحْرِ وَمَجْمُوعُ فَضَائِلِ المُلُوكِ بِمِثْلَةِ القَطْرَةِ؛ وَقَدِ طَرَزَ فَضَائِلَهُ البَدِيعَةَ، وَخِلَالَ السَّامِيَةِ الرَّفِيعَةَ، مِنْ مُوَالَاةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ وَمَنَاصِحَةِ دَوْلَتِهِ بِمَا تَكْفُلُ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَنِهَايَاتِ مَغَانِمِ الثَّوَابِ الشَّرِيفَةِ الفَاحِرَةِ؛ فَلَيْلَهُ وَنَهَارُهُ مَضْرُوفَانِ إِلَى المَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ دَوْلَةُ التَّوْحِيدِ، وَالْمُخْلِصِ فِيهَا مُعْرَضٌ لِكُلِّ مَقَامٍ سَعِيدٍ؛ فَحَاسِنُهُ تَرْتِفِعُ عَنْ قَدْرِ التَّقْرِيطِ وَالْمَدِيحِ، وَلَا تُقَابِلُ إِلَّا بِمُوَالَاةِ التَّسْبِيحِ .

وَمَا أَحَدٌ مِنْ أميرِ المُؤْمِنِينَ أَثْرَهُمَا فِي خِدْمَتِهِ، وَشَكَرَ قَصْدَهُمَا فِي دَوْلَتِهِ؛ وَكَانَ السَّيِّدُ الأَجْلُّ قَدْ بَلَغَ إِزْبَهُ فِي الخِلَالِ، وَحَلَّ المَحَلَّ الَّذِي لَا تُعْطَاهُ جَوَاحِجُ الأَمَالِ؛ وَقَدْرُهُ يَشْرَفُ عَنْ كُلِّ تَكْرِيمٍ، وَمَوْضِعُهُ يَمْتِيزُ عَنْ كُلِّ مَنْ جَسِيمٍ، وَمِثْرَتُهُ تَسْمُوعُ عَنْ كُلِّ تَعْظِيمٍ - فَأَوْصَى أميرُ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَ الأَجْلُّ أَنْ يُقَرَّرَ لَهُ جَمِيعُ خِدْمَتِهِ، وَيُسْبَغَ عَلَيْهِ

فِي الْمَسْتَأْنَفِ أَضْفَى نَعْمَهُ : فَإِنْ مَحَلَّهُ يَرْتَفِعُ عَنْ مَحَلِّ الْخِلْمِ الْجَلِيلِ ، وَيَسْمُو عَنْ كُلِّ
 تَصَرَّفٍ يَسْمُهُ فِي الدَّوْلَةِ بِسِمَةِ جَمِيلِهِ ؛ وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدَ الْأَجَلَ أَنْ يُعْلَنَ
 بِإِسْنَادِ النِّيَابَةِ عَنِ وَالِدِهِ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ إِلَيْهِ ، وَيُشْهَرَنَّ ذَلِكَ مَعُولٌ فِيهِ عَلَيْهِ :
 لِيُخَفَّفَ عَنِ السَّيِّدِ الْأَجَلَ أَمِيرَ الْجِيُوشِ أَمْرَ أَثْقَالِهَا ، وَيَتَحَمَّلَ عَنْهُ تَكْلِيفَهُ بَعْضَ
 أَحْوَالِهَا ؛ تَرْفِيهَاً لِلسَّيِّدِ الْأَجَلَ عَنِ التَّعَبِ ، وَتَخْفِيفًا مِنْ كَثْرَةِ النَّصَبِ ؛ عَلَى أَنْ عُلُوُّ
 قَدْرِهِ الْأَجَلَ لَمْ يُجْلِهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مِنْ مِشَارَكَةٍ فِي التَّدْيِيرِ ، وَلَا صَدَّهُ عَنِ
 مِمَّا جَرَتْ فِيهِ مِهْمٌ كَبِيرٌ ؛ بَلْ مَا بَرِحَتْ يَدُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ جَائِلًا ، وَجَلَالَةً مُنْصَبِهِ
 تَقْضَى بِأَنْ تَكُونَ تَصَرِّفَاتُهُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ شَامِلَةً ؛ وَتَوْقِيعَاتُهُ مَاضِيَةً فِي الْأُمُورِ
 وَالرِّجَالِ ، وَالْجِهَاتِ وَالْأَعْمَالِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدِ الْأَجَلَ يَسْتَسْعِدَانِ بِأَدَاتِهِ ،
 وَيَتَّبِعَانِ فِي كُلِّ السِّيَاسَاتِ مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِإِرَادَاتِهِ : لَمَّا خَصَّهُ اللَّهُ [بِهِ] مِنَ الْمَرَامِيِّ
 الصَّائِبِ ، وَلِلْمَقَاصِدِ الَّتِي السَّعَادَةُ عَلَى مَا يَرِدُ مِنْهَا مُوَاطِبُهُ ، وَجَبَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَافِظَةِ
 عَلَى حُسْنِ الْمَرْجِعِ وَحَمِيدِ الْعَاقِبَةِ - نَخْرَجُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ الْأَجَلَ بِالْإِعْزَازِ
 إِلَى دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ لَكَ : فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدْتَهُ مِنَ النِّيَابَةِ عَنِ وَالِدِكَ
 فِيمَا إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ مَمْلَكَتِهِ ، وَأَحْوَالِ دَوْلَتِهِ ؛ مَعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي بِهَا نَجَاةُ أَهْلِ
 الْيَقِينِ ، وَفَوْزُ سَعْدَاءِ الْمُتَّقِينَ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ . وَاحْتَمِلْ عَنِ السَّيِّدِ الْأَجَلَ وَالِدِكَ مَا يُؤَثِّرُ أَنْ تَحْمَلَهُ عَنْهُ مِنَ
 الْأَثْقَالِ ، وَتَكْفُلْ مَا يَكْفُلُكَ إِيَّاهُ مِنَ الْأَشْغَالِ ؛ وَتَقْضِ مَا يَخْتَارُ أَنْ تُنْفِذَهُ ، وَأَنْجِزْ مَا يُؤَثِّرُ
 أَنْ تُنْجِزَهُ ؛ وَأَمْضِ مَا يُسِيرُ إِلَيْكَ بِإِمضَائِهِ مِنْ أَسَالِبِ التَّوْقِيعَاتِ ، وَفُنُونِ
 الْمِهْمَاتِ ؛ وَقُمْ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ نِيَابَتِكَ الْمَقَامَ الَّذِي يُرِضِيهِ ، وَيُوجِبُهُ بَرُكٌ وَيَقْتَضِيهِ ؛

(١) فِي الْأَصْلِ «إِلَى إِمضَائِهِ» وَلَا يَخْفَى ضَعْفُهُ أَوْ بَطْلَانُهُ .

وقد جعلك الله ميمونَ القِيَّيْبِ ، مسعودَ الضَّرِيْبِ ، مُكَمَّلَ الأَدَوَاتِ ، مَوْهَلًا لترقى
الغَايَاتِ ؛ لا تُكَبِّرَ عن مباشرتكِ كبيره ، ولا تَسْتَفِ ^(١) عن رُتبتك رتبةً خطيره ؛ وأجر
على عادةٍ والدك في حسن السياسةِ والتدبيرِ ، والإجمالِ للأولياءِ لكما في كل صغيرٍ
من الأمورِ وكبير .

والوصاياَ مَسْتَعَةً الفنونِ ، كثيرةُ الشُّجُونِ ؛ ولك من مَرِيَّةِ الكمالِ ، وفضيلةِ
الجلالِ ، ومساعدةِ الإقبالِ ، والخبرةِ بالجهاتِ والأعمالِ ، وطوائفِ الأولياءِ والرجالِ ؛
مأيعينك على استنباطِ دقائقها ، والعملِ بمحافظتها ، وسلوكِ أحسنِ طرائقها .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وجمتهُ عليك ؛ فاعملْ بأحكامه ، وأجرِ أمورك على
نظامه ؛ وبالغْ أيها السيدُ الأجلُ أميرُ الجيوشِ في شُكرِ نعمةِ الله التي أهدمتِ الملوكَ
إشاعةً فَضْلِكَ ، وربَّتْ السُّعودِ على أكتنافِ عَقْدِكَ وحلِّكَ ، ومنحتك آيةَ كليمِ الله
بفعلت لك وزيراً من أهلك ؛ فاعلمْ هذا وأعملْ به إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته .



وعلى ذلك كتب بعضُ كُتَّابهم عن العاضدِ ، لُرُزَيْكِ بنِ الصالحِ طلائعِ بنِ رُزَيْكِ ،
بولايةِ المظالمِ وتقدمةِ العسكرةِ في وزارةِ أبيه ، وهذه نسخته :

من عبد الله وولِيه فلانِ أبي فلانِ الإمامِ الفلاني (بلقبِ الخِلافةِ) أميرِ المؤمنين ،
إلى فلانِ (بلقبه وكنيته) .

سلامٌ عليك ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمِدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسألهُ أن
يُصَلِّيَ على جدِّه محمِدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلم خاتمِ النبيينِ ، وسيدِ المرسلينِ ؛ صَلَّى اللهُ عليه
وعلى آله الطاهرينِ ، الأئمةِ المهديينِ ؛ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

(١) في القاموس "شف يشف شفا زاد ونقص" .

أما بعد، فالحمد لله الغامر بالطول والفضل، الأمر بالإحسان والعدل؛ مؤسع سبل الصلاح لبريته، ومسبب أسباب النجاح لدينه الحنيف ومثله؛ وجاعل أبرار أوليائه ذخائر معدة لنفع الخلق، ومصطفى سعداء أحبائه لإعلاء منار الشرع وإقامة قسطاس الحق؛ وميسرهم للنهوض بالأعباء التي تتكفل بعصده الدولة العلوية وتقوم، ومحتبهم للفصل بمرضاته فيما يقضى بإغاثة الملهوف وإنصاف المظلوم؛ الذي تنقاد بمشيئته الأمور، وتتصرف بإرادته الدهور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ ويعتدو فضله على عباده جسيما، ﴿ لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ .

والحمد لله الذي أوضح بانيائه سبل الهدى للأنام، وأتقد بإرشادهم من عبادة الأوثان والأصنام؛ وأقام باجتهدهم أحكام ما شرعه من الملل والأديان، وأذهب بأنوارهم ماعمر الأمم من غايهب الظلم والعدوان؛ وقفى على آثارهم بمن لانبوة بعد نبوته، ولا حجة أقطع من حجته؛ ولا وصلة أفضل من وصلة ذخرها لأئمة، ولا ذرية أقوم بحق الله في حفظ نظام الإيمان من عثرته وذريته .

يحمده أمير المؤمنين على أن مكن له في الأرض، وذخر شفاعته لذوي الولاء في يوم النشور والعرض؛ وأورثه خصائص من مضى من أئمة الهدى آبائه، وأفرده بمعجز التأييد الذي أضاعت الآفاق بمشرق أنبائه؛ ويشكره على أن أئمة دولته بكفيل جدد جلبابها، وظهير أحكم أسبابها، ونصير بلغ بها في الولي والعدو مطالبها وآرابها؛ وأستنجب له من نجله خيلا يتلوه في الفضائل البارعة، وناصرًا يحاول في الذب عن حوزته عزمًا أمضى من السيوف القاطعة؛ وعصدا يقوم له بإرضاء الخالق والمخلوق، ومُسعدًا لا يألو جهدًا في إيصال المستحقين إلى ما جعله الله لهم

من الحُقوق . ويسأله أن يصليَّ على جدِّه مجدِّ سيد من بَلَغَ عن الله رسالةً وأمرًا ، وأفضَلَ من دَعَا إلى توحيدِ بارئِهِ سِرًّا وجَهْرًا ؛ وأكْبَلَ مَنْ جَاهَدَ عن دينِهِ حتَّى ظَهَرَتْ بعدَ الدُّروسِ جِدَّتُهُ ، وقَهَرَتْ إِثْرَ الخُضُوعِ عِزَّتُهُ ، وآنَتْشَرَتْ في المِشَارِقِ والمَغَارِبِ كَلِمَتُهُ ودَعْوَتُهُ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى أخيه وآبِنِ عمِّه أَيْبِنَا على بنِ أَبِي طَالِبٍ قَسِيمِهِ في الشَّرَفِ والأَبُوَّةِ ، وصِدِّيقِهِ الأَكْبَرِ فيما جَاءَ به من التَّبَوُّهِ ؛ والمَكْمَلِ بالنِّصِّ على إمامته الدِّينِ ، وخامِسِ الخمسةِ الذين سَادِسُهُم الرُّوحُ الأَمِينُ ؛ وأبِي الأُئْمَةِ الأَبْرَارِ ، والهَازِمِ بِمُفْرَدِهِ كُلِّ جَيْشِ جَرَّارٍ ؛ وعلى الأُئْمَةِ من ذُرِّيَّتِهِمَا أَعْلَامِ مَحَجَّةِ الهُدَى ، وأنوارِ سُبُلِ الإِيْمَانِ التي بأنوارِهَا يُسْتَبْصَرُ ويُقْتَدَى ؛ وأدَلَّةِ مَنَاجِجِ النِّجَاهِ ، وكَاشِفِي عُجْمِ الشُّكِّ إِذَا الظُّلْمُ دَجَا ؛ وسَلَّمَ ومَجَّدَ ، وتَابَعَ ورَدَّدَ .

وإنَّ أميرَ المُؤْمِنِينَ لِمَا أَصْطَفَاهُ اللهُ لَهُ من إِرْثِ سِرِّ الإِمَامَةِ المَصُونِ المَكْنُونِ ، وَحَقِّ بَيَانِهِ العَظِيمِ الذي بِالخُشُوعِ لِحَالِهِ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ؛ وَأَخْتَارَهُ [لَهُ] من نَشْرِ لَوَاءِ الحَقِّ ونَصْرِهِ ، وتَأَكِيدِ أَحْكَامِ الإِنصَافِ لِيَحْظِيَ بِعَائِدَتِهَا كَافَّةً أَهْلَ زَمَنِهِ وَعَصْرِهِ ؛ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ من تَاجِ خِلاَفَتِهِ الذي أَشْرَقَ لِبِصَائِرِ العَارِفِينَ نُورُهُ السَّاطِعِ ، وتَجَلَّى لِأَفْهَامِ المُوقِنِينَ بِرُهَانِهِ الصَّادِعِ ودَلِيلِهِ القَاطِعِ ؛ وَأَوْدَعَهُ من خَفَايَا الحَكْمِ التي عُدَّ بِسَلْسِيلِهَا ، وَبَلَغَ إلى النِّعَمِ الخَالِدِ دَلِيلُهَا وَسَيْلُهَا ؛ وَكَلَّمَهُ لِأَيَّامِهِ من الإِقْبَالِ الذي جَعَلَهَا مَوَاسِمَ زَاهِيَةً بِهَجَّةِ النِّصْرِ المَبِينِ ، وَأَعْيَادَ ظَفَرِ تَرَوْقِ بَتَوَالِي إِبَادَةِ العَادِلِينَ عن الطَّاعَةِ النَّاكِبِينَ ؛ وَأَوْقَاتًا سَعِيدَةً تُفِيدُ الدِّينَ وَأَوْلِيَاءَهُ عِزًّا وَأَعْتِلَاءَ ، وَتُوجِبُ للإِيْمَانِ وَأَنْصَارِهِ أَقْدَارًا وَأَسْتِيْلَاءَ ، وَتُسَبِّغُ عَلَيْهِمُ كَيْفَمَا تَصَرَّفَتْ بِهِمُ الأَحْوَالُ مِنتًا ضَافِيَةً وَأَلَاءَ ؛ وَيَسِّرُهُ لِعَلْمِهِ من الإِحَاطَةِ بِكُلِّ مُغَيَّبٍ مُسْتَوْرٍ ، وَأُوجِبُهُ لِأَعْرَاضِهِ في كُلِّ مَایرُومِهِ من مَظَاهِرَةِ المَقْدُورِ ؛ وَمَهْدَهُ لِحُلُولِهِ من أَشْمَخِ مَنَازِلِ التَّطْهِيرِ والتَّقْدِيسِ ، وَشَرَّفَ بِهِ شَيْمَهُ من كُلِّ حُلُقِ نَبَوِيٍّ بَارِعٍ نَفِيسٍ ؛ وَفَضَّلَهُ بِهِ من الكَرَمِ الذي لِاتِّزَالِ

مَحَبَّةُ تَجُودِ الْأُمِّ سَرَفًا، وَلَا تَنَفُّكَ غِيُوْتُهُ تُجِدُّ لِمَنْ مُطِرَ بِهِ عَلَاءٌ وَسَرَفًا؛ وَلَا بَرِحَ وَابِلُهُ
 يِعْمُ بِالنَّعْمِ الْغَرِّ الْحَسَامِ، وَلَا تَكْفُفُ سَيُوبُهُ عَنِ إِفَاضَةِ الْمَنَنِ الَّتِي عَلَتْ وَعَلَتْ فَلَا
 تُسَامِحُ وَلَا تُسَامِ؛ وَخُصَّ بِهِ إِحْسَانُهُ مِنَ الْمَثَابَةِ عَلَى إِعْظَامِ الْمَنَاحِ لِلْمَسْتَوْجِبِينَ،
 وَالْحَفَظَةِ عَلَى إِجْزَالِ الْمَوَاهِبِ لِلزُّدْلَيْنِ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَقَرِّبِينَ - يُجْهِدُ آرَاءَهُ
 فِي آرْتِيَادِ مَنْ تَضَاعَفُ لِلْبَرِيَّةِ بِالْأَسْتِعَانَةِ بِكَالِهِ أَسْبَابُ الْمَصَالِحِ، وَتَتَأَكَّدُ لِلْأُمَّةِ
 بِالْعَوِيلِ عَلَى بَارِعِ فَضْلِهِ أَحْكَامُ النَّجْحِ وَالْمَنَاجِحِ؛ وَتَقُومُ الْحِجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْإِعْتِضَادِ
 بِهِ فِيمَا يَقْضَى بِنَفْعِ [العباد]، وَيَسْهَلُ الْإِعْتَادُ عَلَى دِيَانَتِهِ بِالنُّصْحِ لِمَنْ فِي الْحَاضِرِ مِنْ بَرِيَّتِهِ
 وَالْبَادِ؛ وَيَنْطِقُ شَرْفُ خَلِيقَتِهِ بِتَوْفُرِهِ عَلَى إِحْرَازِ مَغَانِمِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَتُعْرَبُ طَرَائِقُهُ
 عَنِ السَّعْيِ الَّذِي لَا يَقِفُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ دُونَ بُلُوغِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى؛ وَتَدُلُّ أَحْوَالُهُ
 عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ، وَتُوضِّحُ أَخْبَارُهُ حُسْنَ تَأْتِيهِ
 فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ لِمَا يَعْجِزُ عَنْ أَسْتِنْبَاطِهِ رَوَاجِحُ الْعُقُولِ؛ وَيَقْتَدِحُ نَظَرُهُ أَنْوَارًا يُسْتَضَاءُ
 بِهَا فِي طُرُقِ السِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ، وَيَفْتَتِحُ فِكْرُهُ أَبْوَابًا تَضْحِي بِهَا الْخَلِيقَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ
 الْكَامِلَةِ وَاصِلِهِ؛ وَيَبْعَثُهُ حُسْنُ جِبَّتِهِ عَلَى أَنْ يَحْتَقِرَ فِي إِعَانَةِ الْبَرَايَا، عِظَائِمَ الْمَشَاقِّ،
 وَيَدْعُوهُ كَرَمُ سَجِيَّتِهِ إِلَى أَنْ يَحْنُوَ عَلَى الرَّعَايَا، حُنُوًّا مَنْ يَتَوَخَّاهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ؛
 وَيَقْوَى بِإِعَانَتِهِ الْمُسْتَضْعَفُ قُوَّةً تُحَصِّنُهُ مِنَ عَدَوِي الْأَهْتِضَامِ، وَيَعِزُّ بِمَلَاخِظَتِهِ
 الْمُسْتَدِلُّ عِزَّةً تُخْرِجُهُ عَنْ صُورَةِ الْمَقْهُورِ الْمُسْتَضْمَّ؛ وَيَقْتَنِي الْآثَارَ الصَّالِحِيَّةَ فِي عَدْلِ
 الطَّبَاعِ وَحُسْنِ السَّمِّ، وَيَتَّبِعُ السُّنَنَ الْغِيَاثِيَّةَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، وَيَقْصِدُ
 فِي اللَّطْفِ بِالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ قَصْدَهَا، وَيَنْتَجِي نَوَاجِمَ الْبَاطِلِ فَيَعْتَمِدُ أَجْتِنَاتِهَا
 وَحَصْدَهَا؛ وَيَكُونُ تَفْوِيضُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ تَوْثُقًا عِنْدَ خَالِقِهِ وَبَارِيهِ، وَأَحْتِيَاطًا
 لِنَفْسِهِ فِي أَسْتِنَادِ الْمَهْمَاتِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا يُدَانِيهِ مَدَانٍ وَلَا يُبَارِيهِ؛ وَنَتِيسَنَ الدَّوْلَةَ
 الْعَلْوِيَّةَ بِمَبَاشَرَتِهِ لِلْأَحْوَالِ تَيْمَنًا يُؤَدِّنُ لَهَا بِإِدْرَاكِ كُلِّ مَطْلَبٍ بَعِيدٍ، وَتَسْتَسْعِدُ بِحُسْنِ

سيرته أستسعدا يقضى للنجاح بتمكين تبنى فيه وتعيد ، وتختال الأيام بما آجنته
من جواهر مفاخره ، وتزدان الأزمان بما توشحته من مناقبه التي حقرت الملوك
في أول الدهر وآخره .

وقد آكتفتك أيها الأجل عنايات الله سبحانه وأشمتك عليك ، وتابعت
مواد أصطفائه وأجبتائه إليك ، وأناثتك من كل فضل بارع ، غايته ، وأظهرت
فيك لكل كمال رائع ، آيته ، وجمعت لك من معجزات المحاسن مالولا مشاهدتك
لوجب استخاله جمعه ، ولأنكر كل متدبر صدر حديثه عن صدر صدره أو ورود
سمعه ، ويسر لك تمام السعد والإقبال ، الترقى إلى ذروة العلى التي يهاب النجم أن
تمر ملاحظتها منه ببال ، وتأنق الحظوظ في إعظام ماخولتك من الفضائل الباهرة
فبالفت وتناهت ، وأغرقت فيما أتحفتك به من المحاسن النادرة فشرفت بك
وتباهت ، حتى غدا جسيم ما قدم شرحه من الشناء وذكره ، وعظيم ماوجب منه نشره
فتضوع أرجه ونشره ، نغمة من بحارها الزانحه ، وشذرة من عقودها الفاخره ، وقيلا
من كثيرها الجسيم ، وضئلا من جزيلها الذى أستكمل خصائص التعظيم .

واستثمر فانت الجامع لمفترق الفضائل الملكيه ، والفارع ذرى الجلال الذى
أفردتك به المواهب الملوكة ، والمنوح أعلى رتب السيادة السارية إليك من أكرم
الأصول ، والملموح بارتقاء هضاب المجد التى عجز ملوك الآفاق عن [الأنهاء] إليها
والوصول ، والأوحد الذى بذ العظاء فعظم خطرا وقدر ، والأروع الذى أنقادت له
الصعاب فرحبا بأعا وصدرا ، والعالم بالأمر الذى أصبح أعلم ملوك الأرض بأحسن
التدبير وأدرى ، والمدكى بأنوار ذكائه فى عاتم النوب سراجا وهاجا ، والمشمرف ذات
الله فلا يوجد له على غير ما أرضاه معاجا ، والمبتكر من غرائب السياسات مالا تزال
محاسنه على مفروق الزمن تاجا ، والمجد للهج بتمجيده كل مقول ولسان ، والمعجز

كل متعاطٍ وإن كان بليغاً بديع الإحسان ؛ والممنوحُ المُعْرِقُ في السيادة والمملكة ،
 والمبتدعُ المكارم أبكاراً تجلُّ عن أن يُشابهه أحدٌ فيها أو يُشركه ؛ فآياتُ مجدك
 ظاهرةٌ باهره ، وغرُّ خلائِكَ في اختراع المآثرِ وأفتراعها ماهره ؛ وإليك إيماءُ
 السعادة وإشاراتها ، والدسوتُ باعتلائك مناكبها تُسأى السماء أرجاؤها ، ويتحقق
 في البحر الأعظم بتصدرك فيها رجاؤها ؛ فلا كمالٌ إلّا ما أصبح إليك يُنسب ، ولا جلالٌ
 إلّا ما يعدد من خصائصك ويُحسب ؛ ولم تزل لربك خاضعاً ، ولشرفك متواضعاً ؛
 وأنوارُ الأليمة تُوضِّح لك من طرق الأمانة ما يعجز عن إدراكه قوى التجريب ،
 وتُحكّم لك من أحكام السياسة ما تقصّر عن أقله فطنُ الحكماء الشيب ؛ وتبدي لك
 أسرار الأزمنة المتطاولة في إقبال سنك ، وتلين بتلطفات صلابة الخطوب مع نصارة
 غصنك ؛ وما برح ذكر أخبار صولتك ، وحدث ما أعظمه الله من فروسيتك
 وشجاعتك ، يوفّر حلوم الأبطال في الملاحم إذا أطارها الدُعر فطاشت ، ويسكن
 نفوس الأتجاد في الملاحم إذا أطارها الدُعر بغاشت ؛ ويحدث للجناء جرأة وإقداماً ،
 ويجعل الكهّام في الحروب مدققاً حساماً ؛ نخيلاء الأعوجية زهو مما ترُقبه من شرف
 أمطائك ، وصليل المشرفية ترنم بمطرب قصصك وأنبائك ؛ وأهتزاز السمهرية جدل
 بما كفلتها من إشادة علائك ، وضممتها من إبادة أعدائك ؛ وليس بغريب أن تفضل
 الأملاك ، وتطأ أخامصك السماك ؛ وتختال في وشى الوصف البديع ، وتُشرق أسرة
 محاسنك فتُخجل ضوء الصبح الصديق ؛ وقد أكرمك الله مع فضل الخليقة والنظره ،
 وكمال الخصاص التي غدا كل منها في بديع المعجزات ندره ، ببؤة مغيث الأنام ،
 ومُصلح الأيام ؛ وكفيل أمير المؤمنين وكافيه ، ومبرئ ملكه من أسقام الحوادث
 وشافيه ؛ السيد الأجل الملك (وثمة النعوت والدعاء) الذي أنتضاه الله لكشف
 الغم ، وأرتضاه لتدبير الأمم ، وفضله على ملوك العرب والعجم ؛ وشمخ علاؤه فطامن

له كل على ودان، وسمت مواطئ أقدامه فتمنت منالها مواطئ التيجان؛ وحاز بالمساعي
الفضل الباهر أجمع، وأستولى على بواهر الحكم بالنظر الناقب والقلب الأصم^(١)؛ وأفرد
بكال عز أن تدركه الآمال، أو يكون لأشنتاطها فيه مطمع أو مجال؛ وغدا النصر
المبين تابعا لعذب الويته، وحسن إقباله في كل موطن كفيلا بإدبار العدو وتوليته؛
وأجاب داعي الله إذ أستنصر لآل بيت النبوة وأستصرخ، ولبي دعاءه تلبية سطر
أخبارها على ممر الزمان وتورخ؛ وأجلى شياطين الضلال وقد تبعت في زعيمها
الجاحد وثنا، وصدتها بالعزم المرهف عما أصرت عليه من منكر الإلحاد وثنا؛
وبدلت سطاء جبارة الطغاة من الأوطان بعدا وشحقا، وأمتعتهم فتكاته من الأعداء
الوافرة إفاء وشحقا، وأذاقتهم حملات جيوشه وبال أمر من عاضد باطلا وعاند
حقا؛ وجعلتهم سفار سيوفه الباترة في التنايف حصيدا، ورمت بالإرغام والإضرع
معاطسهم وحودهم بعد أن عمروا شتا وصيدا؛ وقصد بمواضيا أشلاءهم ودماءهم
فألجم غروبها وسقى، وكشف بلوامعها عن الدولة الفاطمية من معزتهم جنح عاتما
وغسقا؛ وكفل أمورهم فأحسن الإيالة والكفالة، وأعادها إلى أفضل ما تقدم لها
من القوة والنفخامة والجلالة؛ ونظر أحوالها فقوم كل معوج وعدل كل مائل،
وحباها ملبس جمال تبجح عند بهجته ملايس الخائل.

ولما أباد عصب العناد، عطف على الإجتهد في الجهاد؛ فجابت بحافله متقاذف
الأقطار، ونالت من الفتك بالكفرة في أقصى بلادها نهاية الأوطار، وأنتزعت منهم
الحصون، وأستباحت المنع المصون؛ حتى أصارت جلدتهم المشهور فشلا، وقبض
إقدامهم المذكور وشلا؛ وشمل الأمة بسيرة عرفت بالعدل والإحسان، وأحظت

(١) أي الذكي المتيقظ .

الخلائق بالأمن المديد الظلال؛ وأرضتهم بالعيش الرائق الزلال؛ وأنالتهم من المطالب ما أسست لإدراكه خطأ الآمال؛ وجاد ففضح الغائم؛ ومن على ذوى الذنوب حتى كاد يتقرب إليه بالجرائم؛ وأقال عثرات كبرت فلولا كرم سجيته لم يرم الإقالة من خطرها رائم؛ وأمدته الله من معجزات البلاغة والبيان، وغرائب الحكم البديعة الإفتنان، ما يستخف الأحلام بفرط الطرب والإفتان؛ ولم يزل منذ كان يجي سرح الدين، ويضم نسر المؤمنين، ويبدل نفسه الشريفة في نصرة الدولة العلوية بذل أكمل ناصر وأفضل معين؛ وتكبر عظام الخطوب فيكون عزمه أعظم وأكبر، وتزهى الأيام بغير محاسنه وهو لا يزهى ولا يتكبر؛ فقد عز جانب كماله، عن أن يناهضه جهد المديح، وارتفع محل جلاله، فلا ينال تكييفه بإشارة ولا تصريح، وعظم قدر مفاخره فلم يقابل إلا بموالاته التمجيد خالقه والتسبيح؛ ووجب على متصفح خصائصه الموالاتة في التعظيم، ولزوم منهج استيداع لا يبرح عنه ولا يريم؛ ومبالغة قوله تعالى:

(ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملكٌ كريم) .

فبلغ الله أمير المؤمنين في إطالة مدته الآمال، وأبقى مدته باستمرار نظره الخط والجمل؛ وفتح له المشارق والمغارب بهمة العالية وعزائم، وجعل نواجذ الإلحاد حصائد سفار صوارمه؛ فانخرأيتها الرجل بأصلك وفرعك كيف شئت، وأبجح بما منحت منه وأوتيت، ووال شكر خالقك على ما حولت وأوليت؛ فما نخر بمثل نخر ملك سديد، ولا تباهى الدهر لأحد بمثل ماتباهى في حقك ولا أبدع .

ولما تكامل لك أيها الأجل بلوغ هذا الفضل الجسيم، وتم ما منحت من المجد الحادث والقديم، جدد أمير المؤمنين لك شعار التعظيم، وكل لك المفاخر تكميل العقد العظيم؛ وجعل الخير في أمرته لك عيانا، وأقامك للدولة الفائزة والمملكة

الصالحية برهاننا، وجعلك لكافة المسلمين في أقطار الأرض سلطانا؛ وطابق بين ماخصك به من السمات السنية، وبين مامكنه لك من المراتب العلية؛ فأتحذك لدولته ناصرا وعصدا، وأنتخبك للإسلام مجدا وسندا، وأحيا بمرافدتك أنصار الدين، وشفى بنظرك صدور المؤمنين؛ واستخلصك لنفسه النفيسة حيا وخيلا، وبلغ بك إلى الغاية القصوى إعلاء وتجيلا؛ وشرّفك بخلع بديعة من أخص ملايس الخلافة تروق محاسنها كل النواظر، وتفوق بدائعها ما ديجّه زهر الروض الناصر؛ وقلّدك سيفاً يؤذن بالتقليد، ويشّر بالنصر الدائم المزيّد؛ تتنافس في منته وفريده الجواهر، ويستولي ناصعها على الباطن منه والظاهر؛ وعززها بالتشريفات التي اكتسبتها البهجة والبهاء، وبلغتها في العلى إلى الغاية التي ليس بعدها انتهاء؛ وآثر أن تيسر يدك في التدبير، ويعدق بك ما هو عنده بالمحلّ الكبير؛ ويجمع لك من أشات دولته ما لم يعرف لجمع مثله في سالف الزمن نظير، ويسند إلى كمالك ما يعود النفع بصلاحه على المأمور من الأنام والأمير.

فقاوض أيها السيد الأجل الملك الصالح والدك أدام الله قدرته، وأعلى كلمته؛ في ذلك مفاوضة أفضت إلى وقوع الإجماع على أنك أكل ملوك دهركينا، وأصحهم يقينا؛ وأشرفهم نفسا وأخلاقا، وأكرمهم أصولا وأعرافا؛ وأمثلهم طريقة وأحسنهم سيره، وأتقاهم صدرا وأطهرهم سريره؛ وأشفهم جوهرًا وأزكاهم ضريبة وأتقاهم لله سرا وعلنا، وأولاهم بأن لا يصدر عنه من الأفعال إلا جميلا حسنا؛ وأنت أفضل من عدق أمير المؤمنين بنظره أمر الدنيا والدين، وأسند إلى ملاحظته أحوال أمراء الدولة ورجالها أجمعين، وفوض مصالح المسلمين منه إلى النبي الأمين؛ وأن السيد الأجل الملك الصالح أدام الله قدرته لما أخلص محله عند أمير المؤمنين بتتابع الإشادة، وتفرد باستمرار المضاعفة بإذن الله تعالى والزيادة؛

وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْدِ الْأَقْصَى فِي السَّمَوَاتِ وَالتَّعَالَى، وَأَنْخَفَضَتْ عَنْ تَرَاهِ ذُرَى أَشْمَخِ
 الْمَعَالِي، كَانَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِ فِي الْجَلَالِ وَأَنْتَ تَانِيهِ، وَالسَّابِقِ فِي الْفَخَارِ
 وَأَنْتَ تَالِيهِ؛ وَدَلَّ بِفَضْلِكَ عَلَى فَضْلِهِ دِلَالَةَ الصَّبْحِ عَلَى النَّهَارِ، وَالتَّمَاءِ عَلَى الْإِبْدَارِ،
 وَالتَّيْرِ الطَّيْبِ عَلَى فَضِيلَةِ الْأَصْلِ وَالتَّجَارِ؛ فَتَبَارَكَ مُوَلِيُّ الْمَنِّ لِأَوْلِيَائِهِ وَحَزْبِهِ، الْقَائِلِ
 فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ .

وَقَرَّرَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَسْتِشْفَافَ أُمُورِ الْمَظَالِمِ، وَإِنْصَافَ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛
 وَالنَّظَرَ فِي أَسْفَهَسَلَارِيَةِ الْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ إِثَارًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ يَجْعَلُ
 لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَيْسَرًا، وَيُثَبِّتَ لَكَ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ حَدِيثًا
 حَسَنًا وَأَثَرًا؛ وَرَتَّبَ ذَلِكَ لَكَ تَرْتِيبًا يَضَعُجِبُهُ التَّوْفِيقَ وَيَلْزِمُهُ، وَيَكْمَلُهُ السَّعْدُ وَيَتَمِّمُهُ؛
 وَيُحِيطُ بِهِ الْيَمْنُ وَالتَّجَاحُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْحِظُّ وَالتَّفَاحُ . فَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ، مَتَمَسِّكًا بِأَسْبَابِ وِلَايَتِهِ وَعِصْمِهِ؛ جَارِيًا عَلَى أَحْسَنِ عَادَاتِكَ فِي مِرَاقَبَةِ
 اللَّهِ وَخِيَفَتِهِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى أَفْضَلِ حَالَاتِكَ فِي خَشْيَتِهِ؛ مَتَّبِعًا وَأَمْرَهُ فِي الْعَمَلِ بِتَقْوَاهُ،
 وَزَاجِرًا لِلنَّفْسِ عَمَّا تُؤْتِرُهُ وَتَهْوَاهُ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمَبِينِ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
 فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَظَالِمَ كَثْرًا مِنْ كُنُوزِ الرَّحْمَةِ، وَبَابٌ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى مُصْلَحَةِ الْأُمَّةِ،
 وَوَسِيلَةٌ يَتَوَسَّلُ بِهَا السُّعْدَاءُ إِلَى خَالِقِهِمْ فِي اسْتِبْقَاءِ مَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ؛
 فَاجْلِسْ لَهَا جُلُوسًا عَامًّا تَرْفَعُ فِيهِ الْحِجَابَ، وَتَيْسِّرُ لِلْوُصُولِ إِلَيْكَ عِنْدَهُ الْأَسْبَابَ؛
 وَتَأْمُرْ بِتَقْرِيبِ الْمُتَظَلِّمِينَ، وَتَوْعِزْ بِإِدْنَانِهِمْ لِتَسْمَعَ كَلَامَ الشَّاكِينَ؛ وَتَوْفِّرْ عَلَى الْأَخْذِ
 بِيَدِ الْمُسْتَضْعَفِ الْقَرِيعِ، وَالْحُرْمَةِ الَّتِي لَا تَجِدُ سَبِيلًا لِلْإِنْصَافِ وَلَا تَسْتَطِيعُ؛ وَتَتَقَدَّمُ
 (٢)

(١) يريد ولاية المظالم . (٢) من معاني القرع المغلوب وهو المناسب هنا .

بأن تُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْكَ النَّائِبَ فِي الْحُكْمِ الْعَزِيزِ الَّذِي عَلَى فُتْيَاهِ مَدَارُ أَحْكَامِ الدِّينِ ،
وَمَنْ تَحْتَاجُهُ مِنَ الْمَوْقِعِينَ وَالِدَّوَابِّينَ ؛ وَتَأْمُرُ بِإِحْضَارِ الْقِصَصِ وَعَرْضِهَا ، وَتَأْمَلُ
دَعَاوِيَ الْمُتَنظِّمِينَ فِي إِبْرَامِهَا وَتَقْضِيهَا ؛ وَتَتَوَقَّعُ عَلَى كُلِّ مِنْهَا بِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ
وَأَحْكَامُهُ ، وَيُوجِبُهُ الْعَدْلُ وَنِظَامُهُ .

وَأَنْظُرُ فِي مُشْكِلِ الْقِصَصِ نِظْرًا يُزِيلُ إِشْكَالَهَا ، وَيَجْعَلُ إِلَى لَوَازِمِ الشَّرْعِ وَالْحَقِّ
مَالَهَا ؛ وَرَاعِ أَمْرَ الْمَنَازَعَاتِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَوَاحِرِ ، وَلَا يَبِيقُ فِيهَا تَأْمَلُ لِمَتَأْمَلُ
وَلَا نِظْرًا لِنَظْرٍ ؛ وَتُخْرِجُ أَمْرَكَ بِإِيصَالِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ ، وَكَفِّ كُلِّ مُتَعَدٍّ
عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْعُدْوَانِ وَطَرَفِهِ . وَلَيْكُنِ الضَّعِيفُ أَقْوَى الْأَقْوِيَاءِ عِنْدَكَ إِلَى أَنْ يَصَلَ
إِلَى حَقِّهِ مَوْفَرًا ، وَالْقَوِيُّ أضعَفَ الضَّعْفَاءِ حَتَّى يُخْرِجَ مِمَّا عَلَيْهِ طَائِعًا أَوْ مُجْبَرًا ؛ وَالشَّرْعُ
وَالْعَدْلُ فَهَمَا قِسْطَاسَا اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَمُعِينَا [نِ عَلَى] الْحَقِّ مِنْ أَرَادَ الْعَمَلَ بِوَاجِبِ
الْحَقِّ وَفَرْضِهِ ؛ نَحْدُ بِهِمَا وَأَعْطِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَنْبِتْ أَحْكَامَهُمَا فِيمَا قَرُبَ وَبُعدَ مِنْ
الْبِلَادِ ؛ وَسَاوِ بِهِمَا فِي الْحُقُوقِ بَيْنَ الْأَنْامِ ، وَصَرِّفِ النِّصْفَةَ بِحُكْمِهِمَا بَيْنَ الْخَوَاصِّ
وَالْعَوَامِّ ، حَتَّى يَتَنَصَّفَ الْمَشْرُوفُ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَالضَّعِيفُ مِنْ ذِي الْقُوَّةِ الْعَنِيفِ ؛
وَالْمَغْمُورُ مِنَ الشَّهِيرِ ، وَالْمَأْمُورُ مِنَ الْأَمِيرِ ، وَالصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ ؛ وَأَسْتَكْثِرُ بِإِغَاثَةِ عِبَادِ
اللَّهِ ذَخَائِرَ الرِّضْوَانِ ، وَأَسْتَفْتَحُ بِقِيَامِكَ بِحُقُوقِ اللَّهِ فِيهِمْ أَبْوَابَ الْحِنَانِ ؛ وَأَعْمَمُ بِسَعِيدِ
نَظْرِكَ وَتَأَمَّ تَفَقُّدِكَ وَمَلَا حِظَاتِكَ جَمِيعَ صُدُورِ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَكِبَرَائِهَا ، وَمُقَدِّمِيهَا
الْمَطْوُوقِينَ وَأَمْرَائِهَا ؛ وَمِيَّزِهَا الْأَعْيَانَ ، وَرَجَالَهَا الظَّاهِرَةَ نَجْدَتَهُمْ لِلْعِيَانِ ؛ وَتَوَخَّ الْوَجُوهَ
مِنْهُمْ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِنْبَارِ ، وَتَبْلِيغِ الْأَغْرَاضِ وَالْأَوْطَارِ ؛ وَالتَّمْيِيزِ الَّذِي يَحْفَظُ نِظَامَ
رُتَبِهِمْ ، وَيُنِيلُهُمْ مِنْ حِرَاسَةِ الْمَنَازِلِ غَايَةَ أَرَبِهِمْ ؛ وَأَلْقُهُمْ مُسْتَبَشِرًا كَعَادَتِكَ الْحُسْنَى ،
وَأَجْرِ مَعَهُمْ فِي كَرَمِ الْأَخْلَاقِ عَلَى مَذْهَبِكَ الْأَسْنَى ؛ وَعَرِّفَهُمْ بِإِقْبَالِكَ عَلَى مِصَالِحِ
أُمُورِهِمْ ، وَأَتَّجَاهَكَ لِصَالِحِ شُؤْنِهِمْ ، بِرُكَّةِ أَشْتَمَالِهِمْ بِفَضْلِكَ ، وَأَلْتَحَافَهُمْ بِظُلْمِكَ ؛

وَأَقْصَدَ مَنْ يَلِيهِمْ بِمَا يَبْسُطُ آمَالَهُمْ ، وَيُوسِعُ فِي التَّكْرِمَةِ مَجَالَهُمْ ؛ وَيُكْسِبُهُمْ عِزَّةَ
 الْإِدْنَاءِ وَالتَّقَرُّبِ ، وَيُحْضِرُهُمْ مِنْ إِحْفَائِكَ بِأَوْفَرِ سَهْمٍ وَنِصِيبٍ ؛ وَكَافَّةَ الرِّجَالِ فَاحْفَظْ
 نِظَامَهُمْ بِحُسْنِ التَّنْذِيرِ ، وَأَثَرِ فِيهِمْ بِجَمِيلِ النَّظَرِ أَحْسَنَ التَّأْثِيرِ ؛ وَتَوَخَّهِمْ بِمَا يُشَدُّ
 بِاهْتِمَاكَ أَرْزَهُمْ ، وَيُصْلِحْ بِتَفَقُّدِكَ أَمْرَهُمْ ، وَيقِفْ عَلَى الطَّاعَةِ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ ؛
 وَيُسِّرْ لَهُمْ أَسْبَابَ الْمَصَالِحِ وَيُسَهِّلْهَا ، وَيَتِمِّمْ لِمَطْلَبِهِمْ أَحْكَامَ الْمِيَامِنِ وَيُكَلِّمْهَا ؛
 وَأَصِفْ لِمَجْمُوعِ ذِكْرِهِمْ مِنْ سَابِقِ فِي التَّقْدِيمَةِ تَالِ ، وَمُخْلِصِ فِي الْمَشَايِعَةِ وَمُؤَالِ ، مَنَاهِلَ
 إِحْسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّامِيَةِ الْجَمَامِ ، الْمَتَعَرِّضَةِ مَوَارِدُهَا الْعَذْبَةَ لِأَدْوَاءِ كَافَّةِ الْأَنْامِ ؛
 فَهَمَّ أَنْصَارُ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانُهَا ، وَأَبْنَاءُ الدَّعْوَةِ وَخُلَصَاؤُهَا وَشُجْعَانُ الْمُلْكَةِ وَقُرَسَانُهَا ؛
 وَتَوْجِدُ خِلَاصِهَا عِنْدَ اعْتِرَاضِ الْكُرُوبِ ، وَسَيُوفُهَا الْمَذْرَبَةُ الْقَاطِعَةُ الْغُرُوبِ ؛
 وَأَسْتَنْتَهَا الْمَتَوَعِّلَةُ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي سُودِيَاءِ الْقُلُوبِ ، وَخَزِبُهَا الَّذِي أُذِنَ اللَّهُ بِأَنَّهُ الْغَالِبُ
 غَيْرُ الْمَغْلُوبِ ؛ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَنَزِلُهُ مِنَ التَّقْدِيمِ ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِسْتِمَالِ بَظِلِّ الطَّوْلِ
 الْعَمِيمِ ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الْغِنَاءِ وَمَكَانُهُ مِنَ الْكِفَايَةِ الَّذِي بَلَغَ إِلَيْهِ فَسَدَهُ . فَرَتَّبَ كَلًّا مِنْ
 الْمَقْدَمِينَ فِي الْمَوْضِعِ الْجَدِيدِ بِهِ اللَّاتِقِ ، وَأَوْضَحَ لِلْمُوقِّعِينَ أَنْوَارَ مَرَاشِدِكَ لِيَلْحَقَ
 بِتَهْذِيكِ السُّكَيْتِ مِنْهُمْ بِالسَّابِقِ .

وَالْوَصَايَا مَتَسِعَةُ النَّطَاقِ ، مَتَشَعِّبَةُ الْإِسْتِثْقَاقِ ؛ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَقْسَامَهَا ، وَلَا حَاوَلَ إِتْمَامَهَا : لِلْإِسْتِغْنَاءِ بِمَا لَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي غَدَتْ فِي أَسْتِنْبَاطِ
 حِكْمِ السِّيَاسَاتِ أَكْبَرِ مَعِينٍ ، وَالْفِطْرَةِ النَّفْسِيَةِ الَّتِي تُمَدِّدُكَ مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ بِأَغْزَرِ مَعِينٍ ؛
 وَلَا يَزَالُ يُضِيءُ لِبَصِيرَتِكَ مِنْ أَنْوَارِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ -

(١) لعله وأصف لجميع من ذكرتهم من سابق الخ . تأمل .

(٢) فِي الْأَصْلِ "أَخْتَلَفْنَا" . تَأْمَلِ .

التي لا تبرح للبصائر لامعته، ولحاسن الأفعال وغررها جامعته؛ ماتستعين بأضوائها^(١) على الغرض المطلوب من الإصابة وأكثر.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وإنعامه عليك؛ فقلقه من الشكر بما يكون للزيد سببا مؤكدا، ويفدو الإحسان معه مرددا مجددا؛ وأبدل جهدك فيما أرضى الله وأرضى إمام العصر، وثابر على الأعمال التي تناسب فضائلك المتجاوزة حد الحصر؛ والله يعضدك بالتوفيق، ويمهد لك إلى السعادة أسهل طريق؛ ويهف في الحرب عزائمك، ويمضي في الأعداء صوارمك؛ ويضاعف لك مواد النصر والتأييد، ويخص ببناء مجدك بالإعلاء والتشديد؛ إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قلت : والذي يظهر أن مما كان يكتب في دولتهم على هذه الطريقة سجلات كبار نبياتهم، حال استفعال الدولة في مبادئ أمرها، قبل خروج البلاد الشاسعة عنها واستفلاعا من أيديهم : كدمشق ومضافاتها من البلاد الشامية قبل خروجها عنهم لبنى أرتق في زمن المستنصر أحد خلفائهم؛ وكأفريقية وما معها من بلاد الغرب قبل تغلب المعز بن باديس نائب المستنصر المتقدم ذكره بها وقطع الخطبة له؛ وبجزيرة صقلية من جزائر البحر الرومي قبل تغلب رجار أحد ملوك الفرنج عليها وأنزاعها من أيديهم في زمن المستنصر المذكور أيضا؛ فإن مشق وأفريقية وصقلية كانت من أعظم نبياتهم، وأجل ولاياتهم؛ فلا يبعد أن تكون في كتابه السجلات عندهم من هذه الطبقة .

(١) في الأصل "فاستد" . تأمل .

المرتبة الثانية

(من المذهب الأول من سِجِّلات ولايات الفاطميين أن يُقْتَمَح السِّجْل بالتصدير، فيقال : « من عبد الله وولَّيه » إلى آخر التصلية ، ثم يُؤْتَى بالتحميد مرة واحدة ويؤْتَى في الباقي بنسبة ماتقدم ، إلا أنه يكونُ أَخْصَرَ مما يُؤْتَى به مع التحميدات الثلاث)

ثم هي إما لأرباب السُّيُوف أو لأرباب الأَقْلَام من أرباب الوِظَائِف الدِّينِيَّة والوظائف الدِّيوانِيَّة .

فأما السِّجِّلات المكتتَبَة لأرباب السُّيُوف ، فمن ذلك نسخة سِجِّل بولاية القاهرة من هذه الرتبة : لِرَفْعَة قدر متولَّيها حينئذٍ ، وهي :

من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعدُ ، فالحمد لله رافع الدَّرَجَات ومُعَلِّمها ، ومُوَلِّي الآلاء ومُوَالِيها ؛ ومُحَسِّن الجزاء لمن أحسن عَمَلًا ، ومُضَاعَف الحِجَاء للذين لا يَبِغُون عن طاعته حَوْلًا ؛ ومنيل أفضل المَوَاهِب ومُحَوِّطها ، ومَتَمِّم النعمة على القائم بِشُكْرها ومُكَمِّلها ؛ مُتَّبِع المِنَّة السالفة بنظائرها وأشكالها ، والمُجَازِي على الحَسَنَة بعَشْر أمثالها ؛ وصلَّى اللهُ على جدِّنا محمدٍ رسولِهِ الذي أَقام عِمَادَ الدين الحَنِيفِ ورفَعَهُ ، وخَفَضَ بِجِهَادِهِ مَنَارَ الإلحاد ووضَعَهُ ؛ وأرغَمَ عِبْدَةَ الصَّليب والأوثان ، ونَشَرَ في أَقْطَار المملَكَةِ كَلِمَةَ الإسلام والإيمان ؛ وكَشَفَ غِيَابَ الضَّلالِ بأنوار الهدى الألامِعِ ، وهتَكَ حِجَابَ الكُفْرِ بِبراهين التوحيد الصادقة وسيوف النصر القاطعة ؛ صلَّى اللهُ عليه وعلى أخيه وأبن عمِّه أبينا أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ، سيف الحقِّ الماضي المَضَارِبِ ، وبِحَجْرِ العلم الطامِي

البلج والعوارب ؛ ومعين الحكمة العذب المشارع ؛ والمخصوص بكل شرف باسق
وفضيل بارع ؛ وعلى ألهما سادة الأنام ، وحماسة سرح الإسلام ؛ وموصحي حقائق
الدين ، وقاهري أحراب الملحدين ؛ وسلم ومجد ، وضاعف وجدد .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله من شرف المحتد والتجار ، وتوجه به من تيجان
الإمامة المشرقة الأنوار ، وألقاه إليه من مقاليد الإبرام والتقض ، وأناله إياه من
الخلافة في الأرض ، والشفاة في يوم العرض ؛ وعدقه به من إيضاح سبل الهدى
اللامعه ، وهتك حجاب الكفر براهين التوحيد الصادعة وسيوف النصر القاطعه ؛
إلى الأنام ، وأطلععه عليه من أسرار الحكمة بمنجاة الإلهام ؛ وأقامه له من إعلاء منار
الملة وتقويم عماد الحق ، وأمد به آراءه من العناية الربانية فيما جل ودق ؛ وأمضاه
له في الأفطار من الأوامر والنواهي ، وأفرده به من الخصاص الشريفة التي يقصر
عن تعديدها إسهاب الواصف المتناهي ؛ ويسره لإرادته من اقتياد كل أبي جامع ،
وحبه إليه من استعمال السيرة المستدنية من المصالح كل بعيد نازح - يضاعف بهاء
أبامه بأصطفاء ذوى الصفاء ، ويزيد في بهجة زمانه باستكفاء أولى الوفاء ؛ ورفع منازل
المعرفين في الولاء إلى غايات السناء ، ويئيل المخلصين من الحباء ، مايدل على مواضعهم
الخطيرة من الاجتباء ؛ ويُسند معالي الأمور ، إلى الأعيان الصدور ؛ ويعدق
الولايات الخطيره ، بمن حسنت منه الآثار والسيره ، وأظهر تغاير الأمور ما هو عليه
من خلوص النية وبقاء السيره ؛ وأستولى على جوامع الفضل وغاياته ، وقصرت همم
الأكفاء عن مماثلته في الغناء ومساواته ؛ وألقت إليه المناقب قياد المستسلم المسلم ،

(١) جمع عارب أو عاربة . يقال ماء عرب كثير ونهر عرب و برعربة كثيرة الماء والفعل من كل ذلك

عرب عربا فهو عارب وطاربة . انظر اللسان ج ٢ ص ٨١ .

(٢) متعلق بإيضاح سبل الهدى فتنبه .

وأعجز تعديد محاسنه البارعة كل ناطقٍ ومتكلمٍ ؛ وسمت همته إلى آكتساب الفخار ،
 وأستكمل فنون المحامد فحصلت لديه حصول الأقتناء والأدخار ؛ وفاز من كل مأثرة
 بالنصيب الوافر المثل ، وتشوّفت إليه الرتب السنية تشوّف [من] رأته لها دون
 الأكفاء أهلا ؛ وكفى المهمات بجنان ثابتٍ وصدرٍ واسع ، وقزبت عليه أفعاله
 المرضية من الميامن كل بعيدٍ شاسع ؛ ووسم جلائل التصرفات بما خلفه بها من
 مستحسن الآثار ، وخلصت مشايعته من الأكدار فحل في أميز محل من الإيثار ؛
 وجارى المبرزين من أرباب الرياسات فسبق وأبر ، وأحرز جميل رأيٍ ولي نعمته
 فيما ساء وسر .

ولما كنت أيها الأمير المعني بهذا الوصف الرفيع ، المخصوص من مفاخره بكل
 رائعٍ بديع ؛ الحال من الإصطفاء في أقرب محل وأدناه ، المرتقى من الرياسة أشمخ
 مكانٍ وأسناه ؛ الأوحد في كل فضيلةٍ ومنقبه ، الكامل الذي أوجب له الكمال
 صعود الحدّ وسمو المرتبة ؛ المصلح مايرد إلى نظره بالتدبير الفائق ، الشامل مايعدق به
 بحزمه الذي لا تخشى معه البوائق ؛ أجمع على شكر خصائصه وخلالله ، الفائق جهد
 الأعيان الأفاضل بعفو أستقلاله ؛ المعتم من المشايعة بالسبب المتين ، المتميز على
 الأكفاء بماثره الماثورة وفضله المبين ؛ وما زالت مساعيك في طاعة أمير المؤمنين
 تُوجب لك منه المزيد ، وتستدعي لمنزلتك من جميل رأيه مضاعفة التشييد ؛
 وتخصك من الإجتباء بالنصيب الوافر الجزيل ، وتبلغك من تتابع النعم ما يوفى على
 الرجاء والتأميل .

وقد باشرت جلائل الولايات ، وعدق بك أنعم المهمات ، فأستعملت السيرة
 العادلة ، وسُست السياسة الفاضله ؛ وجمعت على محبتك القلوب ، وبلغت الرعية

من إفاضة الإنصاف كل مؤثر ومطلوب؛ وإذا برقت بارقة نفاق، ونجم ناجم من مرادة المراق، كنت الولي الوفي، والمخلص الصفي، والمدافع عن الحوزة بجهاده، والمجامي عنها بماضي عزمه وصادق جلاده، والباذل مهجته دون ولي نعمته، والجاهد فيما يُحظيه بنائل مواته وتأكد أذمته؛ ومجلى ظلام الخطب الدامس بحسامه، ومزيل الخطب الكارث برأيه وأعتزماه؛ ومواقفك في الحروب، تكشف الكروب، وتروى من دماء الأبطال ظامئات الغروب؛ وتورد سنان اللذن العاسل، ويريد الكمي الباسل، وتحمك طلبا المناصل، في الهامات والمفاصل؛ وتستبيح من مهج الأقران كل مصون، وترميم من قوارع الدمار بضروب متسعة الفنون؛ فأتارك في كل الحالات محموده، وشرائط الأصفاء فيك فاضلة موجوده. وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه وزيره، وكافل ملكه وظهيره؛ السيد الأجل الملك الذي

فأنتي عليك ثناء وسع فيه المجال، وخصك من شكره وإحماده بما أفاض عليك حلل الفخر والجبال؛ وقرر لك الخدمة في ولاية القاهرة المحروسة. فتقلد ماقلدك أمير المؤمنين من ذلك: عاملا بتقوى الله الذي تصير إليه الأمور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ قال الله في كتابه المبين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وأعلم أن هذه المدينة هي التي أسس على التقوى بُنائها، ولها الفضيلة التي ظهر دليلها ووضح برهانها: لأنها خصت بفخر لا يدرك شأوه ولا تدرك آماده، وذلك أن منارها لم يدكر عليها إلا أئمة الهدى آباء أمير المؤمنين وأجداده؛ ثم إننا الحرم الذي أضحي تقديسه أمرا حتما، وظل ساكنه لا يخاف طلبا ولا هضما؛ وغدت

النعمةُ به ممتمةٌ مكلِّه ، والأدعيةُ في بيوتِ العباداتِ به مرفوعةٌ متقبَّله : للقربِ من أمير المؤمنين بابِ الرحمةِ ومعدنِ الجلالة ، وثمرةِ النبوةِ وسُلالةِ الرسالة ؛ فاشتملُ كافةَ الرعايا بها بالصيانةِ والعناية ، وعمَّهم بتأمِّ الحفظِ والرعاية ؛ وأبسطُ عليهم ظلَّ العدلِ والأمنه ، وسرفهم بالسيرةِ العادلةِ الحسنه ؛ وساوَى الحقَّ بين الضعيفِ والقويِّ ، والرَّشيدِ والغويِّ ؛ والمِلِّيِّ والذَّميِّ ، والفَقيرِ والغنيِّ ؛ وأعتمدَ من فيها من الأُمراءِ والمميِّزينِ ، والأعيانِ المقدمينِ والشُّهودِ المعدلينِ ؛ والأمانيلِ من الأجنادِ ، وأربابِ الخدمِ من القُوَّادِ بالإعزازِ والإكرامِ ، وبلغهم نهايةَ المرادِ والمرامِ ؛ وأقمَ حدودَ اللهِ على من وجبتُ عليه بمقتضىِ الكتابِ الكريمِ ، وسنةِ محمَّدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ ؛ وتفقدَ أمورَ المتعيشينِ ، وأمنعَ من البخسِ في المكايلِ والموازينِ ؛ وحذَّرَ من فسادٍ مُدخَلٍ على المطاعمِ والمشاربِ ، وأتَّهَجَ في ذلكِ سبيلَ الحقِّ وطريقَ الواجبِ ؛ وأحظَرَ أنْ يخلُوَ رجلٌ بأمرأةٍ ليستَ له بحَرَمٍ ، وأفَعَلَ في تنظيفِ الجوامعِ والمساجدِ وتزْيِيفِها عن الإبتدالِ بما تُعزُّبه وتُكرِّمُ ؛ وأشدَّدَ من أعوانِ الحُكْمِ في قوَدِ أباةِ الخصومِ ، وأعتمدَ من نُصرةِ الحقِّ ما تبقَى به النعمةُ عليكِ وتدومُ ؛ وأوعِزَ إلى المستخدَمينِ بحفظِ الشارعِ والحاراتِ ، وحراستها في جميعِ الأزمنةِ والأوقاتِ ؛ وواصلِ التَّطَوُّفِ في كلِّ ليلةٍ بنفسكِ في أوفىِ عدّه ، وأظهرِ عدّه ؛ وأنته في ذلكِ وفيما يُجارِيه إلى ما يشهدُ باجتهداكِ ، ويزيدُ في شكركِ وإحمادكِ ؛ واللهِ تعالى يوفِّقك ويُرشدك ، ويسدِّدك في خدمةِ أمير المؤمنين ويسعدك ؛ فاعلمْ ذلكِ وأعملْ به ، وطالعْ مجلسِ النظرِ الأجلِّ "الملكيِّ" بما تحتاج إلى علمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمطِ كان يُكتبُ سبيلُ ولايةِ الشرقية من أعمالِ الديارِ المصريةِ دونَ غيرها من سائرِ الولاياتِ ، إذ كانت هي خاصَّ الخليفةِ كالجيزيةِ والمنفلوطيةِ الآنَ ، وكان واليها هو أكبرُ الولاةِ عندهم لذلكِ .

وأما الوظائف الدينية .

فإنها — ما كتب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية قاضي :

من عبد الله وولّيه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى القاضي المؤمن الأمين ، علم الدين ، خالصة أمير المؤمنين ؛ وفقه الله لما يرضيه ، وسدده فيما يدره ويأتيه ، وأعانه على ما عُدق به وولّيه .

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّى على جدّه سيّد ولد آدم ، وعالم كل عالم ؛ ومُبَقِّ كلمة المتقين على اليقين ، ومُعَلِّي منار الموحّدين على المُلْحِدين ؛ صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وعلى أُمراء المؤمنين ، صلاة تنصلّ فى كلّ بُكْرَة وأصيل ، ويُعدّها أهل الفضل وأهل التحصيل ؛ ووالى وجدّد ، وعظّم ومجّد ، وكرّر ورَدّد .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله إياه من نَفَاز حُكْمه ومَصَافِ حِكْمته ، وفوضه إليه من إمامة أمته ؛ وأفاضه عليه من أنوار كَشَفَتْ عَمَامَةَ كُلِّ عُمَمَةٍ ، وشَرَدَتْ بَعْدْلَهُ من بَسْطَةِ ظُلْمٍ وَسَطْوَةِ ظُلْمَةٍ ؛ وأظْهَرَهُ له من حَقِّ نَصَبٍ لِلنَّصْرِ عَلَيْهِ وللهداية علمه ؛ وأبْدَهُ به من كُلِّ عَزْمَةٍ فَتَكَتْ بِكُلِّ أَرْزَمَةٍ ، ووَكَّلَ به هِمَمَهُ من إتمام نعمة وأبتداء نعمة ؛ وأطلق به يده من معروف روض الآمال صوب مدراره ، وبدت على الأحوال آثار إثارة ؛ وأخذ به الخصب من المحل ثاره وأستقال به الرخاء من وهادات عتاره ؛ وعضد به أفعاله من أمور التوفيق أتباعا وأقتضابا ، وألممه من موالاة الآلاء التى لاتذهب عهود عهادها أنقضاء ولا أنتضابا ؛ ويسر له عزيمته من الآراء التى لا تُكسب إلا حمدا أو ثوبا - يختص بإحسانه من ينص الاختبار على أنه أهل للاختيار ؛ وتفيض الأحوال من حوالى أوصافه ما يُدِيمُ المطار

في الأوطار؛ ويُنعم على النعمة بإهدائها إلى ذوى الاستنجاب، ويصطنع الصنعة بإقرارها في مغارس الاستطابة والاستنجاب؛ ويرشخ لخدمه من عرف ذكره بأنه فائح، وعرف عرفه ناصع ناصح؛ ويؤي جنان إنعامه من أحسن عملا، وأستحقت منزلته من الكفاية أن تكون له بدلا، ولم تنبغ تصرفاته في كل الأحوال عنها حولا؛ ودرجته خصائصه العلية فاقعد صهوات الدرجات العلى، وأستحق بفضل تفضيله أن يولى الجميل جملا؛ وعرضت خلاله على تعيين الانتقاد فاقضاها ولا يتضاها، وزويت مسالك الغناء بصدرة فضاها فضاها .

ولما كنت أيها القاضي المشتمل على هذه الخلال أشتمال الروض على الأزاهر، والأفق على النجوم الزواهر؛ والعقود على فاجر الجواهر، والخواطر على خطراتها الخواطر، والنواظر على ماتصافح من الأنوار وتباشير؛ المثرى من كل وصف حسن، المتبوع الأثرى بما فرض من المحاسن وسن؛ الكالى ماأستحفظ بعين كفاية لا يصاغ أجفانها وسن؛ الأمين الذى تربه أمانته متاع الدنيا قليلا، وتضجبه ناظرا عن نصارتها كليلا؛ المؤثر دينه على دنياه؛ المطيع الذى لا يسئل العصبة عن هواه، المخلص النية فى الولاء و"لكل أمرئ ما نواه" الناصح الذى يتره ما يلبسه عن لباس الريب، البعيد عن مظان الظنون فلا تتطلع الأوهام منه على عيب غيب؛ النقي الساحة أن يفرس بها وضمه، التقي الذى لا تخدع يده عن التمسك ما أستطاع بجبل عصمه؛ المحتوم الحقوق بأن يستودع دهر الوفاء، المتوسل بموات توجب له الإيفاء على الأكفاء؛ المستقيم على مثل الظهيرة كهلا ويافعا، الشافع بنفسه لنفسه وكفى بالاستحقاق شافعا؛ وحسبك أنك حملت الأمانة وهى حفظ الكتاب، وأطلق الله به لسانك فشفت القلوب من الأوصاب، ووصل به سببك إلى رحمة يوم

تقطع الأسباب ؛ وأصبح محلك في الدارين أهلاً أنيرا ؛ وكنت ممن قال الله فيه :
 ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

وقد خالطت في مَوَاقِب أمير المؤمنين المعقبات التي من بين يديه ومن خلفه ،
 وقربت من مجالسه المشتملة منه على عنوان عناية الله بالبرية وأطفه ، ونوره الذي
 كَلَّتِ العيون عن كشفه والحيل عن كسفه ؛ وتقدمت بخدمة الخلفاء الراشدين ،
 أمراء المؤمنين ، إلى سوابق سبقت بها في كل مضمار ، وجمعت في المخالصة فيها
 بين الإعلان والإضمار ؛ وسبر التجريب حالك بصحائف خبره ، وأستمرت بك
 الحال في القرب منهم وفي تقلب الأحوال عبره ؛ وتدرجت في حجب القصور ،
 وبدت لك الغايات فما كنت عنها ذا قُصور ؛ فكانت التقدمة لك مظنونةً وبك
 مضمونه ، وسريتك على الأسرار المصونة مأمونه ؛ وما أعوجت معالم إلا وكان
 تقويمها بتقويمك ، ولا أستيقظت حيلة نخاف الحق سبيل غيها بتهويمك ؛ وإن كل
 قائل لا يملك من إصغاء أمير المؤمنين ما تملك بتلاوة الذكر الحكيم ، ولا يسلك من قلبه
 ما تسلك بمعجز جده العظيم ؛ فانت تخدم أمير المؤمنين بقلبك مواليا ، ولسانك
 ناليا ؛ وبنظرك مؤتمنا ، وبيدك محترنا ؛ لاجرم أنك حصدت ما زرعت طيبا ، وسقاك
 ما استمطرت صيبا ، وزقت لك الأيادي بكرا وثيبا ، وحللت يقاع المنازل مستأنسا
 إذا حل غيرك وهداتها متيبا .

فأما حرمتك التي بؤأتك من الإختصاص حرما ، وجعلتلك بين الخواص علما ؛
 وتوالى يدك بلمس ما حظى من الملابس بصحبة جسده الطاهر ، وأشمَل على زهر
 النضار وزهر الجواهر ، فذلك جار مجرى السكة والدعوة في أنهما أمانة تُعم العباد
 والبلاد ، وهذه أمانة تُحُص النفوس والأجساد ؛ ولك مما في خزائنه وكالة التخخير

(١) التويم النوم الخفيف . يريد أنه لا ينام عن ابطال كل حيلة .

والتعير ، وعن أغراضه الشريفة سفارة الإفراج والتغير ؛ وهذه موات تجعل سماء
السّاح لك دائمة الدّيم ، وتُسكن آمالك في حرم الكرم ؛ وتعقد بينك وبين السعادة
أوكّد الذّم ، وتفاضي لك جدود الجّد بقدّم الخدم .

وحضر محضرة أمير المؤمنين فتاه ، الذي رُهي الزمان به فتاه ؛ ووزيره ، الذي
عزّه به منبره وسريه ، السيد الأجل أفضل الملوك قدرا ، وأكثرهم قُدرة ، وأعظمهم
صبرا ؛ وأدرّبهم نُصرة ، وأفيضهم جودا غمرا ، وأكشّفهم لغمرة ، وأمضاهم على الهول
صدرا ، وأردّهم لكّره ، وأثبتهم جاشا وصليلُ السيوف يخطب والمقاتل تسمع ، وأوضحهم
في استحقاق المجد حجة شرعتها الزّماح الشرع ؛ وأركبهم في طاعة أمير المؤمنين
لمشقه ، وأشدّهم وطاة على من بحمد نوزّه وعقّ حقه ؛ فالدنيا مبتسمة به عن نُغور
السرور ، والمُلك بكفّالته بين ولي منصور وعدو محصور ؛ فأسفرت سفارته عن أنك
من أمثل ودائع الصّنائع وأكفاء الاستكفاء ، وأعيان من يحقق اختيارهم وفضلهم
العيان ، وأفاضل من هو أهل لإسداء الفواضل ؛ وأن الصنعة ثوب عرك (؟) داره ،
وجار قد عقد بين شركك وبينه جواره ؛ وقتر لك تقدمة في الحضرة لأنك فارسهم
أسما وفعلا ، وأولم حين نتلو وحين تتلى ؛ والنظر على المؤذنين بالقصور الزاهرة ،
والمساجد الجامع ؛ وبالمشاهد الشريفة : لأن الأذان مقدّمة بين يدي القرءان ،
وأمانة على معالم الإيمان ؛ والنظر في تقويم ما يرد إلى الخزانة العالية الخاصة والعامة
من الملابس على اختلاف أصنافها ، والأمتعة على آتلاف أوصافها ؛ ومشاركة
خزانة الفروش ليكمل لك النظر في الكسوات التي تصان لللبوس ، والكسوات التي
تبتدل للجلوس ؛ وتخزن بيت المال الخاص ليكمل لك النظر في الذهب مصوغا
ومرقوما ، وتخزنا وتقويما ؛ وأستصوب أمير المؤمنين ماراه ، وأمضى ما أمضاه ؛
ونرح أمره إلى ديوان الإنشاء أن يكتب هذا السجل لك بذلك .

فَاعْرِفْ قَدْرَ مَا عُدِقَ بِكَ مِنْ أُمُورِ دِينٍ وَدُنْيَا ، وَخِدِّمْ لِاتَّقْوَىٰ عَلَيْهَا إِلَّا بِلِبَاسِ
التَّقْوَىٰ ؛ وَأَنْتَ كَمَا أَصْبَحْتَ لِحَنَاتِ أَنْعَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانَا ، وَيُدْكَ لِلْفُظْ
إِحْسَانِهِ لِسَانَا ؛ وَبِأَشْرَ ذَلِكَ مُسْتَشْعِرًا خَشِيَةَ اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، مُتَحَقِّقًا أَنَّهُ
غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِكَ ؛ مَدْنَحْرًا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَبْقَىٰ عِنْدَ فَنَاءِ ذَنْحِكَ ، مُسْتَدِيمًا
لِلنِّعْمَةِ بِمَا يَقِيدهَا مِنْ شُكْرِكَ ، وَمَا يَصُونُهَا أَنْ تُبْتَدَلَ مِنْ بَشْرِكَ ؛ عَالِمًا أَنَّ التَّقِيَّةَ حِلِيَّةَ
الْإِيمَانِ ، وَضَمَانُ الْإِيمَانِ ، وَزَادَ أَهْلَ الْحِنَانِ إِلَىٰ الْحِنَانِ ، بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ
الْعَزِيزِ : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ .

وَأَخْلَصَ نِيَّتَكَ فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَمَعَ الْإِحْلَاصَ الْخَلَاصَ ، وَأَدَّ لَهُ الْأَمَانَةَ
فَإِنَّ أَدَاءَهَا أَطْيَبُ الْقَصَصِ يَوْمَ الْقِصَاصِ ؛ وَقُمْ فِي خِدْمَتِهِ الْمَقَامَ الْمُحْمُودِ ، وَأَسْتَدِمُ
بِهَا صُغُودَ رِكَابِ السُّعُودِ ؛ فَقَدْ عَرَفَكَ اللَّهُ بِرُكَّةِ النَّصِيحَةِ وَعَوَائِدِهَا ، وَأَنْجَزَتْ لَكَ
الْأَمَالَ الْمُنْبَسِطَةَ مَوَاعِدِهَا ؛ وَأَسْتَشْرِفُ أَحْوَالَ الْقِرَاءِ فَهَمُّ أَحَقُّ قَوْمٍ بِالْتَهْدِيبِ ،
وَلُزُومِ أَسَالِيْبِ التَّأْدِيبِ ؛ فَمَنْ كَانَ لِلآيَاتِ مَرَّتَلًا ، وَلِلدِّرَاسَةِ مَتَبَتَّلًا ؛ وَبِأَثْوَابِ
الصَّلَاحِ مُتَقَمِّصًا ، وَبِخِصَائِصِ الدِّينِ مُتَخَصِّصًا ؛ وَلَمَّا فِي صَدْرِهِ بِقَلْبِهِ لِابِلِيسَانِهِ
حَافِظًا ، وَعَلَىٰ آدَابِ مَا حَفِظَ مُحَافِظًا ؛ فَذَلِكَ الَّذِي تُشَافُهُ تَلَاوُثُهُ الْقُلُوبِ ، وَتَرُوضُ
بِأَنْوَاءِ الْمَدَامِعِ جُدُوبَ الذُّنُوبِ ؛ وَمَنْ كَانَ دَائِمًا الْإِطَالَةَ فِي سَفَرِ الْبَطَالَةِ ، سَاتِرًا لِأَنْوَارِ
الْمَعْرِفَةِ بِظُلْمِ الْجِهَالَةِ ؛ فَحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تَصْرِفَهُ وَتُبْعِدَهُ ، وَتَجْعَلَ التَّوْبَةَ لِلْعُودِ مَوْعِدَهُ ؛
وَكَذَلِكَ الْمُؤَدِّونَ فَهَمُّ أَمْنَاءِ الْأَوْقَاتِ ، وَمُتَقَاضُونَ دُيُونِ الصَّلَوَاتِ ؛ وَلَا يَصْلُحُ
لِلتَّأْدِينِ إِلَّا مِنْ كَلِمَاتِ أَوْصَافِ عَدَالَتِهِ ، وَأُصَامِ جِهَالَتِهِ .

وَأَمَّا الْأَمَانَةُ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي وَكَلْتَ إِلَىٰ حَزْنِكَ وَخَتَمْتَكَ ، وَالْأَمْتَعَةَ الَّتِي وَكَلْتَ
إِلَىٰ تَقْوِيكَ وَحُكْمِكَ ؛ فَانْ تَوَدَّى بِسُلُوكِ أَخْلَاقِكَ وَهِيَ الْأَمَانَةُ ، وَأَتَّبَعَ طِبَاعَكَ

وهي الإباء للخيانة، وأن تستمّر على وتيرتك، ومشكور سيرتك، ومشهور سيرتك،
ومُنير بصيرتك، وأن لا تُؤتَى من هوى تُبَّعه، ولا حيف تبثده، ولا قوى تُخدع له،
ولا ضعيف تُخدعه، ولا من محاباة وإن أحببت، ولا من مُداجاة كيفما تقلبت،
وأذكر ما يُتلى من آيات الله في مثلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾
والله يتولى توفيقك وتوفيقك، ويُديم [على] ما يُحِبُّ تصريفك، إن شاء الله تعالى .

ومنها - ما كتب به القاضى الفاضل أيضا، وهى :

من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعد، فإن رتب الولايات متفاوتة الأقدار، متباينة الأخطار؛ وكل شيء منها
عند أمير المؤمنين بمقدار؛ ولها رجال مشرفو الأقدار، ومحاملاً بحضرة مقدرة تقدير
منازل الأقدار، ومحال الأولياء بمقامه محال الأهله تتنقل بين أول السماء إلى آتئها
الإبدار؛ ومن أميزها قدرا، وأحقها بأن يكون صدرا، وأن يشرح لمن حله صدرا،
وأن يسوق إليه الخاطب من استحقاقه مهرا؛ ولاية مدينة مصر: لأنها المجاورة لمحل
الخلافه، وكل مضر بالنسبة إليها معها بالإضافة؛ وهى خطة النيل، وفرضة النيل؛
وبها إذا هجمت الخطوب النيل، ومنها من عثرت الأيام المقييل؛ ومنها تؤس
أنوار الإمامة على أنها تتوصح بغير التأميل وبدء التأميل، ولا يؤهل لولايتها إلا كل
حامل لعينها الثقيل؛ ولا تسند الخدمة فيها إلا لكل مُثَرٍّ من ذخائر السياسة غير فقير
ولا مقل، ولا يتوقل رُتبتها إلا من تكون به الرتب مُنيرة ومحاسنه لا تمل مما يمل؛
ولا يمتطى صهوتها إلا من لا يطاطئ للأطاع عزة زاهته ولا يدل، ولا يرتقى درجاتها
إلا من يهتدى بأعلام الديانة التى لا تُضلل، ولا يُقرأ سِجِّها إلا لمن يطوى مظالم
الرعية طى الكتاب للسجّل .

(١) النيل بفتح الميم الشيء المعطى .

ولما كنت أيها الأمير من توقدت هذه الأوصاف فيه توقد النار في ذرى علمها ،
وأوجد معاني معاليها وأقدها من إسار عدمها ؛ وأرتقى إلى هضبات الرياسة المنبئة
بما جعل خلاله المسلم فضلها مثل سلبها ، وناولته الدراية عناني سيفها وقلمها ؛
وشهدت الأيام بتقدم قدمه في مراتبها وقدمها ، وأمنت الصواب أن يتبع أفعاله
إذا أمضاها بعب (؟) بدمها ؛ وكتبت أقلام رماحه سطور الطعن في صدور العدا
مستمدة من دمها ؛ وتجمت مشقات المعالي فأثرته تعفى راحة بجسمها ؛ واجتمعت
فيه صفات المحاسن المتفرقة ففضى عليها بتجسيمها ؛ وتصدر الدرجات المحصنة
من مطالع الحاضر لحظه من رقها ونسيمها ؛ وتعرضت ذخائر المحامد لما في طبعه
من اقتناصها وتعيمها ؛ وقزت عين المنازل فما زوت وجه إقبالها ولا بسطت راحة
تظلمها ، وأثنت إليه عقائلها المصونة فما ننت دون ديانتها عنان تلومها ؛ وأثرك
في كل ولاية مشكور ، وسعيك في كل غاية غير مقصور ؛ وغناؤك في المهيمات
معد مذخور ، ومساجلك عن أسير ما وصلت إليه مدفوع مذخور ؛ ولسل شباك
بالكوكب الدررى من صولتك منحور ، وأفعالك أفعال من لا يجوز غير محرز كسب
الأجور ، وخلالك خلال من أنتظم في سلك الذين يرجون تجارة لن تبور .

وقد سلفت لك خدام تصرفت فيها وتدرجت ، وعرفت بطهر الذكر من رعيتها
وتأرجت ؛ وتحوت من الأوزار على ما يوقع ذنبك وتحرجت ؛ وجريت على أجمل
عاده ، واقتضيت عند انقضاء شأ الإبداء استئناف شأ الإعادة . ومثل بحضرة
أمير المؤمنين لسان أمره ، وسيف زجره ، السيد الأجل الذي قام بما استكفاه
فأحسن وحسن ، وصان حمى الملك فأحصن وحصن ؛ وجاد بنفسه في سبيل الله
فما ضن ، وكان مكان ما أمل عند أصفائه وفوق ما ظن ؛ وسدد قصوده ، ففرقت
سهاؤها وما مرقت عن طاعته ، وأطلع سعوده ، فأنارت نجومها لأوليائه ورجومها لأهل

خلافِ خلافته ، وأطلقت أحكامَ عدلِ الله في خلقِ الله أحكامَ مراماته وسيفُ إخافته ؛ فالدنيا بين أياته عن ماخذ السراء ، وطلقاء الجُود بما عملته يده من قيود الإحسان في عِدَادِ الأَسْرَاءِ ؛ ورضا أمير المؤمنين عنه كافلٌ له بأن يُرضى الله في الأعداء ، وملوك الأرض إن فدت السماء (؟) طيبةً أنفسها له بالفداء ؛ والدنيا متأرجحة بطيبِ خبره ، والعليةاء متبرجة بحُسنِ نظره ؛ وبحارِ التدبير لا تُتفارق زبدَ أمواجه إلا بفانرجوهره ، وقوانينُ السياسة لا تُوجد مسندة إلا عن أتباع أثره ؛ ولا حظٌ لمحاربه إلا سلمه بعثاره وتثمه بعثيره ، فأثنى عليك بحضرتة وإصفا ، وثنى إليك عنانَ عنايته عاطفا ، ورأى تقليدك ولايتها مُعربا باستحقاقك عارفا - خرج أمر أمير المؤمنين إليه بأن يُوعزَ إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجلِّ لك بتقليدك ولاية المعونة والحسبة بمدينة مصر والحيزة والقرافة ، إنافةً بك عن النظراء ، وإبانةً عمالك من جميل الآراء ؛ وتطريةً لحظك بما حصل به من الإطراء ، ورعايةً لما لك من الانتهاء إلى أقصى غايات الإحسان والإجراء ، وإيجاباً لما تتوسل به من العناء ، وذخائر الغناء والإثراء ، وإشادةً لقدرك الذي أشاده ما أنت عليه من الإيواء إلى ظلِّ الزاهة والأستيناء .

فتقلد ما قلده من هذه الخدمة ، وأرقل بما صفاً عليك من ملابس هذه النعمة وبما صفاً لديك من موارد هذه الجمه ؛ وقدم تقوى الله أمامك ، وأتبع وصيتها التي آستعمل الله بها إمامك ؛ فيها النجاة مضمونه ، والرحمة متيقنة لا مظنونه ؛ قال الله سبحانه في كتابه المكنون : ﴿ وَيَجِبِي اللَّهُ الَّذِينَ آتَقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمْسَهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

وآعتمد المساواة بين الناس فيما هو حُكم ، والنظر بالعدل في كل ما هو ظلم ؛ ولا تجعل بين الغنى والفقير في الحق فرقا ، وأسلك فيهم طريقاً واحداً فقد ضلَّ

مَنْ سَلَكَ فِيهِمْ طُرُقًا ، وَاشْتَمَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِطُمَأْنِينَةٍ تُنِيمُ الْأَخْيَارَ وَتُوقِظُ الْأَشْرَارَ ،
وَأَمْنِيَّةٍ تَسَاوَى فِيهَا بَيْنَ ظِلَامِ اللَّيْلِ وَنُورِ النَّهَارِ : لِتَكُونَ وَلَا يَتُكَّ لَهِمْ مَوْسِمًا ، وَمَوْرِدَهَا
لِثَغُورِ الْأَمْرِ مَيْسِمًا ، وَأَنْصَفِ الْمَظْلُومَ وَأَقْمَعَ الظَّالِمَ ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ زَعِيمًا بِنَجَاتِهَا فَالزَّعِيمُ
لَهَا غَارِمٌ ، وَأَنَّهُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَحَسْبُكَ
أَنْ تُعْرِفَ بِهِ وَتُذَكَّرَ ، وَخُذْ فِي الْحُدُودِ بِالْإِعْتِرَافِ أَوْ الشَّهَادَةِ ، وَلَا تَتَعَدَّ حَدَّهَا بِنَقْصِ
وَلَا زِيَادَةٍ ، وَكَمَا تُقِيمُهَا بِالْبَيِّنَاتِ ، فَكَذَلِكَ تَدْرُؤُهَا بِالشُّبُهَاتِ . وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ وَوُجُوهِهَا ، وَكُلِّ سَامِي الْأَقْدَارِ نَبِيهَا ، وَأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ،
وَالْمَعْدُودِينَ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْلَامِ ، وَالْمَعْدَلِينَ الَّذِينَ هُمْ مَقَاطِعُ الْأَحْكَامِ ، وَالتَّجَارِ
الَّذِينَ هُمْ عَيْنُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالرَّعِيَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ قِوَامُ الْعَيْشِ فِي الْأَيَّامِ ، مَنْ يَلْزِمُكَ
أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مُكْرِمًا ، وَلَا يَبَالِغُ فِي مَحْكَمِكَ ، وَمَنْ ظَلَمَهُمْ مَتَحَرِّجًا مَتَأَمًّا ، وَلَسَانُهُمْ
فِي الشُّكْرِ عَنِ لِسَانِكَ مَتَكَلِّمًا ، وَإِلَى قُلُوبِهِمْ بِجَمِيلِ السِّيَرَةِ مَتَحَبِّبًا ، وَلِمَسَاطِئِهِمْ - مَا لَمْ
تُسْحِطْ اللَّهُ - مَتَجَنِّبًا . وَأَشَدُّدُ مِنَ الْمُسْتَعْدِمِينَ بِيَابِ الْحِكْمِ فِي إِشْخَاصِ مَنْ يَتَقَاعَدُ
عَنِ الْحُضُورِ مَعَ خَصْمِهِ ، وَيَتَّبِعُ حَكْمَ جَهْلِهِ فَيَخْرُجُ عَنِ قَضِيَّةِ الشَّرْعِ وَحُكْمِهِ ،
وَأَوْعِزُّ إِلَى أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ بِإِطْلَاعِكَ عَلَى الْخَفَايَا ، وَإِبَانَةِ كُلِّ مُسْتَوْرٍ مِنَ الْقَضَايَا ،
وَأَنْ يَتَّقِظُوا لَسَكَّاتِ اللَّيْلِ وَغَفَلَاتِ النَّهَارِ ، وَخُدُّهُمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا أَلْتَرَمُوهُ مِنَ الْحَرَسِ
مِنْ مَكَائِدِ الْأَصْوَصِ وَالذُّوَارِ ، وَأَيَّقِظْهُمْ لِأَنْ يَتَّقِظُوا فَرُبَّمَا آجَتْنِي ثَمَرُ الْأَمْنِ
مِنْ غَرَسِ الْحِذَارِ ، وَإِذَا ظَفِرَتْ بِجَانِ قَدِ أَوْبَقَهُ عَمَلُهُ ، وَطَمَحَ إِلَى الْفَسَادِ أَمَلُهُ ،
فَأَجْمَعْ لَهُ بَيْنَ التَّنْكِيلِ وَالتَّوَكُّلِ ، أَوْذَى رِييَّةٍ إِنْ زَادَ رِييَّةً بِالْحَبْسِ الطَّوِيلِ ،
وَإِلَّا فَطَالَعِ بِأَمْرِهِ إِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْقَبِيلِ . وَوَاوَصِلِ التَّطَوَّافَ فِي الْعَدَدِ الْوَافِرِ ،
وَالسَّلَاحِ الظَّاهِرِ ، فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا ، وَعَمَّرْ بِسِرِّكَ سَائِرَ أَرْجَائِهَا وَأَكْفَاهَا .
وَأَنْظِرْ فِي الْحَسْبَةِ نَظْرًا مِنْ يَحْتَسِبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَأَبْقَى ، وَمَنْ يَرِغَبُ فِي الْأَجْرِ

ويعرض عن شعار لباس التوبه واللبس . وأمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات
محرم : لتكون قد سئمت وسلمت من شهته المطعم والمطعم . واستوضح آلات
المعاملات ، وغيرها فيها تحف الموازين أو ترجح ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ ﴾ . واعتمد في تهذيبها وتصويبها ما تحسن فيه للسيء والمحسن ، لأنك
تكف أحدهما عن عمل المتهافت وعن المهوب المعن .

وتقدم بنفض الأذى عن جادة الطريق ، وأنه أن تجمل دابة أكثر مما تطيق ؛
وتفقد الجوامع والمساجد بالتنظيف إبانة جمالها ، وصيانة من أبتدأها ؛ ولا تمكن
أحدًا أن يحضرها إلا مؤديًا للقرض أو منتظرًا أو مطوقًا ، أو عالمًا أو متعلمًا
أو مستمعًا ؛ فإنها أسواق الآخرة ، ومنازل التقوى العامرة ؛ وأجر الأمور على عاداتها ،
وأسترشد في طرائقها ومشكلاتها ؛ فأعلم هذا وأعمل به . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سجل بولاية قاضي بنفرا الإسكندرية ، من إنشاء القاضي الفاضل ،
من هذه الرتبة ، وهي :

من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعد ، فالحمد لله الذي نشر راية التوحيد وأعر ملة الإسلام ، وهدى بكرمه
من أتبع رضوانه سبيل السلام ؛ رافع منار الشرع وحافظ نظامه ، ومجزل الثواب
لمن عمل بأمره في تحليل حلاله وتحريم حرامه ؛ وسبع كل شيء رحمة وعلما ، وسأوى
بين الخليفة فيما كان حكما ، وقال جل من قائل في كتابه العزيز : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ . سبحانه من خالق لم يزل رعوفا
ببريته ، عادلا في أفضيته ، مضاعفا أجر من خشيه وعمل بخيفته ، موفرا ذلك له
يوم يود الجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته .

يحمده أمير المؤمنين أن أفاض عليه أنواراً إلهية ، وتعبّد البرية بأن جعلها بطاعته مأمورة وعن مخالفته منيية ؛ وأستخلف منه على الخليفة القوى الأمين ، وآتاه مالم يؤت أحدًا من العالمين ؛ ويسأله أن يصلّي على جدّه الذى عمّ إرساله بالرحمة ، وكشف بمبعثه كلّ عُمه ، وجعل شرعه خيرَ شرع وأمتّه خيرَ أمة ؛ فأحيا من الإيمان ما كان رَمياً ، وهدى بالإسلام صراطاً مستقيماً ، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً ﴾ وعلى أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى وقر الله نصيبه من العلم والحكمة ، وجعل خلافة فى أرضه لاتخرج عن ذريته الهداة الأئمة ؛ وعلى أهلها الأقطار ، وعترتها السادة الأبرار ، الذين ولأوهم يحظى بالجنة ومحبتهم تنجى من النار؛ وسلّم عليهم أجمعين [سلاماً] باقياً إلى يوم الدين .

وإن أمير المؤمنين لما أفرده الله به من المآثر، وتوحده به من المناقب والمفانح، وخصه بشرفه من الإحسان إلى أوليائه بالإنعام إليهم فى الدنيا والشفاعة لهم فى اليوم الآخر - يرتاد لجلال الخدم من يُسار إليه ويومى ، ويختار لتوليها من يكون بأفعالها ناهضاً وبأعبائها قئوماً ؛ ويسند أمرها إلى من لا يئمرى فى سؤدده ولا يختلف فى فضله ، ويعدق شئونها بمن عدقت الرياسة به وبأسلافه من قبله ؛ فيكون إذا شرف بها عرف منزلتها ومحللها ، ووقع الاتفاق على التمثل بقوله : ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ .

ولما كنت أيها القاضى المكين من البيت الذى آشتهر قدره ، وأرتفع ذكره ، وحلت رتبته ، بأوصاف كل من أهله فى قوله وفعله ؛ وترددت رياسته ، فى عدد كثير لاعهد للرياسة بالتردد فى مثله ؛ وكانت لك ولن مضى من أسلافك آثار فى الخدم خلدت لكم مجداً بيقى ، وأقرت من الحديث به مالا يسمو إليه النسيان ولا يرقى ؛

فكل ما تتولونه متجمل بكم ولا يُريد معكم زياده، وكل ما يُعتمد فيه عليكم قد نال مطلوبه وبلغ الغية والإرادة؛ والذي يخرج عن نظركم يتلطف عليكم حينئذ إليكم وأشتياقاً، وإن رد إليكم يأل تشبثاً بكم وتمسكاً وأعتلاقاً.

هذا إلى ما لم من الحُرَمَات المرعيه، والمَوَات التي ليست بمنسيه. والسيد الأجل الأفضل الذي حسبته من المناخر قيامه بحق الله لما غفل الملوک عنه وقعدوا، وأستيقاظه بمُفرده حين ناموا دون أستخلافه مما عراه ورقدوا؛ وإن أنتصابه آية أظهرها الله لله، وحسم بها في رفع منار الدين كلِّ علّه؛ فإذا أنفقت الأعمار في [بيان] أوصافه كانت جديره بذلك حريه، وإذا ذُكرت آثاره في الإسلام كان العلم بكرمها لاحقاً بالعلوم الضرورية؛ فما يُنسب المتوسّع في التقرّيب له إلى تغال، ولا تضييع وقت يقضى في أهتام بالثناء على مناقبه وأشتغال - يواصلُ الثناء عليك والشكر لك، ويتابع من ذلك ما إذا ذكر اليسير منه شرفك وجملك؛ ويصف ما كان لأخيك القاضي المكين - رحمه الله - من الاجتهاد في المناصحات، ومن الأفعال الحسنه والأعمال الصالحات، ومن الوجاهة التي أحلته مكاناً متجاوزاً غاية الآمال الطامحات، مارفعه عن طبقات كثير من سادات الناس، وجعل حاسديه في راحة لما شملهم من دعة اليباس. وإنك أيها القاضي المكين، الأشرف الأمين؛ قد بلغت مداه في الجلاله، وورثت مجده لا عن كلاله؛ وحويت فضله ونقره، وقفوت أثره وأحييت ذكره؛ وحزت خلاله الجميلة وأفعاله الرضيّه، وحصلت الفضيلتين الذاتيه والعرضيه؛ ولذلك تقررت نعوذك «القاضي المكين» لأستجاباك فيما تقضى به جزيل الثواب، ولتمكّن أفعالك في محل الصواب؛ و«الأشرف الأمين» لشرف نفسك، وكون أمانتك في حاضر يومك على ما كانت في ماضى أمسك؛ و«تاج الأحكام» لأن ما يصدر منها سامى المنهاج، وقد ارتفع محلّه كما

أرتفع محلُّ التاج؛ و «جمالُ الحُكَّام» لأنك لما وَايَلَيْتَ ماؤلُوا، جملتهم إذ فعلتَ من الواجب فوق ما فعلُوا؛ و «عمدَةُ الدين» لأنَّ من كان مثلك ركنَ إليه الدينُ وأستند، وتوكَّأ على جانبه وأعتمد؛ و «عمدَةُ أمير المؤمنين» لأنك ذخيرةٌ لدولته، ونِعْمَ البقيةُ الصالحةُ لمملكته .

ومعلوم أن نثر الإسكندرية - حماه الله تعالى - النثر الرفيعُ المقدار، الذي هو فُرة العين للإسلام وقدَّى في عيون الكُفَّار؛ ومحلُّه مما تتطامن له معاقلُ التوحيد وحُصُونُه، وهو مشتملٌ من الفقهاء والصلحاء والمرابطين وأهل الدين على من لم يزل يحفظه ويصونه؛ وإليه تتنازلُ ^(١) السُّفَّار، وتتردُّ التُّجَّار، وهو المقصود من الأقطار القصية النائية، ومن البلاد القريبة الدانية؛ وما زالت أحواله جاريةً بنظرك على أحسن الأوضاع وأفضلها، وأوفى القضايا وأكملها؛ وما كان استخدامُ غيرك فيه إلا ليظهر إشرافَ شمسك، وليزول الشكُّ في تبريزك على جنسك، ولتبين فضلُ مباشرتك وتوكلك على أن ذلك لم يكن مكتماً، ولتحقق أن عقد صلاحه لا يكون بتولى غيرك متسقاً ولا منتظماً .

وقد رأى أمير المؤمنين إمضاءَ ما رآه السيد الأجلُّ الأفضل من إقرارك على الحكم والقضاء: لأطلاعك من ذلك على سرِّه، ونفاذك في جميع أمره؛ ونجبرتك به ودربتك، ولأستقلالك ومضائك ومعرفتك؛ وإنك إذا استمرت على عادتك، غيبتَ عن تجديد وصيتك؛ فتماد على سنتك، ولا تخرج عن سبيلك ومحجَّتك؛ وأنت تعلم أن الشهود بهم يُعطى الحُكَّام ويمنعون، وأقوالهم يفصلون ويقطعون؛ وبشهاداتهم تثبتُ الظلمات وتبطل، وعليها يعتمد في انتزاع الحقوق ممن يدافع ويمطل؛ فواجب أن يكونوا من أتقياء الورى، ومن لا يتبع الهوى؛ فأستشف

(١) أى تنصب وترد عليه كثيرا انظر اللسان والقاموس .

أحوالهم ، وأستوضح أمورهم وأفعالهم ؛ فمن كان بهذه الصفة فأجره على عادته في أستماع
مقالتيه ، ومن كان بخلافه فففي الأمر على عدالته ، وأحسِم مادة الضرر في قبول
شهادته ؛ وقد جعل لك ذلك من غير أستئذان عليه ، ولا اعتراض لك فيه ؛ ولا تقترب
أحدًا من رتبة العَدَالَة ، وأرفعها بإزالة الأَطْعاع فيها عن الإهانة والإذالة ؛ وأغضض
من أبصار المتطلعين إليها ، والمتوثبين عليها ، بالتطأرح على الجهات ، وألتماسها
بالعنايات التي هي من أقوى الشبّهات ؛ وإن ورد إليك توقيعٌ وتركيةٌ من الباب
فأصدره [في] مطاعتك ليحيط العلم به ، ويخرج إليك من الأمر ما تفعل على حسبه ؛
وأفعل في دار الضرب وأحوال المستخدمين والمتصرفين على ما أنت به العالم البصير ،
والعارف الخبير .

وقد جعل لك إضافةً إلى ذلك النظر في أمرٍ جميع هذا الثغر المحروس وأُسند
إليك ووكل إلى صائب تديرك ، وإلى حُسن تهديك ؛ وإلى بركة سياستك ،
وإلى عملك فيه بمقتضى دياتك ؛ وصار جميع المستخدمين به من قبلك متصرفين ،
ولأوامرك متوَكِّفين ، وعند ما تحته واقفين ، ولرأسهم متابعين غير مخالفين ؛ فمن
أحدثه منهم وعلمت نهضته فأجره على عادته ورسمه ، ومن كان بخلاف ذلك
فاستبدل به وأخ من الخدمة ذكر اسمه ؛ فلا يد مع يدك ، ولا عدول عن مقصدك ؛
والأستخدام في هذا الأمر قد أُسند إليك ورد ، وكونه من جهة غيرك أغلق بابه
وسد ؛ فلا تصرف فيه إلا لمن صرّفته ، ولا خدمة إلا لمن أستخدمته .

وتأكيد القول عليك لا يزيدك حرصًا ، والمعرفة بهمتك وخبرتك تغنيك عن أن
توصي ؛ والذي تقدم ذكره في هذا السجل إرهاف لحدك ، وإعلاء لحدك ، وإطلاع
لكوكب سعدك ؛ والله يتولى تأييدك وتوفيقك ، ويوضح إلى الخير سبيلك وطريقك ؛

فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر بأمر خدمتك ، وما تحتاج إلى عمله في جهتك . إن شاء الله عز وجل .



وأما السجلات المكتتة بالوظائف الديوانية ، فكما كتب به بعض كتابهم بولاية ديوان المربح :

لسني الدولة وجلالها ، ذى الرياستين ، أبى المنجى سليمان بن سهل بن عمران .
أما بعد ، فإنه من حسنت آثاره في مناصحات الأئمة الخلفاء ، وأرتفع محله في طاعتهم عن الأنظار والأمثال والأكفاء ، وظهرت بركات أفعاله فيما يتولاه ظهور الشمس ليس بها من خفاء ؛ وبأهى بتديره كل ما يباشره من أمر خطير قدره ، وأستدعت من الثناء والإطراء ما يتأرجح نشره ويتضوع ذكروه ؛ وتساوى عنده القول والعمل ونافس فيه الخبر الخبر ، ورتبه مرتبه مقدما على من مضى من طبقته وغبر ؛ ووسم الأعمال بسيمات في العماير تضاف إليه وتنسب ، وغدت الخدم ترهى به وتعجب ، وهو لا يزهى ولا ينظر ولا يعجب . كان رد المهمات إليه حسن نظرها ، وإذا حطرت جلاله توليها على غيره أضحى نفاذه متمجها له محلها ؛ وكان التنويه به حقا من حقوقه وواجبا من واجباته ، والمبالغة في تكريمه وتفخيمه مما يتعين الانتهاء فيه إلى أقصى أماده وأبعد غاياته .

ولما كنت في متولى الدواوين ، مشهور الشأن والقدر ، وحالا من مراتب الكفاة المقدمين ، في حقيقة الصدر ؛ إن أنتظموا عقدا كنت فيه الواسطه ، وإن قسط غيرك على معامل لم تكن أفعالك قاسطه ؛ ولك السياسة التي ظلت ساحاتها رحابا ؛

والرياسة التي من وَصَفَكَ بها فما تَمَلَّقَ ولا داجى ولا حابى؛ والصَّنَاعَةُ البارعة التي تشهدُ بها الطُّروس واليراع؛ والأمانةُ الوافيةُ التي آرتفع فيها الخلافُ ووقعَ عليها الإجماع؛ والتصرُّفُ في أنواعِ الكتابةِ على تباينِ صُروبها؛ والاستيلاءُ على ظاهرها ومستورها وواضحها ومكتومها، والأخذُ لها عن أهلِ بيتك الذين لم يزلوا فيها عَرَبِينَ، ولم ينفكوا في مداها سابقين غيرَ مَأْخُوقِينَ؛ وقد زدت عليهم بما حُرِّتَه بهمتك، ونلتَه بقرحتك؛ حتى بلغتَ منها ذِرْوَةً شامخةً عليه، وحصلتَ فضيلتين فضيلةً ذاتيةً وفضيلةً عَرَضِيَّةً؛ وأمنتَ من يُباريك ويساجلك، وكفيتَ من يناوئك ويطاولك؛ وكان الديوانُ المُرتَجِعُ عن بهرامٍ وغيره من أجلِّ الدواوين وأوفاهَا، وأحقَّها بالتقديمِ وأولاها: لأنه يَسْتَمِلُ على نواجٍ مختاره، ويحتوى على ضياعٍ مكثوفةٍ بالعاره؛ وقد زاده مِيزَةً على غيره كونك ناظرًا فيه، وأنتَ مدبِّرُ أمره ومستوفيه.

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووزيره السيد الأجلُّ الأفضَلُ الذي عزَّ بحُسن سيرته الملكُ وتضاعفَ بهاؤه، وصننتُ مصالحَ الأمور تديراته وآراؤه؛ وظلَّتْ شُؤونُ الدولة بما يقرره منتظمةً مستقيمةً، وغدتِ الميامنُ والسعودُ محيِّمةً في داره مُقيمه؛ وأتفقتُ على الثناء عليه مختلفاتُ الأقوال، وقضتُ مهابةً بحماية النفوس وصيانةِ الأموال. وفاوضه في أمر هذا الديوان فأفاضَ في وَصْفِكَ وشُكْرِكَ، وأطنبَ في تَقْرِيطِكَ وإجمالِ ذِكْرِكَ؛ ونبّه على الحظ في تَوَلِّيكَ إِيَّاهُ، وواصلَ من مدحك بما يتضوعُ عَرَفُهُ وَيَطِيبُ رِيَّاهُ؛ وقررتُ لك من تَوَلِّيهِ ما يصلُ سببَ الخيرات بسببه، وميزك بما لم يطمع أحد من كافة متولى الدواوين به؛ فلم يجعلَ فيه يدًا مع يدك، ولا نظرا لإلالك بمفردك؛ فلا يرفعُ [أحد] شيئًا إلى غير ديوانك من حساب ما يجري في أعماله، ولا مُعاملةً لبيت المال إلا معك فيما يحلُّ من أمواله. فأمضى

أمير المؤمنين ذلك وأمر به ، وخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الديوان المرتجع المذكور : ثقةً بأنك تأتي فيه على الإرادة ، وتنتأى لبُلوغ الغرض وزيادة .

فاستخِر الله تعالى وباشِرْ أمره بجِدِّك المعهود ، وشمر عن ساق عزمك المشهود وسعيك المحمود ؛ وأجر على رَسْمِكَ في العمل بما يحفظ أوضاعه ، ويُزجى آرتفاعه ، ويُزيح عِلَّتَه ، ويُغزِر مادته ؛ فأعتد مواصلة الليل والنهار في مصالحه فرضاً إذا أعتقدها غيرك قُفلاً ، وأجعل اجتهادك لاستخراج أمواله وكُنْ عليها إلى أن تصل إلى بيت المال قُفلاً ؛ وأستنظف ما فيه من تقاوٍ وبقاٍ ؛ وأفعل في تديره ما يُجري أمره على الوفاق ؛ وأستخدم من الكتاب من تحمده وترتضيه ، ونصهم إلى الأفعال التي تستدعي شكرك لهم وتفتضيه ؛ ولا تُسوغ لضايف ولا عامِل أن يقصر في العماره ، وأعتد من ذلك ما يكون على كفايتك أوضح دلالة وأصح أماره .

وقد أمر أمير المؤمنين أن تُجرى الحال على ما كانت عليه من دخول ذلك وبيعه بغير مكس في جميع الأعمال ؛ وأزاح مع ذلك عِلَّتَكَ ببسْط يدك وإنفاذ أمرك وإمضاء قولك ، وإفرادك بالنظر من غير أن يكون لأحد من متولّي الدواوين على اختلافهم نظرٌ معك ؛ فتماد في حُسن تديره على سُنَّتِكَ ، ولا تُخرج عن مذهبك وطريقتك ؛ والله يوفقك ويُسعِدك ، ويُعينك ويعضدك ؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله عز وجل .

المرتبة الثالثة

(من المذهب الأول من سبجات ولايات الفاطميين أن تفتتح

بالتصدير أيضا ، وهو « من عبد الله ووليه » إلى آخر التصلية على

النبي صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين على رضى الله عنه ، ثم يُؤتى بالبعدية ،

لكن من غير تجميد ، بل يقال : « أما بعد فإن أولى » أو « إن أحق »

ونحو ذلك ؛ ويذكر مناقب المولى ثم يأتي بالوصايا)

وأعلم أنّ هذه المرتبة من السبجات يشترك فيها أرباب السيوف وأرباب الأقاليم

من أصحاب الوظائف الدينية والوظائف الدبوانية .

فأما سبجات أرباب السيوف فكأصحاب زُوم طوائف الرجال ، يعنى التقدمة

عليهم والولايات ونحو ذلك ، على ماسياتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخ ولايات لأرباب السيوف بالخصرة من هذه المرتبة .

نسخة سبج بزم طائفة ، من إنشاء القاضى الفاضل ، وهى :

من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يسطع من يرتضيه لتأليف عبيده وصمهم ، ويستوقفه

للنظر فى تقديم رجال مملكته وزمهم ، ويختار من يجتبيه لإحراز مدحهم بالبعد

من موجبات ذمهم ؛ ولا يؤهل لذلك إلا من توصل بالنعاء وتقرب ، وأستقل بالأعباء

وتدرب ؛ وأطلق حدّه التوفيق فضلى وتدرب ، وأودع الإحسان فى زایل محله

ولا تقرب ، ولا بس الأمور ملابسة من فطن وجرب ؛ وقد أيد الله دولته بفتاه

وأمينه ، وعقده وئمينه ؛ السيد الأجل الذى غدت آراؤه للصالح كوافل ، وأذكى

للتدبير عيون حرم غير ملتفتات عنه ولا غوافل ؛ وأطلع من السعد نجوما غير غوارب

ولا أوائل ، وقام بفرائض النَّصائح قيامَ من لم يُحَوِّزَ فيها رُخْصَ النَّوافل ، وتحدَّثت بأفعاله رماحه في المحافل فما راعت الجحافل .

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين أجمل ذكرك واطابه ، وقصد بك غرض الإصطناع فأصابه ، واستمطر لك الإنعام الغدق السحاب فأجابه ؛ ووصف ما أنت عليه من شهامةٍ شهدت وشهرت ، وصرامةٍ تظاهرت وظهرت ؛ وكفاية برعت وفرعت ، ونزاهةٍ استودعت الأمانة فرعت ؛ ومناجحةٍ أنفردت بوصفها ، وتحلَّت واسطة عقد صفتها ؛ وجهادٍ لم يزل به القرآن مغرباً ، والصعبُ المقاد مدعنا وانحطب عابياً (؟) في قيادها مدعياً ، وقزرك الإستخدام في زم الطائفة فأمضى تقريره ، وأستصاب تديبه ؛ وخرج أمره إليه بأن يُوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل وإيداعه ماتهدى به ، وتعمل بتأديبه .

فتقلد ماقلدته من ذلك عاملاً بالتقية فإنها الحجة والمحجة ، والجنة والجنة ؛ والمدد السليم ، والمرج القويم ، والنعمة والنعيم ، بقول الله سبحانه في كتابه الحكيم :
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

فانهض بشروط هذا الزم نهوضاً يؤدي عنك من النصح مفروضاً ، ويجعل لك كل يوم كتاب شكر مفوضاً ؛ وسس هذه الطائفة بما يوليها دواعي الوفاق ، ويحميها من عوادي الإقتراق ؛ وأجهد في منافعها مجتلباً ، ولأخلاف درها محتلباً ؛ وأنتصب لاستشفاف أحوالهم وتعهدوا ، وملاحظة أفعالهم وتفقدوا ؛ فن ألفتته إلى فرائض الخدمة مسرعا ، وبنوافلها متطوعاً ، وبكرمه عما يشينه مترفعاً ؛ شحذت بصيرته بالتكريمه ، ورشحت همته للتقدمه ؛ ومن وجدته لتلك الصفات الزائنة مخالفاً ، وللصفات الشائنة مؤالفاً ، ولنفسه عما يرفعها صارفاً ؛ قومته أوده وثقفته ، وأشرفت به على منهج الصراط ووقفته ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سيجل بولاية الفسطاط المعبر عنها بمصر على نحو ما تقدم في ولاية القاهرة، وهي :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لما خصَّ الله به آراءه من التأييد الذي يستدّ سِهَامَهَا ، وَيُجْزِل من التوفيق سِهَامَهَا ؛ وَأُطْلِق به يَدَهُ من أَيَادٍ تَسِيْقُ آمَادَ الآمَالِ وَتُكَاثِرُ أَوْهَامَهَا ، وَأَلْبَسَ الدِّينَ ببقائه من مهابة تصير قلوب أعدائه مهامها ؛ وميز به عَصْرَهُ من خصائص نصر لأتطيل الأيام أستفهامها ولا تخشى استبهاها ، ويسره من نبيا دعوتيه التي طبقت أنجاد الأرض وتهاها ، ورقاه من محلل أمانة الإمامة التي لا يظهر أرباب الألباب على أسرار الله ولا آتهاها ؛ وناطه بتديره من إيالة البرية والاعتناء بمصالحها ، وأصابه من مرآشد اليقين التي تستضيء العقول بمصاحبها ؛ وأتى به الأنفس الصالحة من تقواها ، وصرف بما صرفه على لسانه من الحكم عنها مضار الشبه وطواها ، وألبسه من هدى النبوة التي قرب الله إسناده من رآها وفضل من رواها - يستغزر مواد التوفيق من خالقه بوضوحه في الخلائق ، ويقدم الاستخارة بين يدي أفعاله فهي به أملك الخلال وأخص الخلائق ؛ ويعتام للقيام بتكاليف الاستنهاض ، ويختار لتقويم المياد من أشهر بالتدبير وجبر المنهاض ؛ ويقدم ليجار الولايات وعواليها ، وخصائص الرتب وغواليها ، من تكافأت في استيعاب المحاسن خلاله ، وخطب الخدم المتكثرة لأولى الحظوظ أستقلاله ، وعلم استبداده بطيب الذكر وأمن انفصاله ، وأوى إلى جنة مريعة وجنة منيعة من الولاء والحفته ظلاله ، وأستقام على محجة واضحة من المخالصة ولم يخف زيغه ولا ضلاله ، ومضت ضرائبه في المهمات مضاء الحسام الذي لا ينبو حده ولا يثبت أنفاله ، وصح بصيرة

في المناصحة فاسر الأعداء شكه ولا اعتلأه ، وأعطى الخدم حقوقها من إقامة القوانين ، ونهض بأعبائها المثقلة نهضة المشمرين غير الوانين ؛ وأشدت وطأة تبادره على المفسدين والجانين ، وتظاهرت شواهد ميزته بما يكثر له الحساد ويرغم الشائين ؛ وأقتنى من نفائس المحامد ما يعده أهل النظر قنية القانين ، وأستبقى من جميل الأحداث ما يبقى ذكروه بعد فناء القانين ؛ ووفقت في الخدمة مصادره وموارده ، وأنتظمت دُرر الذكركم بحسن ذكره فأتلقت فوارده ؛ ونشدت ضوأل العناء فالتقت عنده غرائب وشوارده ؛ وأختصت مساعيه بالإبرار على الأنظار ، وصحت خلاله على عيب النقد كما صحح النار نور الأبصار ؛ ونظر لمن أسند إليه أمره نظراً يعفيه من تطرق الأكدار والمضمار ؛ ورعى له ما هو متوسل به من آثار حقيقة بالإيثار ، وكفاية تأخذ للخدم من الفخر بالثار .

ولما كنت أيها الأمير المراد بهذا الإيراد ، المطرد إليه هذا الاستطراد ، المدوود في أمراء الدولة العلوية من الأعيان الأفراد ؛ المحلى سيفه بين المساعي الجميلة ينتقى منها ما أختار ويصطفى ما أراد ؛ المهادئ الصفات الحسنة فلا جاحد من عاداته ولا راد ؛ المضطلع بما يعني حمله الحازم المطيق ؛ المستنفد في أفعاله المشكورة أقوال الواصف المنطيق ؛ الواصل بمحمود مساعيه إلى غايات السابقين في مهل ؛ الجامع في تدبير المهمات بين رأيي أحتك وحزم أكتهل ؛ المنظور بعين الحزم بآيات دواعيه ، المترقى إلى أمانيه في درج مساعيه ؛ المحيب دعوة العزم إذا قام فلم يسمع المقصرون داعيه ، المجتهد في تشييد أركان التدبير إذا ارتقب اضطرابه وخيف تداعيه ، الممثل وصايا الأدب الصالح فهو بقلبه راعيه وبسمعه واعيه ؛ الشهم الذي ينفذ في الأمور نفاذ الشهم ، الأملعي الذي علا أن يماثل بما أوتي من بسطة الفهم ؛ المتبوي من النعمة منزلة شكر لا يروم ضيقها أن يريمه ، ومرجع حمد لا يسوم نازها غير

أن يُسِمه ؛ المباشر من ماثور السياسة ما استفاض ذكره فلم تتطرق عليه أسباب
المحمد ، البالغ بسمو المساعي ما قصر الأكفاء عنه ولم يقصروا عن الجهد ؛ الحال
من التقدمة في هضابها إذا نزل الأكفاء منها في الوهد ، الحامل من أعباء المشايعة
ماغداً به من الموفين على الأنظار الموفين بالمعهد ؛ المحقوق من الوسائل بأن يجودها
النجاح بأعز رديمة وأسقى عهد ؛ المؤدى فيما يُسند إليه فروض التفويض ، الملى
بأن لا تتوب فرصة حزم إلا كان ملياً بالحق والتعويض ؛ المكتفى من وصايا الحزم
بما يقوم له مقام التصريح من التعريض ، المستوجب أن تُجدى إلى استحقاقه
وتهدى سحاب الطول الطويل العريض ؛ المستوعب شرائط الرياسة بالاستيلاء
على أدواتها ، المتبّع مظان الخطوب بمفاجأة الغرض في مداواتها ؛ المبرز على القرناء
بجلال لا تطمع الهمم في مساماتها ولا مساواتها ، الآخذ من كل شيء بأحسنه فأى
حسنة لم يؤتها ولم ياتها ، النافذ الآراء إذا المشكلات لم يتضح لأرباب الأبواب
مُصمت بيانها ، المصيب شواكل الضرائب فسهام آرائه مذلولة على شواتها ، المتبرج
المقاصد لعيان الحمد إذا تحفرت الأفعال ووارت سواتها ، المعروف بثبوت الجنان ،
حين يلتبس الشجاع بالجان ، المشكور في مواقف الحرب بأفواه الجراح ولسان
السنان ؛ المقدم حيث الأعضاء تتزيل والأقدام تتزلزل ، المقتحم غمرات الهيجاء
والأرواح عن ولايات الأجسام تعزل . وقد وليت الولايات فاستقلت بها أحسن
استقلال ، ورفع لك منار العدل فاستدللت منه بأوضح استدلال ؛ وجعلتها على من
تؤويه حرماً ، وعلى من يطرقها حمى ؛ وكنت لجمهور زمانك في المصالح والنصائح
مقسماً ، ولحكم التقوى ولو ضقت مشقاتها دون حكم الهوى محكماً .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ووزيره السيد الأجل الذي حل المشكلات
من رأيه ورأياته بالشمس ومخاها ، وتعرضت له آية الليل من العدا بخلها بسيوفه

ومحآها ، وثبت نصاب الملك الفاطمي حين أدارت الحرب على فتكاته رحاها ،
وأقتاد الأعداء إلى مصارعها بخزائم من العزائم وأعجلها وأوحاها ، وقام بنصر أئمة
الهدى حين قعد الناس ، وزعى الله عزيمته الصابرة في البأساء والضراء وحين
الباس ، وخاطر في حفظ الدين بنفس تجرى مجبها مع الأنفاس ، وحل من ملوك
الأرض محل العين من الراس بل الراس من الحواس ، وأتعبت الأجسام هممه
الحسام ، وأعدى الزمان فنبسم جدلا بعدله البسام ، وقسمت المطامع أمواله فخمى
المجد الموقر عليه من الأقسام .

فطالع أمير المؤمنين بأخبارك بعد اختبارك ، وتوسلك إلى التقدمة بمرضى آثارك ،
وما أظهره الأمتحان من نقاء سريرتك وأسرارك ، وأستقامتك على مثلى الطريقة
وأستبصارك ، وأن ولاية مضر من أنفس الولايات محلا ، وأمتها على غيرها فضلا ،
مجاورتها للقام الكريم ، وحصولها من استقلال الركاب الشريف إليها على الشرف
العظيم ، وأختصاصها من مجال الخلافة بما جمع لها بين الفخرين الحادث والقديم ،
وأوجب لها على غيرها من البلاد مزية ظاهرة التكريم والتقديم ، وما يمت به أهلها
من شرف الحوار الذى لآمالهم به التخيير فى الإحسان والتحكيم .

وما رأى من إسناد ولايتها إليك علما أنك ممن تركو ليه الصنيعه ، وتروق
فى جيد كفايته فرائد المن البضيعه ، وتتطامن لأستحقاقه ذروة كل مرتبة رفيعه -
نرج أمر أمير المؤمنين إليه ، بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك
بالولاية المذكورة . فتقّد ماقلدك منها مقدما تقوى الله على كل فعل وقول ، متبرئا
إليه من طول الحول ، معدّا ذخيرتها النافعة ليوم الهول ، قال الله فى مُحكم الكتاب :
﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَآتَقُونُ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

وَأَنْظُرَ فِي هَذِهِ الْوَالِيَةِ حَاكِمًا بِالْقِسْطِ ، وَسَاوِي الْحَقِّ بَيْنَ طَبَقَاتِ النَّاسِ ؛
وَلَا تَمَيِّزْ فِيهِ رَفِيعًا عَلَى حَقِيرٍ ، وَلَا غَنِيًّا عَلَى فَقِيرٍ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ
إِقَامَةٌ يَرْتَدِعُ بِهَا الْمَغْرُورُ ، وَتَسْتَقِيمُ بِهَا الشُّؤْنُ وَتَنْتَظِمُ الْأُمُورُ ؛ وَرَاعِ مَنْ بِهِذِهِ الْمَدِينَةُ
الْمَحْرُوسَةُ مِنْ شُهُودِهَا ، وَمَتَمِّزِي أَهْلِهَا ، فِيهَا الْفُقَهَاءُ وَالْأَتَقِيَاءُ ، وَالْقُرَّاءُ وَالْعُلَمَاءُ ؛
وَالْمَتَمَيِّزُونَ الْأَعْيَانُ الْوُجُوهَ ، وَأَهْلَ السَّلَامَةِ الَّذِينَ يَسْتَوْجِبُ كُلُّ مِنْهُمْ نَيْلَ مَايَأْمُلُهُ
وَبُلُوغَ مَا يَرْجُوهُ ؛ فَاعْتَمِدْ عِزَّزَهُمْ ، وَتَوَخَّ تَكْرِمَتَهُمْ ؛ وَوَقِّهْ مَا يَجِبُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ،
وَأَلْقَهُمْ بِالْوَجْهِ الْمُسْفِرِ الطَّلُقِ ؛ وَأَسْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَصَّ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعَاقِبُ
عَلَيْهِ ؛ وَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ ، وَحَافِظْ عَلَى إِجْرَائِهَا عَلَى أَحْكَامِ الصَّوَابِ
وَقَضَايَا الْوَاجِبِ ؛ وَاحْظُرْ فِي الْمَكَائِلِ وَالْمُؤَاظِنِ الْبَخْسَ وَالتَّطْفِيفَ ، وَقَدِّمِ الْإِنْدَارَ
فِي ذَلِكَ وَالتَّحْذِيرَ وَالتَّخْوِيفَ ؛ وَأَوْعِزْ بِتَنْظِيفِ الْمَسَالِكِ وَالسَّاحَاتِ ، وَأَمْنَعْ مِنْ
تَوَعِيرِ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ؛ وَاعْتَمِدْ كُلَّ لَيْلَةٍ مُوَاصِلَةَ التَّطَوُّفِ عَلَى أَرْجَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
وَأَكْثَافِهَا ، وَمُتَابَعَةَ الْإِطْلَالِ عَلَى نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافِهَا ؛ وَاعْمَلْ فِيمَنْ تَظْفَرُ بِهِ مِنْ عَابِثِ
وَعَادٍ ، وَمُنْتَهَجِ طَرِيقِ الْفَسَادِ ، مَا يَرْتَدِعُ بِهِ سِوَاهُ ، وَيَجْعَلُهُ مَوْعِظَةً لِمَنْ يَعْدِلُ
عَنِ الصَّوَابِ وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ ؛ وَأَشْدُدْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ عَلَى بَابِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ فِي قُودِ آبَاءِ
الْخُصُومِ ، لِيُنْظَرَ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَنْتَصِفُ بِهِ الْمَظْلُومُ مِنَ الظُّلْمِ ؛ وَتَقَدَّمْ بِتَوْقِيرِ الْجَوَامِعِ
وَصِيَّاتِهَا ، وَحَافِظْ عَلَى مَاعَادِ بِيَهْجَتِهَا وَنِظَاقَتِهَا ؛ وَخُذِ الْمُسْتَعْدِمِينَ فِي الْأَرْبَاعِ بِأَنْ
يَتَّقِظَ كُلُّ مِنْهُمْ لِمَا يَجْرِي فِي عَمَلِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يَحْدُثُ وَيُنْبِئُ إِلَيْكَ مِنْ قِبَلِهِ ؛
وَأَنْظُرْ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِي عَمَائِرِ الْأَسَاطِيلِ الْمَظْفَرَةِ الْمَنْصُورِ ؛ وَتَوَقَّرْ عَلَى تَدْيِيرِ
أُمُورِهَا وَالْإِهْتِمَامِ بِشُؤْنِهَا ؛ وَحَفِظْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَخْشَابِ ، وَالْحَدِيدِ وَالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ
وَالْأَسْبَابِ ؛ وَأَبْعَثِ الْمُسْتَعْدِمِينَ عَلَى الْمَنَاصِحَةِ فِيهَا ، وَبَدِّلِ الْجُهْدَ فِي قَصْدِ مَصَالِحِهَا
وَتَوَخَّيْهَا ؛ وَأَجْرَأْ مَرَّ هَذِهِ الْوَالِيَةِ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِحُسْنِ أَثْرِكَ ، وَجَمِيلِ ذِكْرِكَ وَطِيبِ

خبرك؛ فاعلم هذا وأعمل به، وطالع مجلس النظر السيدى الأجلّى بأمور خدمتك، وما يحتاج إليه من جهتك؛ إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة سجل بولاية الأعمال القوصية، وهى بعد التصدير:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لموضعه من خلافة الله التى أعمره إياها، وأنار بنظره محياها؛ والإمامة التى أفرعه ذراها، وناط به عراها؛ وما وكله إليه من القيام، بحفظ الإسلام، الذى رضىه ديناً، وألبسه بعدله تحسیناً وبذبه عنه تحصيناً؛ وما استودعه إياه من جوامع الحكم، وعدقه بكفالاته من رعاية الأمم، وعضده برأيه من التأييد والتوفيق، وأوجه من فرض طاعته على كل مطبق - يصطفى لمعونته على النهوض بما حمّله الله من أعباء الأمانة، والشكر على ما أختصه به من الوجاهة عنده والمكانة؛ ويستكفى فيما أمر به من إحسان الإيالة فى بريته، وينتخب لتفويض أمورهم والسلوك بهم مسالك رأفته فى سيرته - من يكون أصطفاؤه لرضا الله عنه مطابقاً، وأجبتأؤه لشرائط المراد والأقتراح موافقاً؛ وانتصابه للهمم أفضل ما يدي به وقدم أعتماده، وإسناد الأمر الجسم إليه أوفى ما عظم بتدبره شأنه ورفع بنظره عماده؛ وإن ولى ولاية، جعلها بمهابته حرماً آمناً على أهلها من المخاوف، وغداً حسن سيرته برهاناً على فضله يضطر إلى التصديق به المؤلف والمخالف؛ وأعاد حميد أثره محلها ربيعاً ممرعاً، وقرب حسن شأنه من المطالب ما كان بعيداً ممتنعاً؛ وإن نذب للخلجى، عاد مظفر المقاصد، محفوفاً باليأمن والمساعد؛ ساحباً ذيل الفخر، حائرًا لکنوز الأجر؛ مستعينًا بتوحيده على العدد الجم، والعسكر الدهم^(١).

وإن هذه الأوصاف قد أصبحت لك أيها الأمير أسامي لم تزدك معرفه، وخواص المهيمات إلى ملابستك إياها متطعة متشوفة، وأفعالك الحميدة قد بنت لك بكل ريع منارا، وجعلت لك في كل مكرمة سمات وآثارا، وجميل رأى أمير المؤمنين فيك، قد زاد توفيق مساعيك، وضاعف آرتقاء معاليك، وجعل الخيرة مقترنة بمقاصدك ومراميك، وسمّا بك إلى رتبة من الوجاهة تتذبذب دونها مطارح الهمم، وأحلّك من الثقة بك منزلة لا تفضى إليها خواطر الظن والتهم، وتحقق من يقينك ومضاء عزيمتك، وعدل سيرتك وصفاء سيررتك، ماجعل حظك عنده زائد الثناء، وذكرك بحضرتة مكنوفاً بالشكر والثناء، ووسائلك إليه متقبلة، وقد أدركت في ريق الشباب حزامه الكهول، وأستنجحت في مقاصدك بضمير من الولاء مأهول، ولك البيت الذي كثُر فيه الأجداد والأفاضل، وأحلّك في دعة الناس من يخافهم المباري والمناضل، وتساوت في اعتقاد تفضيلهم حالتا السر والجهر، وأصلح بعزائمهم مآظهم من الفساد في البر والبحر، وفَتَّ المطامع بفضيلة هذا النسب وفضيلة النفس، ودلت ما تُرك على ما ظهر من خصائصك دلالة الفجر على الشمس.

ولما رآك أمير المؤمنين أهلاً للعون على استيجابه لطفاً لله عنده، وألتماس عوائد صنعه الجميل فيمن فارق سعيه ونبد عهده - آتضى منك حُساماً حاكماً للأدواء، معيناً في اللأواء، طبياً بتأليف الأهواء؛ لا ينبو غراره، ولا يخشى اغتراره؛ ولا يفلح حده، ولا يؤويه غمده؛ فأنحقت الدماء، وسكنت الدهماء؛ وعم الأمن، وعظم من الله تعالى الطول والمن؛ وأصبح مكان القول فيك ذا سعة فسيحا، ولسان الإجماع لأفعالك منطلقاً فصيحاً؛ وحصلت من الوجاهة عند أمير المؤمنين بحيث [لاناباك] رتبة خطيره، ولا تتأى عنك بجانها [منزلة] رفيعة أثيره؛ بل غدت خواصها فيك

(١) في الأصول بحيث قدرك رتبة الخ. تأمل.

لأستجزال حظها من الجمال بك راعبه، وممتعاتها لأستكرام الأكفاء طالبة للإفضال بل خاطبه؛ إذ كان ما يعدم التمه بك لا يعدم شعنا وأختلالا، وما حظي منها بمقاربتك يتيه زهوا بك وأختيالاً؛ فإذا أراد أمير المؤمنين أن ينظر إلى عمل من أعمال مملكته ويرفع من محله، ويفيض عليه من سحاب رأفته ما يكون ماحياً لآثار جذبه ومحله؛ ويعم بالبركات أقطاره، ويبلغ كلاً من أهله مآربه من العدل وأوطاره - أستند منك إلى القوى الأمين، والكامل الذي لا يُخدع الظن فيه ولا يمين؛ إذا أستكفي أمراً جى حماه بالماضين : حسامه وأعتزاه، وتمسك في حفظ نظامه بالحسنين : طاعة الله وطاعة إمامه .

ولما كانت مدينة قوص وأعمالها أمدى أعمال المملكة مسافة، وأبعدها من دار الخلافه؛ وتشمّل على كثير من أجناس الناس، وأخلاط يحتاج فيهم إلى إحسان السياسة والإيناس؛ وعليه معاج المسافرين من كل فج عميق، وإليه يقصد الحجاج إلى بيت الله العتيق - رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن يرد ولاية الحرب بها إليك، ويعول في تقويم مائدها وضّم نسرهما عليك؛ وأن يحسم بك داءها؛ ويحسن بنظرك رواءها؛ ويعم أهلها بك رافةً ومنا، ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل [لك] بالولاية المذكورة .

فتقلّد ماقلك أمير المؤمنين وأعتمد على تقوى الله التي جعلها شرطاً في الإيمان، وأمر باعتادها في السرّ والإعلان؛ فقال في آبه المبين : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر، وأبسط عدل أمير المؤمنين على البابين والحضرة؛ وأقم الحدود على من وجبت عليه بمقتضى الكتاب والسنة، وقم بما أمر الله به

من ذلك بأنقذ عزمٍ وأقوى منه ؛ وسأوفى الحق بين الضعيف والقوى ، وآس بين العدو والولي [والذمي] والملي ؛ وأجعل من تضمه هذه الولاية ساكنين في كنف الوقايه ، مشمولين بالصون والحمايه ؛ وليكن أربهم في الصلاح من أربك ، فكل منهم شاكر لله على النعمة بك ؛ وبث في أقطارها ما يجزئ النفوس العاديّة عن الظلم ، ويبيد شمتهم بعد العدوان مُخلدة إلى التوابع والتسالم ؛ ومن أقدم على كباير الإجمام ، ولم يتخرج عن الدم الحرام ؛ فأمثل فيه ما أمر الله به في قوله : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَاتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

واعتمد المستخدمم في الحكم العزيز والدعوة الهاديّة - بثبهما الله - بما يقوى عزمه ، وينفذ حكمه ؛ وأجزل حظه من إعزاز الجانب ، وتيسير المطالب ؛ وأحسن إليه العون على صون المؤمنين ، واجتلاب المستخين . والمستخدمون في الأموال من مشارف وعامل وغيرهما فأندبهم في عمارة الأعمال ، وبلغهم في المرافدة كنه الآمال ؛ وأشدد منهم في صون الأرتفاع ، وحفظه من الإفراط والضياع ؛ وضافهم على استخراج الخراج ، وحذمهم بمجل المعاملين على عدل منهاج . والرجال العسكرية المركزية المستخدمون معك فاستخدمهم في الخدم السانحة ، وصرّفهم في المهمّات اتقريبية والنازحة ؛ فمن استقام على طريق الصواب ، أجريت أموره على الانتظام والاستتباب ؛ ومن كان للإخلال آلفا ، وللواجب مخالفا ، قومت بالتأديب أوده ، وحلّته عن مورد الفساد الذي تورّده .

هذه درر من الوصايا فأبعث (؟) على إحضاره الثقة بهدايتك إلى كل صواب ،

وأعتلاقك من الديانة والأمانة بأوتى الأسباب؛ وإحاطة علم أمير المؤمنين بأستغنائك بذاتك، وكإل أدواتك، عن الإيقاظ والتنبيه، والإرشاد فيما تنظر فيه؛ والله يوفقك إلى ما يرضيه، ويجعل الخيرة مكتنفة لما ترويه ومُضيه؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى.

وهذه نسخةٌ بحجّل بولاية الأعمال الغريبة، وهى :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لما فضّله الله به من إمامة البشر وشرّفه، وأناله إياه من الخلافة التى نظّم بها عقّد الدين الحنيف وألّفه؛ وأمضاه الله له فى أقطار البسيطة من الأوامر، ونقله إليه من الخصائص النبوية التى تجلّت بذكرها فروق المنابر، ومكّنه له من السلطان الذى تخضع له الجابرة وتدّين، وعضّده به من التأييد الذى أرغم المشركين وحفّض منار الملّحين؛ وآثره به من مزايا التقديس والتمجيد، وألهمه إياه من أستكمال السيرة التى أصبح الزمنُ يجالها حالى الحديد؛ وأنجد به ملكه من موالاته النصر ومتابعة الإظفار، وحازره له من مواريث النبوة المتقلّبة إليه عن آبائه الأطهار؛ وأصطفاه له من إيضاح سبل الهدى المعتاد، وألهمه إياه من إسباغ ملابس الرحمة على الحاضر من الأمم والأباد؛ ووقّر عليه أجهتاده من أستدناء المصالح وأجتلابها، وصرف إليه هممه من تمهيد مسالك الأمانة وفتح أبوابها. يتصفّح أمور دولته تصفّح العانى بتهذيب أحوالها، ويتفقّد أعمال مملكته تفقّدا يزيل شعها ويؤمّن من أختلالها؛ ويعدّق المهمات الخطيرة بالصدور الأفاضل من أصفياه، ويزيّد فى رفع منازل أوليائه إلى الغاية التى تشهد بجلاله مواضعهم من جميل آرائه؛ ويفيض عليهم من أنوار سعادته ما يظهر سناه للأبصار، ويمتجهم من أصطفائه ما لا يزال دائم الثبات والاستقرار؛ ويعولّ فى صيانة الرعايا من المضار؛ وحراسة الأعمال المتميزة من عيّن المفسدين والدّعار، على من ترّوع مهابتّه ضوارى

الآساد، وتكفل عزائمهم بقطع دابر الفساد؛ ويُدع في السياسة الفاضلة ويُغرب،
وتُعجب أنباؤه في حسن التدبير وتُطرب؛ ويعمُّ الرعايا بضروب الدعة والسكون،
ويشملهم من الأمانة والطمأنينة بأنواع وفنون؛ وتقوم كفايته بسد الخلل وتقويم
الأود، ويبلغ في تيمنه في اكتساب المحامد إلى أقصى غاية وأبعد أمد؛ ويعنى
بمحافظة التواميس وإقامة القوانين، ويدأب في استعمال السيرة الشاهدة له باستكمال
الفضل المبين؛ ولا يألو جهداً في تقريب الصلاح وأستدثائه، ويقصد من الأفعال
الجميلة ما تلهج به الألسن بإطابة ثنائه.

ولما كنت أيتها الأمير تُنجب من نجوم الدين المضيئة المشرقة، وثمره من ثمرات
دوحة العلاء الركيّة المبروقه؛ وقدأ في الفضائل البديعه، وفردا في المحاسن التي لم تُفزع
بنظير ذكرها أذن سميعه؛ وسيقا يحسم داء الفساد حداه، وكافيا لا يتجاوزهُ الإقتراح
ولا يتعداه؛ وماجدًا حاز المفاخر عن أهل بيته كإبراهيم عن كابر، وعلمًا في المآثر يهتدى
به الأعيان الأكارب؛ وهمامًا تملأ مهابته القلوب، وماضيا تلوذ بمضائه الأعمال
الخطيرة وتثوب؛ وصدرا تقرله الرؤساء بارتفاع المنزله، ومهدبا أغرته شيمه الرضية
ببث الإنصاف وبسط المعدله؛ وحازمًا لا يُخشى أختداعه وأغتراره، وعازمًا لا يكتهم
عزمه ولا يكل غراره. وقد ألفت إليك المناقب قيادها مطيعه، وأحطتكم الرياسة
في أشمخ ذروة رفيفه؛ وتألفت عندك الفضائل تألفت الجواهر في العقود، وتكفلت
لك مساعيك المحموده بتضاعف الميامن وترادف السعود؛ وتكاملت فيك الخلال
المطابقه لكم أعراقك، وأستعملت الأفعال الشاهدة بمبالغتك في ولاء أتمتكم
وإغراقك؛ وحصل لك من الإنماء إلى البيت الصالحى الكريم ما كسبك فخرا
لا يبرح ولا يريم؛ وخصك في كل زمن بمضاعفة التفضيم والتقديم؛ وأنالك من الإقبال
غاية الرجاء، وجعل وجهتك فسيحة الفناء؛ وسيرة الأرجاء. ولك المهابة التي تُغني

غناء الجيوش المتكاثرة العَدَد ، والشجاعة التي تُسَلِّطُ قَوَارِعَ الدَّمَارِ عَلَى مَنْ كَفَرَ
وعند؛ والعزمُ الذي آسَمَتِ السُّيُوفُ الباترةُ من مَضَائِهِ ، وَعَزَّ جَانِبُ التَّوْحِيدِ
بِأَنْتِضَائِهِ لِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَرْضِيَّتِهِ ؛ وَالْإِقْدَامُ الَّذِي تَلُوذُ مِنْهُ أَسْوَدُ الْوَقَائِعِ بِالْفِرَارِ ،
وَالْبَأْسُ الَّذِي لَا يَعْصِمُ مِنْهُ الْهَرَبُ وَلَا يُجَبِّي مِنْ بَوَادِرِهِ الْحِدَارُ .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووزيره ، وصائِنُ مُلْكِهِ وَظَهْرُهُ ؛ السَّيِّدُ الْأَجَلُ
الَّذِي فَأَخْبَى عَلَيْكَ شَاءَ طَالَ وَطَابُ ، وَحَرَّرَ فِي ذِكْرِ مَنَاقِبِكَ وَمَحَاسِنِكَ ^(١)
الْقَوْلَ وَالْخَطَابَ ؛ وَذَكَرَ مَالِكَ [مِنَ الْأَعْمَالِ] فِي الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ ، الَّتِي أَعَادَتِ
الْأَمْنَةَ عَلَى الرَّعِيَةِ ؛ وَمَا آسَمَعْتُمْ فِيهِمْ مِنَ السَّيْرِ الْعَادِلِ ، وَالسِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ ؛
وَقَرَّرَكَ الْخِدْمَةَ فِي وِلَايَةِ أَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ ؛ - نَفْرَجُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ بِأَنْ يُوعِزَ
إِلَى دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِّ لَكَ بِالْوِلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدْتَهُ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ، وَيَعْلَمُ حَائِثَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ ؛ وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِي كِتَابِهِ الْمَكْتُونِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فَاعْتَمِ بِالْعَدْلِ مَنْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْوِلَايَةُ ، وَأَنْتَهُ
فِي حَيَاتِهِمْ وَكَلَاءَتِهِمْ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَصُنْهُمْ مِنْ كُلِّ أَدَى يُلْمُ بِسَاحَتِهِمْ ، وَتَوَفَّرَ عَلَى مَا عَادَ
بِاسْتِثْبَابِ مَصْلَحَتِهِمْ ؛ وَأَخْصِصْ أَهْلَ السِّرِّ وَالسَّلَامَةِ بِمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَهُمْ ، وَيُشْرَحِ
صُدُورَهُمْ وَيُسِّطِ أَمَالَهُمْ ؛ وَقَابِلِ الْأَشْرَارَ مِنْهُمْ بِمَا يُدَوِّخُ شَرَّتَهُمْ ، وَيُكْفِ عَنْ ذُنُوبِ
الْخَيْرِ مَضَرَّتَهُمْ ؛ وَأَشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى الدُّعَارِ وَأَهْلِ الْعِنَادِ ، وَتَطَلَّبْهُمْ حَيْثُ كَانُوا
مِنَ الْبِلَادِ ؛ وَأَقْصِدْ حِمَايَةَ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَصُنْهَا مِنْ غَوَائِلِ الْمُفْسِدِينَ عَلَى مِثْرِ
الْأَوْقَاتِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَتْ بِهِ مِنَ الْمُجْرِمِينَ فَاجْعَلْهُ مُزْدَجْرًا لِأَمْثَالِهِ ، فَمَوْعِظَةً لِمَنْ
يَسْلُكُ مَسْلِكَ ضَلَالِهِ ؛ وَالْمُقْدِمُونَ عَلَى سَفْكِ الدِّمِ الْحَرَامِ ، وَالْمُرْتَكِبُونَ لِكِبَائِرِ الذُّنُوبِ

والإجرام، فامتثل فيهم ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، إذ يقول: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وأجزل حظَّ الثَّواب في الحُكم العزیز من عِنایتك ، واجعل لهم نصیباً وافراً من أهتمامك ورِعایتك ؛ وعاضدْهم على إقامة منار الشرع ، وأجرِ أحوالهم على أجمل قضیة وأحسنِ وضع . والمستخدمون في الأموال ، تُسدَّ منهم شداً یبلغهم الآمال ، ويقضى بترجیة الارتفاع وتثمیر الاستغلال ؛ وعاضدْهم على عمارة البلاد ، ووازرهم على ما تكون به أحوالها جاریةً على الأطراد . والرجال المركبة والمُجردون فاستمضهم في المهمات القريبة والبعيدة ، وخذهم بلزوم المناهج المستقيمة السديده ؛ وقابل الناهض منهم بما يستوجب له نصته ، وقوم المقصر بما یوزع من یسلك مسلكه ویقتنى طریقته ؛ فاعلم هذا وأعمل به وطالع ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سِجِّل بولاية نجر الإسكندرية ، كُتب به لابن مصلح ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهي :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لما أكرمه الله به من شرف المنصب والنَّصاب ، وأجار العباد بأبائه الطاهرين من عبادة الأوثان والأنصاب ؛ وأوردَهم من موارد حكيمه التي كلُّ صادرٍ عن ربي قلبه منها صاد ، وسنَّهه بأمره من رياح الصواب التي تجرى بأمره رخاءً حيث أصاب ؛ وأضحى بسهام عزائمهم ، من مقاتل الباطل ، وحلَّ بأنوار مكارمهم ، من أجياد الأمانى العواطل ، وأنجزه على يد أيديهم من وعود سُعودٍ تظلُّ السُّحب المواطِرُ بمثلها هَوَاطِلُ ؛ وتوحدَه به من الإمامة التي أعزَّ بها

أحزاب التوحيد، وأجراه من بركاته التي لا تقول لها هل من مزيد، وأوراه من فتكاته التي لا تقول لها الآجال هل من محيد، وأجده من إرادته لأزمة الأيام فهي بين إنعامه وإسقامه تفيده وتبيد؛ وأحدثه له من معجزات التأييد التي تملك أحاديثها رِقَّ التأبید، وشرف به قدره في ملكوت السموات والأرض والملائكة له أنصارٌ والملوك له عبيد؛ وألمه من إبداع جلي صنائعه حيث لا ينكر المقلد ولا يستغرب التقليد، وأنطق به لسان كرمه من بدائع إحسان تروق بين التردد والتوليد - ينظر بنور الله فيمن ينظر به للجمهور، ويحلو عقائل المكارم على من هو ماهرٌ في مقدمة المهور؛ ويرى الذين يرجون بولائه تجارةً لن تبور، ويقتدح الأنوار المودعة في سواد الشباب كما يودع في سواد العين بياض الثور؛ ويرفع رتب الأعيان حتى إذا تعاطاها سواهم ضرب بينه وبينها سور، وتعود أياديه إلى بيوت النعم فكل بيت تولاه كالبيت المعمور؛ ويهدي السرور بهم إلى صدور الثغور، والابتسام إلى ثغور الصدور؛ ويرى أنهم يستوجبون فواضله ميراثاً، وإذا سلمت إليهم أئمة الولايات كانت لهم تراثاً، وإذا تبوءوا الرتب العلية كانت الرياسة لهم داراً والسياسة أئمة؛ لا سيما الصدر الذي عرفته السعادة لدولة أمير المؤمنين واحداً يجمع فضل سلفه، وتدبا ما عرضت عليه جواهر الدنيا فضلاً عن أعراضها إلا ولأها عطف نزاهته وظلته؛ وألمعياً تتناثر معاني المعالي من شمائله كما تنتثر من غصن القلم نمار أحرفه، وكفاً للصدور من أنهضه بها بنص تكلفه أنهضه بها فضل كلفه؛ وقواماً بالأمر يمضي عليها مضاء النجم في بحر حنيسه لا السهم في نحر هدفة، وملاً كاللثغور إذا حلل منها في إسكندريتها فهو على الحقيقة نجم حلل برج شرفه؛ وطوداً للوقار يعتري الحلم منه إلى أقومه لا إلى أحنفه، وشرطاً للاختيار، يكتفى مصطفىه منة معرفه ومثونة معننه؛ ومعنى للفخار، لم ينتصف فيه من لسان

واصفه مُسْمَعٌ مُسْتَوْصَفٌ ، وَعَلِمَا لِلْأَنْظَارِ ، يَدُورُ لَهُمْ مَنَارٌ إِشْرَاقُهُ وَيُخْفَى عَلَيْهِمْ
مَنَآلٌ شَرْفُهُ .

وَمَا كُنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاسِطَةً عَقْدَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْحُسْنَى ، وَمُنْجِدَ أَلْفَاظِهَا
مِنَ الْحَقِيقَةِ بِالْمَعْنَى الْأَسْنَى ؛ الْمُتَوَحَّدَ مِنَ الرِّيَاسَةِ بِاسْمٍ لَا يَجْمَعُ بَعْدَهُ وَلَا يُتَى ،
الْجَارِي إِلَى غَايَةٍ مِنَ الْمَجْدِ لَا يُرَدُّ عَنْهَا عِنَانُهُ وَلَا يُثْنَى ؛ الْجَدِيدَ إِذَا وُلِيَ أَنْ يُسْكِنَ
الرِّعْيَةَ الْيَوْمَ عَدْلًا لَا تُسْكِنُهُ فِي غَدٍ عَدْنَا ؛ وَيُخْزِرُ فِيهِمْ وَعَدَّ اللَّهُ الصَّادِقَ فِي قَوْلِهِ :
﴿ وَلِيَدْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ . الْمُسْتَبَدَّ بِالْمَجْدِ حَتَّى آسَقَتْهُ فِيمَا يَفْعَلُ وَآسَقَتْهُ
فِيمَا يُكْنَى ؛ الثَّبَتَ الَّذِي لَا تَقْرَعُ الْأَهْوَالُ صَفَاتِهِ ، النَّدْبَ الَّذِي لَا تَبْلُغُ الْأَقْوَالُ
صِفَاتِهِ ، الْوَلِيَّ الَّذِي لَا تَكْذُرُ الْأَحْوَالُ مُصَافَاتِهِ ؛ الْجَامِعَ بَيْنَ فَضْلِ السُّوَابِقِ وَفَضْلِ
الْوَاحِقِ ، الْمُتَجَلِّيَ فِي سَمَاءِ الرِّيَاسَةِ نِيرًا لَا تَهْتَضِمُهُ صُرُوفُ اللَّيَالِي الْمَوَاحِقِ ؛ الْمَشْكُورَ
الْفَعَالَ لَا بِالسِّنَةِ الْحَقَائِبِ بَلْ بِالسِّنَةِ الْحَقَائِقِ ، الْمُسْتَبَدَّ بِالْهَمِّ الْجَلَائِلِ الْمَدْلُولَةِ
عَلَى الْمَحَاسِنِ الدَّقَائِقِ ؛ الْمُسْتَمَدَّ صَوْبَ الصَّوَابِ مِنْ خَاطِرٍ غَيْرِ خَاطِلٍ ، الْمُسْتَجِدَّ
تَوْبَ الثَّوَابِ بِسَعْيٍ يَنْصُرُ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ ؛ الْمُسْتَعَدَّ لِعُقْبِ الْأَيَّامِ بِأَقْرَانٍ مِنَ الْحَزْمِ
تَثْنِيًا عَلَى الْأَعْقَابِ ، الْمُسْتَرَدَّ بِمَسَاعِيهِ فَوَارِطَ مَحَاسِنِ كَانَتْ مَطْوِيَّةً فِي ضَمَائِرِ الْأَحْقَابِ ؛
السَّامِيَ بِهَيْمَتِهِ ، إِلَى حَيْثُ نَتَقَاصِرُ النَّوَاطِرُ السَّوَامِي ، الْمُقَرِّطِسَ بِعَزِيمَتِهِ ، حَيْثُ لَا تَبْلُغُ
الْأَيْدِي الرَّوَامِي ؛ الْمُسْتَقِيلَ بِقَطِّ نَوَاجِمِ الْخَطُوبِ وَحَسْمِهَا ، الْمُسْتَقَرَّ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ
يُقُومُ فِي ظُلْمِهَا مَقَامَ نَجْمِهَا ؛ الْمُطَّلِقَ وَجْهًا فَلَا غَرَوَ أَنْ تُجَلِّيَ بِهِ الْجُلِّيَّ ، الْمَطْلُوقَ وَصَفَا
حَسَنًا فَلَا يَعْزُضُ لَهُ لَوْلَا وَلَا إِلَّا ؛ الْمُؤَيَّدَ الْعَزَمَاتِ ، فِي صَوْنِ مَا يَفُوضُ إِلَيْهِ وَيَلِيهِ ،
الْمَتَّقِي الْوَثَبَاتِ ، مِمَّنْ يُجَاوِرُهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَيَلِيهِ ؛ الْمُحْيِي بِمَسَاعَاهِ مَا شَادَهُ أَوْلُوهُ ، وَالْمُتَوَصِّحَةَ
فِيهِ نَصُوصُ الْمَجْدِ الَّذِي كَانُوا تَأْوَلُوهُ ؛ وَالْأَوَى إِلَى بَيْتِ تَنَاسَقَتْ فِي عُقُودِهِ الرُّؤْسَاءُ
الْجِلَّةُ ، وَالطَّالِعَ مِنْهُ فِي سَمَاءِ إِذَا غَرَبَتْ مِنْهَا الْبُدُورُ أَسْرَقَتْ فِيهَا الْأَهْلَةُ .

ولقد زدت عليهم وما قصرُوا زيادةً أبيضَ الفجرِ على أزرَقِهِ ، وكنتَ شاهدَ من يروى مناقبهم البديعة ، ودليلَ من ادَّعى أن المكارمَ لكم ملكةٌ وعندِ سواكم وديعه ؛ وقيلَ وصاياهم في المعالي فكأنما كانتَ لديكم شريعته ، ونصرتَ الدولة العلوِيَّةَ فكنتم لها أمثالَ أولياءَ وأخصَّ شيعه ؛ وتجلَّتْ أنسابُكم باصطناعها وكفاكم إن عُدتُم لصنائعِ الله صنيعةً ، وأباحتُكم من اصطفائها كلَّ درجةٍ على تعاطى الأَطَاعِ عَلِيَّةٍ مِنِّيهِ ؛ وقدمتُكم جيشَ برِّها وبحرِّها ، وكان منكم سيفُ جهادها ونجمُ ليها وفارسُ كرِّها ؛ وصالتُ بكم على أعدائها كلِّ مَصَالٍ ، وأغربتُ من يلبسها إلا إذا استقرتْ في داركم إلى مَصَالٍ ؛ وحينَ خرجتَ منها خائفًا تترقبُ ، وأبقيتَ فيها حائفاً يتعقبُ ؛ كنتَ الذهبَ المشهورَ ، الذي ما بهرجه الرِّغَامُ ، والحَرْفَ المجهورَ ، الذي ما أدرجه الإدغامُ ؛ وكنتَ وإن كنتَ بين الكُفَّارِ ، عنهم شديدَ النَّفَارِ ، وحللتَ فيهم محلَّ مؤمنِ آلِ فِرْعَوْنَ يدعُوهم إلى النجاةِ وإن دعوه إلى النارِ ؛ وعدتَ إلى بابِ أميرِ المؤمنينِ عودَ الغائبِ إلى رحلِهِ ، والآئِبِ إلى أهلِهِ ؛ وآسقررتَ به آسقررتَ الجوهرِ في فضله ، والفرعِ في أصلِهِ ؛ وأبانَ الاستشفافُ عن جوهرِكَ الشَّفَافِ ، وخرجتَ من تلكَ الهفواتِ خروجَ الرياحِ لأخروجِ الكفِّافِ ؛ وأعربتَ السعادةَ إذ حيتُك بمشيبِ أسودَ ، وتبعَ الأماجدُ غبارَكَ الذي يُرْفَعُ من طريقِ السُّودَدِ ؛ وأعتلقتَ بعروةِ الحِدِّ ، فلستَ من ددٍ ولا منك ددُ ، وضربتَ قلبَ العيشِ الأصفى بعدَ العيشِ الأثكدُ ؛ لاجرمَ أن أميرَ المؤمنينِ أنساك سيئةً أمسك بحسنةِ يومك ، وسما بك إلى أعلى رُتَبِ الأولياءِ وأغناك عن تعرُّضِ سَومِك ، وأنعمَ بك على قومِ ماعزُفوا إلا رياسةَ قومك .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين أمين مملكته ، ويمين فتكته ؛ السيد الأجل الذي أتى الله به سهما إلى مصر وهي كائنته ؛ وأفرده بمزية السبق فلا حظَّ لمساجله إلا أن

تَدْمِي بَنَاتِهِ ، ورعى الرعيّة منه ناظرٌ لا تُلمُّ بناظره مرادُ المهجود ، وقام بالملك منه قائمٌ لا يزالُ يورده مواردُ الجود ؛ وأغنته يدُ الغلاب عن لسانِ الجلاب ، ونال نادرة الأمل في نادرةِ الطلاب ؛ وجمت فتكأته من الهرمين إلى الحرمين ، وصرف الرشح تصريفَ القلم وكأنه يصولُ ويصلُّ بقلمين ؛ وردّ الله به العدو منخذلاً ، وطالمًا لقيته فأقام منجدلاً ؛ وأضحى به ذيلُ النعمة منسحباً وسِترُ الأمانة منسدلاً ، ودبر الأمور فأمسكها حازماً وعقلها متوكّلاً - فأنهى مالسلفك عند الأئمة الخلفاء من مزينة الأصطفاء ، وما لك في نفسك من الحسنات التي ما برحت بارحة الخفاء ؛ وما أطلع عليه من خلاك التي ما أخلت بمنقبه ، وأفعالك التي ما تغايرت في يومٍ ذى نعمة ولا يومٍ ذى مسغبة ؛ وما لك من وثائق العُقود ، وما فيك من الأوصاف المؤكدة لعلائق السُعود ؛ وقررك الخدمة في كذا وكذا - خرج أمرُ أمير المؤمنين إليه بأن يُوعزَ إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجلّ لك بالخدم المذكورة وهي التي فرقت لسلفك وجمعتُ لديك ، كما أن مجاسنهم المفرقة منتظمة العُقود عليك : ليُكمل لك ولايتي الثغر والسيادة في حال ، وليسدّ بك ثغر الجهاد وثمر الإجمال ، ولتقوم [في هذا] مقامُ الجُفّال الجرار وفي ذلك مقامَ الحيّاهطال . ولتكون فرائدُ الإنعام عندك تُوّاماً ،^(١) وليجعل آبتداء تصرفك لغيرك تَمّاماً ، وليختصر لك طريقَ الكمال ، وليجري بك في ميدان الشكر طليق الآمال .

فتقلّد ماقلّده منهما عاملاً بتقوى الله التي هي مصالح الأعمال ، وميدانُ الإتحاف والإجمال ، وسببُ النجاة في الإبتداء وعند المال ؛ قال الله سبحانه في كتابه الذي لم يجعل له عوجاً : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ .

(١) جمع توأم . قال الأزهري ومنله غم رباب وأبل ظوار وهو من الجمع العزيز . انظر اللسان

وَأَبْسَطُ الْعَدَلِ عَلَىٰ مَنْ يَجُودُ بِهِ هَذَا الثَّغْرُ الَّذِي هُوَ ثَغْرُ الثُّغُورِ الْبَاسِمِ ، وَأَوْلَاهَا بَانَ
تَكُونُ أَيَّامُهُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاسِمَ ؛ فِيهِ مِنْ صُدُورِ الْحَافِلِ ، وَقُلُوبِ
الْحَافِلِ ؛ وَعُيُونِ الْمَدَارِسِ ، وَأَعْيَانِ الْفَوَارِسِ ؛ وَتُجَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَخْيَارِ الْأُمَّةِ
الْمَقِيمَةِ وَالْمَسَافِرَةِ ؛ وَوُقُورِ مَكَارِمِ عَدْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ بِالرَّجَاءِ وَارِدَةٌ وَبِالرِّضَا
صَادِرَةٌ ، مَنْ يُؤْثِرُ أَنْ يَكُونَ فَضْلُ السُّكُونِ لَهُمْ شَامِلًا ، وَرَدَاءُ الْأَمْنِ عَلَيْهِمْ سَائِلًا ؛
وَسَحَابُ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ هَاطِلًا ، وَحَالُهُمْ فِي الْأَتْسَاقِ لَا مَتَغَيَّرًا وَلَا حَائِلًا . وَسَاوِيِ الْحَقِّ
بَيْنَ أَعْبَادِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ ، وَمَقِيمِهِمْ وَمَتَغَرِّبِهِمْ ؛ وَأَعْتَمِدَ مِنْهُمْ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِمَا يُرْفَعُ
فِي الطَّاعَةِ خَاطِرَهُ وَيُسْحِدُهُ ، وَيَصُونُهُ مِنْ تَحِيْفِ الْأَيْدِيِ الْجَائِرَةِ وَيُنْقِذُهُ ؛ وَأَخْصَصَ
الْعُلَمَاءَ بِكَرَامَةِ تَعْيِينِهِمْ عَلَى التَّعْلِيمِ ، وَالْأَعْيَانَ بِمَزِيَّةِ تَوْضُّعِهِمْ لَهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ مَزِيَّةِ التَّقْدِيمِ ؛
وَأَكْفَفَ عَوَادِيِ أَهْلِ الشَّرِّ وَالشَّرِّ ، وَأَقَمَعَ غُلُوءًا مِنْ أَعْتَرَّ بِغَيْرِ اللَّهِ وَأَعْتَرَّ ؛ وَتَوَخَّاهُمْ
بِإِقَامَةِ الْمَهَابَةِ وَبَسْطِهَا ، وَكَفَّ الشُّوكَةَ وَقَطَّهَا ؛ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَأَقَمَ الْحُدُودَ إِقَامَةً مِنْ يُثَابُ عَلَيْهَا وَيُؤَجَّرُ ، وَتَفَقَّدَهَا عَلَى حُدَّهَا غَيْرَ دَاخِلٍ فِي الْأَقْلِّ
وَلَا خَارِجٍ إِلَى الْأَكْثَرِ ؛ وَأَذَكِ الْعِيُونَ عَلَى مَنْ يُلِمُّ بِسُوحْلِ الثَّغْرِ مِنْ أَسْطُولِ الْعَدُوِّ
اللَّعِينِ وَمِرَاكِبِهِ ، وَأَحْجَزَ بِالْقِظَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَلْصِيصِ مَطَالِبِهِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِاتِّخَاذِ
الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يُعِزُّ اللَّهُ بِهَا جَانِبَهُ ، وَيُذِلُّ جَانِبَهُ ؛ وَتُبَلِّغِ الْعَدُوَّ اللَّعِينَ مِنْ ذِكْرِهَا مَا يُعْمَلُهَا
وَهِيَ فِي أَيْدِيهِمْ مَوْفَرَةٌ ، وَيَبْدُلُهَا فِي مَقَاتِلِهِمْ وَيُؤْتِيهِمْ بِهَا مَعْمَرَةٌ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
فِي آيَاتِهِ الْمَتْلُوهِ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ .

وَأَعْتَمِدَ لِلْأَعْمَالِ الْبَحْرِيَّةِ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مِنْ تَأْمِينِ الْأَخْيَارِ وَتَرْوِيعِ الْأَشْرَارِ ،
وَتَتَبُّعِ كُلِّ مُرِيبٍ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَتْ بِهِ قَدِ حَارَبَ اللَّهَ
فِي أَرْضِهِ ، وَصَارَ قَتْلُهُ مِنْ قَرَضِهِ ، فَفَقِّدْ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ فِي آيَةِ السِّيفِ وَأَمِضْهُ ؛ وَأَدْعُ
إِلَى عِمَارَةِ بِلَادِهَا وَتَحْفَرُهَا ، وَتَفَقَّدِ الْمَصَالِحَ بِهَا وَتَكْثُرْهَا ؛ وَإِطَابَةَ أَنْفُسِ الْمَزَارِعِينَ

بما تحفّفه عنهم من وطأة كانت ثقيله ، وتقلّله عنهم من مغارم لم تكن قليلة ، فما عمّرت البلاد بمثل النزاهة التي هي شيمتك المعتادة ، والمعدّلة التي هي من خلالك مستفاده ، وأعتدّ كلاً من النائب في الحكم العزيز والناظر في الدعوة الهاديّة والمُشارف بالثغر والعُمّال برعاية تحفظ مرّاتهم ، وتلحظ مطالبهم ، وتنفذ الأحكام ، وتبلغ بما ينظرون فيه من المصالح غايات التمام ، وتعرّطائفة الإيمان ، وتظهر عليهم أثر الإحسان ، وتستدرّحلب الأموال ، وتستديم عمارة الأعمال ، وتفضي بمواصله الجول وتحصيل الغلال ، وتعود بها عليك عوائد الأجر والجمال ، ومثلك أشهراً أيها الأمير من ولى فلم تطل له الوصايا التي يحتاج إلى إطالتها سواه ، ويوثق بما يذكيه من عُيون حريم غير غوافل ولا سواه ، ويحقّق أن تقواه رقيب سرّه ونجواه ، وأن أمير ورعه يحكم على أسير هواه ، والله سبحانه يجعل نعمة أمير المؤمنين لديك مأمولة الدوام موصولة الحبل ، ويتمّها عليك كما أتمّها على أبويك من قبل ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كانت سجّلات سائر ولايات أعمال الديار المصرية ، فكانت تُكتب على نظير ذلك في الوجه القبلي ولاية الجيزية ، وولاية الإطفيحية ، وولاية البهنساوية ، وولاية البوصيرية ، وولاية الأشمونين والطحاوية ، وولاية الشبوية ، وولاية الإنجمية ، وولاية الفيوم ، وولاية واح البهنسا ، وولاية الواح الداخلة ، وولاية الواح الخارجة . ومن الوجه البحرى ولاية القليوبية ، وولاية منية تردى وهي منية عُمّر ، وولاية المرتاحية ، وولاية الدقهلية ، وولاية مدينة تيس - وبها كانت دار الطراز - وولاية المنوفية ، وولاية جزيرة بنى نصر وربما أضيفت إلى المنوفية وعبر عنهما بالمنوفيتين ، وولاية جزيرة قوسينياً ، وولاية البحيرة ، وولاية نغر رشيد المحروس ، وولاية نغر ستراره ، وولاية نغر دميّاط ، وولاية القرمّا ، بساحل الشامى فيما دون العريش .

وأما البلاد الشامية فقد تقدم أنها كانت خرجت عنهم وتملكت الفرنج غالب سواحل الشام ، ولم يبق معهم إلا ساحل عسقلان ومقاربه وكان مقرّ الولاية بها في عسقلان .

وهذه نسخة سجل بولايتها ، وهي :

أما بعد ، فإن أولى ما وفر أمير المؤمنين حظّه من العناية والاشتمال ، واعتقد العكوف على مصالحه من أشرف القربات وأفضل الأعمال ؛ وأسند أمره إلى من يستظهر على الأسباب المعية بحسن صبره ، وعدق النظر فيه بمن لا يشكّل عليه أمره لمضائه ونفاذه ومعرفته وخبره ، ما كان حرزا للرباطين ومعقلا ، وملتصدا للجاهدين وموثلا ، وموجبا لكل مجتهد أن يكون لدرجات الثواب مرتقيا متوقفا ، عملا بالحوطة للإسلام الذي جعله الله في كفالاته وضمّانه ، وتماديا على سياسته التي أقر بفضلها إقرار الضرورة كافة ملوك زمانه ؛ وحرصا على الأفعال التي لم يزل مقصودا فيها بأطاف الله تعالى وتوفيقه ، وتبتلا للأموال التي أرشده الله سبحانه في تديرها إلى منهج الصواب وطريقه ، ومضاعفة من الحسنات عند أوليائه أهل الحق وجزبه وفريقه .

ولما كانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - غرّة في بهم الضلال والكفر ، وحرما يتناز عن البلاد التي كلفها الشرك بالناب والطفر ؛ وهو من أشرف الثغور والحصون ، وأهله أنصار الدين القيم المحفوظ المصون ؛ وكنت أيها الأمير من أعيان أمراء الدولة وكبرائهم ، ووجوه أفاضلهم ورؤسائهم ؛ ولك في الطاعة آسرتسال الأمان في مواطن المخاوف ، وفي الذب عنها وحمايتها مواقف كريمة لا توازي بالمواقف ؛ وقد وصلت في ولائها القديم بالحديث والتالد بالطريف ؛ وحين وليت مهمات

أَسْتُنِجِدُ فِيهَا بِعَزَمِكَ ، وَأَسْتَعِينُ عَلَيْهَا بِحَزْمِكَ ؛ تَهَيَّبُ الْأَعْدَاءَ فِيهَا ذِكْرَ اسْمِكَ ، وَكَانَ مِنْ آثَارِكَ فِيهَا مَا شَهَرَ غُفْلَهَا ^(١) بَوَسْمِكَ ؛ فَلَا يُبَارِكُ مُبَارًا إِلَّا أُرِيَتْ عَلَيْهِ وَزِدَتْ ، وَلَا يُنَاوِيكَ مُنَاوٍ إِلَّا أَنْسَيْتَ ذِكْرَهُ أَوْ كِدْتَ ؛ فَكَمْ لَكَ مِنْ مَقَامٍ مَجْمُودٍ لَيْسِيرٍ شَأْوُهُ وَوَصْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرِ جَمِيلٍ يُفَوِّحُ أَرْجَهُ وَيَتَضَوِّعُ عَرْفَهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ جَمَالٍ فِي الْمَشَايِعِ لَا يَقْصُرُ أَمْدُهُ وَلَا يَكْبُؤُ طَرْفُهُ ؛ وَالسَّيِّدُ الْأَجَلُّ الْأَفْضَلُ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهُ وَرَفَعَ مَجْدَهُ ، وَجَعَلَهُ فِي الْغَضَبِ لِتَوْحِيدِهِ دُونَ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ أُمَّةً وَحَدَهُ ؛ وَأَلْهَمَهُ التَّجَرُّدَ لِنُصْرَةِ الْإِيمَانِ فَحَقَّ اللَّهُ لِمَا غَفَلَ الْمُلُوكُ وَقَعَدُوا ، وَأَمَدَهُ بِمَوَادِّ السَّعْدِ فَاسْتَيْقِظَ بِمُفْرَدِهِ حِينَ نَامُوا عَنْ اسْتِخْلَاصِهِ مِمَّا عَرَّاهُ وَرَقُدُوا ؛ وَأَضْحَى أَنْتِصَابُهُ آيَةً أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِلَّهِ ، وَغَدَا أَنْتِصَارُهُ مُعْجِزَةً حَسَمَ بِهَا فِي رَفْعِ مَنَارِ الدِّينِ كُلِّ عِلَةٍ ؛ فَهَمَّتْهُ مَصْرُوفَةٌ عَلَى مَا يُعْزُ الشَّرِيعَةَ الْحَنِيفِيَّةَ ، وَعَزَمَتْهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهَا بِأَطْرَافِ الدُّوَابِلِ وَحَدِّ الْمَشْرِفِيَّةِ ؛ فَلَبَّغَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا يَجَاوِلُهُ مَا يُضَاعَفُ نَفْرَهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَقْتَدِمُهُ لِمَعَادِهِ وَيَجْعَلُهُ فِي الْآخِرَةِ ذُنْحَرَهُ بِجَوْلِهِ وَمَنَّةٍ ، وَطَوْلِهِ وَفَضْلِهِ .

فَلَا يَزَالُ هَذَا السَّيِّدُ الْأَجَلُّ يُثْنِي عَلَيْكَ ثَنَاءً يَخْلُدُ لَكَ وَلِعَقَبِكَ مَجْدًا بَاقِيًا ، وَيَجْبُوكُ مِنَ الْوَصْفِ وَالْإِطْرَاءِ بِمَا يَجْعَلُكَ فِي مَرَاتِبِ الْوَجَاهَةِ وَالنَّبَاهَةِ سَامِيًا رَاقِيًا ؛ وَيُرْتَحِّكُ مِنْ الْخِدْمِ لِأَجْلِهَا قَدْرًا ، وَيُطْلِعُ مِنْكَ فِي آفَاقِ سَمَايَاهَا بَدْرًا ، وَيَجْعَلُ لَكَ بِمَا يُؤْهِلُكَ لَهُ صِيْتًا وَيُسَيِّرُ لَكَ ذِكْرًا ؛ وَحِينَ جَدَّدَ شُكْرَكَ ، وَأَوْصَلَ عَلَى عَادَتِهِ مَا يُسَيِّدُ أَمْرَكَ ؛ فَتَرَى لَكَ وَلايَةَ «تَغْرَعَسْقَلَان» - حَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - الَّذِي هُوَ تَغْرُ الدِّينِ ، وَكَانَهُ الْمَوْحِدِينَ ؛ وَوَزَّرَ الْأَتْقِيَاءَ الْمَجَاهِدِينَ ، وَشَجَّى فِي صَدُورِ الْكُفْرَةِ الْمَعَانِدِينَ ؛ فَامْضَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَاهُ مِنْ هَذَا التَّقْرِيرِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرَكَتَةَ مَضْمُونَةٌ فِيهَا يَتَكَلَّفُهُ مِنَ التَّدْيِيرِ ؛

(١) العُفْلُ بِالضَّمِّ مَا لَا عِلَامَةَ فِيهِ مِنَ الْقِدَاحِ وَالطَّرْقِ وَغَيْرِهَا وَمَا لَاسِمَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِ . انظر القاموس .

ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ولاية هذا الثغر المحروس وعمله ، وما هو منتظم معه من سهله وجبله .

فأعرف قدر هذه النعمة التي رفعتك على جميع الأمراء ، وأغناك فيها حسن رأي أمير المؤمنين ووزيره السيد الأجل الأفضل عن الوسائط والسفراء ، وأحلتك أعلى مراتب الرفعة والسمو ، وأحظتك مع بعد الدار بمزية القرب من قلبيهما والدؤو .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين من هذه الولاية الشاخرة المحل ، التي غدا محظورها على غيرك من المباح لك المحل ، وتلقها من الشكر بما يجعلها إليك آويه ، ولديك مقيمة ناويه ، وأعمل فيها بتقوى الله التي إذا أظلمت الخطوب طلعت في ليها بجزا ، قال الله عز من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ .

وأشمل أهل هذه الولاية بالمئاته بينهم فيما كان حقا ، ولا تجعل بين الشريف والمشروف في الواجب فرقا ، وأمر بالمعروف وأبعث عليه ، وأنه عن المنكر وأمنع من الإجراء إليه ، وأقم الحدود مستمرا في إقامتها على العاده ، ومتوقيا من نقص ما يؤمر به منها أوزياده ، وأصرف النصب الأجل ، الأوفر الأكل ، إلى الاستيقاظ للعدو المخدول المجاور لك والبحث عن أخباره وعمله المكيد له ، ومواصلته بما يديم محافته ووجهه ، وأغزه في عقر داره ، وأقصده بما يقضى بحفض مناره ، ولا تهمل تسيير السرايا إليه ، وإطلاع الطلائع بالمكاره عليه ، وأعتمده بما يشترده عنه لذيذ منامه ، وأزرع في قلبه خوفا يهابك به في يقظته وفي أحلامه . وأفعل في أمر من يجرد إليك من عسكر البدل المنصور في تقرير نوب المناسر ، ولتخير لها كل متوئب على الإقدام منجاسر ، ما تقتضيه الحال مما أنت [أ] قوم لمعرفة ، وأهدى الناس في سبيله ومحجته . ووفر حظ القاضي المكين متولى الحكم والمشاركة من

إعزازك وإكرامك ، وأشمالك وأهتمامك ، ورعايتك ومعاضدتك ، والعمل في ذلك بما هو معروف من سياستك ، ومشهور من رياستك ؛ وكذلك المستخدم في الدعوة الهاديّة بثبها الله تعالى ، فاعتمده بما يُعزُّ أمره ، ويسُطُّ أمله ويُشرح صدره . وضافر على أمر المال ، ووقور الاستغلال ؛ والعمل من ذلك بما فيه أكبر حظّ للديوان . وأجر على ما هو مشهور عنك في ولايتك من حُسن السياسة ، والعمل بقصايا المصلحة ، والتبثّل لما تستقيم به أمور الخدمة ، وحفظ أهل السلامة وأرباب الدين ، وإعمال السيف في مستوجبيه من المفسدين والمتمردين ، مما أنت أنفدُ الولاية فيه ، وأعلمهم بما يوجبهُ الصواب ويقتضيه ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر بما تجب المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله تعالى .^(١)

المذهب الثاني^(٢)

(أن يفتَح ما يُكتب في الولاية بلفظ « هذا ماعهد عبد الله ووليه فلان أبو فلان ، الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، لفلان الفلاني حين ولّاه كيت وكيت » من غير تعريضٍ لتحميد في أول ما يُكتب ولا في أشائه ؛ ثم يقال : « أمره بكذا وأمره بكذا » على قاعدة ما كان يكتب في العهود بديوان الخلافة ببغداد ، وهو قليل الاستعمال عندهم للغاية القُصوى ، ولم أظفر منه بغير هذا العهد)

وهذه نسخة عهد على هذه الطريقة ، كُتِب به عن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، للحسين بن علي بن النعمان ، بقضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب ، مضافاً إلى ذلك النظر في دور الضرب والعيار وأمر الجوامع والمساجد ، وهو :

(١) في بعض النسخ هنا زيادة نصها « وأما الوظائف الدينية فيها » ثم ترك يياضاً بقدر نصف صفحة .

(٢) وقع في الأصول الضرب الثاني وهو سهو من النسخ .

هذا ما عهد عبده الله ووليه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للقاضي حسين بن علي بن النعمان حين ولّاه الحكم بالمعززية القاهرة ومصر، والإسكندرية وأعمالها، والحرمين حرسهما الله تعالى، وأجناد الشام، وأعمال المغرب، وإعلاء المنابر، وأئمة المساجد الجامعة، والقومة عليها والمؤذنين بها، وسائر المتصرفين فيها وفي غيرها من المساجد، والنظر في مصالحها جميعا، ومشاركة دار الضرب وعيار الذهب والفضة، مع ما اعتمده أمير المؤمنين وأتباعه، وقصده وتوخاه: من آفتهائه لآثاره، وأتهائه إلى إيثاره؛ في كلّ عليّة للدولة ينشرها ويحميها، وذنيّة من أهل القبلة يذثرها ويعفيها؛ وما التوفيق إلا بالله ولي أمير المؤمنين عليه توكله في الخيرة له ولسائر المسلمين فيما قلده إياه، من أمورهم وولّاه .

أمره أن يتقى الله عز وجل حق التقوى، في السر والظهر والتجوى؛ ويعتصم بالثبات واليقين والنهي، وينفصم من الشبهات والشكوك والهوى: فإن تقوى الله تبارك وتعالى مؤثّل لمن وآل إليها حصين، ومعقل لمن آفتها أمين، ومعوّل لمن عوّل عليها مكين؛ ووصية الله التي أشاد بفضلها، وزاد في سناها بما عهد أنه من أهلها، فقال تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره أن لا يئذل ما ولّاه أمير المؤمنين [إياه] من الأحكام في الدماء والأشعار والأبشار، والفروج والأموال، [عن] منزلته العظمى من حقوق الله المحترمة، وحرّماته المعظمة، وبيّناته المبيّنة في آياته المحكّمة؛ وأن يجعل كتاب الله عز وجلّ وسنة جدنا محمد خاتم الأنبياء، والمأثور عن أئمتنا على سيد الأوصياء، وآبائنا الأئمة التجباء - صلّى الله على رسوله وعليهم - قبلة لوجهه إليها يتوجه، وعليها يكون المنجّه .^(١) فيحكم

(١) في الأصل «إلينا يتوجه وعليها لا يكون منجّه» وهو غير مستقيم . تأمل .

بالحق ويقضى بالقسط، ولا يحكم الهوى على العقل، ولا القسط على العدل، إشاراً
 لأمر الله عز وجل حيث يقول: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
 فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
 لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

وأمره أن يُقابل مَارِسَمَهُ أمير المؤمنين وحده لِقَتَاهُ بَرَجَوَانَ، من إعزازه والشدة
 على يده، وتنفيذ أحكامه وأقضيته؛ والقصر من عنان كل متناول على الحكم،
 والقبض من شكائمه، بالحق المفترض لله جل وعز وأمير المؤمنين عليه: من ترك
 الجاملة فيه، والمحابة للذي رجم وقربى، وولي للدولة أو مولى؛ فالحكم لله وخليفته
 في أرضه، والمستكين له لحكم الله وحكم وليه يستكين، والمتناول عليه، والمباين
 للإجابة إليه، حقيق بالإذالة والنهوض؛ فليتنق الله أن يستحجي من أحد في حق له:
 ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ .

وأمره أن يجعل جلوسه للحكم في المواضع الضاحية للتحاكين ويرفع عنهم حجابَه،
 ويفتح لهم أبوابه، ويحسن لهم انتصابه؛ ويقسم بينهم لحظة ولفظه قسمة لا يجابي
 فيها قوياً لقوته، ولا يردى فيها ضعيفاً لضعفه؛ بل يميل مع الحق ويحنح إلى جهته،
 ولا يكون إلا مع الحق وفي كفته؛ ويذكر بموقف الخصوم ومحاباتهم بين يديه موقفه
 ومحاباته بين يدي الحكم العدل الديان: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا
 وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ .

وأمره أن يُنعم النظر في الشهود الذين إليهم يرجع وبهم يقطع في منافع القضايا
 ومقاطع الأحكام، ويستشف أحوالهم آستشفافاً شافياً، ويتعرف دخالهم

تعرفاً كافياً، ويسأل عن مذاهبهم وتقليدهم في سرهم وجهرهم، والحلى والخفى من أمورهم، فمن وجده منهم في العدالة والأمانة، والزاهة والصيانة، وتحري الصدق، والشهادة بالحق، على الشيمة الحسنى، والطريقة المثلى، [أبقاه] وإلا كان بالإسقاط للشهادة أولى. وأن يطالع حضرة أمير المؤمنين بما يبدو له فيمن يعدله أو يردُّ شهادته ولا يقبله: ليكون في الأمرين على ما يحد له ويمثله، ويأمن فيما هذه سبيله كلَّ خلل يدخله؛ إذ كانت الشهادة أسَّ الأحكام، وإليها يرجع الحكم، والنظر فيمن يؤهل لها أحقُّ شيء بالإحكام؛ قال الله تقدست أسماؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

وأمره أن يعمل بأمثلة أمير المؤمنين له فيمن يلي أموال الأيتام والوصايا وأولى الخلل في عقولهم، والعجز عن القيام بأموالهم؛ حتى يجوز أمرها على ما يرضى الله ووليُّه: من حياتها وصياتها من الأمانة عليها، وحفظهم لها، ولفظهم لما يجرم ولا يخلُّ أكله منها؛ فيتبوا عند الله بعدا ومقتا، كلَّ الحرام والموكل له سُخْتًا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

وأمره أن يُشارف أئمة المساجد والقومة عليها، والخطباء بها والمؤذنين فيها، وسائر المتصرفين في مصالحها؛ مشاركة لا يدخل معها خللٌ في شيء يلزم مثله: من تطهير ساحتها وأفتيتها، والاستبدال بما تبدل من حصرها في أحيائها، وعمارتها بالمصايح

(١) الأولى " وإضاءتها" كما لا يخفى.

في أوقاتها، والإنذار بالصلوات في ساعاتها، وإقامتها لأوقاتها، وتوفيتها حق رُكوعها وسُجودها، مع المحافظة على رُسومها وحدودها، من غير اختراع ولا أختلاع لشيء منها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ .

وأمره أن يرعى دار الضرب وعيار الذهب والفضة بثقات يختاطون عليهما من كل لبس، ولا يكتنون المتصرفين فيهما من سبب يدخل على المعاملين بهما شيئاً من الوكس؛ إذ كان بالعين والورق تُتناول الرباع، والضباع والمتاع؛ ويتناع الرقيق، وتتعد المناكح وتتقاضى الحقوق؛ فدخول الغش والدخل فيما هذه سبيله جرحه للدين، وضرر على المسلمين؛ يتبرأ إلى الله منهما أمير المؤمنين .

وأمره أن يستعين على أعمال الأمصار التي لا يمكنه أن يشاهدها بأفضل وأعلم وأرشد وأعمد من يمكنه الاستعانة به على ما طوّقه أمير المؤمنين في استعماله . قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ .

هذا ماعهد أمير المؤمنين فأوف بعهده، تهتد بهديه، وترشد برشده؛ وهذا أول إمرة أمرها لك فاعمل بها، وحاسب نفسك قبل حسابها؛ ولا تدع من عاجل النظر لها أن تنظر لما بها: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَادِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

وكتب في يوم الأحد لسبع ليال بقين من صفر سنة ٣٨٩ .

المذهب الثالث

من مذاهب كُتَاب الدولة الفاطميَّة

(أن يُفْتَحَ ما يُكْتَبُ في الولايات بخطبةٍ مبتدأةٍ بالحمد لله كما يكتب في أعلى الولايات في زماننا، ويقال: « يحمده أمير المؤمنين علي كذا وكذا، ويسأله أن يصلِّي عليَّ محمد وآله، وعليَّ جدته علي بن أبي طالب » ثم يقال: « وإنَّ أمير المؤمنين لم يزل يَنْظُرُ فيمن يصلح لهذه الولاية، وإنه لم يجد من هو كُفُو لها غير المولِّي، وإنه ولأه تلك الوظيفة » ثم يُوضَى بما يليق به من الوصية؛ ثم يقال: « هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وحقُّه عليك، فاعمل به » أو نحو ذلك مما يُعْطَى هذا المعنى)

وقد أورد علي بن خلف من إنشائه في كتابه " مواد البيان " المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدَّة تعاليد لأرباب السيف .

منها — تقليد في رسم ما يكتب للوزير، [وهو] :

الحمد لله المنفرد بالملكوت والسلطان، المستغنى عن الوُزراء والأعوان؛ خالق الخلق بلا ظهير، ومُصوِّرهم في أحسن تصوير؛ الذي دبر فأتقن التدبير، وعلَّاه عن المكلف والمُشير؛ المانِّ عليَّ عباده بأن جعلهم بالتوازر لإخوانا، وبالتظافر أعوانا؛ وأقر بعضهم إلى بعض في انتظام أمورهم، وصلاح جمهورهم .

يحمده أمير المؤمنين أن استخلفه في الأرض، وناط به أسباب البرم والنقض؛ وأسترعاه علي بريته، وأستخلصه لخلافته؛ وقبضه لإعزاز الإسلام، وحياطة الأنام، وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وخيرة الأصفياء؛ المؤيد بأفضل الظهراء، وأكل الوُزراء؛ علي بن أبي طالب المتكفل في حياته، بنصره وإظهار شريعته، والقائم بعد وفاته، مقامه في أمته؛

صلى الله عليهما، وعلى الأئمة من ذريتهما، مفاتيح الحقائق، ومصابيح الخلائق؛
وسلم، وشرف وكرم.

وإن الله تعالى نظر لخلقهم بعين رحمته، وخصّ كلّاً منهم بضرب من ضروب
نعمته، وأقدرهم بالتعاقد، على انتظام أمورهم الوجودية، وأوجدهم السبل بالتراقد،
إلى استقامة شؤونهم الدنيوية: لتنبجس عيون المعاون بتوازرهم، وتدرّ أخلاف
المرافق بتظافرهم.

وأولى الناس باتخاذ الوزراء، وأستخلاص الظهراء، من جعله الله تعالى
إلى حقه داعياً، وخلقهم راعياً؛ ولدار الإسلام حامياً، وعن حماه مرامياً؛ وأستخلفه
على الدنيا وكلفه سياسة المسلمين والمعاهدين، ولذلك سأل موسى عليه السلام وهو
القوى الأمين، في استخلاص أخيه هارون لوزارته، وشدّ أزره بموازرتيه، فقال:
﴿وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أني أشدُّ به أزرى﴾. وأستوزر محمد صلى الله
عليه وسلم وهو المؤيد المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ابن عمه علياً سيد الأوصياء؛
بدليل قوله له: «أنت مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» لأن الإمام
لو تولى كل ما قرب وبعد بنفسه، وعول في حيطته على حواسه؛ لنص ذلك بتطرق
الخلل، ودخول الوهن والشال؛ وإنما تستعين الأئمة على ما كفلها الله بكفاة
الأعوان، وأهل النصرة في الأديان؛ وذوى الاستقلال والتشهير، والمعرفة بوجوه
السياسة والتدبير؛ والخبرة بجماري الأعمال، وأبواب الأموال، ومصالح الرجال.

وإن أمير المؤمنين لم يزل يرتاد لوزارته حقيقةً بها مستحقاً نعتها؛ جامعاً بين
الكفاية والغناء، والمناصحة والولاء، والأبوة والأختصاص، والطاعة والإخلاص؛
والنصرة والعزم، وأصالة الرأي والحزم؛ ونفاسة السياسة والتدبير، والنظر بالمصلحة
في الصغير والكبير؛ والإحتيال والتأديب، وملاسة الأيام والتجريب؛ والإتماء

إلى كريم المناجب ، بضمير المناصب ؛ ويكرر في الاختيار تقليده ، ^(١) ويحيل في الانتقاء تأمله وتدبره . وكلما عرّضت له مخيلة قمن توافق إيثاره ، أخلف نوعها ، وكلما لاحت له بارقة تطابق اختياره ، خبا ضوعها ؛ حتى آتته رويته إليك ، وأوقفه آرتياده عليك ؛ فراك لها من بينهم أهلا ، وبتقمص سر بالها أولى ؛ وبالأستبداد بإمرتها أحق وأحرى : لأشتمالك على أعيان الخصائص التي كان زياد [لها] جامعا ، وحلوك في أعيان المناقب التي لم تزل ترومها متحليا بفراندها ، وما شيرت به من إفاضة العدل والإقساط ، وإغاضة الجور والإشطاط ؛ وإنالة الحق والإنصاف ، وإزالة الظلم والإجحاف ؛ ومراعاة التصح بانسانك شاهدا ، ومناجاته بحدارك جاهدا ؛ ولتھوضك بالخطب إذا ألم وأشكل ، والحادث إذا أھم وأعضل ؛ وتفردك بالمساعي الصالحة ، والآثار الواضحة ؛ والطرائق الحميدة ، والمذاهب السديده ؛ والتحلي بالزاهة والظلف ، والعطل من الطبع والتطف ؛ وفضل السيرة ، وصدق السريره ؛ ومحبة الخاصة والعامة ، والمعرفة بقدر الأمانة ؛ والأضطلاع بالصنيعه ، والحفظ للوديعه .

فراى أمير المؤمنين برأيه فيما يريه ، ويقضى له بالصلاح فيما يعزم عليه ويمضيه ويسدد مراميه ومساعيه ؛ ويتعهد في جميع مقاصده بلطف تحلو ثمأره ، وتحسن عليه وعلى الكافة آثاره ؛ أن قد ولّك النظر في مملكته ، وأعمال دولته : برها وبحريها ، وسهلها ووعرها ، وبدوها وحضرها ؛ ورد إليك سياسة رجالها وأجنادها ، وكتابها وعرفائها ، ورعيّتها ودواوينها ، وأرتفاعها ووجوه جباياتها وأموالها ؛ وعدق بك البسط والقبض ، والبرم والتقص ؛ والحط والرفع ، والعطاء والمنع ، والإنعام والودع ، والتصريف والصرف ؛ ثقة بأن الصواب منوط بما تسدى وتلحم ، وتقيض وتنظم ، وتتفض وتبرم ؛ وتصدر وتورد ، وتقرر وتأتي وتدر .

(١) لعله « تخيره » تأمل .

فَلْتَهِنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ مِمَّا بَمَلَّسَهَا ، سَارِيًّا فِي قَبْسِهَا ، وَتَلَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَسْتَرِهُنَّ
وَيُخَلِّدَهَا ، وَيُقَرِّهَا عَلَيْكَ وَيُؤَبِّدَهَا ؛ وَأَعْرِفْ مَا أَهْلَكَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ
الْأَثِيرِ ، وَالْمَحَلِّ الْخَطِيرِ ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِفَضْلِ حَصَافَتِكَ ، وَتَقَابَةِ فِطْنَتِكَ ، وَحُسْنِ دِيَانَتِكَ ،
وَوَثَاقَةِ تَجَرُّبَتِكَ - عَنِ التَّبْصِيرِ ، مُسْتَغْنِيًّا عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكَيرِ ؛ فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَزِيدَكَ مِنْ مَرَّاشِدِهِ ، مَا يَقْفُكَ عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ وَمَقَاصِدِهِ ؛ وَهُوَ
يَأْمُرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، وَأَسْتَشْعَارِ خَشْيَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ ؛ وَاللَّهُ قَدْ
جَعَلَ لِمَنْ آتَقَاهُ مَخْرَجًا مِنْ ضِيقِ أَمْرِهِ وَحَرَجِهِ ، وَنَصَبَ لَهُ أَعْلَامًا عَلَى مَنَاجِحِ قَرَجِهِ .
وَأَنْ تَسْتَعْمَلَ الْإِنصَافَ وَالْعَدْلَ ، وَتُسَيِّغَ الْإِحْسَانَ وَالْفَضْلَ ؛ وَتُلِينَ كَنَفَكَ ، وَتُظْهِرَ
لَطْفَكَ ؛ وَتُحْسِنَ سَيْرَكَ ، وَتُفِيضَ بَرَكَ ، وَتُصَفِّحَ وَتَحْلُمَ ، وَتَعْفُوَ وَتُكْرِمَ ؛ وَتُبْصِرَ
مَنْ تَرْجُو صِلَاةَهُ وَتَقَهَّمَهُ ، وَتُنْصِفَ مَنْ أَفْرَطَ جِمَاحَهُ وَتُقَوِّمَهُ ؛ وَتَأْخُذَ بِوَثَائِقِ
الْحَزْمِ ، وَجَوَامِعِ الْعَزْمِ ؛ وَالغَلْظَةِ وَالشَّدَةِ عَلَى مَنْ طَغَى وَلَجَّ فِي غِيِّهِ وَعَتَا ؛ وَبَارَزَ اللَّهَ
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ ، وَالْإِنْحِرَافِ وَالتَّفْثَاقِ ؛ مُسْتَعْمَلًا فَاضِلًا التَّدْيِيرِ عِنْدَ
الْمُؤَادَعَةِ ، وَفَاصِلًا الْمُكَافَاةِ عِنْدَ الْمُقَارَعَةِ ؛ مُصَلِّحًا لِلْفَاسِدِ ، مُسْتَنًا لِلشَّارِدِ ؛ مَكْتَرًا
لِأَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَخُلَصَائِهَا ، وَحَاصِدًا لِبَغَائِهَا وَأَعْدَائِهَا ؛ وَاعْظَمًا مَدَّكْرًا لِلْغَافِلِ ، مُؤَمِّنًا
لِلظُلُومِ الْخَائِفِ ، مَخِيفًا لِلظَّالِمِ الْخَائِفِ ؛ مُسْتَصَلِحًا لِلسَّيِّئِينَ ، مَدَّكْرًا بِإِحْسَانِ الْحَسِينِينَ ؛
مُتَنَجِّزًا لَهُمْ الْجَزَاءَ عَلَى بِلَاقَتِهِمْ فِي الطَّاعَةِ وَأَنَارِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ . وَأَنْ تَنْظُرَ فِي رِجَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى
أَخْتِلَافِهِمْ نَظْرًا يَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ السَّدَادِ ، وَيُجْرِي أُمُورَهُمْ عَلَى أَفْضَلِ الْعُرْفِ الْمُعْتَادِ .
فَمَا الْأُمَانُ وَالْأَمْرَاءُ ، وَالْأَعْيَانُ وَالرُّؤَسَاءُ ، فَتَحْفَظْ عَلَى مَنْ أَحْمَدْتَ طَرِيقَتَهُ ،
وَعَرِّفْ إِخْلَاصَهُ وَطَاعَتَهُ ، شِعَارَ رِيَاسَتِهِ ، وَتَزِيدْ فِي تَكْرِمَتِهِ ، وَتَنْتَهِي بِهِ إِلَى مَا تَتَرَاءَى
إِلَيْهِ مَوَاضِي هَمَّتِهِ .

وأما طوائف الأجناد فُتقِرُّهم على مرَّاتهم في ديوان الجيش المنصور، وتُخصِّمهم من عنايةك بالنصيب الموفور، وتستخدمهم في سدِّ الثغور وتسيديد الأمور؛ وتراعى وُصول أطعِمهم إليهم، أوقات الاستحقاق إليهم؛ وانفاقهم نصاب الوجوب منهم .

وأما الكُتاب المستخدمون منهم في استخراج الأموال، وعمارة الأعمال، فتحصُّص كُفَّاتهم بما تقتضيه كفايتهم، وأمناءهم بما تُوجِبُه أماناتهم؛ وتُستبدلُ بالعاجز الخبيث الطَّعمه، والطَّبع المستشعرِ شعارِ المذمَّة : ليحفظ التَّره المأمونُ بزاهته وأمانته، ويُقلع الدَّنس الخثون عن دَنسه وخيانتته؛ وتأمُر من تختاره لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يسيروا بالسَّير الفاضله، ويعملوا على الرُّسوم العادله؛ فلا يضيِّعوا حقَّ لبيت مال المسامين، ولا يخيِّفوا أحداً من المعاملين .

وأما الرعيَّة، فيأمرك أن تحكُم بينها بالسَّويه، وتعتمدها بعدل القضييه؛ وترفع عنها نير الجور، وتحميها من ولاة الظلم؛ وتسوسها بالفضل والرافة متى استقامت على الطاعة، وتأديبت في التَّباعه؛ وتقومها متى أجزت إلى المنازح والأفئتان، وأصرت على مَغْضَبه السلطان .

وأما الأموال وهي العُدَّة التي تُرهِف عزائم الأولياء، وتغض من نواظر الأعداء؛ فتستخرجها من محققها، وتضعها في مستحقِّها؛ وتجتهد في وفورها، وتتوفر على ماعاد بدورها؛ وأن تطالع أمير المؤمنين بذره وجله، وعقد أمرك وحله؛ وتُنهي إليه كل ماتعزُّم على إتهائه، وترجع فيه إلى رائه : ليُكرِّمك من موادِّ تبصيره وتعريفه، ويزيدك من هدايته وتوقيفه؛ بما يُفضي بك إلى جادة الخير وسبيله، ويوضح لك علم النَّجاح ودليله .

(١) المراد قيامهم بما يجب عليهم من استعادة الخيل والسلاح .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك : وقد أودعه من تلويح الإشارة ، ما يكفي به عن
 تصريح العبارة ؛ ثقةً بأنك الأريبُ الأملئُ ، والفطنُ اللوذعيُّ ، الذي تنتهي به
 متونُ التذكير إلى أطرافه وحواشيه ، وتفضي به هوادي القول إلى أعجازه وتواليه .
 فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين ، وكُن عند حُسن ظنّه في فضلك ، وصدّق مخيلته
 في كمالك ، والله تعالى يعترف أمير المؤمنين وجه الخيرة في تصيير أمره إليك ، وتعويله
 في مهماته عليك ، ويوفّقك لشكر الموهبة في استخلاصك ، والمنحة في اجتياك ،
 ويُنمّضك بما حَمَلك من أعباءٍ مظهرته ، وجَسَمك من أنقال دولته ، ويُسدّدك
 إلى ما يدُرّ عليك أخلاف [نعمته] ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



ومنها - ما أورده في رسم تقليد زَمّ الأقارب : وهو التقدمة على أقارب الخليفة ،
 وهذه نسخته :

الحمد لله الذي ابتداءً بنعمته ابتداءً وأقتضاباً ، وأعادها جزاءً وثواباً ؛ وميّز
 من اختصّه بهداية خلقه ، وأستخلصه لإظهار حقه ، بأضفاها عطاها ، وأضفاها
 نطافاً ؛ وأحسنها شعاراً ، وأجملها آثاراً ؛ وأستخرجهم من أطيب البرية أعراقاً ،
 وأظهرها شياً وأخلاقاً ؛ وأقدمها سُودداً ومجداً ، وأكرمها أباً وجدّاً ؛ وتوحّد بأفضل
 ذلك وأعلاه ، وأكله وأسنانه ، مجدداً صفوته من خُلصائه ، وخيرته من أنبيائه ؛
 فأظهره من المنجَبِ الكريمِ ، والمنجَمِ الصّميمِ ، والدّوحة الطاهرِ عنصُرِها ، الشريفِ
 جوهرِها ، الحلوِ ثمرِها ؛ ورشّح من آختره من عترته لسياسة بريته ، والدعاء إلى
 توحيده وطاعته .

يحمده أمير المؤمنين أن شرفه بميراث النبوة ، وفضله بأكرم الولادة والأبوة ؛ وأحلّه في الدروة العالية من الخلافه ، وناط به أمور الكافه ؛ ويسأله الصلاة على جدّه محمد وعلى أبيه ، صلى الله عليهما .

وإن أمير المؤمنين يرى أنّ من أشرف نعم الله عليه موقعا ، وألطف مواهبه لديه موضعا ؛ توفيقه للحافظة على من يواشجه في كريم نسبه ، ويمارجه في صميم حسبه ؛ ويُدانِيه في طاهر مولده ، ويُقارِبُه في طيب محتده ؛ وتزِيلُ كلّ ذى تميز منهم في دين وعلم ، ودراية وفهم ، وإحلاله بالمنزلة التي يستوجبها بفاضل نسبه ، وفضل مكتسبه ؛ ويبعثُ أنظاره على التحلّي بخصاله ، والترشّن بخلاله : ليحصل لهم من فضل الخلائق والآداب ، ما يُضاهي الحاصل لهم من عرّاقة المناجب والأنساب ؛ ولذلك لا يزالُ ينوِّطُ أمورهم ، ويكلُّ تدبيرهم ، إلى أعيان دولته ، وأمانيل خاصته ؛ الذين يعتادون حضرته ويراوحونها ، ويطالعونه بمحائق أحوالهم ويُنهونها ، ويستخرجون أمره في مصالحهم بما يذلل لهم قُطوف إحسانه وطوله ، ويُعذب لهم مَشارِعِ برّه وفضله ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

فإن كان العهد إلى خادم ، قال :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين معدودا في أولى النباهه ، المترشّحين للإستقلال بأعباء دولته وذوى الوجاهه ، المُستخلصين لأستكفاء جلائل مملكته : لما أجمع فيك من إباء النفس وعزّتها ، ووثاقه الديانة وحصاقتها ، وسداد السيرة وأستقامتها ، وتقاء السريرة وطهارتها ؛ وتقبيلك منهج أمير المؤمنين ومذهبّه ، وتمثلك بهديه وأديه ؛ ونشكك في قُصور خلافته ، وأرتضاعك دَرّ طاعته - رأى - والله تعالى يعزّم له على الخير في آرائه ، ويوفّقه لمصالح القول والعمل في أنحائه - أن قلّدك زمّ بنى عمّه

الأشراف الإسماعيليين ثقةً بسياستك وحميد طريقتك ، وإنافةً لمزلتك وإعرايا
عن أمير مكاتك .

وإن كان العهد إلى شريف قيل بدلاً من هذا الفصل :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين ممن زين شريف محته ، بمنيف سُودده ،
وطاهر مولده ، بظاهر محته ؛ وكريم تالده بنفيس طارفه ، وجليل سالفه ، بنبيل
آينه ؛ مقتفياً سنن أوليتك ، مفرعاً على أصول دوحتك ؛ ضارباً بالسهم المعلى في الدين
والعلم ، حائزاً خصل السبق في الرجاحة والفهم - رأى أمير المؤمنين أن قللك نقابه
بنى عمه الأشراف الفلانيين : ثقةً بأنك تعرف ما يجمعهم وإياك من الأرحام الواشجة ،
والأواصر المتمازجة ؛ وتحسن السيرة بهم ، والتعهد لهم والتوفر عليهم .

ثم يوصل الكلام بأى الخطابين قدم فيقال :

فتقلد ما قللك أمير المؤمنين مستشعراً تقوى الله وطاعته ، معتقداً خيفته
ومراقبته ؛ سائراً فيمن ولأك أمير المؤمنين بسيرته ، مستنناً بسنته ؛ متأدباً بأدابه ،
مقتفياً مناهج صوابه ؛ وإكرام هذه الأسرة [التي] خصها الله تعالى بكرامته ، وفرض
مودتها على أهل طاعته ؛ ونزهها عن الأدناس ، وطهرها من الأرجاس ؛ فقال جل
قائلاً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأعرف لهم حق مراتبهم الدانية من أمير المؤمنين ، وزلهم بحيث زلهم الله من
الدنيا والدين ؛ وأعتمد تعظيم مشايخهم وتوقيرهم ، وسياسة شباينهم وتدبيرهم ، وتقويم
أخلاقهم وتنقيفهم ؛ وحذهم بلزوم الطرائق الحميدة ، والمذاهب السديده ؛ التي تليق
بأصولهم الطاهرة ، وفروعهم المثمرة ؛ ومناحتهم الصميمة ، ومناجيبهم الكريمة ؛
وتفقد منشاهم ومرباهم ، وحلطاتهم وقرباهم ؛ فمن تآكرت أعرافه ، وأخلاقه ،

وأنسابه، وآدابه، بالغت في تشبيهه وتعريفه، فإن نَجَعَ ذلك فيه وإلا بسطت يدك إلى تهذيبه، وإصلاحه وتأديبه: لَيْسْتِ قِظَ من منامةٍ غرَّتَه، ويرجع إلى اللائق بشرف ولادته؛ وأنظر فيما أوقف عليهم من الأملاك والمستغلات، والضّياع والإقطاعات، والرُّسوم والصلّات؛ وأنذب لتولّي ذلك من تسكن إلى ثقته وأمانته من الكُتاب؛ وراع سيرته في عمّارته، وطريقته في تثير ماله وزيادته؛ فإن ألفتها كافيًا أمينًا أقررتَه، وإن وجدته عاجزًا خثونا صرفته؛ وأسبدلت به من يُحسِن خَبَرَكَ، ويُطِيب أترك؛ وأجر الأمر في قسمته بين ذكورهم وإناثهم على الرسوم التي يشهد بها ديوانهم؛ وأكتب الرّقاع عنهم إلى الحضرة في اقتضاء رُسومهم، وما يعرض من مهمّات أمورهم، وتنجز كل ما يتعلق بهم وتوبّ عنهم فيه: لتستقيم شُؤونهم بسياستك، وتنظّم أحوالهم بحسّن سيرتك.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاعمل به وأنته إلى متضمّنه، إن شاء الله تعالى:



ومنها — مأورده في رسم تقليد بنقابة العلويين، وهو:

الحمد لله الذي أنجب من أسرار عباده قادة جعلهم لمصالحهم نظاما، وأنخب من أختيار خليقته سادة صيرهم لأموهم قواما؛ وعدق بهم هداية من ضلّ، وتقويم من دلّ؛ وتعليم من جهل، ونذكير من غفل؛ ونصّبهم أعلاما على طرق الرّشاد، وأدلة على سبل السّداد.

يحمده أمير المؤمنين أن آخضه بأثرة الخلافة والإمامه، وميزه بمزية الولاية على الأمة والزعامه؛ وأنهضه بما كلفه من سياسة بريته وتنزيلهم منازلهم من اختصاصه وإيثاره، وإحلالهم في محالهم من استخلاصه وأختياره؛ ويسأله الصلاة على أشرف

الأُمم نَجَارًا وَأَطِيهِم عُنُصْرًا، وَأَعْظَمَهُمْ مَفْخَرًا؛ سِيدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أُخِيهِ
وَأَبْنِ عَمِّهِ، وَبَابِ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ؛ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الرَّاسِخِ فِي نَسَبِهِ،
الْمُدَانِيِّ [لَهُ] فِي حَسَبِهِ؛ سَيْفِهِ الْبَاتِرِ، وَمُعْجِزِهِ الْبَاهِرِ، وَمَكَانِفِهِ الْمُظَاهِرِ؛ وَعَلَىٰ
الْأُمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الْمَهْدِيِّينَ، وَسَلَمِ تَسْلِيمًا .

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا خَصَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ شَرَفِ الْمَنَجِّمِ وَالْمَوْلِدِ، وَكَرَمِ الْمُخْتَدِ؛
وَقَوْلِهِ مِنْ مَنَاصِبِ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَّةِ، وَنَاطِقِهِ مِنْ إِمَامَةِ الْأُمَّةِ - يَرَىٰ أَنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ
الَّتِي يَجِبُ التَّحَدُّثُ بِشُكْرِهَا، وَتَحَقُّقُ الْإِفَاضَةِ فِي نَشْرِهَا، تَوْفِيقَهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ
ذَوِي لُحْمَتِهِ، وَأَوْلَىٰ مُنَاسِبَتِهِ؛ الْمُؤَاشِحِينَ لَهُ فِي أَرْوَمَتِهِ، الْمُعْتَرِينَ إِلَىٰ كَرَمِ وِلَادَتِهِ؛
وَتَوْخِيهِمْ بِمَا يُرْفَلُهُمْ فِي مَلَابِسِ الْجَمَالِ، وَيُوقَلُّهُمْ فِي هَضَبَاتِ الْجَلَالِ؛ وَيُرْتَبُّو
فِي الرُّتَبِ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَهَا [وَيَرَاهَا] أَوْلَىٰ بِمَغَارِسِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، وَمَاسًّا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَدَابِهِمْ؛
وَلِذَلِكَ يَصْرِفُ أَهْتَامَهُ إِلَىٰ مَا يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ شَرَفِ الْأَعْرَاقِ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ؛ وَطَهَارَةِ
الْعُنَاصِرِ وَالْأَوَاصِرِ، وَحِيَازَةِ الْمُنَاقِبِ وَالْمَأَثَرِ .

وَمَا كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جِلَّتِهِمُ الْعُلَمَاءِ، وَطَهَرَتِهِمُ الْأَزْكَيَاءِ؛
وَأَبْرَارِهِمُ الصُّلَحَاءِ، وَخِيَارِهِمُ الْفَضْلَاءِ، الَّذِينَ تَضَارَعَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَأَعْرَاقُهُمْ،
وَتَقَارَعَتْ أَنْسَابُهُمْ وَأَدَابُهُمْ؛ وَتَشَاكَهَتْ مَوَارِدُهُمْ وَمَصَادِرُهُمْ، وَتَشَابَهَتْ أَوْلِيَّتُهُمْ
وَأَوَانِحُهُمْ، وَأَنْفَقَتْ جُيُوبُهُمْ وَدَخَائِلُهُمْ، وَتَوَصَّحَتْ عَنِ الدِّينِ وَالخَيْرِ مَحَالِيَهُمْ .
هَذَا مَعَ مَا يَرَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِيكَ فِي خِدْمَتِهِ، وَإِصَابَةِ مَرَامِيكَ
فِي طَاعَتِهِ؛ وَأَعْتَصَامِكَ بِجَبَلِ مِتَابَعَتِهِ؛ وَنُهُوضِكَ بِحَقُوقِ مَا أَسْبَغَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَتِهِ -
رَأَىٰ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقْضِي لَهُ فِي آرَائِهِ بِحُسْنِ الْأَخْتِيَارِ، وَيُمِدُّهُ بِالْعَوْنِ
وَالتَّيْيِيدِ فِي مَجَارِي الْأَقْدَارِ - أَنْ قَلَّدَكَ النُّقَابَةَ عَلَىٰ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِيِّينَ أَجْمَعِينَ، الْمُقِيمِينَ

بالضرة وسائر أعمال المملكة شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، بثقة بأنك تصدق بحيلته
فيك واعتقاده، وتستدعي بكفاية ما استكفك شكره وإحماده، وتستدبر بالاستقلال
والغناء أخلاف إحصانه وفضله، وتمتري بالأضطلاع بمضالع الأثقال فائض أمانته
وطوله .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين عاملاً بتقوى الله وطاعته، مستشعراً لحيفته
ومراقبته، وأحسِن رعايته من عدق بك رعايته، وسياسة من وكل إليك سياسته .

وأعلم أن أمير المؤمنين قد ميزك على كافة أهل نسبك، وجميع من يؤامجك
في حسبك، وجعلك عليهم رئيساً ولهم سائساً، فأعرف لهم حق القرابة والمشابكة،
وتشاجر الأنساب والمشاركة، فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وعمهم جميعاً بالتوقير والإكرام، والتفقد والإهتمام، واتخذ
شيخهم أبا، وكهلهم أخا، وطفلهم ولداً، وأفرض لهم من الحنان، والإشفاق
والفضل والإحسان، ما تقتضيه الرحم الدائيه، والأواصر المتقاربه، وكُن مع ذلك
متفقدا لأحوالهم، مطالعاً لسيرهم وأفعالهم، فمن ألقيته سالكاً لأقصد الطرائق، متخلقاً
بأجمل الخلائق، حارساً لشرفه، متمسكاً بسلفه، فزده في الأثرة زيادة تُرغب أمثاله
في اقتفاء مذهبه، وتبعته على التأدب بأدبه، ومن وجدته مستحسناً مالا يليق بصريح
عرقه، راجباً ما ليس من طُرقه، فأيقظه بنافع الوعظ، وذكَّره بنافع اللفظ، فإن
أستقام على الطريقة المثلى، ورجع إلى الأجدد والأولى، عرفت ذلك من فعله،
وفرضت له ما تقرضه لصلحاء أهله: فإن الله تعالى قد فتح باب التوبه، ووعد بإقالة
أهل الإنابة، ومن انحرف عن التذكير، وأنصرف عن التبصير، وأصر وتمادى،
وآرتكب ما يُوجب حداً، أمتلت أمر الله تعالى فيه، وأقت الحد عليه، غير مُصغ

إلى شَفَاعِهِ ، ولا مُوجِبَ لِحَقِّ ذَرِيَعِهِ : فإن أمير المؤمنين يَصِلُ من ذَوِي أَنْسَابِهِ ، من وَكَّدَهَا بِأَسْبَابِهِ ؛ وَيَقْطَعُ من أَوْجِبَ الْحَقُّ قَطِيعَتَهُ ، ولا يَرَاعِي رِجْمَهُ وَقَرَابَتَهُ . ووَكَّلَ بِهِم من يَرَوِي إِلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ ، وَيَكْشِفُ لَكَ آثَارَهُمْ : لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بِبَالٍ من مَطَالَعَتِكَ ، وَبِعَيْنٍ من أَهْتَامِكَ وَمِشَارِفَتِكَ ؛ فَيَكْبَحُ ذَلِكَ جَامِعَهُمْ عَنِ الْعِتَارِ وَالسَّقَطِ ، وَيَمْنَعُ طَائِعَهُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَالغَلَطِ . وَتَوَخَّاهُمْ فِي خُطَابِكَ بِالْإِكْرَامِ ، وَمَيَّزَهُمْ عَنِ مَحَاوِرَةِ الْعَوَامِ ؛ وَلا تَقَابِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِيَدَاءٍ وَلا سَبِّ ، وَلا قَدْحٍ فِي أُمِّ وَلا أَبِّ ؛ فَإِنَّهُمْ فِرْعَوْنُ دُوْحَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِزَّتُهُ الَّذِينَ طَهَّرَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْجَاسِ ، وَفَرَضَ قِرَاءَهُمْ عَلَى النَّاسِ . وَوَفَّرَ أَهْتَامَكَ عَلَى صِيَانَةِ النَّسَبِ مِنَ الْوَكْسِ ، وَحِيَاظَتِهِ مِنَ اللَّبْسِ ؛ فَإِنَّهُ نَسَبُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَتَّصِلُ يَوْمَ انْقِطَاعِ الْأَنْسَابِ ، وَسَبَبُهُ الَّذِي يَتَشَجَّرُ يَوْمَ انْفِرَاطِ الْأَسْبَابِ ؛ وَأُنْبِئْتُ أَسْمَاءَ كَافَّةً مِنْ يَعْتَرِي إِلَى هَذَا الْبَيْتِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَسْوَلِهَا : لِتَأْمَنَ مِنْ دَخِيلٍ مُلْصَقٍ يَتَرَقَّرُ عَلَيْهَا ، وَمُخْتَلِقٍ مُلْحَقٍ يَنْضُمُ إِلَيْهَا . وَإِنْ عَرَفَ مَدَّجٌ نَسَبًا لِأَحْجَةِ لَهُ فِيهِ ، وَلا بَيِّنَةَ عِنْدَهُ عَلَيْهِ ؛ فَغَلَّظَ لَهُ الْعِقَابَ ، وَأَشْهَرَهُ شُهْرَةً تَمْجُزُهُ عَنِ مَعَاوِدَةِ الْكُذَّابِ ؛ وَأَحْتَطَّ فِي أَمْرِ الْمَنَاحِكِ وَصُنْهَا عَنِ الْعَوَامِ ، وَوَفَّرَ كِرَائِمَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَنِ مَلَابَسَةِ اللَّثَامِ ؛ وَإِنْ آدَعَى أَحَدٌ مِنَ الرِّعْيَةِ حَقًّا عَلَى شَرِيفٍ فَاحْمِلْهَا عَلَى السُّوِيَّةِ وَعِدْهُ بِإِنْصَافٍ خَصِمِهِ ، وَأَمْتَعَهُ مِنْ ظُلْمِهِ ؛ وَإِنْ ثَبَّتَ أَيْضًا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ حَقُّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَشْرَافِ فَاتْرَعَهُ مِنْهُ [وَوَلَّ] عَلَى (١) مِنْ فِي الْبِلَادِ ، أَهْلَ السَّدَادِ مِنْهُمْ وَالرَّشَادِ ؛ وَمُرْهُمْ بِتَقْوِيلِ مَذْهَبِكَ ، وَتَقَلَّ أَدْبُكَ ؛ وَأَصْرِفْ أَهْتَامَكَ إِلَى حِفْظِ أَوْقَافِهِمْ وَأَمْلَاكِهِمْ وَمَسْتَغْلَلَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ ، وَحُطَّهَا مِنَ الْعَقَاءِ وَالْأَضْحَالِ ؛ وَتَوَفَّرْ عَلَى تَثْمِيرِ أَرْتِفَاعِهَا ، وَتَرْجِيَةِ مَالِهَا ؛

(١) الزيادة ليستقيم الكلام .

وَأَسْتخِدِمُ لَضَبَطِ حَاصِلِهَا ، وَجِهَاتِ مُنْفَقِهَا ، مِنْ تَسْكُنِ إِلَى ثِقَتِهِ ، وَتَثِقِ بِنَهْضَتِهِ ؛
وَوَزْعِ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ أَسْتِغْلَالِهَا بَيْنَهُمْ عَلَى رُتَبِهِمُ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا دِيْوَانُهُمْ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَآتَيْتَهُ إِلَيْهِ مُنْتَهَجًا لِمِثْلِهِ ؛ مَعْتَمِدًا بِدَلِيلِهِ ؛ وَطَالِعَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَلْتَبَسَ عَلَيْكَ وَأَبْهَمَ ، وَأَشْكَلَ وَأَسْتَعْجِمَ : لِيَقْفِكَ عَلَى وَاضِحِ السَّنَنِ ،
وَيُرْشِدَكَ إِلَى أَحْسَنِ السَّنَنِ ؛ وَأَسْتَعِينَ بِاللَّهِ يَهْدِكَ لِمَعُونَتِهِ ، وَأَسْتَمِدُّهُ يُؤَيِّدُكَ بِهَدَايَتِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بز طوائف الرجال .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَدِيعِ تَقْدِيرُهُ ، الْحَكِيمِ تَدْبِيرُهُ ؛ الَّذِي أَتَقَنَّ مَاصِنَعَ وَأَحْكَمَهُ ، وَكَمَّلَ مَا بَدَعَ
وَتَمَّمَهُ ؛ وَأَعْطَى كُلَّ مَصْلُحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ نِظَامًا ، وَكُلَّ مَرَفِقٍ مِنْ مَرَاغِقِ
خَلْقِهِ قِيَامًا ؛ فَلَا يُقَارَبُ فِيهَا خَلْقٌ وَصُورٌ ، وَلَا يُسَاكَلُ فِيهَا قَدْرٌ وَدَرَجَةٌ ؛ وَأَبَّ ثَلَمَ بَرِيَّتِهِ
بِمَنْ أَسْتَخْلَصَهُ مِنْ خَاصَّتِهَا ، لِسِيَاسَةِ عَامَّتِهَا ؛ وَأَتَخَبَّهَ مِنْ أَشْرَافِهَا ، لِتَسْيِدِ أَطْرَافِهَا ؛
وَلِإِقَامَةِ مَنْ سَادَهَا لِإِصْلَاحِ فَاسِدِهَا ، وَتَقْوِيمِ مَا نَدَّهَا ؛ وَتَوْقِيفِهَا عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ ،
وَتَعْرِيفِهَا بِحَاسِنِ الْآدَابِ .

يَجْمَعُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحَلَّهُ فِي الْمُنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ : مِنْ أَصْطِفَائِهِ وَأَسْتِخْلَاصِهِ ، وَالذَّرْوَةِ
السَّنِيَّةِ : مِنْ أَجْتِبَائِهِ وَأَخْتِصَاصِهِ ؛ وَفَوْضَ إِلَيْهِ تَنْزِيلِ الرَّتَبِ وَتَحْوِيلِهَا ، وَإِقْرَارِ
الْمَنَازِلِ وَتَحْوِيلِهَا ؛ وَنَاطِ بِهَ الْبَرَمِ وَالتَّقْضِ ، وَالرَّفْعِ وَالتَّخْفِضِ ؛ وَالرَّيْشِ وَالتَّحْصِ ،
وَالزِّيَادَةِ وَالتَّقْصِ ؛ وَسَوْغَةَ الشُّكْرِ عَلَى مَوَاهِبِهِ السَّابِغِ عِطَافُهَا ، وَالْفَسِيحَةَ أَكْثَافُهَا ،
الْبَعِيدَةَ أَطْرَافُهَا ؛ وَ[يَسْأَلُهُ] أَنْ يَصِلَى عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَمُفِيدِ الْحِكْمَةِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ

الرُّسُل ، وَمَوْصِحَ السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه ، وخليفته على أمته وقومه : على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، ومولى المسلمين ؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهِمَا الطاهرين .

وإنَّ أمير المؤمنين بما فَوَّضَهُ اللهُ تعالى إليه من حِجَايةِ الأَنَامِ ، والمُرَامَاةِ عن دار الإسلام ؛ وَكَفَلَهُ من غَضِّ نواظِرِ أَهْلِ العِنَادِ ، وتَنكِيسِ رُؤُوسِ رُؤَسَاءِ الإلْحَادِ ؛ لا يزال ينظُرُ في مصالح عيِّده ، وتوفِّرُ سياسةَ رجالِ دولته وجنوده ؛ الذين هم حَرْبُ الله الغالبون ، وجنُده المنصورون ؛ ويرُدُّ النظرَ في أمورهم ، والتقدّمَ عليهم ؛ وزَمَّ طوائفهم ، إلى خواصِّ دولته ، وأعيان مملكته ، الذين بالأطرائقهم ، وحَدِّ خلائقهم : من الغِنَاءِ والكِفَايَةِ ، والسَّدَادِ وحُسْنِ السِّيَاسَةِ ؛ وتَقَلُّمِ في الخِدمِ فاستقلُّوا بأعبائها وأثقالها ، ونهضوا بناهضِ أعمالها ؛ ومضتْ عزائمهم في حياطة البيضة ، وأشتدتْ صرائمهم في تحصين الحوزة ، وصدقتْ نياتهم في المُرَامَاةِ عن الله ، والمحاماة عن الدعوة والدَّولة .

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين مُعدًّا لمِهْمَاتِهِ ، معدودًا في أمائل كُفَاتِهِ ؛ مشهورًا بحسن السياسة لما تُورده وتُصدِّره ، معروفاً بفضل السيرة فيما تأتيه وتَدْرُه - رأى أمير المؤمنين - والله يُرشدُه لأَعْوَدِ الآراءِ بالصِلاحِ والإصْلَاحِ ، وأدناها من الخير والنجاح - أن قَلَدَكَ زَمَامَ طائفة الرجال الفلانيين (ويوصفون بما تقتضيه مكاتبتهم من الدولة وحسن سيرهم في الخدمة) إنافةً بقَدْرِكَ ، وإبانةً عن خَطْرِكَ ، وتنويهاً بذُكْرِكَ ، وتفخيمًا لأَمْرِكَ .

وهو يأمرُك بتقوى الله تعالى وطاعته ، وأستشعارِ مراقبته ؛ ورياضةِ خلائقك على محبة العدل ، وإيثارِ الفضل ؛ وأتباعِ اللطْفِ ، وأجتنبِ العسْفِ ؛ وتوخي

الإنصاف، وبَسَطَ الهيبة من غير إجحاف؛ وأن تُحَصَّ هذه الطائفة من النظر في أمورها، وتعهد صغيرها وكبيرها، بما يُسَدِّد أحوالها، ويحقق آمالها؛ وتأخذها بأحسن الآداب اللائقة بأمثالها، وسلوك الطريقة المعهودة من أعيانها وأمانيها؛ وتُسْعِرُها من أمير المؤمنين بما يشرح صدرها في خدمته، ويُقَرِّعِ عنها في طاعته؛ والمسارعة إلى مكافئة أعدائه، والتمييز في نُصرة أوليائه؛ وتُطالِعَ بحال من يستحق الاحترام، ويستوجب إفاضة الإنعام؛ وتكتب الرِّقاع عنها (مستدعيًا للرباطات، في الأَطَاعِ والعاجزين شاملًا في التعويد والتأشير والتلقيب والولايات قاصدًا في ذلك ما يفسِّح آمالها في الآجال، ويوثِّقها بَدْرُورِ الأمثال^(١))؛ فإنهم أمراء الحروب، وكُفَاة الخطوب، الذين يجاهدون عن الحوزة، ويرامون عن الدولة؛ وأفرض لهم من الإكرام، وتأمم الإهتمام؛ ما تقتضيه مكاتبتهم في الدولة، وموضعهم من الخدمة؛ وتكفل أوساطهم بالرعاية، وأصرف إليهم شطرًا موفورًا من العناية؛ وألحق من برز منهم وتقدم، ونهض وخدم، بنظرائه وأمثاله، وساو بينه وبين أشكاله؛ وتعهد أطرافهم بملاحظتك، وتفقدتهم بسياستك؛ وحُدِّمهم بلزوم السير الحميدة، والمذاهب السديده؛ والتوفر على ما يرهف عزائمهم، ويؤيد أيديهم؛ ولا تُفَسِّح لأحد من هذه المذاهب في مخاطبة العوام ولا مشاركة التجار والإحتراف، ووكل بهم من التتبع من يتبلى سيرهم، وينهى إليك أخبارهم؛ فمن علمته قد أجتراً إلى نسخ المذهب، فتناولهُ باليم الأدب؛ وأحضضهم على الإدمان في نقل السلاح، والضرب بالسيف، والمطاعنة بالرمح، والإرغام عن القوس؛ وميز من مهر وأستقل، وقصر بمن صجَّع وأحل؛ فهم كالجوارح التي ينفعها التعليم والإجراء، ويضرها الإهمال والإبقاء؛ وفي صرفك الإهتمام إليهم ما يزيد في رغبة ذى الهمة العلية، ويبعث المعروف

(١) كذا في النسخ ولم نهند الى المراد منها .

في النفس الدنيَّة ؛ وأن تُطالبهم بالاستعداد، وأرتباط الخيول الجياد؛ والاستكثار من السلاح الشاك والجنن . وليكن ما تُطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على حسب الفروض من العطاء، ولا تُرخص لأحد في الاقتناع بما لا يليق بمنزله ، والرضا بما يقع دون ما يعتده أمائل طبقة . ومن مات من هذه الطائفة وخلف ولدا يتيمًا فضمه إلى أمثاله ، وأنظر في حاله ؛ ووكل به من يفقهه في دينه ، ويعلمه ما لا غنى به عن تعليمه من كتاب الله وسنته ، ومن يهذبه في الخدمة ويعلمه العمل بالآتها، والتنقل في حالاتها؛ ويطلق له من إناعام أمير المؤمنين ما يقوم بكففتها ولوازمها، وخذ كل من تقدمهم بخدمةها والجري على عاداتها في النهوض بما يستحسن به ، ولا يفسح لها في التناقل عنه ؛ وسو بينهم في الاستخدام ؛ ولا تُخص قوماً دون قوم بالترفيه والإجماع؛ فإن في ذلك إرهافاً لعزائمهم ، وتقويةً لمنهم ، وإفاضة العدل عليهم .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، قد وكد به الحجة عليك؛ فتأمله ناظراً، وراجعه متدبراً؛ وأنته إلى مصايرِه ومراشدِه ، وأعمل على رؤسومه وحدوده ، يوفق الله مقاصدك، ويُسعد مصالحك ويتولأك، إن شاء الله تعالى .

ورسوم هذه العهود يتفاضل الخطابُ فيها بحسب تفاضل الطوائف ومن يوثق عليها . وهذا الأئمة متوسطٌ تمكن الزيادةُ عليه والنقص منه .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بإمارة الحج، وهذه نسخته :

الحمد لله الذي طهر بيته من الأرجاس، وجعله مثابةً للناس؛ وآمن من حله ونزله، وأوجب أجر من هاجر إليه ووصله .

يحمده أمير المؤمنين أن خصه بجزية البيت الأعظم، والحجر المكرم، والحطيم
 وزمزم، وأفضى إليه ميراث النبوة والإمامه، وثرث الخليفة والزعامه، وجعله
 لقرضه موفياً، ولحقوقه مؤدياً، ولحدوده حافظاً، ولشرائعه ملاحظاً، ويسأله أن يصلّي
 على من أمره بالتأذين في الناس بالحج إلى بيته الحرام لشهادة منافعهم، وتأدية
 مناسكهم، وقضاء نفثهم، ووفاء نذرهم، وذكر خالفهم، والطواف بحرمه، والشكر
 على نعمه : سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى وصيه وخليفته، وباب مدينة
 علمه وحكمته : علي بن أبي طالب سيد الوصيين، وعلى الأئمة من ذريتهما
 الطاهرين .

وإن أولى ما صرف أمير المؤمنين إليه همته، ووفر عليه رعايته، مثابراً عليه،
 وناهضاً لحق الله تعالى فيه، النظر في أمر رفق الحجيج الشاحصة إلى بيت الله الحرام،
 وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وردّه إلى من حلّ محلّك من الدين،
 وتميز بما تميز به صلحاء المسلمين : من العلم، ورجاحة الحلم، ونفاذ البصيره، وحسن
 السريره، وعدل السيره، ولذلك رأى أمير المؤمنين أن قلّدك أمر رفق الحجيج
 المتوجهة من موضع كذا إلى الحرمين المحروسين، وولّاك الحرب والأحداث بها :
 واثقاً باستقلالك وغنائك، وسدادك وإصابة آرائك، فتقلّد ماقلّدك أمير المؤمنين
 بعزم ناقب، ورأي صائب، وهمّة ماضيه، ونفس ساميه، وشمر فيه تسميراً يعرب
 عن محلّك من الإضطلاع، ويدلّ على استقلالك بحق الإضطناع، وحُصّ الحجاج
 بأتمّ الأحظ، وكُن من أمرهم على تيقظ، وأعتمد ترقبهم في المسير، وسو
 في رعايتهم بين الصغير والكبير، فإنهم جميعاً إلى الله متوجهون، وإلى بيته الحرام
 قاصدون، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وافدون، قد استقربوا بعيد الشقه،

وَأَسْتَدْمَثُوا خَشِنَ الْمَشَقَّةِ ، رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ ، وَالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ وَسَطْوِهِ ؛ وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِارْتِسَامِ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَإِيجَابًا لِلحَرْمَةِ بِالْحُلُولِ فِي عِرَاصِ بَيْتِهِ وَأَفْنِيَّتِهِ ؛ فَمُرَافَدَتْهُمْ وَاجِبُهُ ، وَمَسَاعَدَتُهُمْ لِزَيْبِهِ ؛ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى بُغْيَتِهِمْ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ السَّلَامَةُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالْأَمْنَةُ فِي الْحَيْلِ وَالرِّجَالِ : مُتَوَجِّهِينَ وَقَارِّينَ وَقَافِلِينَ ، بَعْدَ أَنْ يَشْهَدُوا مِنْهَا فَعَمَّهُمْ ، وَيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَعْمَلُوا بِمَا حُدَّ لَهُمْ . وَرُدَّ لَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ عَنِ الْإِزْدِحَامِ ، وَرَتَّبَهُمْ عَلَى الْإِنْتِظَامِ ؛ وَرَاعَاهُمْ فِي وُرُودِ الْمَنَاهِلِ ، وَأَمْنَعَهُمْ مِنَ التَّحَادُثِ عَلَيْهَا وَالتَّكَاثُرِ فِيهَا ؛ حَتَّى لَا يَنْفَصِلُوا مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْإِرْتَوَاءِ ، وَوُقُوعِ التَّسَاوِيِ وَالْإِكْتِفَاءِ ؛ وَقَدَّمَ أَمَامَهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّسْرُعِ ، وَأَخَّرَ وَرَاءَهُمْ مَنْ يَحْفَظُهُمْ مِنَ التَّقَطُّعِ ؛ وَرَتَّبَ سَاقَتَهُمْ ، وَلَا تُحَلُّ بِحَفْظِهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ؛ وَطَالَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ تَنْزِيلُهُ وَمَحَلِّ تَحُلُّهُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِكَ لِقَيْفِ عَلَيْهَا ، وَيُمَدِّكَ بِمَا يُنْهَضُكَ فِيهَا .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فتدبره عاملاً عليه ؛ متبصراً بما فيه ، عاملاً بما يحسن موقعه لك ، ويزيدك من رضا الله وثوابه ، إن شاء الله تعالى .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد الإمارة على الجهاد ، وهذه نسخته :

الحمد لله الصادق وعده ، الغالب جُنْدُهُ ؛ ناصر الحق ومُدَيْلِهِ ، وخَازِلُ الْبَاطِلِ ومُدَيْلِهِ ؛ مُحِلُّ التَّنَكُّبِ بِنِ أَنْصَرَفَ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَمُنْزِلُ الْعِقَابِ بِنِ تَحَرَّفَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ الَّذِي آخَرَدِينِ الْإِسْلَامِ فَأَعْلَى مَنَارِهِ ، وَوَسَّحَ أَنْوَارَهُ ؛ وَأَسْتَخْلَصَ لَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَعْضَادًا لَا تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَلَا يُغْمِضُونَ عَنِ الْمَكَالِفَةِ دُونَهُ جَفَنَ حَالِمٌ ؛

وجزاهم على سعيهم في نصرته جزاءً فيه يتنافس المتنافسون ، وإلى غايته يرتقى بالهمم المحذون ؛ قصداً من الله تعالى في إعزاز دينه ، وإنجاز ما وعد به خلفاءه من إظهاره وتمكينه ؛ وقطاً لشوكة أهل العناد ، وتعفية لآثار ذوى الفساد ؛ وتوفيراً لأحاطى من بدل الاجتهاد ، من سعداء عباده في الجهاد .

يحمده أمير المؤمنين أن اختصه بلطيف الصنع فيما استرعاه ، ووقفه للعمل بما يرضيه فيما ولّاه ؛ وأعانه على المرامة عن دار المسلمين ، والمحاماة عن ذمار الدين ؛ ومجاهدة [من] ندعنهما صادفاً ، ونكّب عن سبيلهما منصرفاً ؛ وإبادة من عند عن طاعته واتخذ معه إلهاً آخر لإله إلا هو سبحانه وتعالى عما يقول المشركون علواً كبيراً ؛ وأستترأهم من صياصيهم فهراً وأقتساراً ، وإخراجهم عن بيوتهم عزراً وأقديراً ؛ وإذا قتهم وبأل أمرهم [و] عاقبة كفرهم ، أتباعا لقول الله تعالى إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ويسأله أن يصلى على أشهر الخلق نورا وفضلا ، وأظهر البرية فرعاً وأصلاً ؛ وأرشد الأنبياء دليلاً ، وأقصد الرسل سبيلاً : مجد رسوله الذى آتبعته وقد توعر طريق الحق عافياً ، وتغور نور الهدى خافياً ؛ والناس يتسكعون فى حنادس الغمرات ، ويتوزطون فى مهاوى الهلكات ؛ لا يعرفون أنهم ضلال فيستهدون ، ولا عظمى فيستبصرون ؛ فأيدّه وعضده ، ووقفه وسدده ؛ ونصره وأظهره ، وأعانه وأزره ؛ وأنتخب له من صفوة خلقه ، أولياء كاتفوه على ظهور حقه ، سمحوا بالأنفس العزیزه ، والأموال الحریزة ؛ وجاهدوا معه بأيدٍ باسطةٍ ماضیه ، وعزائمٍ متكافیه متوافیه ؛ وقلوبٍ على الكفار قسيّة قاسیه ؛ وعلى المؤمنين رءوفة حانية . فلما صدقوا ما عهدوا الله عليه ، وأرتموا أمره وأتتهوا إليه ، شركهم معه فى الوصف والثناء ،

وأضافهم إليه في المدح والإطراء؛ فقال جل قائلًا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ . صلى الله عليه وعلى أخيه وآبن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سيف الله الفاصل، وسنانه العامل؛ ومُعْجَزُ رَسُولِهِ الباهر، ووزيره المظاهر؛ مُيَسَّدُ الشُّجْعَانِ، ومُيَسِّرُ الْأَقْرَانِ؛ ومُقَطَّرُ الْفُرْسَانِ، ومُكَسَّرُ الصَّلْبَانِ؛ ومنكس الأوثان، ومُعِزُّ الْإِيمَانِ، الذي سبق الناس إلى الإسلام، وتقدّمهم في الصلوة والصيام؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الميامين، البررة الطاهرين، وسلم تسليما .

وإن أمير المؤمنين بما كلفه الله تعالى من [أمر] دينه، ووعده من إظهاره وتمكينه؛ يرى أن أفضل مارنا إليه ببصر بصيرته، ورمى نحوه بطاميح همته، ما شملت الدين والدنيا بركته، وعمت الإسلام والمسلمين عائدته؛ وحل محل الغيث إذا تدفق وهمع، والنهار إذا تالت ولمع. ولا شيء أعود على الأمة، وأدعى إلى سبوغ النعمة، من علو كلمتهم، وأرتفاع رأيهم؛ وتحصين حوزتهم، وإيمان منصتهم؛ وتأدية الفريضة في مجاهدة أعدائهم، وصرفهم عن غلوائهم؛ وأقتيادهم بالإذلال والصغار، وكبحهم بسكائم الإهوان والأقتسار؛ ومواصلتهم بغزو الديار، وتعفية الآثار؛ وإيداع الرعب في صدورهم، وتكذيب أمانى غرورهم؛ ووعظهم بالسنة القواضب، ومكاتبتهم على أيدي الكئاب: لما في ذلك من ذل الشرك وثبوره، وعز التوحيد وظهوره؛ ووضوح حجة أولياء الله تعالى على أعدائه بما يزيله عليهم من نصره ومعونته، ويؤيدهم به من تأييده وعنايته؛ لاجرم أن أمير المؤمنين مصروف العزيمة، موقوف الهمة، على تنفيذ البعث والسرايا، والمواصلة بالجيوش والعرايا؛ وتجهيز المرتقة من أولياء الدولة، وحض المطوعة من أهل الملل، على ما أمر الله تعالى به من غزو المشركين، وجهاد الملحدين؛ نافذاً في ذلك بنفسه، وبأذلا فيه

عزيرَ مُهَجَّتِه ، عند تسهل السبل إلى البعثة ، ووجود الفسحة ؛ ومعولا فيه عند التعذر على أهل الشجاعة والرّاحة من أعيان أهل الإسلام الذين أيقنت ضمايرهم ، وخلصت بصائرهم ؛ ورغبوا في عاجل الذكر الجميل ، وأجل الأجر الجزيل ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى أن يُجْرِيه فيما يُصْدِر ويورد ، على أفضل مالم يزل يُولى ويعود : من التوفيق في رأيه وعزمه ، والتسديد في تديره وحزمه ؛ ويؤتية من ذلك أفضل ما آتاه وليا أستخلفه ، وأميناً كفله عباده وكلفه ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين ممن يُعده لجلال مهّماته ، ويعده من أعيان كفّاته ؛ وراه سدادا للخلل ، وعمادا في الحادث الخلل ؛ وسهما في كتابته صائبا ، وشهابا في سماء دولته ناقبا ؛ وسيفا بيد الدين قاطعا ، ومجنا عن الحوزة دافعا - رأى - وبالله التوفيق - أن يُقدّمك على جيوش المساميين ، وبُعوثهم الشاخصة إلى جهاد المشركين ؛ فقلّدك الحرب والأحداث بها ، وعقد لك لواء بيده يُلوى إليك الأعناق ، وينكس لك رؤوس أهل الشقاق ؛ وشرّفك بفاخر ملبسه وحملانه ، وضاعف لديك مواد إحسانه ؛ وحبّاك بطوق من التبر ، مرصع بفاخر الدر ؛ عادقا هذه الخدمة منك بالنصيح المأمون ، والنجيج الميمون ؛ الذي تتوصّح فيه أنوار اللبابة ، وتلوح عليه آثار النجابة ؛ واثقا بما تتطوى عليه من الإخلاص والولاية ، وتحتل به من الغناء والكفّاية ؛ وتفترضه من الاستمرار على سنن الطاعة ، والاستقامة على ستمّ الأتقياد والتبّاع ؛ وتوجبّه من مناقحة المساميين ، والتشمير في نصرة الدين .

فقلّد ماقلّدك أمير المؤمنين مستشعرا تقوى الله وطاعته في الإسرار والإعلان ، معتقدا خيفته ومراقبته في الإظهار والإبطان ؛ مخليص القلب ، رابط اللب ؛ واثقا

بنصر الله الذي يُسبِغُه على حُلصائه ، ويُفْرِغُه على أوليائه ؛ آخذًا بوثائق الحزم ، متمسكا بعلائق العزم ؛ ناظرًا من وراء العواقب ، متفرسًا في وجوه التجارب ؛ مقلصًا سُجُوف الآراء بإضفاء غيَار التدبير ، مُمرًا مرائر التقرير ؛ مُوغلًا في المخاتل والمكائد ، حارسًا للطالع والمراصد ؛ يَقْظَانِ النفس والناظر ، متحرزًا في موقف الوانى والمخاطر . وأن تتوجه على بركة الله وعونه وحسن توفيقه ، ويمن تأييده ؛ بعد أن تتسلم من الجيوش المنصورة جرائدَ بَعْدَةِ رجال أمير المؤمنين السائرين تحت رايتك ، المنوطين بسياستك ؛ وتعرضهم عليها ، فتخبر من شهرت بسألته وكفاحه ، وعتق جواده وكل سلاحه ؛ وعرف بصدق الغزيمة في مقارعة الأعداء ، وحسن الطوية في الإخلاص والولاء ؛ وتستبدل بالورع الجبان ، والرديد الضعيف الجبان ؛ الناقص العدة ، المقصر النجده ، المدخول النيه ، ^(١) الثغل الطويه ؛ فإذا كتبت العدة من أهل الجلد والشهامه ، وأولى الحماسة والصرامه ؛ أستدعيت من بيت المال ما ينفق فيهم من مستحق أطاعهم ، ومعونة طريقهم ؛ وأجريت النفقة فيهم على أيدي عارضيهم وكتابهم ؛ فإذا أزحت عنهم فاستصحب من العدد والسلاح والحيم والأزواد والأموال ما يرهب الأعداء ، وينهض الأولياء ؛ وأذن في مطوعة المسلمين ، بجهاد المشركين ؛ في [كل] بلدة تنزلها ، ومحلة تحلها ؛ وأبدل لهم الظهر والميرة والمعونة بالسلاح وما يستدعونه ؛ وأرهف عزائمهم في غزو الكفار ، وإجلالهم عن الأوطان والديار ؛ وأسلك الطريق القاصد ، ولا تفارق أهل المناهل والموارد ؛ ولا تغد السير إغداذا تقطع له الرجال وتتأخر به الأزواد ، ولا تتلوم في المنازل تلوما تتصرم فيه الآماد ؛ ويوجد المشركين مهلة للاحتيال والاستعداد ؛ وراع جيشك عند الحل والترحال ، ولا تباعد بين مضاربيهم إذا نزلوا ، ولا تمكنهم

(١) في الأصول المهورق الطوية ولم نجد هذه المادة .

من التفرد إذا ارتحلوا ؛ وخُذهم بالاجتماع والالتئام ، والتألف والانتظام ؛ ولاسيما إذا حصلوا في أرض العدو فإنهم ربما أهتبلوا^(١) الفرصة في المسير المتسرع ، والمديت المتفرد ، ونالوا منه ما توسم به الهزيمة على أهل الإسلام ، والعياذ بالله .

وإذا دانيت القوم فأعط الحزامة حقها ، مستعملا تارة للدهاء والحداع ، وأخرى للقاء والقراع ؛ فربما أغنت ألسانه ، عن المكاشره ؛ ونابت مخايل التلطف ، عن مداخل التعسف ؛ وكفت غوائل الخادعه ، عن مواقف المماصعه ؛ وقد قال إمام الحرب ؛ وزعيم الطعن والضرب : ” الحرب خدعة ” .

وإذا عزمت على المصاع والمناخه ، والإيقاع والمكالفه ، فبت من سرعان الفرسان الذين لا تسك في محض نصحهم ، ولا ترتاب بصدق نيأتهم ، طلائع تطلعك على الأخبار ، وعيونا تكشف لك حقائق الآثار ، وتغض الطرف عن مجاورى الديار ؛ وممن تقدمه عليهم بأن لا يقتحم خطرا ، ولا يركب غررا ؛ وليكن من تنفذه في ذلك [من] أهل الخبرة بالطرق والساحات ، والدخلات والأودية والفجوات ؛ حتى لا يتم للعدو فيهم حيله ، ولا ينالهم منه غيله ؛ فإذا أتوك بالخبر اليقين ، وأقبسوك قبس النور المبين ؛ بدأت الحرب مستخيرا لله تعالى ، مقدما أمامك الاستنجاح به ؛ وأستزال النصر من عنده ، مرتبا للكائب ، معيبا للصفوف والمقائب ؛ زاحفا بالراجل محصنا بالفارس والرامي مجتئا بالنارس ؛ وأشحن القلب والجناحين بالشجعان المستبقيين ، والأبطال الحلاسين ؛ وأنزل إلى رضى الحرب من خف ركابه من الأنجاد الراغبين في علو الصيت والذكر ، الطالبين الفوز بالثواب والأجر ؛ وأجعل وراءهم رداء ، وأعد لهم مددا يوازونهم إن يحتمهم ما لا يطيقونه ويحين^(٢) ، ويطايرونهم على

(١) أى أغتبنوا الفرصة الخ .

ما خُصَّ إليهم وادعين؛ وقِف من التأخير والإقدام، والنَّفوذ والإجماع، موقفاً تُعطي الحزامة فيه حظها، والروية قسطها؛ مصمماً ما كان التصميم أدنى لآتهماز الفرصه، وأهتبال الغرّه؛ متلوّماً ما كان التلوّم أحمداً للعاقبة، وأسلم للغبّة .

وأعلم أنّ ريح النصر قد تهبُّ للكافرين على المساميين، فلا يَكُن ذلك قادحاً منك في الدين . فإن الله تعالى يستدرج بسنة الباطل لابنة الإظفار، ويريهم الإقدار في تخاليل الأقدار؛ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أوردتهم كواذب أمانيتهم موارد الهلكة، وأخذوا بغتة، ودالت دولة الحق لأوليائها مرفوعة الأعلام، أخذت بنواصي العداة والأقدام؛ وتحقق أنّ الأمور بخواتيمها؛ والأعمال بتمامها؛ وأنه وليّ [المؤمنين] .

ما جمع موقف ففتى شكّ ويقين، وكفر ودين؛ إلا كان الفلج والنصر لأهل التقى والدين، والخسارة والبوار على الشاكين الكافرين، تصديقاً لوعده تعالى إذ يقول :

﴿لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ .

وتحفظ بنفسك ولا تلقها في المهالك متهوراً، ولا ترم بها في المتالف مخاطراً؛ ولا تُساعد على مطاوعة الحمية والنخوة، وتحز قبل السقطة والهفوة؛ فإنك - وإن كنت واحداً من الجيش - أوحدهم الذين يتبادرون إليه، ويعتمدون في السياسة عليه؛ وما دمت محفوظاً ملحوظاً فلهيبة عاليه، والعين ساميه؛ وإن ألم بك - والله يعصمك - خطب، أو نالك - والله يكفيك - ريب، توجه الخلل، وأرهف حدّ الوهن والشلل . وإن دعيت نفسك إلى الجهاد، وحملك تصرفك على الكفاح والجلاد؛ فليكن ذلك عند الإجماع، وتزلزل الأقدام؛ فإن ذلك يشهد عزائم المسلمين، ويقوى شكائم المتأخرين؛ ذير مضيع للحدّر، في الورد والصدّر؛ وكذلك فاحرس أمائل القواد، ووجوه الأجناد، الذين تُسفى صدور الكفار بمصارغهم،

وَتُنْفَعُ غُلَّتِهِمْ بِمَضَائِمِهِمْ ؛ وَحَامٍ عَنْهُمْ حِمَايَةَ الْجُفُونِ عَنِ الْمُقَلِّ ، وَصُنْمِهِمْ صِيَانَةَ الصَّوَارِمِ
 مِنَ الْخَلَلِ ؛ وَدَافِعٌ عَنِ كَافَةِ [جند] الْمُسْلِمِينَ الْمُرْتَرِقِينَ وَالْمُنْتَطَوِّعِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
 كَفَى بَيْنَ دِمَائِهِمْ ، وَسَوَى بَيْنَ ضَعْفَائِهِمْ وَأَقْوِيَاءِهِمْ ؛ عَلَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَدْ وَعَدَّهُمْ عَنِ
 بَذْلِ الْأَنْفُسِ فِي مَجَاهِدَةِ الْمُؤَلِّحِينَ ، وَإِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ ، الْجِزَاءَ الْجَسِيمِ ، وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمِ ؛
 وَالْبَقَاءَ الَّذِي لَا يَبْتَوَرُهُ فَنَاءً ، وَالْجَدَلَ الَّذِي لَا يَبْتَرُضُهُ أَنْقِضَاءً .

وَقَدَّمَ عَلَى الْأَسَاطِيلِ وَالْمَرَائِبِ الْحَرْبِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا وَرِجَالَ الْبَحْرِ مِنْ تَخْتَارِهِ لِنَدَاكَ
 مِنْ أَمَاثِلِ الْأَمْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجْدَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْبَصَارَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْحِبْرَةَ بِشَقَّةِ
 الْبَحْرِ وَالْقِتَالِ فِيهِ ؛ وَمُرَّهُ بِالتَّسْحِيلِ وَمِلَازِمَةِ السِّيفِ وَالْإِرْسَاءِ مِنَ الشُّطُوطِ بِحَيْثُ
 يَتَأَمَّلُ مَضَارِبَكَ ، لِيَكُونَ مَأْجِلٌ عَلَيْهَا مِنْ مِيرَةٍ وَعُدَّةٍ قَرِيبًا مِنْكَ ؛ فَإِنَّ نَازِلَتَ نَعْرَا
 مِنْ نَعُورِ السَّاحِلِ فَامْلَأْهُ بِالْحِلِيلِ مِنْ بَرِّهِ ، وَبِالسَّفَائِنِ مِنْ بَحْرِهِ ؛ وَأَسْتَحْدِمُ لِحْفِظِ مَا فِيهَا
 مِنَ الْأَزْوَادِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْعُدَدِ وَالتَّنْفِطِ وَدُهْنِ الْبَلَّسَانِ وَالْحِلْبَالِ وَالْعَرَّادَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ
 الْأَلَاتِ مَنْ تَتَّقِي بِأَمَانَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ . وَتَقَدِّمُ إِلَيْهِمْ بِالْحَوَاطِةِ عَلَى مَا يَنْخَرِجُونَهُ مِنَ الْعَوَارِي
 وَأَسْتَرْجَاعِهِ بَعْدَ الْغِنَى عَنْهُ ؛ وَأَسْتَضْهِرُ بِذَلِكَ أَسْتَظْهَارًا يُجْمَدُ مَوْقِعُهُ لَكَ ، وَيَعْرِفُ بِهِ
 رَصِينُ رَأْيِكَ ؛ وَسَدِيدُ مَذْهَبِكَ . وَأَسْتَخْلِصُ لِمَجَالِسَتِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَصَالَةِ وَالْحَزْمِ ،
 وَالرَّجَاحَةِ وَالْفَهْمِ ، وَالذَّرَايَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالتَّجَارِبِ فِي مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَمَلَابِسَةِ
 الْخُطُوبِ ، مَنْ تَرْجِعُ إِلَى رَأْيِهِ فِيمَا أَشْكَلُ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى تَجْرِبَتِهِ فِيمَا أَعْضَلُ ؛
 وَلَا تَسْتَبِدُّ بِرَأْيِكَ فَإِنَّ الْأَسْتِبْدَادَ يَعْمَى الْمَرَّاشِدُ ، وَيُبْهِمُ الْمَقَاصِدُ .

وَلَمَّا كَانَتِ الشُّورَى لِقَاحِ الْأَفْهَامِ ، وَالكَاشِفَةَ لِعَوَاشِي الْإِبْهَامِ ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
 بِهَا نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

ولا تُساورُ جَبَانًا ولا مَبْطِطًا عن آتِهَازِ الفِرْصَةِ الممكِنَةِ، ولا متهوِّرًا يحمِلُكَ على الغِرَّةِ المَهْلِكَةِ ؛ وتأن في الآراءِ فَإِنَّ التَّائِيَّ يُجِئُ الألبابَ ، ويجلُّ وجهَ الصوابِ ، ويقلِّصُ سُجُوفَ الأرتيابِ ؛ وأضربُ بعضَ الآراءِ ببعضِ وسجِّها ، وأجلُ فِكْرِكَ فيها وتأمَّلها ؛ فإذا صرَّحتَ عن زُبْدِتها ، وأنشقتَ أحكامها عن ثمرتها ، فأمضِ صحیحها ، وأعتَمِدْ نَیجِها ؛ وإذا استوى بك وبالعدوِّ مرَّحَى الحَرْبِ خرقهم بنارِ الطَّعْنِ ، وأذقهم وبال أمرهم ، وعاقبة كُفْرهم ؛ ولا ترقِّ لهم ؛ وأتبع ما أمر الله تعالى به في العِلْطَةِ عليهم ، فإنه يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . فَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ والمُؤَادَعَةِ مَصانِعِينَ ، فقابل بالقبول ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وَأَبْدَلِ الأمانَ لمن طلبه ، وأعرضه على من لم يطلبه ، وفِ لمن تُعَاهِدُه بعَهْدِه ، وأثبت لمن تُعَاهِدُه على عَقْدِه ؛ ولا تجعل ما تُفْرِطُه من ذلك دَرِيعَةً ، إلى الخديعة ، ولا وسيلة ، إلى الغيلة ؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : " النَّاسُ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ " وإذا أعانك الله على افتتاحِ معقلٍ من معاقِلِ المشركين ، وأستضافته إلى ما بأيدي المسلمين ، فأرْفِعِ السيفَ عن قاطِئِه ، وأعتَمِدِ اللُّطْفَ بالمقيمين فيه ؛ وأدعهم إلى الإسلام ، وأتلِّ عليهم ما وعد الله به أهله من كريمِ المقام ؛ فنَّ أجابك إلى آستِشارِ ظَلَّةٍ ، والإعتصامِ بحبله ؛ فافرض له ما تُفْرِضُه لإخوانك في الدين ، وأصمِّمُ إليهم من علماء المسلمين من يُبصِّرهم ويُرشدهم ، ويُثَقِّفهم ويسدِّدهم ؛ وخيرٌ من أثرِ المقام على دينه بين تأديَةِ الجزية ، والإستعبادِ والمملَكة ؛ فإن أدوا الجزية فاجرهم مجرى أهل الذمَّة

(١) أى المكان الذى تدور عليه رحى الحرب .

المعاهدين، وخصهم من الرعاية بما أمر به في الدين؛ وإن أبوا ذلك فإن الله تعالى قد أباح دماء رجالهم، وأستعباد ذراريهم ونسائهم؛ وآبتن بالمعقل مسجداً جامعاً يجمع فيه بالمسلمين، ويخطب على منبره لأمر المؤمنين؛ وأرفع منارته حتى تعلو على كائس المشركين؛ وأنصب فيه إماماً يؤدي الصلاة في أوقاتها، وخطيباً مصقفاً يخطب الناس ويعظهم، ومكبرين يدعون إلى الصلوات، ويهتفون على حقائق الأوقات؛ وقواماً وحُدّاماً يتولون توير مصابيحهم، وتعهد تنظيفه وفرشه؛ وأطلق لهم من الأرزاق والجرایات ما يبعثهم على ملازمته ويعينهم على خدمته؛ وأحتط على من يحصل في يدك من أسرى المشركين، لتفدي بهم من في قبضتهم من أسراء المسلمين؛ وإذا عرضوا عليك الفداء فاحذر من خديعة تتم فيه، أو حيلة تتوجه في أفتكك معروف منهم بجهول من أهل الإسلام؛ وإن كان الله تعالى قد فضل أذنياء المسلمين على عطاء الملحدین، ولم يسو بينهم في دنيا ولا آخرة ولا دين؛ إلا أن هذا مما يوجب الحزم الحوطة فيه. وإن ظفرت بنسيب لطاغيهم المتملك عليهم أو خصيص به فاحمله إلى حضرة أمير المؤمنين، ليقرّبها رهينة على من قبلهم من المأسورين، وسبيلاً إلى أنتزاع ما يبدّلونه في فدايته من المعادل والحصون. وقد أمضى لك أمير المؤمنين أن تعقد الهدنة معهم إذا رغبوا فيها على الشرائط التي تعود بعلو كلمة الله، وتجمع الخواطر والأستظهار للدولة؛ فعاقدهم محتاطاً، وأشترط عليهم مشطاً؛ وتجرز في العقد مما يوجب تأولاً، ويدخل وهناً، ويطرّق وهياً. وتحفظ بجوالى المعاهدين والأموال المقبوضة في إيداء الغلات والغنائم وسبي المشركين حتى يُجمل ذلك إلى بيت مال المسلمين؛ فينظر أمير المؤمنين في تفريقه على مستحقه، وإيصاله

(١) اشتهر هذا البناء على الألسنة وفي رسائل الأفاضل ولكن لم نجد في كتب اللغة وإنما الذي فيها

هذا المعنى «فلان محص بفلان أى خاص به وله به خصية» فنامل .

إلى مستوجبهِ، وأخَصَّ عن أحوال المستأمنين إليك تفحصاً يكشف ضمائرهم،
ويبلو سرايرهم؛ وتحترزُ منهم تحرُّزاً يؤمِّنك مكايدهم وحيلهم، وخذائِعهم وغيلهم؛
وإذا نازلت حصناً من حصون الكفار، فكن على يقظة من مخاتِلهم في الليل
والنهار؛ وانصب الحرس والأرصاد، وأحذر الغترة ولا تهمل الاعتداد: لتعرف
أعداء الله أن طرفك ساهد، وجنانك راصد؛ وتفقد أمر الجيش وأزح علة من
ترقبه في الأطماع والمواكدات، ومطوَّعته في المعاون والحرايات؛ ولا تغفل عنهم
غفلة تضرَّطهم إلى الانفلال، وتدعوهم إلى الانفصال؛ وأحسن إلى من حسن
في الكفاح أثره، وطاب في الإبلاء خبره؛ وعده عن أمير المؤمنين بالحياء الجزيل،
والعطاء والتبويل؛ فإن ذلك قادح لعزائم الأولياء، باعث لهم على التصميم في اللقاء؛
فإذا أنت - بمشيئة الله - شفيت الصدور، وأحتذت المأمور، وأعززت الدين،
وذلكت الملحدين؛ ودوخت البلاد، ونكست رؤوس أهل العناد، فأقلب بعساكر
أمير المؤمنين، ومطوَّعة المسلمين، إلى حضرته وانقأ بجيَل جزائه، وجليل حباهه؛
وطالع في موردك ومصدرك، بما يجده الله لك ويفتحه على يدك؛ وأذكرك
ما أشكل عليك ليُمدك أمير المؤمنين بالتبصير والتوقيف، والتعليم والتعريف؛
وأستعين بالله فهو خير معين، وتوكل على الله فإنه نعم الوكيل .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، فأعمل به وأنته إليه يسدّد الله مساعيك، ويصوب
مراميك؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وأورد في خلال ذلك من تقاليد أرباب السيوف جملة أسقط من
صدرها التحميدات .

ماأوردته في رسم تقليد الإمارة على قتال أهل البغي أن يُقال بعد التحميد مأمثاله :

وإنَّ اللهَ تعالى أوجبَ طاعةَ أولى الأمرِ على كافَّةِ المؤمنين ، وأكَّدَ فرضَها على جميعِ المسلمين ، فقال جل قائلًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . علمًا منه تعالى بأنَّ الطاعةَ مِلاكَ الأمرِ ونِظامه ، ومِساكَ الجُمهورِ وقِوامه ، وأنه لاتبَّعَ سياسةً مع الشَّقاقِ والإنحِرافِ . وأمرَ سبحانَه باستِتابَةِ من ألقى العِصمةَ من يَدِه ، ونبذَ الطاعةَ وراءَ ظَهْرِه ؛ بشافي المِواعِظِ والتبصيرِ ، ونافعِ التنبِيهِ والتذكيرِ ؛ فإنَّ ألقَعَ وتاب ، ورجَعَ وأتاب ؛ وإلا جُوهِدَ وقُوتل ، وقُويل بالردِّعِ حتَّى يُقبِلَ ويعتصمَ بالطاعةِ ، وينتظِمَ في سِلكِ الجماعَةِ ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتِلُوا فَاصْطَلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ . وقال : ﴿ فَقَاتِلُوا آلِي بَنِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ . وإنَّ الغلاةَ فارقُوا آجتِماعَ المسلمين ، وأنسلخُوا من طاعةِ أميرِ المؤمنين ؛ نايدين لبيعتِه ، شائين بطلَ دعوته ؛ وشقُّوا عصا الإسلامِ ، وأستحقُّوا محملَ الحرامِ ، وأسوطَّشُوا مرَّكبَ السيئاتِ والآثامِ ؛ وعرَّجوا عن قِويمِ السَّنَنِ ، وسَمَّوا بأراذلِ البدعِ أفاضلَ السَّنَنِ ؛ وسعوا في الأرضِ بالفَسادِ ، وجاهروا بالعِصيانِ والعِنادِ ؛ وكاتبهم أميرُ المؤمنين مبصِّرا ، ومُعذِّرا مُنذِرا ونحوًا محمِّدًا ؛ ودعاهم إلى التي هي أصلحُ في الأولى والأخرى ، وأرجحُ في البدءِ والعقبى ؛ وأعلمهم أنَّ اللهَ تعالى لا يقبلُ صلاتهم ولا صيامهم ، ولا حجَّهم ولا زكاتهم ، ولا يُمضى قضاياهم ولا حُكوماتهم ، ولا عقودهم ومناكاتهم ، ماداموا على معصيةِ إمامهم ، ومفارقةِ ولىِّ أمرهم ؛ الذى أوجبَ عليهم طاعته ، وفرضَ في أعناقهم تِباعته ؛ وتابعَ في ذلك مواصلا ، ووالاه مَكاتبًا ومُراسِلا ، فأصروا على العقوقِ ، واستمرَّوا على أطراحِ الحُقوقِ ؛ ودعوا إلى الأسوأِ لها من إقدامِ الجُوشِ عليهم ، ونقلِ العساكرِ إليهم ؛ ومقابلتِهِم بما يقومُ أودهم ، ويصلحُ فاسدهم ، ويزعُ جاهلهم ، ويوقظُ غافلهم .

(١) في الأصل الغلاب وليس بواضح المعنى والمراد البغاة .

وإنَّ أمير المؤمنين تخيَّرَكَ للتقدّم على الجيش الهاتِفِ نحوهم : لما يعلمه من شهامتِكَ ، وصَرَامتِكَ ، وسَدَادِكَ وسياسَتِكَ ، وإخلاصِكَ ووفائِكَ ، وكِفايَتِكَ وغَنائِكَ ، (ويوصف بما تقتضيه منزلته ، والأمر الذي هو أهل له) .

وهو يأمُرُكَ أن تقدم النفوذ إليهم ، مستنَجِحاً دعاءَ أمير المؤمنين ، مستنزِلاً لُصُوفِ الغالبين ، مستشعِراً لبأسِ التقوى ، في الإعلان والتَّجْوِي ، فإذا نازلتهم في عُقْرِ دارهم ، فأذِقْهم بالمصايقة وبالِ أمرِهِمْ ؛ وأسَلِّكْ بهم سبيلَ أمير المؤمنين وأفتَحْهم بالإرشاد ، وحُضِّمْهم على ما يقضى بصلاحِ الدنيا والمَعَاد ؛ فإن استقاموا وتنصَّلُوا وراجعُوا ورجعُوا فأعطيهم الأمان ، وأفِضْ عليهم ظِلَّ الإحسان ؛ وإن أصرُّوا وتمردُّوا ، وجاهدُوا واعتدوا ، فشمِّرْ لمنازلتهم ، وصمِّمْ في مقاتلتهم ؛ وانقأ بأن الله تعالى قد قضى بالنصر لأولياء أمير المؤمنين وأهل طاعته ، وإخِذْ لئان أعدائه وأهل معصيته ؛ إبانتهً بذلك عن تأييده لمن اعتصم بحبله ، ودفعه لمن أنسلخ من ظلِّه ؛ ومُحِجَةً بالغِةً لمن تمسك بطاعته ، وموعظةً شافيةً لمن استخفَّ بحمل معصيته ؛ فإن ملكك الله تعالى البلاد ، وطهرها من أهل الفساد ؛ وشرَّد عنها الدُّعَار والأشْرار ، إلى أفاضِ الديار ؛ فأجْبِبْ نواعِقَ الفتنَةِ والضَّلالة ، وعَفِّ آثارَ ذَوِي النِّجَى والجَهالة ؛ وأسبِغِ الأمانَ على أهل السَّلامه ، وأفرِغِ العدلَ على مَنْ سلك سبيلَ الاستقامه ؛ وأجرِ الأَمْرَ في الخُطْبَةِ لأمير المؤمنين على الرِّسْمِ المحدود ، والمنهَجِ المعهود ؛ وطالعُه بما آتته إليه ، ليكاتِبَكَ بما تعتمدُ عليه .

ويضمَّن هذا العهد ما يقع فيه من شروط العهد المتقدِّم ، ويؤمَّر أن لا يستصحب من الجُنْد إلا من يثق بإخلاصه وصفائه ، ويسكن إلى أمانته ووفائته ؛ وأن يرفض المدخول النَّبي ، النَّغْل الطويِّه ، فإنه لاشيءَ أضرُّ على المحاربة من لقاء عدوِّ بجيش

مُخَاهِرِينَ، وَجندٌ مُمَاكِرِينَ ؛ وقد يكون في العساكر من يُدَاهِن وَيُظْهِر الخِدْمَةَ وهو في مثل العَدُوِّ : إِمَالَتٌ بَيْنَهُمَا سَالِفٌ وَوَلَايَةٌ قَدْ تَأَصَّلَتْ بِإِطَاعٍ وَإِفْسَادٍ ، أَوْ يَكُونُ لِسُلْطَانِهِ قَلِيلَ الإِحْمَادِ . وهذا الذي أوردناه ليس بمثال جامع وإنما هو الذي يُمَيِّزُ بِهِ هَذَا الْعَهْدُ عَمَّا تَقَدَّمَه ، وَالكَاتِبُ إِذَا أَحْتَجَّ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ رَتَّبَهُ وَقَدَّمَ مَا يَجِبُ تَقْدِيمَهُ ، وَأَخَّرَ مَا يَجِبُ تَأْخِيرَهُ [أضف إليه ماتجب] إضافته ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سجل بولاية مصر، وهي :

الحمد لله، الموفق إلى دواعي رضاه، المحسن العون على ما أوجب المزيد من إفضاله وأقتضاه ؛ المشيب على ما هدئ إليه من طاعته ، القابل عمل من استنفد في الشكر أقصى طاقته ؛ المتكفل بمصالح عبادِهِ، المولى من مواهبه ما تعجز الخواطر والألسنة عن تعدادهِ ؛ وصلى الله على جدنا محمد الذي جعل أتباعه سبيلاً إلى سكن جنات الخلود ، وآلت بهداه نار الكفر إلى الهمود والخمود ؛ وأنقذ من مهاوى الضلال ، ووسم من حادّه وحادّ عن سبيله بالصغار والإذلال ؛ وخلف في أمته الثقلين كتاب الله وعترته ، وأبقى بهما فيهم آيته وهدايته ؛ وعلى أخيه وأبن عمّه أبينا أمير المؤمنين على بن أبي طالب مبرم أسباب الشريعة ومُحْكِمَهَا ، ومُطَلِّقَ سِيوفِهِ فِي نُفُوسِ أَعْدَاءِ الْمِلَّةِ وَمُحْكِمَهَا ؛ وَبَابِ مَدِينَةِ عِلْمِ النَّبُوءَةِ الَّتِي لَا يُدْخَلُ إِلَيْهَا إِلَّا مِنْهُ ، وَسَيِّدِ مَنْ عَنَاهُمْ اللهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ وعلى أئمة الهداة قوام الإسلام ، وساسة الأنام ؛ وخلفاء الله في أرضه ، والموفين بعهدِهِ وَالْأَمْرِينَ بِأَدَاءِ سُنَّتِهِ وَفَرْضِهِ ؛ وَرُكْنِ الْعَصْمَةِ الَّتِي مَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا نَجَّى ، وَالْحِصْنِ الَّتِي مَنْ مَخَّابَ مِنْ أُمَّهِ فَرَجًا مِنْهُ فَرَجًا ؛ وَسَلَّمٍ وَعَظْمٍ ، وَوَالِيٍّ وَكَرَّمٍ .

وإن أمير المؤمنين لما أودعه الله إياه من أسرار الحكمه، وأجابه له من إمامه الأئمه، وأختاره له من كلاءة الخليفة وإيالتها، وحفظ حوزتها من المخاوف ورعايتها؛ وما خصه به من بنوة النبوة والرسالة، وأفرد به رأيه من الجزالة والأصالة؛ وأكتف به أنحاه من التوفيق الذي لا يصدف عن غرض الإصابة ولا يجيد، وعصده به من التأييد القاضى لغزائه ببلوغ الغرض فى نصره التوحيد؛ وأستودعه إياه من الإقبال الذى يجعل المستحيل لمواده إمكانا، والتأييد الذى أوضح به لإمامته برهاناً، وتوحدته به من العظمة التى تُصيب بها مرآميه مواقع الرشاد، وتضمن الخيرة لما يعانیه من الأمور مما سدّ ساد - يُعمل خواطره فىما يكفل للنفوس برضاها، ويُجزل للدين والدنيا به حظاًها، وتتظاهر به ضروب الصلاح على الأئمه، وتحمي به سنن الخيرات وتتم النعمه؛ وينظر لمن أستودعه الله إياهم من بريته نظر المؤدى الأمانة إلى مؤتمنه، المستودع فىما يتقرب به إليه من البر شكر سوابغ منائح ومنته؛ ويُقرب على الأمة منال الخير بأصطفائه من يكون لأفاضل الشيم مستكلاً، وإلى ما أزلفه إلى الله سبحانه من طاعة أمير المؤمنين متوصلاً، ولشواذّ الثناء بفاضل سيرته متحلياً، وللتسّمح فى قوانين السياسة مجتنباً؛ ولما علم [رغبة] الرعية فيه منتصباً، وفىما بلغهم أقصى الآمال منسباً؛ وبمراقبة الله فىما يأتى ويذر متديناً، وبجسُن الجزاء على العمل بمرضاته متيقناً: ليكون أمير المؤمنين قد قضى [ما أوجبه عليه] مستخلفه بأجتابه وأصطفائه، وأستحمد إليه بإسناد جلائل الخدم إليه وأستكفائه؛ وأتى ما تكون السلامة مضمونة فى مباديه وعواقبه، وأحظى بنيل المراد فى جميع جهاته وجوانبه؛ مستديماً نعم الله التى أسداها إليه وأولاها، مواصلاً حمده على منته التى ظاهرها عليه وآلاها؛ ويستعينه على لوازِم عوارِفِه التى من أجلها خطراً، وأحمدها فى البرية أترا، وأجمعها لمنافع الخاص والعام، وأعودها بحماية حوزة الإسلام؛ وأشهدّها

ببراهين الأئمة ، وأدلتها على عناية الله بهذه الأمة ، مأمّنه أمير المؤمنين من موازنة
 فناه ووزيره ، ومعينه على المصالح وظهيره ؛ السيد الأجل العادل أمير الجيوش
 أبي الحسن عليّ الظافريّ ، - والدعاء - الذي أظهر الله به لأمر المؤمنين آيات
 حقوقه ، وأستأصل بياسه شأفة من تتابع في مروقه وبالغ في عقوقه ؛ وكسا الدهر
 بلبائته ملابس الجمال ، وفسّح بفاضل سيرته مجال الآمال ؛ وبذل من الجهاد غاية
 الاجتهاد ، ووالى من عمارة البلاد ما أنطق بحمده الجماد ؛ وأستخلص نخائل الصدور
 بلطف سياسته ووسّع عدله ، ورغبت غرائب الآمال في الإيواء إلى سابغ فضله ؛
 وتبارت الليالى والأيام في خدمة أغراضه في أعاديه ، وأسترقّ قلوب الأولياء بما يؤالیه
 من بيض أياديه ؛ ووضع الأشياء في مواضعها غير محاب ولا مرخص ، ولم يحظ
 بأيامه النيرة غير الطائع المخلص ؛ ولم يتفق للباطل سوق ، وأنت سيرته بما يرضى
 الخالق والمخلوق ؛ فالله تعالى يجعل مدته غير متناهية إلى مدى ، والنصر والتوفيق
 لآرائه مددا ؛ ويخلّد أبدا سعده ، ويخجز لأمر المؤمنين على يده وعده .

ولما كانت منزلته عند أمير المؤمنين المنزلة التي نتظامن دونها المنازل والرّتب ،
 وجلّت أن ينالها أحد ممن بعد أو قرب ؛ وأفعاله قُدوة يهتدى بأفعالها في الشكوك ،
 وسيرته قد عظمت عن أن تتعاطى مماثلتها همّ الملوك ؛ ومحله عنده من الكمال بحيث
 تستحکم الثقة بأختياره ، ويرجع في عقد الأمور وحلّها إلى أتباع آثاره ومواقفة
 إيثاره ؛ وكانت مراتب الأولياء عند أمير المؤمنين بحسب مراتبهم من قرّبه ،
 وموضعهم من رضاه مضاهياً لموضعهم من قلبه ؛ ومكانهم من الخطوة لديه مناسبا
 لمكانهم من الرّقة عنده ، وأحفظهم بسناء الرّتب من أقبسه زنده وكساه مجده ؛ ولا سيما
 من لم يخرج منه عن حكم الولد ، وحلّ منه محلّ القلب من الكيد ؛ ونسأ في دوحته
 غصنا نصيرا ، وطلع في سماء جلاله قمر منيرا ؛ وأعتلى بجده ، وقطع بجده ، وتظاهرت

شواهد سَعْدِهِ فِي مَهْدِهِ ؛ وَكُنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْحَاوِي لِهَذَا الْفَضْلِ الْمَبِينِ ، الْمَعْتَلِقَ مِنْ وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ ، الَّذِي نَشَأَ مَتَوَقِّلاً فِي دَرَجِ الْمَعَالَى ، وَغَدَا مَتَقِيلاً فِي ظِلَالِ الصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي ؛ وَأَخَذْتَ بِمِرْآشِدِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْعَادِلِ فَرِدْتَ عَنِ الظُّنُونِ وَأَوْفَيْتَ ، وَوَعَدْتَ عَنْكَ فَصَدَّقْتَ صَمَاتَهَا وَوَقَّيْتَ ؛ وَمَا زِلْتَ بَعِينَ الْإِجْلَالِ وَالْتِعْظِيمِ مَمْهُوحًا ، وَبِأَفْضَلِ خِلَالِ الرُّؤَسَاءِ مُنْوَحًا ؛ وَجَلَّأْتَ الْمَرَاتِبَ مُؤَهَّلًا ، وَبِلِسَانِ الْإِجْمَاعِ مَفْضَلًا ؛ وَلِمَا أَعْيَا مِنْ أَدْوَاءِ النَّفَاقِ حَاسِمًا ، وَفِي مَوَاقِفِ الْخَوَافِ رَابِطَ الْجَاشِ حَازِمًا ؛ وَلِمَا يُعَدُّ الْأُمَاجِدُ لَهُ مَذْخُورَ الْمَضَاءِ ، وَفِيَا تُعَانِيهِ وَتَلَايَسُهُ مُوَفِّقَ الْآرَاءِ ؛ وَقَدْ أَكْتَفَيْتَ مِنْ أَتْبَاعِكَ هَدَى السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْعَادِلِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ وَوِلَايَةَ - نَاصِرِ الدِّينِ ، الْأَجَلِّ الْمَطْفَرِّ الْمَقْدَمِ الْأَمِينِ ؛ سَيْفِ الْإِمَامِ ، رَكْنِ الْإِسْلَامِ ، شَرِيفِ الْأَنْبَاءِ ؛ نَجْرِ الْمُلُوكِ ، مَقْدَمِ الْجِيُوشِ ، ذِي الْفَضَائِلِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَبِي الْفَضَائِلِ عَبَّاسِ الظَّافِرِيِّ الْعَادِلِيِّ ، أَدَامَ اللَّهُ بِهِ الْإِمْتَاعَ ، وَعَضَّدَهُ وَأَحْسَنَ عَنْهُ الدَّفَاعَ ، الَّذِي هُوَ نَجْرُ الْمُلُوكِ وَنَجْلُهُمْ ، وَأَثْرَاهُمْ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَأَجْلُهُمْ ؛ وَأَقْدَمُهُمْ فِي الرِّيَاسَةِ قَدَمًا وَأَعْرَفُهُمْ ، وَأَطْيَبُهُمْ أَرْجَ نِشَاءٍ وَأَعْبَقُهُمْ - مَا جَعَلَكَ أَعْلَى الْأَعْيَانِ مَفْخَرًا ، وَأَكْرَمَ الْجَوَاهِرِ عُنْصُرًا ؛ وَأَوْلَاهُمْ بِالْأَلَاءِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَطَايَهُ ، وَأَسْبَقَهُمْ فِي مِضْمَارِ اخْتِيَارِهِ وَأَجْتَبَاهُ ؛ وَأَثْبَتَهُمْ عِنْدَهُ مَكَانَهُ ، وَأَحْرَاهُمْ فِي خِدْمِهِ بِتَأْدِيَةِ الْأَمَانَةِ ؛ وَقَدْ عَرَفَ مِنْ مَوَاقِفِكَ الْمَشْهُودَةَ ، وَمَقَامَاتِكَ الْمَحْمُودَةَ ؛ مَا كَانَ مِنْكَ فِي نَوْبَةِ ابْنِ مَصَّالٍ وَجُمُوعِ ضَمَالِهِ ، وَمَا اسْتَفَاضَ مِنْ كَوْنِكَ سَبَبَ أَنْهَزَامِهِ وَأَنْفِلَالِهِ ؛ وَأَنْتَقَلَبَ تَدْيِيرُهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَكَاسَهُ ، وَالتَّفْرِيقَ بَيْنَ جَسَدِهِ وَرَأْسِهِ ؛ وَحَصَلَ لَكَ بِذَلِكَ مِنْ إِحْسَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ مَدَاهُ ، إِذْ كَانَ قَدْ جَرَّدَ سَيْفَ نَصْرِ وَالدِّكِّ الْأَجَلِّ الْمَطْفَرِّ وَأَنْتَ حَدَاهُ - رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُهُ - أَنْ لَا يُضَيِّعَ مَا فِيكَ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ ، وَلَا يَرْجِعَ فِي أَمْرِ نَبَاهَتِكَ إِلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ السُّنُونُ ؛ إِذْ كُنْتَ لِلْكَجَالِ مَعَ فِتَاءِ السَّنِّ

حائرا ، وبزِيَّةِ أصطناع أمير المؤمنين وأختياره إياك فائزا ، وفاوض السيد الأجل العادل - أدام الله قدرته - في تشريفك بولاية يكشف بها شُفُوفَ جوهرك ، ويوضح لكافة البرية بمباشرتك إياها ما استقرت عنده من جميل مُحْتَبَرِكْ ؛ ووقع التعيين على تقليدك ولاية مصر وما مع ذلك من الصناعتين وغيرهما من حقوقهما . فأمضى أمير المؤمنين ذلك لما لهذه الولاية من الحظوة بالقرب والدُّتْوُ ، وليوقر على الإيثار على أن يبلغ نظرك إلى غايات العلو والسمو ؛ وخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الخدمة المذكورة : علما بانتظام شئونها بإيالتك ، وحياطة حوزتها بسطاك ومهاتيك ؛ وتحققا أن بسياستك تعمها المصالح ، وتظاهرها عليها الميامن والمناسج ؛ وتظهر لها الحجمة في الأفتخار ، على سائر الأمصار ، وتستأنف بمقارنتك من الميزة ما لم تحظ به فيما سلف من الأعصار ؛ ويتضح بك البرهان لمن بالغ في تفضيلها ، وتآل من فائض العدل بسيرتك ما تكاد تغنى به عن نيلها .

فقلد ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك : معتمدا على تقوى الله الذى إليه تصير الأمور ، ويعلم خائنة الآعين وما تخفى الصدور ؛ قال الله تعالى في محكم كتابه المبين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ . وأجعل من تحويه هذه المدينة بالعدل مشمولين ، وعلى أجمل السيرة والرسوم محمولين ؛ وساو في الحكم بين الشريف والدنى ، وآس في المقدار بين الملى والدنى ؛ وأقم الحدود على من تجب عليه بمقتضى الكتاب وصحيح الآثار ، ولا تتعداها بإقلال ولا إكثار . وفي هذه المدينة من ذوى الأنساب ، وأعيان الأجناد ومتميزى الكُتَّاب ؛ وأماثل الشهود : فأعتمد تمييزهم والاحتفاء بهم ، ومعونتهم على مطالبهم ومحابهم ؛ وكذلك من تضمنت هذه الولاية من التجار والرعية . وتوخرهم بما يسكن جاشهم ، ويزيل آسديحاشهم ؛ ويفسح لهم في الرجاء والأمل ، ويعينهم على صالح العمل . وتقدم بحفظ الجامع العتيق وصورته

وتوفيره ، على ما يليق به وتوقيره ؛ وأمتع من آتذاله في غير ما جعل له ، ونصب له ، من الإعلان بذكره فيه وأهله ؛ ووفر تام العناية ، وشامل الرعاية ؛ على من به من الفقهاء والعلماء ، والمتصدرين والقراء ؛ وحضهم بالترجمة على المبالغة في طلب العلوم ، والترقد من صالح الأعمال ليوم الوقت المعلوم ؛ وخذ جميع المستخدمين معك بلزوم الطرائق الحميدة ، والمقاصد المستوفقة السديده ؛ فن استمر على ماترضاه من آجهاده ، وتستوفقه من صواب أعماده ، أجهته على رسمه في الرعاية ، وتوحيته بالصون والحماية ؛ ومن كان بالخدم محلاً ، وسلوكه عما يلزمه ضالاً مضلاً ؛ فأوعز بتأديبه ، وما يقضى بتقويمه وتهذيبه ؛ والثقة بوفور حظك من الصواب ، وإجرائك على ما يئاط بك على الاستنباب ، أغنى عن الإطالة لك في الوصايا والإسهاب ؛ والله تعالى يقرب الخير بما تنظر فيه ، ويجعل التوفيق مضموناً فيما تدره وتأتيه ؛ ويؤيدك من رب السعادة ما أنت له أهل ، ويتم نعمته عليك كما أمها على أوبك من قبل ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن السجلات بالوظائف الدينية على هذه الطريقة ما كتب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية بعض القضاة ، وهو :

الحمد لله الواسعة عطاياه ، الوازعة قضاياه ؛ المشتملة على أقسام الخلق قسمه ، المبرور في سؤالهم يوم فصل القضاء قسمه ؛ المسطور في كتابه الذي ما قرط فيه من شيء محلل الشرع ومحرمه ؛ المتمثل فيه لمن مثله مطاع الأمر ومسلمه ؛ الكريم الذي لا يضيع ثواب العاملين ، ولا يقطع أسباب الآملين ، ولا يمنع طلاب السائلين ؛ العدل الذي قامت حجته على الناكبين والعاذلين ، والحق الذي يقضى بالحق وهو خير

الفاصلين؛ مُصنّفٍ مَشَارِعِ الشريعةِ من أعراض الكَدَرِ ، وحامِي مَعَاقِلِ المِلَّةِ من آنتقاض المَدَرِ؛ ومُتَزِّهٍ أوليائه من مَحَاسِنِهَا في رِيَاضِ الفِكْرِ، ومَعْرِفِهِم بِمَا عَرَضَ عَلَيْهِم من إِنَاقَتِهَا لِأَرْتِيَاضِ النَظَرِ، وَأَرْتِكََاضِ الفِطَنِ وَالْفِطْرِ؛ جَاعِلِ الحُكْمِ سُلْطَانَهُ الَّذِي يَأْوِي اللّهِيفَ إِلَى ظِلِّهِ ، وَحَمَاهُ الَّذِي يَلْجَأُ الضَّعِيفَ إِلَى عَدْلِهِ ؛ وَمَفْرَعِ الرَّايِعِ الَّذِي يَقِفُ المَشْرُوفُ وَالشَّرِيفُ عِنْدَ فَضْلِهِ ، وَشَفَاءِ العِلَلِ الَّذِي يَذْهَبُ بِكُلِّ [مَافِي] صَدْرٍ مِنْ عِلَّةٍ ؛ وَمَشْرَعِ الإِنصَافِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الظَّمَا فَيُضِ سَجَلَهُ ، وَمَوْعِدِ الخَلَائِقِ يَوْمَ تُطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِّ سَجَلِهِ ، وَمُظْهِرِ لَيَظْهَرُ بِهِ هَذَا الدِّينُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ؛ وَالْأَمْرِ فِيمَا أَشْكَلَ مِنْهُ بِالتَّعْرِيجِ إِلَى مُسْتَنْبِطِهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجَاعِلِ الأُمَّةِ الْهَادِينَ المُجْجَعِ عَلَى مَنْ رَجَعَ إِلَى قِيَاسِ عَقْلِهِ أَوْ تَقْلِيدِ جَهْلِهِ ؛ وَأَحَدِ الثَّقَلَيْنِ الَّذِي يَخْفَفُ عَنِ كُلِّ غَارِبٍ كُلِّ ثِقَلِهِ ، وَأَخُوهُ الكِتَابُ فَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا الحَوْضَ يَوْمَ نَهَلِهِ وَعَلَّهِ ؛ وَصِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ الَّذِي مِنْ أَتَى اليَوْمَ فِيهَا بَرَّةً رَأَىهُ أَتَى عِدَا بَرَّةً فِعْلُهُ ، وَمَنَارِ الأَنْوَارِ المَضْرُوبِ عَلَى طُرُقِ السَّارَى فِي لَيْلِ الضَّلَالِ وَسُوبِهِ ، وَسَبَبِ العِصْمَةِ الَّتِي أَشَارَ فِيهَا إِلَى الأَعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى جَدِّنا مُحَمَّدِ الَّذِي عَظُمَ بِهِ جَدُّنا ، وَأَعْتَلَقَ بِسَبَبِهِ مُحَمَّدُنا ؛ وَوَجَبَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ وَادَّ اللهُ وَرَسُولَهُ وَوَدَّنا ، وَأُورِثْنَا مِنْ عِلْمِهِ مَا حَازَلْنَا شَرَفِي الدِّينِ وَالدُّنَا ؛ وَحَلَمَ بِهِ نَجِيرٍ مِنْ ضَاقَتْ بِهِ المَذَاهِبُ فَرَجًا فَرَجًا ، وَحَكَمَهُ المَشْرُكُونَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ بِمَا قَضَى حَرَجًا ؛ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ ، القَائِمِ مَقَامَهُ بِفَضْلِ حِكْمِهِ وَفَضْلِ عِلْمِهِ ؛ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبِ الَّذِي حُرِّزَ لَهُ مِنَ المَكْرَمَاتِ أُلْبَابُهَا ، وَطَابَتْ بَغَارِ حِلْمِهِ إِقَامَةُ الأُلْبَابِ وَإِلْبَابُهَا ؛ وَمِيزَهُ عَلَى الكَافَّةِ بِقَوْلِهِ : ” أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بِأُهَا ” وَشَهِدَ طَوْرًا بِأَنَّهُ

أفتاهم ، فَعَلِمَ أَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ بِهِ شَبَهَا فِي مَدَى الْفَضْلِ أَقْصَاهُمْ ؛ وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنْ ذَرِيَّتَيْهِمَا الَّذِينَ أَنْعَمُوا فَأَجْرَلُوا ، وَحَكَمُوا فَعَدَلُوا ؛ وَحَمَلُوا نَقْلَ الْأَمَانَةِ فَحَمَلُوا ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَعَلُوا بِمَا فَعَلُوا ؛ وَاسْتَوْجَبُوا الْحَمْدَ بِمَا أَوْلَوْا وَالْأَجْرَ بِمَا وُلُّوا ؛ صَلَاةٌ مَأْمُونَةٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، مَتَوَصِّحَةٌ الشَّيَاطِينِ .

ولما كان حُكْمُ الصَّوَابِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يُجْتَارَ مَنْ بَانَ صَوَابُهُ وَأَتَّضَحَ ، وَبَانَ عَنْهُ حُكْمُ الْهَوَى الَّذِي فَضَّحَ ؛ وَأَصْغَى ضَمِيرَهُ إِلَى لِسَانِ الْحَقِّ الَّذِي فَضَّحَ ، وَعَرَضَ جَوْهَرَهُ عَلَى حَمَكِ النَّقْدِ فَضَّحَ ؛ وَمَيَّزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّجَالِ فَتَقَلَّ وَزَنَا وَرَجَحَ ، وَأَحْتَجَّ بِهِ الْإِسْلَامُ عَلَى مَنْ نَوَى مُنَاوَأَتَهُ فَتَجَحَّ ؛ وَوَلَّى الْأَحْكَامَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأُصْلِحَ وَصَلَحَ ، وَتَسَمَّحَ إِذَا كَانَ الْحَقُّ لَهُ وَإِذَا مَا كَانَ فِيهِ فَمَا أَسْمَحَ وَلَا تَسَمَّحَ ؛ وَجَدَّدَ جِدَّهُ مِنْ مَعَالِمِ الْعُلُومِ مَا صَحَّ رَسْمُهُ وَأُحْمَ ، وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى خَفَايَا الْمَشْكَلاتِ بِدِيهَةِ فِكْرِهِ لَمَّا لَمَحَ ؛ وَمَلَكَ عِنَانَ هَوَاهُ رَأْيَهُ بَخْنَجَ إِلَى هَوَاهُ وَمَا جَمَحَ ، وَشَرَحَ صَدْرَ الْأَخْتِيَارِ بِمَا مَلَأَ الْأَخْيَارَ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَشَرَحَ ، وَتَعَالَى الْأَفْتِرَاحَ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ فَكَانَ وَفَقَى مَا أَرَادَ وَفَوْقَ مَا اقْتَرَحَ ؛ وَتَشَبَّثَ بِعَيْنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتَسَمَّكَ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ دَاءِ يَلَازِمِهَا وَأَعْرَاضِ تَشْبِيهِهَا وَتَسَمَّكَ ؛ وَكَثُرَ الْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ فِيمَا صَدَعَ بِالْحَقِّ وَإِمَامًا أَمْسَكَ ، وَأَعْدَى فَضْلَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى مَنْ شَكَا أَوْشَكَ ؛ وَغَضَّ عَيْنَيْهِ عَمَّا أُعْطِيَ سِوَاهُ وَمَتَّعَ بِهِ ، وَأَشْتَرَى طُولَ رَاحَتِهِ بِنَصْبِيهِ الْآنَ مِنْ نَصْبِيهِ ، وَحَسَرَهُ (؟) النِّعْمَةَ مِنْ تَعْبِيهِ ؛ وَأَيْسَ الظَّالِمِ مِنْ مُمَالَاتِهِ وَمُبَالَاتِهِ ، وَطَمِعَ الْمَظْلُومُ بِقُرْبِ إِعَانَاتِهِ وَبَعْدَ إِعْنَاتِهِ ؛ وَمَرَّ مَرُّ الدَّهْرِ وَحَلَا حُلُوهُ فَلَمْ يَشْهَدْ بِاسْتِمَالَاتِهِ عَنْ حَالَاتِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَحَدُهُ حُكْمَ صَرَفِ دَهْرِ يَجْرِي بِأَذَاتِهِ ؛ وَلَا كَشَفَتْ مِنْهُ التَّجَارِبُ إِلَّا عَنِ الْبَصَائِرِ الَّتِي تَرُوقُ السَّمَاعَ

(١) أى فإقتاد ولان ولا سمح أى جاد وسخا .

(٢) أى درس وعفا . انظر اللسان .

وَالنُّظَّارَ، وَالْحَسَنَاتِ الَّتِي قَضَتْ بَصَائِرَهَا بِقَضَاءِ مَنَاظِرَةِ الْأَنْظَارِ؛ وَالدِّيَانَةَ الَّتِي عَمَّرَتْ
الْمَحَارِيبَ فِي اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَالْأَمَانَةَ الَّتِي آسَمْتَسَكَ عَقْدُهَا فَمَا خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ
يَتَدَاعَى وَلَا أَنْ يَنَارَ، وَالصِّيَانَةَ الَّتِي آسَتَوَى فَوْقَ مَرْكَبِهَا فَحَلَّتْ بِجَنَاتِ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْقَاضِي مُلْتَمِعًا هَذِهِ الْأَوْصَافَ وَطَبِعَهَا، وَمَشْرِقَ نَجْرَهَا وَمَطْلَعَهَا،
وَمُلْتَمِعًا عَصَا آرْتِيَادِهَا وَمَنْجَمَهَا ، وَمَوْرِدَ فَرْطِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَمَشْرَعَهَا، وَمُرَادَ هَذِهِ
السَّمَاتِ الَّتِي تَقَعُ مِنْكَ مَوْقِعَهَا، وَتَأَلَّفَ عِنْدَكَ مَوْضِعَهَا، وَأَصَلَ هَذِهِ الْمَحَامِدِ الَّتِي إِنْ
أَسْتَعَلَقْتَ بِسِوَاهِ فَهِنَّ فَرَعَهَا، وَقَارَعَ صَفَاةَ هَذِهِ الذَّرْوَةِ الَّتِي مَا كَانَ لغيره أَنْ يَقْرَعَها،
وَمَنْ تَعَدَّه الْخِنَاصِرُ اتَّقَى كُفَاةَ الرِّيبِ وَأَوْرَعَهَا، وَأَبْلَجَ أُبَاةَ الرِّيبِ وَأَرْدَعَهَا، وَأَشَدَّهَا
قِيَامًا وَمَقَامًا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَطْوَعَهَا؛ وَأَمْضَاهَا حَدًّا إِذَا كَفَّ الْبَاطِلَ
الْغُرُوبَ ، وَأَشْرَقَهَا شَمْسًا لِاتْتَوَارَى بِجِجَابِ الْغُرُوبِ؛ وَأَقْوَاهَا سَلَّةً فِي تَنْفِيذِ حَكِيمِ
حَقِّ إِذَا ضَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ، وَأَنْقَاهَا صَحِيفَةً بِمَا أَوَدَّعَهَا مِنْ نُورِ الْعَمَلِ
الْمَكْتُوبِ، وَأَبْدَاهَا زُهْدًا فِي دُنْيَاهُ إِذَا أُنْمَوًا بوعدها الْكَاذِبِ أَمَلِ إِيْتَائِهَا الْمَكْذُوبَ ،
وَأَدْوَمَهَا مِصْحَابَةً لِشُكْرِ لَا يَسْتَقِيلُ بِهِ رَفِيقُهَا الْمِصْحُوبُ، وَأَقْوَمَهَا طَرِيقَةً فِي الْحَسَنَاتِ
فَمَا طَرِيقُهُ إِلَى الْحُوبِ بِمَلْحُوبٍ، وَأَقْوَاهَا طُمَأْنِينَةً قَلْبٍ إِلَى ذِكْرِ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ
الْقُلُوبُ؛ وَأَنْهَضَهَا عَزْمًا بِمَا أَعْيَا الْهِمَمَ مِنْ تَكَالِيفِ الطَّاعَةِ وَأَدَّ بَسْمَعٍ وَبَصَرٍ وَفَوَادٍ،
وَأَقْدَرَهَا عَلَى مَجَاهِدَةِ الشُّهَوَاتِ أَشَدَّ الْجِهَادِ؛ وَأَنْظَرَهَا لِنَفْسِهِ فِي تَحْصِيلِ عَمَلٍ يَشْهَدُ
لَهُ يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَأَمَهَّدَهَا لِحَبْنِهِ وَذَخَائِرِ التَّقْوَى نِعَمَ الْمِهَادِ .

(١)
وإلى اليقين الذي ظهرت شواهدُه، والعمل الذي جُمِعَتْ إليك شوارِدُه؛
والدين الذي صَفَتْ إليك موارِدُه، والعلم الذي هَبَّتْ بِمَذَاكَرَتِكَ رِوَاكِدُه، والقَهْمُ

الذي تظاهرت بمناظرتك مرأشده؛ والنظر الذي ألقى فُرسانَ الحدال بالحدالة،
والأثر الذي يقضى به عليك بالعدالة؛ والمحاماة عن الحق بما يقضى لمخالفه بالإذالة
ولؤافه بالإدالة، والإرشاد الذي ما بدا لفهم الشاك إلا بداهة؛ والفتيا التي ضربت
نبيج الباطل بسيوفها، وحلت مسامع المستفيدين بسُنوفها؛ والجلالة التي لا يميل
مسموع أوصافها، والعدالة التي لا يميل (؟) مشروع إنصافها؛ وكم ليلة أعمدت ظلامها
في نور التهجّد والناس هجود، وسكنت جفون مناقها بيقظات السجود، وأنشأت
الخشية غمامها فاطفات بماء الدمع النار ذات الوقود؛ وبلغت رياضة الجوارح
التي تريد ورياض القلب التي تزود؛ فأسفر الصبح منك عن سار واقف، وأستسر
لك القبول عن أنس خائف؛ وتأرجت أنفاس الأسمار باستغفارك، وتم عنوان
السجود بأسرارك، وأبيضت شية الليل بحلي آثارك؛ واكتفتك الطهارة حتى كأنك
مصحف، وأرهقتك الديانة حتى كأنك مرهف؛ وحالفتك الركانة وكأنك مع
سلامة الخلق أحف، وتفتت السن فأبقت منك ما أبقت من سنان المثقف؛
وعرفتك الأحكام بأنك ماض على الحقائق عند الشبه تتوقف، وألفتك الزاهة
فشهد عدول أن نكرة المطامع عندك لا تتعرف؛ وصرفتك الزاهة عن دنيا إن كانت
عرائسها ترف فعدا مواردّها تترف، وأستشرفتك المنازل التي لا تزال بأعناق الأشراف
تستشرف؛ وما رأست، حتى درست؛ ولا تنهت، حتى تفقهت؛ ولا أقيت
حتى أقيت الحابر، ولا تصدّرت حتى تصبّرت على كلف تغلب الصابر؛ فما
حباك من حباك، ولا قدمك حتى علم أن سواك ماساواك؛ فرياستك لم تكن قلته،
وأستشرف وجه الرياسة لك لم يكن لفته؛ بل تنقلت متدرجا، وأخى عليك لسان
حقيقة ما كان متلججا؛ ولو أفعدك حسبك أو أباك، لقلبك المجد وما أباك؛

فكيف ولك نفس بنت لك الشرف الخالد ، وجمعت الطريف منه إلى التاليد ، ولم تقنع بما ورثت من تراث رياسة الوالد .

والسيد الأجل الذي أعاد إلى الدولة رونق نضارتها ، بعد رونق إضارتها ، وأفاضت عليه حيا إشارتها ، وأضافت إليه نص إشارتها ، وأعطته السعادة أفضل إمارتها ، بما أعطته من فضل وزارتها ، وأشملت معاني النجاح من صفحة بشره التي مجللتك الآمال بشارتها ، وأقرت حركاته الخلافة في دارها والأنوار في دارتها ، وقصرت مهابته أيدي الأعداء بعد استطالتها ، وأنحمت نارهم بعد آس تطارتها ، وذلت رياضته الأسود فلم ترع الأسماع بزأرها ولا العيون بزيارتها - يعذك للصدور صدرا ، ويعذك بما يرفع ذوى الأقدار قدرا ، ويذكرك بما تطيب به نشرا ، ويحسن ملبوسه بشرا ، ويراك أولى من أقام الحق لازما جواده ، وأقعد الباطل حاسما موآده ، ويصفك بالعدل الذى يتألم عليه الأضداد ، والسداد الذى لا يضرب بينك وبينه بالأسداد ، والنزاهة المنزهة عن التصنع بالرياء ، والسريرة الطيبة النشروالسيرة الحسنة الرواء .

ولما قتر لك النيابة عنه فى الصلاة والخطابة والقضاء والمظالم والإشراف على الجوامع والمساجد ودار ضرب العين والورق والسكة بالخصرة وسائر أعمال المملكة ، أمضى أمير المؤمنين ماقرر ، وتخير لهذه العطية من تخير ، سكونا إلى أمانتك التى حملت نوقها ، وركونا إلى ديانتك التى أوجبت تطلع هذه الرتبة إليك وسوقها ، وعلمنا أنك فارسها الذى آتسع ميدانه ، وواحدنا الذى رجع ميزانه ، وكفوها الذى تمكن مكانه .

فتقلد ما قلدت من ذلك عاملا بتقوى الله التى يفوز العامل بها فى مواقف الإسقاط ، ويحوز بها السالك متالف الصراط ، ويحوز بها الآمل معارف الاحتياط ،

قال الله في فرقانه الذى نزله على عبده ليكون للعالمين نذيرا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ .

والحكم فهو عقد اللباس دُنْيَا وَدِينَا ، وسبيل الحق الذى يسلكه مَنْ جَرَى شِمَالًا وسلك يمينًا ، وبه كَفَّ الله الأيدي المتعديه ، وأنقَدَ من النار النفوس المترديه ؛ وأقام حدودَ كلِّ من استحقَّها ولم يتوقَّها ، وأوجب قصاصَ الدماء على من أراقها واستباح رِقَّها ؛ وبه يقف القوى والضعيف مَوْفِقًا واحداً ، وَيَظْهَرُ أولو عدلِ الله لمن كان بعين قلبه مُشَاهِدًا ؛ وبه تَبَيَّنَ مواقع التحليل والتحرير ، وفيه تُتَعَيَّنُ مقاطعُ الحُكْمِ بالتحكيم ؛ ولجَالِسِهِ الوقارُ فهى جَنَّةٌ لا تَغْوُ فيها ولا تَأْتِمُّ ، والظالمُ فيه وإن ظَفِرَ فإنما ظَفِرَ بما يُقَطِّعُ له من نارِ الجحيمِ . ولا تجعل بين المتحاكمين إليك من فَرْقٍ ، وساوِ في الحكم بين كافة الخلق ؛ ولا تُحَكِّمْ بِحُجَّةٍ أحدَ الخصمين وإن كان لها السُّبْقُ : ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ . ولا تقطع بعلمك وإن كنت عليماً ، ولا تُبَالِ في الله أن تُغْضِبَ ظالماً وتَرْضَى مظلوماً ؛ وأجعل لنفسك من نَظَرِكَ وإصغائك بين المترافعين إليك مقسوماً ، فلا تحقر خطأ الحكم وتجنب منه بينهما ما تجده [عند] الله عظيماً : وَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تُكِنُّ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً . وَتَجَلَّبَبْ بِالْوَقَارِ الذى يَبَيِّنُ فضلَ المله ، ويشهد للكفر بالله ، وَيُلْبِسُكَ نَخْرَ السَّرَاةِ الحَلَّةَ ؛ ولا يمنعك مذمومُ التكبر ، عن محمود التدبر ؛ ولا جبر لكسر التجر ، ولا خير فيمن لا يمهل رويَّةَ التحير فالعجلة تضيق ميدان التخير ؛ وإذا أُضْحِخَ المتنبس لفهمك ، وعزَّ القَطْعُ بفضل حُكْمِكَ ؛ فأفهم الظالم ما توجَّه عليه لخصمه ، فَرِّبْهُمَ أوتى من سوء فهمه لامن طريق ظلمه ؛ ولعله لا يجمع عليه بين قوت مراده وبقاء إيمه ؛ وذاكر المُقَدِّمِينَ على اليمين ، بما على مَنْ يمين ؛ وأن كاذبها يدع الديار

بَلَّاقِع ، وَأَنْ خَرَقَ الْجُرْأَةَ عَلَى اللَّهِ مَالَهُ مِنْ رَاقِعٍ ، وَصَرَعَةَ الْفَاجِرَ مَالَهَا مِنْ مَزِيلٍ
 وَلَا رَافِعٍ ، وَمَنْ قَطَعَهُ الْحَصَرَ عَنِ الْإِفْصَاحِ ، وَصَرَفَهُ الْعِيَّ عَنِ الْإِيضَاحِ ، فَاسْتَعْمَلَ
 مَعَهُ أَنَاةً تَوْضَعُ مَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَرِفْقًا يُفْصِحُ مَا يَخْتَلِجُ فِي فِكْرِهِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” إِنَّكُمْ لَتَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنْ
 بِحِجَّتِهِ مِنَ الْآخِرِ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ “ وَلَدْخُولِ الْمَجَالِسِ دَهْشَةً تُورِثُ اللِّسَانَ
 عُقْلَهُ ، وَلِمَفْاجَأَةِ الْمَحَافِلِ حَيْرَةً تُعَقِبُ الْبَيَانَ مُهْلَهُ ؛ فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ مِمَّنْ تَدَلَّهُ أَنْ تَدَلَّهُ ،
 وَمَنْ يُسْأَلُهُ أَنْ تُسْأَلَهُ : لِتَقْضَى بِمَا تَقْضَى ، وَتُقْضَى الْحَكْمَ بِحَقِيقَةِ تَمْضَى ؛ وَإِنْ
 تَجَبَّرْتَ قَضِيَّةً قَدْ فَرَطْتَ ، وَتَدَبَّرْتَ نَوْبَهُ قَدْ أَفْرَطْتَ ؛ فَبَادِرُ بَأْسْتِدْرَاكِهَا ، قَبْلَ
 وَقُوعِكَ فِي أَدْرَاكِهَا ، وَتَعَذَّرِكَ عَنِ إِدْرَاكِهَا ؛ وَلَسْتَ مَعْصُومًا مِنَ الْمَغَالِطِ ، وَلَا مَوْصُومًا
 بِالْخَطِ الْفَارِطِ ، وَلَا مَلُومًا [إِلَّا] إِذَا أَقَمْتَ عَلَى مَا اللَّهُ مِنْهُ سَاخِطٌ ؛ فَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ
 اتَّقَى الْخِلَاقَ وَلَمْ يَتَّقِ الْخَلْقَ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
 مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ .

وَكَلَّبَ اللَّهُ وَسَنَّهُ رَسُولُهُ السَّرَاجَانَ اللَّذَانَ مَا ضَلَّ هُدَاهُمَا ، وَالْمِهَادَانَ اللَّذَانَ
 مَا أَوْضَحَهُمَا إِلَيْهِ وَأَبْدَاهُمَا ؛ وَقَدْ أَغْنَتْ نِصُوصُهُمَا عَنِ الْأَقْبِسَةِ ، وَأَوْضَحَ خُصُوصُهُمَا
 عَامَّةَ الْأُمُورِ الْمَلْتَبِسَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وَقَالَ
 تَعَالَى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وَإِنْ أَشْكَلَتْ نَازِلَةٌ غَيْرُ
 مَسْطُورَةٍ ، وَأَعْضَلَتْ وَاقِعَةً غَيْرُ مَحْضُورَةٍ ؛ فَاسْتَرْشِدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهَا ، وَقِفْ
 عَلَى بَحَارِ عِلْمِهِ فَلَنْ تَعْدَمَ سَبِيحَ دَرِّهَا ؛ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عِنْدَ التَّنَازُعِ بِأَنْ
 نَزِدَ [إِلَيْهِ] مَا أَعْضَلُ ، وَأَنْتُمْ أَحْذَكُ لِلْإِسْتِنْبَاطِ [إِلَازِمًا] ^(١) الَّذِينَ حَكَّمَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ
 مَا أَشْكَلُ .

(١) زدنا هاتين الكلمتين على ما في الاصل لأن الكلام بدون زيادتهما لا يفهم . تأمل .

والشهادة فلقد أمر الله بإقامتها وكفى بالله شهيدا ، وكفى بذلك جلاله وتمجيدا ،
ولا نَتَّخِذْ إِلَّا الْعُدُولَ الْمَقَانِعَ ، ولا تَسْمَعْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ لِأَمْرِ اللَّهِ سَامِعٌ ، فهم
الْأَعْوَانُ الَّتِي تُدْفَعُ بِهَا نَارُ جَهَنَّمَ ، وَالْجُنَّ الَّتِي يَتَّبِعُ بِهَا الْحَاكِمُ سَهَامَ الْإِثَامِ فِيمَا حَلَّلَ
وَحَرَّمَ ، وَإِلَىٰ عَلَيْهِمْ آتَتْهُمُ الْمُقَاتِلُ الَّتِي اللَّهُ بِهَا أَعْلَمُ ، وَمَا سَرَىٰ حَكْمٌ إِلَّا بَعْدَ
أَنْ تَجِدَ أَقْوَالَهِ دَلِيلًا ، وَلِكِ السَّمْعُ وَلَهُمُ الْبَصَرُ وَكُلُّ أَوْلَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ،
وَأَسْتَشِفُّ أُمُورَهُمْ فَمِنْ أَلْفَيْهِ آلِفًا لِمَحَبَّةِ الصَّوَابِ ، عَائِفًا لِمَصْلَةِ الْإِرْتِيَابِ ، لَا يُخَافُ
بِالْإِعْضَابِ ، وَلَا يُخَافُ بِالْإِرْهَابِ ، وَلَا يُحِسُّ حَسَابًا إِلَّا لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَاسْمِعْ
مَقَالَتَهُ ، وَأَفِزْ عَدْلَتَهُ . وَمَنْ كَانَ عَنِ السَّبِيلِ نَاجِبًا ، وَلِلْهَوَىٰ رَاجِبًا ، فَأَرْجُلُهُ عَنِ
ظَهْرِ الْعَدَالَةِ ، وَنَتَبَعِ زَلَّهُ بِالْإِزَالَةِ ، وَوَصِلْ فِيهِمُ أَلْسِنَةَ حَكْمِكَ ، وَأُوجِهْ عَلَيْكَ ،
فَلَا تَسْتَنْبِ إِلَّا مَنْ تَعْلَمُ أَنْ خَطَاةَ عَلَيْكَ وَصَوَابَهُ لَكَ ، وَلَا تَعُولُ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ لَا يُحْجِلُ
نَفْسَكَ وَلَا يَذُمَّ تَعْوِيلَكَ .

وَكَاتِبُكَ فَقَلْمُهُ لِسَانُكَ ، وَلِسَانُهُ تَرْجُمَانُكَ ، إِنْ وَقَعَ فِإِلَيْكَ تُنْسَبُ مَوَاقِعُ تَوْقِيعِهِ ،
وَإِنْ وَصَلَ حَكْمًا بِسَطُورِهِ فَمِقْدَارُكَ مَسْطُورٌ مِنْ مَسْمُوعِهِ ، فَلَا تَرْضَ بِالذُّوْنِ فَمَا
يَدُونَ ، وَلَا تَعُولُ إِلَّا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ تَصَوَّرَ وَتَصَوَّرُونَ .

وَحَاجِبُكَ فَهُوَ عَيْنُكَ وَإِنْ سُمِّيَ حَاجِبًا ، وَوَجْهُكَ الَّذِي تَلْقَىٰ بِهِ إِذَا كُنْتَ غَائِبًا ،
فَاخْتَرْ مَنْ يَكُونُ مَتَخِيرًا فِي الْمَقَالِ ، مَتَحَلِّيًا بِحُسْنِ الْفِعَالِ ، مَجْرَبًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ،
لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ دُنْيَا دِينِهِ ، وَلَا يَخُونُكَ أَمَانَتَهُ وَلَا تَمْتَدُّ يَمِينُهُ ، وَلَا يَقُولُ عَنْكَ
وَلَا عَنِ نَفْسِهِ إِلَّا مَا يَزِينُكَ وَيَزِينُهُ ، وَلَا يَخِفُّ إِلَىٰ مَا تَخِفُّ بِهِ مَوَازِينُهُ .

وَالْخَطْبَاءُ قُرْسَانُ الْمُنَابِرِ ، وَالسُّنَّةُ الْمَخَاضِرُ ، وَتَرَاجُمُ الشَّعَائِرِ ، وَأَهْمَةُ الْمَجَامِعِ ، وَسُفْرَاءُ
الْقُلُوبِ بِوَسَايَةِ الْمَسَامِعِ لِمَقَامِهَا الرَّافِعِ ، وَمُيْرَاهُ الْفَارِعُ مِنَ الْقُلُوبِ عَلَىٰ دَائِمِهَا ، وَتَدْرُ

حرُّهُ شياطينَ الأُمِّ عندَ أَعْدائِها؛ ويُعربُ عن الهدايةِ ويبالغُ بلاغَتَهُ في إهدائها؛
ويَتقنُ مَخارجَ الحروفِ مُحسِنًا في أدائها وإبدائها، وتُحَلُّ موعظتُهُ عن العيونِ الجالمةِ
عُقَدَ وكائِها، وينادى القلوبَ الصِّديَّةَ فيكونُ صَداهُ صوبَ بكائِها، ويستشعرُ أُرديَّةَ
الوقارِ فتشهدُ المنابرَ له بارتدائها؛ وتغذى النفوسَ مواعظُهُ إذا قصدتُهُ بأستنصارها
على القلوبِ وأستعدادِها .

والأيتامُ فانتَ لهم والدٌ ، وأجرُ نفقتكَ عليهم في الصَّحيفةِ واردٌ ؛ وهم ودائعُ الله
لديكَ ، وذخائرُ الآباءِ [١] لآلِهم في يدِكَ ؛ فأحسِنَ بهم السياسةَ بالشَّفَقَةِ ، وأحسِنَ
لهم التدبيرَ بالنَّفَقَةِ ؛ ومن آنتَ رُشدَهُ ، فأدفعِ مالَهُ إليه ، ومن لم تسترشدْ قَصدهُ ،
فأنفقِ منه عليه ؛ قال الله تنبيهاً وتحذيراً : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ
حُوبًا كَبِيرًا ﴾ .

والمساجدُ بيوتُ الله التي يُسبِّحُ له فيها بالعدوِّ والآصالِ ، ومَظانُّ العبادةِ التي يعمرها
أهلُ الإعتلاقِ بمعروفِهِ والإفضالِ ؛ ومَصاعِدُ الكَلِمِ الطيبِ والعملِ الصالحِ ، وأسواقُ
الآخرةِ التي يُوجبُ فيها المُشترُونَ صَفقةَ البَيْعِ الرَّابِحِ ؛ فعبُدِ الطريقَ إلى زيارتِها ، وأشرحِ
قلوبَ المُتطهِّرينَ بطهارتها ، وأنيسِ القائمينَ بالليلِ والمستغفرينَ بالأشجارِ بِناراتِها .

والمضروبُ بدارِ الضربِ فهو عينٌ ما تجبُ عليه الزَّكواتُ ، ونفسُ ما تُحازُ [به]
المستملكاتُ ؛ ومدارُ ما تستمِلُ عليه المُعاملاتُ ، وقِيمُ ما تُحَقِّنُ به الدماءُ في الدِّيَّاتِ ،
ومنتهى ما تُوفِّي به الصَّدقاتُ ؛ وتوصى به الصَّدقاتُ ؛ فتولُّ أخذَ عيَّارِهِ ،
ومباشرةَ تصفيةِ دِرْهمِهِ ودِينارِهِ ، وأخلِصَهُ لتنجو من النارِ بلفحاتِ نارِهِ ؛ وأحفظْ
شكله الذي ينقشُ خاتمَ جوازِهِ ؛ والأسماءُ المُسطَّرةُ عليه وسيلةٌ أمتيازِهِ على بقيةِ
الأحجارِ وإعزازِهِ .

والوكالة على باب الحكم فهي كِفاح المتناضلين ، وسِلاح المتناصلين ؛ ومن يتفجع بها لا يُعزل من الخطاب ، كما لا ينصّب بها من يفتح له الباطل الأبواب ؛ فلا تُوعها إلا لمن حسنته الدُّر به ، في السرعة من القُربه ، وتدبر قول الله : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْتَقَالَ حَبَّه ﴾ ممن يُؤمن على النساء والرجال ، ولا يُعجبه إرسال لسانه في الحلال ، ولا يُبطل الحق إذا أطلق لسانه في سعة المجال .

والمتصرفون الذين هم أيدي الشريعة التي تُشخص الخصوم ، ويُستعان بهم على قمع الظلوم ونفع المظلوم ؛ فخير أن يكون أكبرهم من أهل طبقتهم ، وأمدتهم تحسبنا لُسْمعتهم وتحسبنا لأمانتهم .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاهد بهديه ، وقم بفرض رعيه وحق وعيه ؛ وكريم سعى الآخرة أحسن سعيه ، وتصرف بين أمر الحق ونهيه ؛ والله سبحانه يبلغك من مناجح أمرك ، مالا تبأغه بمطامح فكرك ؛ ويسر لك من بديهة الإرشاد ، ماتعجز عنه روية الارتياح ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ، وأعمل بموجبه وحكمه ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما أورده على بن خلف الكاتب في كتابه "مواد البيان" في سجل بالدعوة للدولة والمشايعه لها ، والموافقة على مذهبها ، وهو :

الحمد لله خالق ما وقع تحت القياس والحواس ، والمتعالى عن أن تُدركه البصائر بالاستدلال والأبصار بالإيناس ؛ الذي آختر الإسلام فأظهره وعظمه ، وأستخلص الإيمان فأعزّه وأكرمّه ؛ وأوجب بهما الحجّة على الخلائق ، وهداهم بأنوارهما إلى أقصد الطرائق ، وحاطهما بأوليائه الراشدين شُموِس الحقائق ؛ الذين نصّبهم في أرضه

أعلاما، وجعلهم بين عباده حُكَمَا؛ فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَايِدِينَ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أن أصطفاه لخلافته ، وخصه بلطائف حكيمته ؛ وأقامه دليلاً
على مناهج هدايته ، وداعياً إلى سبيل رحمته ؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد نبيه
الذي أبتغته رحمة للعالمين ، فأوضح معالم الدين ، وشرع ظواهره للمسلمين ؛ وأودع
بواطنه لوصيه سيد الوصيين : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ؛ وفوض إليه هداية
المستجيبين ، والتأليف بين قلوب المؤمنين ؛ ففجر ينابيع الرشد ، وغور ضلالات
الإلحاد ؛ وقاتل على التأويل كما قاتل على الرسل ، حتى أثار وأوضح السبيل ؛ وحسر
نقاب البيان ، وأطلع شمس البرهان ؛ صلى الله عليهما ، وعلى الأمة من ذريتهما ؛
مصاييح الأديان ، وأعلام الإيمان ، وحلفاء الرحمن ؛ وسلم عليهم ماتعاقب الملوان ،
وترادف الجديدان .

وإن أمير المؤمنين بما منحه الله تعالى من شرف الحكمة ، وأورثه من منصب
الإمامة والأئمة ؛ وفوض إليه من التوقيف على حدود الدين ، وتبصير من اعتم
بجبله من المؤمنين ، وتوير بصائر من استمسك بعروته من المستجيبين - يعلن بإقامة
الدعوة الهادية بين أوليائه ، وسبوغ ظلها على أشياعه وحلصائه ؛ وتغذية أفهامهم
بليانها ، وإرهاق عقولهم ببيانها ؛ وتهذيب أفكارهم بلطائفها ، وإتقادهم من حيرة
الشكوك بمعارفها ؛ وتوقيفهم من علومها على ما يلحظ لهم سبل الرضوان ، ويفضي
بهم إلى روح الجنان وريح الحنان ، والخلود السرمدي في جوار الجواد المنان -
ما يزال نظره مصروفاً إلى توطئها بناشي في حجرها ، مغتذ بدورها سار في نورها ؛ عالم
بسرايرها المدفونة ، وغوامضها المكنونه ؛ موثقاً على ذلك اختياره ، وقاصية أنتقاده
وأختياره ؛ حتى أذاه الاجتهاد إليك ، ووقفه الارتياض عليك ؛ فأستندها منك إلى

كفيتها وكافيتها ، ومدبرها المبرز فيها ؛ ولسانها المترجم عن حقائقها الخفية ، ودقائقها المطوية ؛ ثقة بوثاقة دينك ، وصحة يقينك ؛ وشهود هديك وهداك ، وفضل سيرتك في كل ما ولاك ؛ ومحض إخلاصك ، وقديم اختصاصك ؛ وأجراك على رسم هذه الخدمة في التشریف والمُحَلان ، والتنويه ومُضاعفة الإحسان .

فتقلّد ما قلّدك أمير المؤمنين مستشعرا للتقوى ، عادلا عن الهوى ، سالكا سبيل الهدى ؛ فإنّ التقوى أحصن الجن ، وأزین الزین ، و﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ . فإن الله تعالى يقول : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ . وحضّ على ذلك فقال سبحانه : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ .

وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشدّ العقد على كل مُنقاد ظاهر ، من يظهر لك إخلاصه ويقينه ، ويصحّ عندك عفاؤه ودينه ؛ وحضّم على الوفاء بما تُعاهدُهم عليه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤولا ﴾ . ويقول جل من قائل : ﴿ إنَّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ . و [كف] كافة أهل الخلاف والعناد ، وجادلهم باللطف والسداد ، وأقبل منهم من أقبل إليك بالطوع والإتياد ؛ ولا تُكره أحدا على متابعتك والدخول في بيعتك ، وإن حملتك على ذلك الشفقة والرأفة والحنان والعاطفة : فإنّ الله تعالى يقول لمن بعثه داعيا إليه بإذنه : محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وما أکثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ .

ولا تُلقِ الوديعة إلا لحفاظ الودائع ، ولا تُلقِ الحبّ إلا في مِرْعة لا تُتكدى على الزارع ؛ وتوخّ لغرسك أجل المغارس ، وتوردُهم مشارع ماء الحياة المعين ،

وَتَقَرَّبَهُمْ بِقُرْبَانِ الْخَالِصِينَ ؛ وَتَخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ ، إِلَى نُورِ الْبِرَاهِينِ
وَالآيَاتِ ؛ وَاتَّلَ مَجَالِسَ الْحِكْمِ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي الْحَضْرَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ؛
وَالْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُسْتَجِيبَاتِ ، فِي قُصُورِ الْخِلَافَةِ الزَّاهِرَةِ ، وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْمَعْرِزِيَّةِ
الْقَاهِرَةِ ؛ وَصُنَّ أَسْرَارَ الْحِكْمِ إِلَّا عَنِ أَهْلِهَا ، وَلَا تَبَدُّلًا إِلَّا لِمُسْتَحِقِّهَا ؛ وَلَا تَكْشِفُ
لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مَا يَعْرِضُونَ عَنْ تَحْمَلِهِ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ أَفْهَامَهُمْ بِتَقْبَلِهِ ؛ وَاجْمَعْ مِنَ التَّبَصُّرِ
بَيْنَ أَدَلَّةِ الشَّرَائِعِ وَالْعُقُولِ ، وَدَلِّ عَلَى اتِّصَالِ الْمَثَلِ بِالْمَثُونِ ؛ فَإِنَّ الظُّوَاهِرَ أَجْسَامٌ
وَالْبَوَاطِنَ أَشْبَاحُهَا ، وَالْبَوَاطِنَ أَنْفُسٌ وَالظُّوَاهِرَ أَرْوَاحُهَا ؛ وَإِنَّهُ لَا قِيَامَ لِلْأَشْبَاحِ
إِلَّا بِالْأَرْوَاحِ ، وَلَا قِيَامَ لِلْأَرْوَاحِ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا بِالْأَشْبَاحِ ، وَلَوْ أَفْتَرَقَا لَفَسَدَ النَّظَامُ ،
وَأَنْتَسَخَ الْإِيحَادُ بِالْإِعْدَامِ . وَأَقْتَصِرْ مِنَ الْبَيَانِ ، عَلَى مَا يَحْرُسُ فِي النُّفُوسِ صُورَ الْإِيمَانِ ،
وَيَصُونُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْإِفْتِنَانِ ؛ وَأَنْهَهُمْ عَنِ الْإِثْمِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وَكَامِنِهِ
وَعَالِنِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ .

وَأَتَّخِذْ كِتَابَ اللَّهِ مِصْبَاحًا تَقْتَبِسُ أَنْوَارَهُ ، وَدَلِيلًا تَقْتَفِي آثَارَهُ ؛ وَأَتْلُهُ مُتَبَصِّرًا ،
وَرَدَّدَهُ مُتَذَكِّرًا ، وَتَأَمَّلَهُ مُتَفَكِّرًا ؛ وَتَدَبَّرْ غَوَامِضَ مَعَانِيهِ ، وَأَنْشُرْ مَا طَوَّبَى مِنَ الْحِكْمِ
فِيهِ ؛ وَتَصَرَّفْ مَعَ مَا حَلَّلَهُ وَحَرَّمَهُ ، وَنَقَضَهُ وَأَبْرَمَهُ ، فَقَدْ فَصَّلَهُ اللَّهُ وَأَحْكَمَهُ ؛ وَاجْعَلْ
شُرْعَهُ الْقَوِيمَ الَّذِي خَصَّ بِهِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَأَوْدَعَهُ جِوَامِعَ الصَّلَوَاتِ وَمَحَاسِنَ
الْآدَابِ ، سَبَابًا تَتَّبِعُ جَادَّةً ، وَتَبْلُغُ فِي الْاِحْتِجَاجِ مَحَجَّةً ، وَتَمَسِّكُ بِظَاهِرِهِ وَتَأْوِيلِهِ
وَمَثَلِهِ ، وَلَا تَعْدِلُ عَنْ مَنَهْجِهِ وَسُبُلِهِ ؛ وَأَضْمُمْ نَسْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْتَجِيبِينَ ،
وَأرْشُدْهُمْ إِلَى طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَسَوِّ بَيْنَهُمْ فِي الْوَعظِ وَالْإِرْشَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَقُولُ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ : ﴿ سَوَاءٌ أَعَاكَفَ فِيهِ وَالْبَادُ ﴾ . وَزِدْهُمْ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَادِّ
عَلَى حَسَبِ قُوَاهِمُ مِنَ التَّقْبُولِ ، وَمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ جُودَةِ الْمُحْصُولِ ؛ وَدَرِّجْهُمْ بِالْعِلْمِ
وَوَفِّ الْمُؤْمِنِ حَقَّهُ مِنَ الْأَحْتِرَامِ ، وَلَا تُعْذِمِ الْجَاهِلَ عِنْدَكَ قَوْلًا سَلَامًا كَمَا عَلَّمَ رَبُّ

السلام . وتوخَّ رعاية المؤمنين ، وحماية المعاهدين ، وميزهم من العاقبة بما ميزهم الله من فضل الإيمان والدين ؛ وألن لهم جانبك وأحن عليهم وأطف ، وأبسط لهم وجهك وأقبل إليهم وأعطف ؛ فقد سمعت قول الله تعالى لسيد المرسلين :

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ولا تُفْسَحْ لأحد منهم في التطاول بالدين ، ولا الإضرار بأحد من المعاهدين والذميين ، وميزهم بالتواضع الذي هو حلية المؤمنين ؛ وإذا ألبس عليك أمرٌ وأشكل ، وصعب لديك مرأى وأعضل ، فأنه إلا حضرة الإمامة متبعا قول الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ : ليخرج إليك من بصائر توقيفها ، ومرآشد تعريفها ؛ ما يفك على مناهج الحقيقة ، ويذهب [بك] في لاجب الطريقة ؛ وأقبض ما يحملهُ المؤمنون لك من الزكاة والحزب والأنحاس والقربات وما يجرى هذا المجرى ؛ وتتقدم إلى كاتب الدعوة بإثبات أسماء أربابه ، وأحمله إلى أمير المؤمنين لينتفع مخرجوه بتقليله له ووصوله إليه ، وتبرأ ذمهم عند الله منه . وأستنب عنك في أعمال الدعوة من شيوخ علم الحكمة ومن تتق بديانته ، وتسكن فيه إلى وفور صناعته ؛ وأعهد إليهم كما عهد إليك ، وأخذ عليهم كما أخذ عليك ؛ وأستطلق لهم من فضل أمير المؤمنين ما يعينهم على خدمته ، ويحمل ثقلهم عن أهل دعوته ؛ وأستخدم كاتباً دينا أميناً مؤمناً بصيراً عارفاً ، حقيقاً بالإطلاع على أسرار الحكمة التي أمر الله بصيانتها وكتابتها عن غير أهلها ، نقياً حصيفاً لطيفاً ، يتر لهم في مجلسك بحسب مراتبهم من العلم والدين والفضل .

(١) جمع جزية وهي خراج الارض وما يؤخذ من الدمى .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فندبره متبصراً، وراجعه متدبراً، وبه الوصايا تهدي
وئسدد، وتوفق وتُرشد؛ وأستعين بالله يمدك بمعونته، ويديم حظك من هدايته؛
إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا سائر السجلات من هذا النوع . وقد أورد في "مواد البيان"
سجلات غير هذه حذف منها التعميد وأقتصر على مقاصدها، وفيما ذكر من ذلك مفتح .

المذهب الرابع

(مما كان يكتب لأرباب الولايات بالدولة الفاطمية

مرتبة الأصغر من أرباب السيوف والأقلام)

وليس لهذه الرتبة صبغ محصورة في الإفتاح، بل تُفتح بلفظ: «إن أمير المؤمنين
لما آتاه الله [من] كذا يفعل كذا وكذا ولمّا كنت بصفة كذا، وحضر بحضرة
أمير المؤمنين فأنه وزيره فلان وأشار بكذا، فترك أمير المؤمنين في كذا» أو يقال:
«إن أولي» أو «إن أحق» أو «إن أجدر» أو «أقمن» أو «من حسنت طريقته»
أو «من كان متصفاً بكذا كان خليفاً بكذا» أو «ولما كان كذا» أو «منشور تقدم
بكتبه فلان» ونحو ذلك .

فمن المكتتب عن الخليفة من هذه المرتبة لأرباب السيوف نسخة سجل بزم .

إن أمير المؤمنين لما آتاه الله من المحل الأرفع، وجعله اليوم الأمر المطاع وغداً
الشفيع المشفع؛ يتعهد عبيده بعهد كرمه، ويخبر من هجر النواب من يحاول ظل

(١) الهجر والهجرة والهجر والهجرة نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر وقيل في كل ذلك انه

حرمه ، ويقبل وسيلة من كانت النجابة أقوى وسائله وذمه ، ويؤمته من إلخاف حوادث الدهر به ولمه ؛ فلا زال بأموهم عانيا ، وبمكارم شيمته عن رفع مسائلهم غانيا ؛ لاسيما من حسن في الخدمة أثرا وطاب خيرا ، ونشرت أوصافه في أیدی الثناء فكانت برودا وحبرا ؛ وتمن له الإحسان في كل زمان أن يأتي مستحيدا لامعتدرا ، وعُدقت به بحار الحمامة فما أخرجت منه إلا جوهرا ، وغرس مقدمات المخالصة وكان لسانح الإنعام مستثمرا ، وصقل التجريب صفيحة طبعه وكان لضريبة الحزم مستأمرا ، وأستبد بموجبات المحامد مؤثرا لها ومستأثرا ، وجعلت لديه أسباب الأستقلال التي قلت عند سواه فظل منها مهيدا (١) متكثرا .

ولما كنت أيها الأمير ممن قام له هذا الوصف مقام الاسم [من] المسمى ، وتوصحت محابله به فلم يكن من اللغز المعنى ؛ وقام يقرر من الخدمة مشتملا ، وأستقل بشرائط التعويل مستكملا ، وأدرك غايات المحاسن عجلا متمهلا (١) وضمنت له الشيبية أن يعلو كاهل الرياسة متكهلا ، وأشتهر بالتقدم فلم تعرف به أوضاع الصنائع غفلا ولا مجهلا ، وأستوجب أن لا يزال في أفق الإنعام منهلا عليه يغادر لديه غديرا ومنهلا ، وأستحق أن يملأ يديه من (٢) ناظره متأملا ، وأدى فريضة الهصيحة كافلا متكفلا ومعملا لامتعملا ، ونهض بتكاليف الخدمة متحملا فيها مالم يزل متحملا .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه الذي أفناه التوفيق باستناراه ، ووليه الذي جم به مورد السعد بعد أستناراه : السيد الأجل سيف نصره المهتد باسه ،

(١) التمهّل التقدّم وتمهّل في الأمر تقدّم فيه . انظر اللسان .

(٢) يياض بقدر كفة .

وليث حربه والسنان نأب ، وسحاب الرحمة إلى الإسلام بها حصل ربحي خضر
 الجناب ، ومتعب الرائح في غيبه حتى عزب في سهوب الإسهاب بأطناب
 الإطناب ، ومستحق المدائح التي يعطر بها الجناب ، ويعطل بها الركاب ؛ والملك
 الذي خدمه الملوك لالرتبة الغناء عنه بل لرتبة المناب ؛ فذكرك بما جمك ، وأستمر
 لك من الإحسان ماجم لك ، وأستوفى في مناصحة الدولة عمك ، وقربت عليك
 بسفارتيه بحضرة أمير المؤمنين أملك ؛ وقزر لك الخدمة بالزم الفلاني لإخلاقاً إلى
 ماتطوي عليه جملتك ، وأعتاداً على ماتعز به كلمتك ؛ فأجابه أمير المؤمنين إلى ما أجابك
 إليه ، وتقدم أمره باستخدامك فيما عين عليه ؛ ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء
 بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك .

فتقلد ماقلدته مستشعرا لباس التقوى ، ناهياً للنفس عن الهوى ؛ سالكا الطريقة
 المثلى ، قال الله سبحانه : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ . وهذه الخدمة من أمراء قبائل
 العرب ، وهي المنبع وسواها الغرب ، وما فيها من يدعى إلى خدمة إلا طبق المفصل
 وأتى على الأرب ؛ نخدها بالمرسوم لما تُدب له من المهمات السانحة والعوارض ؛
 والخفوف إليها بالأسلحة الروائع والخيول النواهض ؛ وأزيم رجالها أن تحفظ من
 الطرقات ما يصاقبها ، وأن تسوق كل نفس بجنابتها إلى من يعفوها أو يعاقبها ؛
 وقدم العرض الذي يُستدل به على من كان بالوفاء ساقطاً ، وعن أعمال الملكة
 ساخطاً ؛ ليسترجع الديوان ما كان بيده ، ويفتضح من كانت الحيانة سريرة
 مقصده ؛ فاعلم هذا وأعمل به .



ومن ذلك نسخة سجل بولاية نغرا، وهي :

إِنَّ أَوْلَىٰ مِنْ رِقَاہِ إِنْعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الْمَحَلِّ الْيَفَاعِ ، وَشَفَعَتْ فِيهِ وَسَائِلُ
فَضَائِلِهِ فَعَنِي عَنِ الْإِسْتِشْفَاعِ ، وَعَظَّمْ لَهُ النِّفْعَ لِمَا بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْإِنْتِفَاعِ ، وَجَرَّدَتْهُ
يَدُ الْإِخْتِيَارِ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ الدَّبِّ عَنِ الْمَلَّةِ وَالذَّفَاعِ ، وَأَسْتَقَرَّ فِي الرُّتْبِ الَّتِي لَا تُنْقَلُ
إِلَّا إِلَىٰ الزِّيَادَةِ وَلَا تُغَيَّرُ إِلَّا إِلَىٰ الْإِرْتِفَاعِ ، وَجُلِّيَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُ النِّعْمَاءِ وَاضِحَةً اللَّتَامِ
وَاضِعَةً الْفَقَاعِ ، وَنَيْطَتْ مِنْهُ وَصَايَا الْحَزْمِ بِحَافِظِ لَهَا وَاعٍ ، وَتَوَفَّرَتْ عَلَيْهِ بِوَاعِثِ
الصَّنَائِعِ وَدَعَتْ إِلَيْهِ دَوَاعٍ - مَنْ تَرَشَّعَ بِالْإِسْتِحْقَاقِ لِلرُّتْبِ السَّنِيَّةِ وَتَأَهَّلَ ، وَسَبَقَ
الْمَجَارِينَ فِي حَلْبَةِ الْإِحْلَاصِ عَلَىٰ أَنْهُمْ جَهَدُوا وَتَمَهَّلَ ، وَثَبَتَ جَاشُهُ فِي الْمَقَامَاتِ الَّتِي يُرَاعُ
لَهَا كُلُّ رُوعٍ وَيَذْهَلُ ، وَمَنْعَتْ مَهَابَتُهُ الْعَدُوَّ أَنْ يَجْهَلَ عَلَيْهِ وَأَبَتْ لَهُ حَصَافَتُهُ أَنْ
يَجْهَلَ ، وَغَرِيثَ هِمَّتِهِ بِالْمَطْلَبِ الْأَصْعَبِ مِنَ الْعَلَاءِ وَأَنْفَتَ مِنَ الْمَطْلَبِ الْأَسْهَلِ ؛
وَوَلِيَ الْوِلَايَاتِ الْجَلِيلَةَ فَظَلَّتِ الرَّعَايَا تَعْلُ مِنْ مَوَارِدِ عَدْلِهِ وَتَنْهَلُ ، وَنَشَأَتْ لَهُمْ
سُحْبُ الرِّكَابِ الَّتِي بَرَقَهَا يَتَهَلَّلُ وَعَارَضَهَا يَنْهَلُ .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ النَّاهِضَ بِمَحْقُوقِ هَذِهِ السَّمَاتِ ، الْبَعِيدَ الْقَدْرَ مِنَ الْمُسَاوَاةِ
وَالْمُسَامَاتِ ؛ الْمُنْتَقِلَ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمَةِ وَالكَرَامَاتِ ، الْمُنْفَرِجَةَ عَنْ أَنْوَارِ قَتَكَاتِهِ
ظُلُمَاتِ الْمَقَامَاتِ ؛ الْمَعْدَةَ النَّجْدَةَ لِمَوَاقِفِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالرَّادِّ عَلَىٰ أَعْقَابِهَا الْأَبْطَالَ
الْمُعْلَمَةَ بِالْفَتَكَاتِ الْمُعْلَمَاتِ ، الدَّائِمَ الْغَرَامَ بِمَقَامَاتِ الرِّيَاسَةِ وَإِنْ كَانَتْ عَظِيمَةً الْمُؤْنِ
جَسِيمَةً الْغَرَامَاتِ ، الْقَائِمَ بِمَا تُوجِبُهُ عَلَيْهِ صِنَائِعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُقُوقِ الْمُدَافَعَةِ
عَنِ الْحَوْرَةِ وَفُرُوضِ الْمُرَامَاتِ ، الْمُنْتَظَاهِرَةَ فِيهِ شَوَاهِدُ الْفَضَائِلِ بِأَصْدَقِ الْأَعْدَادِ

وأوضح العلامات؛ المشهور المقامات، إذا جرت من مُتُون الصَّفاح جداولٍ وأهترت من غُصُون الرِّمَّاح قَامَات؛ الآخَذ بالأرصاد على العِدا بسُيُوفٍ تَرُقُب الرِّقَاب وتِهيمُ في الهامات؛ الكافي الذي تَنَقَّل في الخِدم فكان من الشُّكر مُثْرَى الأَثَر، وأتَدِب في المهِّمَّات فكان مَتَاب التَّوَاءِ مُسْفِر السَّفَر، المعروف في تصرُّفاته بانتهاز النَّجْح وقَصْر البَجح، والمعوَّل على أن تصفَه أفعاله بشرحٍ لصدْر الاختيار به شرح، المعدود يوم الرُّوع من كُفَاة الخُطْب وُحْمَاة السَّرْح، الماضي الخَدَّ إذا كان السَّيْف لعدم الضارب مشتبِه الخَدَّ بالصَّفْح، وقدم فعل الاستقلال، وأخر سؤال الاستِغْلَال، وأسكنه من الخالصة إلى دارِ بِلُوغ الأَمَالِ مَحْلَال، وأرتفعت كاهل المجد بسعى لمُحْظُورِها به أَسْتِحْلَال؛ وسَهلت إلى الطاعة كُلَّ مُعْتَص من المَطَالِب، وغدا الاستحقاقُ بِمُرَادِك نِعْم الكفيلُ وبأَمَلِك نِعْم الطالب، وأشهرت بِمَحْلَالٍ أَقْتَضِيَت الرِّغْبَةَ فيما أَقْتَضَيْتَهُ إِلَيْك من الرغائب، وعَظُم النِّفْعُ بِكَ حَتَّى لَا نَفْعَ مَعَ غَيْبَتِكَ بِمُحَاضِرٍ وَلَا ضَرَرَ مَعَ حُضُورِكَ بِغَائِبٍ. ومثل بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووليّه وأمينه السيد الأجل، الذي سارت أوصافه مَسِير الشمس وأنارت إنارتها، وسقت مكارمه سقى الغيوث وأمارت إمارتها؛ وسرت خيوله مَسْرَى طَيْف الخيال وإن كره الأعداء زيارتها، وقامت مهابتُه مقامها في البلاد وأغارَت على القلوب إغارَتها، ونازع الأقمار بعلو القدر دارها وما حسبوا الدُّسْت له دارتها، وأشارت له السعادة العلوية وأمضى التلطفُ إشارتها وأحسن به شارتها؛ وطالع بما أنت عليه من طاعة تبذل فيها الطّاقة، وكفاية إذا تعاطاها الوصفُ المتسع ضيق عنها النُّطقُ نِطاقه؛ وعدك في سرعان الأولياء إذا رتب سواك في الساقه، وأحتسب بما لك من حسنات نظمها نظم السِّياقه. وبما قوره لك من الخِدمة إلى ولاية كذا - خرج أمر أمير المؤمنين بأن يُوعز إلى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل لك بالخِدمة المذكورة، سكونا إلى

مُناصحتك التي سكنت ضميرك، وركونا إلى مواليتك التي حققت أملك وتقديرك، وإيراداً لك إلى الموارد التي توجب تقديمك وتصديرك .

فتقلد ما قلده منها بادئاً بتقوى الله التي إن جعلتها جنتك كانت جنتك ، وإن استشعرتها عمدتك أنجزت في الدارين من السعادتين عدتك ؛ قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغْفَارِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وأبدأ في هذا الثغر الجليل قدره ، المصائب لما به محل السعد ومقره ، الميسر به لكل عامل ثوابه وأجره ، المحضوض على رباطه لمن توفر حظّه من ذخائر الآخرة فأحسن دُخره بعدل القضاء ، وصون الرعايا ؛ وبثّ السرايا ، وترويع العدو من جميع المطالع والنبايا ، وإهداء المنايا إليه في الغدوات والعشايا ، والتطلع على ما يجنّه من المكاييد والخفايا ، وكفاية أوساط الصّفاح مصافحة أطراف الرّماح تحايا ، ولا تخليه أن يُجهّز في كل يوم إليه رايةً أو تتقدّ فيه راية ، وأن تسترزق الله أمواله مغنم وحريمه سبأيا ، وتطلع عليهم في عُقر دارهم طوالع المنايا وقوارع الرّزايا ؛ حتى لا تلوح فُرجةٌ إلا اقتحمتها ، ولا تعن فُرصةٌ إلا اغتنمتها ، وأمدد على من بهذا الثغر جناح الرّعاية والذّب ، ومهد لهم جانب العدل ليتبوءوا فيه آمني السّر والسّرّب ؛ وضمنهم صيانةً ترفع عنهم عوادي المضار ، وتوطد لهم أكثاف السكون والاستقرار ؛ وأعتمد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يطلق فيك ألسنة المادحين ، وينظّمك في سلك من نحاه الله بقوله : ﴿ يَا مَعْرُوفُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴾ .

وأقيم الحد على من وجب عليه إقامة لا تتعدى فيها الواجب ، ولا تفارق بها منتهج الحق اللّاحب ، وتوَحَّ متولّي الحكم بإعزاز ينفد حكمه ، وإكرام يشد في الحق عزمه ، ويردع الظالم ويمنع ظلمه ؛ وكذلك المستخدم في الدعوة الهاديّة عامله بما يشد أزره ، ويشرح في دعاء المستجيبين صدره ؛ وبالغ في عضد المستخدمين مبالغه تدبر بها الأموال ، وتوجد بها السبيل إلى توفير عطيات الرجال ، وتوسع عليهم فيها المجال ؛ وأمنع من يتعرض لكسب الضرائب ، والإخلال بإلزام الواجب ؛ وشورر الاقلاب ، وقصد سرح المال بالتبّاب ؛ وأقيم للسور شطرا من أهتلك تعمُر أبراجه وأبدانه ، وتستخدم حراسه وأعوانه ؛ وترتب عليه الوقود في الليالي المظلمه ، وتعيّز [عن] مناله المطامع الميسورة والأيدى المتسنمه ؛ وواصل من عمائره ما يتلافى الخلل قبل أنفراجاه ، ويعيد مبدأ الغارة على أدراجاه ؛ فالقليل بالغفلة يستدعي كثرة الأهتمام ، وربما لم تُصب فيه المرمى ولم ينجع المرّام .

ومراكب الأسطول المنصورة فوّهّا من ترتضى نهوضه ، ومن يقوم بشرائط الجهاد المفروضه ؛ وإذا آنس فرصة لم يعترضها التفويت ، وإذا نزل به القرن ناداه بعزم المستميت ، وإذا عمّا المجتمع عرض جمعه للتشتيت ؛ وأحط على حواصل هذه المراكب فيها قوة الإسلام على عدوه ، ومدد استظهاره وعلوه ؛ وأقيم من الرؤساء من له حيلة في الأسفار ، وخبرة بمكايد الغارات والحصار ، ومثابرة يقتدر بها على فتح أبواب المنافع وسد أبواب المضار ؛ ولك من البصيرة الجامعه ، والألمعية اللامعه ، ما أنت به جدير أن تكون لك الذكرى نافعته ؛ فاعلم هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب في الدولة الفاطمية بالديار المصرية

ما كان يكتب عن الوزير)

وقد علمت في الكلام على "المسالك والممالك" أن الوزير إذ ذاك كان في منزلة
 (١) السلطان الآن، وكان الشأن فيما يكتب فيه أن يفتح بما يفتح به المذهب الثالث
 مما كان يكتب عن الخليفة . وهو أن يفتح ما يكتب بلفظ : « إنَّ أُولَى »
 أو « إنَّ أَحَقَّ » أو « إنَّ أَجْدَرَ » أو « إنَّ أَقْمَنَ » أو « من حَسُنَتْ طَرِيقَتُهُ »
 أو « مَنْ كَانَ مَتَّصِفًا بِكَذَا كَانَ خَلِيفًا بِكَذَا » و « بَلَّمَ كَانَ فُلَانٌ » أو « لَمَّا كُنْتُ »
 على نحو ما تقدم .

ثم ما يكتب عن الوزير : تارة يكتب بأمر الخليفة ، وتارة يصدر عن الوزير
 استقلالا ، فيبينه الكاتب في كتابته . وهي : إما لصاحب سيف ، أو قلم .
 فن المکتب عن الوزير في الدولة الفاطمية لأصحاب السيف نسخة سجل
 بولاية الاسكندرية من إنشاء القاضي الفاضل رحمه الله ، وهي :

مَنْ عُدَّ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْأَمَانِلِ ، وَوُجِدَ عِنْدَ الْإِتْقَادِ قَلِيلَ الْأَمَانِلِ ؛ وَتَوَسَّلَ بِالْحَسَنَاتِ
 الَّتِي يُقْبَلُ عِنْدَهُ مِنْهَا تَشْفِيعُ الْوَسَائِلِ ، وَتُقْبَلُ السَّفَارَةُ لَهُ الشَّامِلَةُ الْإِسْتِحْقَاقِ الَّذِي
 يُغْنِي عَنِ الْمَسَائِلِ ؛ وَلَطْفَ فِكْرِهِ لِإِقْتِنَاءِ الشِّيمِ الْمَوْجِبَةِ لِارْتِقَاءِ الدَّرَجَاتِ الْجَلَائِلِ ،
 وَأَلَقَتِ الرَّتَبِ قِنَاعَهَا لَهُ عِنْدَ الْكُفِّ الَّذِي يُقَدِّمُ لَهَا أَفْضَلَ مُهُورِ الْجَلَائِلِ ،
 وَأَسْفَرَتْ مَوَاقِفُ الْغَنَاءِ مِنْهُ عَنِ الْمَزَبْرِ الشَّهْمِ وَاللُّوْذَعِيِّ الْحَلَّاحِ ، وَأَفْرَجَ لَهُ الْكُفَّاءَ

(١) لعل الصواب « المذهب الرابع » .

عن صدور المنازل الرفيعة فلم يكن بينه وبينها حائل ، وأستقلَّ بعظيم ما يقوِّض إليه فلم تحمل الأقدام ما هو حامل ، وأتسع مجال كفايته في كلِّ أمرٍ يضيق بالمباشر ضيق كفة الحابل ، وتتبع آثار الخليل بعزماته تتبع الغيث آثار الديار الموأجل - كانت الولايات الجليات له من المعدِّ المدَّخر ، وقربت عليه منازل الآثار التي يُجمل بها ويفتخر .

ولما كان الأمير جامعاً لما أفيض فيه من هذه الصفة ، وموصوفاً بها من كلِّ لسانٍ صادقٍ ونيةٍ منصفه ، جاريةً على غيره مجرى النكرة ومستندةً إليه أستناد المعرفة ، مشتملاً على خلال كغرائب المكارم مستويةً متألِّبه ، كليفاً بالشيم الحميدة إذا أفضحت بها الشيم المتكلفه ، فمننا أن يوقَّ فيقرض سعيه إذا أقرضت المساعي المتسلفه ، نهاضاً بالمصاعب عند ما تختلف في إعطائها العزائم المتخلفه ، آوياً من رجاوته إلى المعقل الحريز والحصن الحصين ، حاوياً لفضائل حسنة منها الفتك الجري والرأي الرصين ، مقدماً على الأحوال إذا تغلقت وجوهاً غيرها ، مُصرّاً على الخطرات حتى يظنه العمر عُمرًا ، مصاحفاً للرمح ، إذا بدت أنامل الأسنه ، مباشراً للصفاح ، إذا دُعرت لها النفس المطمئنه ، جديراً أن يردَّ الخيل المغيرة تدمي نحرها ، وتمدحك وتدمها الجراح التي أشتملت عليها ظهورها ، وسمّاً للأعداء سيوفك فعندك عُموذها وفيهم صدورها - رأينا بما آتاه الله من رأى لا يستأخر أن يستخير ، ونظيرٍ يستمر أن يمتاح من موارد الرِّشاد ويستنير ، ما خرج به أمرنا من ولايتك لثغر الإسكندرية بعد أن طالعنا مولانا صلوات الله عليه بما رأينا ، وأسترشدنا بيمان إمضائه ما أمضينا ، وفأوضناه فيما فوضناه إليك وأفضينا ، وقضينا حق الخدمة فيما استمطرنا من صوب وأقتضينا ، إذ كان الله قد خصَّ خلاله بمواتاة الأقدار ، ووقف الميامن على ما يمضيه ويوقفه من أعنة الإيراد والإصدار ، وجعل الخيرة فيما

يختار، والحق دأراً حيث دار، وأخلص للأولياء المستشعرين بولائه بخالصة ذكركم
الدار، وجعل رأيه قطبا في سماء الخلافة عليه في مصالح خلق الله المدار؛
فصح ما عرضناه على مقام خلافته وصوبه، وناجته بديهة الإلهام بما أعتته
عما صعّد فيه المستشير وصوبه؛ وخرج الينا بأن يمضى لك هذا الأمر، ويفوض
إليك هذا الثغر.

فإنقابل هذه النعمة بشكرٍ يوجب استيفاء باقيها، وأعدادٍ يمهّد درجات
مراقبها؛ متنجزا وعد الله لمستوفيه بإيلاء المزيد، الجدير بحالته من حالة التقليد إلى
حالة التخليد؛ جاعلا تقوى الله حجتة فيما يقطعُه ويصله، وعمدته فيما يمنعه ويبدله.
قال الله سبحانه في كتابه الذى فضله على كل كتاب: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
وأتقون يا أولي الألباب﴾. ولا تجعل في حُكْمك بين الخُصماء فرقا وإن عدل
أحدهما؛ وليكن على الحق الذى لا مفاضلة فيه مقعدهما عندك وموردُهما؛
وأنتصف للظلم من الظالم، وأعمل في ذلك عمل من لا تأخذه في الله لومة لائم؛
وأقيم الحدود متحرّيا، وأمضها إمضاء من لا يزال بعين طاعة الله متحلّيا؛ ونفّذها
غير مكثّر ولا مقلّ، فإن المكثّر متعدّ والمقلّ محلّ.

وقد علمت ما للقاضي من التّقدمة الشهيرة، والرّتبة الأثيرة؛ والمساعي التي هي
بالسنة الحمد مأثور، والأقوال التي هي في صحائف حُسن الذكر مسطوره؛ والحُرّمات
التي شهدت بها الأيام والليالي، والموات التي أنتظمت في سلوك التصرفات أنتظام
الآلى؛ والصّفات التي زهت بها أجياد المحامد الحوالى؛ وله الخبرة بقوانين هذا
الثغر وأحكامه، والعادة التي لا خلاف أنها لمصالح ما يباشره وإحكامه، وأنت
مقدم أرباب السيوف في الثغر وهو مقدّم أرباب أقلامه؛ فأعرّف له منزله

فِي الْحَدَمِ الْمَنُوطَةِ بِكَفَالَتِهِ ، وَالْأُمُورِ الْمَحُوطَةِ بِإِيَالَتِهِ ؛ وَوَقَّهَ مِنْ أَثَرِ الْإِجَارِ حَقَّهُ ،
وَيَسِّرْ فِيمَا آسْتَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مَعُونَتِكَ طُرُقَهُ ؛ وَأَعِنِ الدَّاعِيَ عَلَى مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْإِرْشَادِ ،
وَقُمْ فِي إِعْلَاءِ مَنَارِهِ قِيَامَ الْمَغْرَمِ الشَّادِ .

وَالْأَمْوَالُ أَوْلَى مَا صَرَفْتَ إِلَيْهَا هَمَّكَ ، وَوَقَّعْتَ عَلَيْهَا عَزَمَكَ ؛ فَاسْتَنْهْضِ
الْمُسْتَعْدِمِينَ فِيهَا يُسْتَادِي ، وَلَا تَمَكَّنْهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا رَشْمًا وَلَا يُسِقِّطُوا مُعْتَادًا ؛ وَلَا بَدَّ
مِنَ الْمَقَامِ بظَاهِرِ الْبَحْرِ مَدَّةَ أَنْفِتَاحِهِ ، وَتَفْقُدَ الْأَسْطُولَ الْمُقِيمَ بِالْمِينَاءِ تَفْقُدًا يَسْتَوْعِبُ
أَسْبَابَ إِصْلَاحِهِ ؛ وَأَذْكَ الْعُيُونِ عَلَى سِوَا حِلِّهِ فَلَمْ يَجُلْ أَمْرَ الْعَدُوِّ مِنْ طَارِقِ لَيْلٍ
وَخَاطِفِ نَهَارٍ ، وَذُدَّهُمْ عَنِ بَغَاتِ هُجُومِهِمْ بِمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْكَ مِنْ دَوَامِ التِّيَقُّظِ
وَالْإِسْتِظْهَارِ ؛ وَاسْتَنْهْضِ الرِّجَالَ فِي نَوَائِبِ الْحَدَمِ وَحَوَادِثِهَا ، وَصَرِّفْهُمْ عَلَى مَوْجِبَاتِ
الْمُتَجَدِّدَاتِ وَبِوَاعِثِهَا .

وَهَذَا الشَّرْفُ فِيهِ مِنْ أَرْبَابِ الزُّوَايَا الْعَاكِفِينَ عَلَى الْعِبَادَاتِ ، وَالْعَالِمِيَّةِ الدَّاعِينَ
النَّاسَ إِلَى الْإِفَادَاتِ ، مِنْ لَا يُدْنَحِرُ الْإِكْرَامَ إِلَّا لِأَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى آسْتِحْقَاقِهِمْ ، وَلَا يُضَانُ
الْمَالُ إِلَّا لِأَنْ يُبَدَّلَ لِآسْتِحْقَاقِهِمْ ؛ فَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لَهُمْ لِإِصْلَاحِ هِنِيئِهِمْ ،
وَأَعْفِهِمْ مِنْ مَسْئُونَةِ الْهَزِّ وَسَاقِطِ عَلَيْهِمْ رُطْبًا جَنِيئًا ؛ وَاسْتَنْهْضِ لَنَا دَعْوَاتِهِمْ فَإِنَّهَا أَسْمُهُمْ
الْأَسْبَحَارُ ، وَاسْتَخْلَصْ لَنَا نِيَّاتِهِمْ فَهَمَّ لَنَا جُنْدُ اللَّيْلِ وَغَيْرُهُمْ لَنَا جُنْدُ النَّهَارِ ؛ وَالسَّلَامُ .

وَمِنْ ذَلِكَ نَسْخَةٌ سَجِلٌّ بِحِمَايَةِ الرَّبَّاعِ ، وَهِيَ :

مَنْ كَانَ فِيهَا يَتَوَلَّاهُ مَشْكُورَ السَّعْيِ مَجْمُودَ الْأَثْرِ ؛ مُسْتَعْمِلًا مِنَ النَّصِيحِ وَبَدَّلَ الْجُهْدِ
مَا يَزِيدُ الْخُبْرَ فِيهِ عَلَى طَيْبِ الْخَبَرِ ؛ مُعْتَمِدًا مَا يَدُلُّ عَلَى دَرَايَةِ وَخُبْرَةٍ وَدُرْبَةٍ ، مُتَوَخِّيًا

(١) لعله لاستيحايمهم .

ما يجعل الحدم إذا ما ردت إليه لم تحل في دار غربه - أستحق أن يورى زنده،
ويُرهف حده، وتقوى منته، وتُسحذ قريحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن عُرف نفاذه وأُنحِت خِلاله ، وشُكِرَ طرائقه
وآرْتُضيت أفعاله ؛ وظهر فيما يبشره غناؤه وأستقلاله ؛ وجمع إلى الكفاية نزاهه ،
وإلى الأمانة نباهه ؛ وإلى اليقظة عفاً وسداداً ، وإلى النهضة حزاماً لا يجد الطالب
عليها مستراداً - تقدم قتي مولانا وسيدنا باستخدامك في حماية الرباع السلطانية بالمعزية
القاهرة المحروسة : سکونا إلى جِدك وتشميرك ، وتعويلاً على تأتیک وتديريك ؛
فاستخِر الله وباشر ما ردت إليك من هذه الحماية بعزم لا يمازجه فتور ، وحرَم لا يصاحبه
قُصور ؛ وأكشِف أحوال هذه الرباع كشفاً يُعرف به حالها ، ويُعلم منه أستماتها
وآختلاها ؛ وأنصب لأستخراج مالها من السكّان ، وأستعمل في أستيادته غاية
الإستطاعة والإمكان .

وملاك الأمر فيها أن نتعهدا بالطواف فيها ، وأن تحافظ على حراسة غيرها ،
وتناول أجرها ؛ ورم مالعه يسترم منها ويتشعث ، والعكوف على ذلك بحيث لا يتوقف
فيه أمر ولا يتريث ؛ وحمل مال ارتفاعها إلى بيت المال المعمور بعد ما يُصرف
في مصالحها ، ويُطلق فيما يثبت به عليها ؛ ولك من الأمير من يُعينك ويُجِدك ،
ويُلبّي دعوتك ويعضدك ؛ ويظافرک على انتظام شئونك ومقصدك : من الأشتمال
بما يزيد على تأمليك ؛ فأجعل عليه اعتمادك ، وبه في الحل والعقد أسترشادك ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن الوظائف المكتتة عن الوزير لأرباب الوظائف الدينية نسخة سبيل
بالحكم بقوص ومشاركة أعمال الصعيد، وهي :

من تقدمت لأسلافه خدام ومناصحات، وكانوا مشهورين بأن طرائقهم في السداد
مستقيماً واضحاً، وعُرف جميعهم بالصيانة والديانة، والثقة والأمانة، والمحافظه
على ما يُحفظهم عند ولي نعمتهم، والعمل بما يقضى بطيب ذكركم وحسن سماعهم،
كان ذلك ذريعة له ووسيله، ومائة ينال بها المواهب الجزيله .

ولما كنت أيها القاضي على القضية المرضية من ولاء الدولة وطاعتها، والحرص
على الإخلاص لها ومشايقتها، والتحلّي بالعلم والتميز في أربابه، والتعلق بفعل الخير
والتمسك بأسبابه، والعمل بما ينفعك في عاجلتك وآجلتك، والاجتهاد فيما يبعث على
وفور حظك من الإنعام وزيادتك، وكانت لك دربة فيما تُعانيه ودرابه، وصولة
في حُسن التأتى إلى أمد بعيد وغايه، وقد تقدمت لأخيك القاضي الرشيد - رحمه الله -
خدمة أبانت عن حرصه ومناصحته، وأعربت عن وفور نصيبه من النهى ورجاحته؛
فأدى ذلك إلى بلوغه من رتب أمثاله أقصاها، وإلى أن استقرت خدمه عليه
وألقت عنده عصاها، وهذه نصيبك إذا أقتفيتا فقد عرفت مفضاها، وإذا
عكفت عليها نالك من الإحسان على حسنها ومقتضاها - تقدم قى مولانا وسيدنا
باستخدامك في النيابة في الحكم بمدينة قوص والمشاركة بأعمال الصعيد الأعلى :
تويهاً بك وتكريماً لك، وتمهيداً لمكان الإصطناع الذى رتبك فيه وأحلّك؛
فاعرف قدر هذه النعمه، وقابلها ببذل الطاقة في النصح في الخدمة، وبالغ
في الشكر الذى يُثبتها عندك ويديمها لك، وأحرص على القيام بحققها حرصاً تبدبه

نظراءك وأمثالك ؛ وأعمل في ذلك بما تضمنته التقليد المكتتب لك من مجلس
القاضي الأعز الماجد أدام الله تمكينه ، وما أودعه من وصايا مُرشده ، وهدايات
إلى الصواب مُقرّبةً وعن الخطأ مُبَعْدَه ؛ وأفعل في أمر المشاركة ما أشتملت
عليه التذكرة المعمولة من الديوان فإنه يُوضِّح لك منهج الصّلاح ، ويأتيك منه
بما يزيد على البغية والاقتراح ؛ وانتصب للعمارة والاستثمار من الزراعة بالمعدلة
على المعاملين ، والاستخراج لحقوق بيت المال على أحسن القوانين ؛ وواصل
من الجُمول ، ما يكون محققاً للظنون فيك والمأمول ؛ فأعلم هذا وأعمل به ،
إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة يسجل بالنيابة في الحكم والأجاس والحوالى بتغر دميّاط ، وهي :
أحق من كانت المواهب عنده مُحلّده ، والمنائح إليه متواصلةً متجدّده ؛
والعوارف تَفدُّ عليه فُتخيم في مَنّاه وتُقيم ، والفواضل تأتي نحوه فتستقر في مَثواه
ولا تريم ؛ والنعم الشتى لا تشكو في مواطنه آستيحاشا ولا اغترابا ، والمِنَّن إذا حُبِ
بها كان نيلُه لها آستحقاقاً منه لها وآستيجابا - من كُرمت أعرافه ومحاتده ، وشُهرت
أوصافه ومحامده ؛ وصنفت في المُخالصة مصادره وموارده ، وكثرت في تقرّيطه
غرائبُ النّناء وشوارده ؛ وشيّد منار أسلافه بالتخلُّق بخلائقهم ، وأبقى الحديث عنهم
باتهاج سبلهم وطرائقهم ؛ وأحسن برهم ، في الاقتفاء لأثرهم والاقتداء بهديهم ،
وإحياء ذكّرم ، بالعمل بما كانوا عليه في عودهم وبدّتهم .

ولما كنت أيها القاضي لهذه الخلال جامعا ، وإلى المرآشد مُصغيا سامعا ،
ولبُلوغ ماناله أسلافك بالناصحات راجيا طامعا ؛ ولك فيما يُسند إليك نظر يُدل

على صواب آرائك ؛ وفيما يردُّ إلى توكُّيك كفاية تميزك على نظرائك ؛ ولمَّا نُدبت للأحكام الشرعية ، أُنبت عن الديانة والألمعية ؛ وحين باشرت الأعمال الديوانية ، نصحت وأجهدت وأخلصت النية ؛ والذي بيده يتمسك بك ، ويتعلق بسببك ؛ لأنك لما استكفيتنه نهضت وأحسنت ، فلذلك يأبى أن يكلفه غيرك وأن لا يتكفله إلا أنت - تقدم فتى مولانا وسيدنا بكتب هذا المنشور بتجديد نظرِكَ فيما هو بيدك من النيابة في الحكم العزيز بنفردمياط - حماه الله تعالى - والمشاركة على الأعباس به ، وعلى مستخرج الجوالى فيه ، تقوية لعزمك ، وإمضاء لحكمك ، وشدًّا لأزرِك ، وتأكيِّدًا لأمرِك ، وإنفاذًا لقولك ، وبسْطًا ليدك ، وإيضاحًا لميزتك ، وإظهارًا لتكريمك ، وإبانة عن حسن النية وإعرا بًا عن جميل الرأى فيك ؛ فاجر على رسمك وعادتِك ، وأستغني بما أودعته تقاليدك من الوصايا ، وأستمر على نهجك الذى أفضى بك إلى أحد الأفعال وأجمل القضايا ؛ وأرتبط النعمة عندك بتأديك على عادتِك ، وتوسل بمشكور السعى إلى نمو حظك ووفور زيادتِك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم بالأعمال الغربية ، وهى :

من كان بالعلوم الدينية قنوما ، وفى الأمور الشرعية ممن يشار إليه ويومى ، وظلَّ من يجاريه من طبقته قليلا إذا لم يكن معدوما ؛ وعلم نفاذه الذى سلم من المناقضة فيه والإختلاف ، وعرف آعماده الواجب من غير ميل عنه ولا أنحراف ؛ وكان لشمل الديانة والأمانة مؤلفا جامعا ، وغدا الوصف بجميل الحلال وحميد الأفعال عنه مسموعا ذائعا ؛ وآثاره فى كل ما يتولاه مداحه وحُطباؤه ، وسفراؤه فى الرتب

الجليلة نراهته وظلّف نفسه وإباؤه - صارت الأحكام بنظره مرّهوه، وأضحت الخدم الخطيرة تتوقع بإسنادها إليه أستظهاراً وقوه، فهي تشوّف إلى أن يوليها حظاً من محاسنه يكسبها نضرة وبهاء، وتتصدى من نظره فيها لما يضمن لها إدراكاً للإرادة وبلوغاً إليها وأنتهاء.

ولما كنت أيها القاضي حائزاً لهذه الصفات، محيطاً بما أشتمت عليه من الأدوات؛ سالكاً أعدل طريق في الأمور إذا أشكلت، عاملاً بقضايا الواجب إذا اعتمدت الإقبال عليك وأتكتلت؛ ولك الخدمة السنيه، التي لا تطمح إليها كل أمنيه، والرتب الرفيعة التي لا ينالها إلا من كان عمله موافقاً لصديق النيه؛ وكل ما تباشره يغتبط بك ويأسى على فراقك، وكل ما حوّل على غيرك مباح لك لا يستجيبك له وأستحقاقك؛ فمن العدل أن تكون كفايتك على الأعمال مقسمة، وأن تكون آثارك في كل ماتعانيه من أمور المملكة علامة لك عليها وسمه؛ وكانت الخدمة في الحكم بالغبية من التصرفات الوافية المقدار، السامية الأخطار؛ التي لا يسمو كل أمل إليها، ولا يحدث كل أحد نفسه بتوليها؛ وقد أشتهرت خبرتك بالأحكام، وحفظك فيها للنظام؛ وبتك للقصاص المشكّه، ورفعك للنوب المعضله - فرأينا أستخدامك نائباً عن القاضي الأعزّ الماجد في الصلاة والخطابة والقضاء بالأعمال الغريبة المقدم ذكرها: إذ كنت تعدل في أحكامك، ولا تخرج عن قضايا الصواب في نقضك وإبرامك؛ ولا تمحاي في الحق ذا منزله، ولا تنفك معتمداً ما يقضى لك بالميزة المتأكدة والرتبة المتأمله؛ وأمرنا بكتب هذا المسطور شداً لأزرك، وتشييداً لأمرك؛ وإبراءً لزندك وتقويةً لعزمك؛ وضمناه ما تقدم ذكره من وصفك وشكرك، وتقريظك وإجمال ذكرك؛ والشناء على علمك، والإبانه عن قضيتك في قضائك وحكك.

فاعمل بما اشتمل عليه التقليد المكتتب لك من مجلس الحكم العزيز وأنته إلى ما أودع من فصوله ، وكن عاملاً بضمونه متبعا لدليله ؛ والله يوفقك ويرشدك ، ويعينك ويسدّدك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم والمشاركة بفرع عقلاّن من سواحل الشام ، وهي :

الذى منحنا الله من المفاز الدالّة على محلّنا عنده ، والمآثر التي أوصلنا بها من الشرف إلى أمد لا غاية بعده ؛ والقضايا العادلة التي أبانت عما أجزاه الله لنا من اللطائف ، والسياسة الفاضلة التي تشهد لنا بياض الصحائف ، قد ضاعف حظنا من التأييد فيما نراه وتمضيه ، وضمن لنا الهداية في حق الله تعالى إلى ما يرّضيه ؛ وأجزل قسطنا من التوفيق في اجتناب من تجتنيه ، وحبّب لنا إسئاء المواهب لمن كان قليل النظير والشبيه ؛ ووقف آهتما على التنبيه (؟) على كل مشكور المساعي ، وصرف أعترامنا إلى التفقّد للقاصد التي هي على الإصطفاء من أقوى الدواعي ؛ ووفّر ألفتاتنا إلى تأمل الإخلاص الذي صفت موارده ، وصحّت سرائره ، وأحكمت معاقده ، وأحصدت مرائره ؛ وتوكل لصاحبه في بلوغ المطالب البعيدة المطّارح ، وتبتّل لمن وفق له في سُبوغ العوارف المُخصّبة المسارح ؛ وجعلنا لا نفعل عنم بذل في الطاعة مهجته ، وأظهر بدعوه وانتصابه دليله على الولاء المحض ومجته ؛ وأبان عن تقواه وحسن إيمانه ، وتقرب باستفراغ وسعه إلى الله تعالى وإلى سلطانه ؛ وعمل فيما أوثمن عليه ما استوجب به جزيل الأجر ، وكان له من رأيه في أعداء الملة ما يقوم مقام العسكر الجرّ ؛ وعلم أنّ تجارته في المخالصة نافقة مُربحة ، وأن مراميه في المناصحة صائبة مُنجمه ؛ وتيقن أنا بحمد الله لأُحيب أملا ، ولأنضيق أجر من أحسن عملا .

ولما كنت أيها القاضي المكين المرتضى نقية الإمام جلال الملك وعماده
 ذو المعالي صفى أمير المؤمنين، مستولياً على هذه الخلال، التي تكفلت لك بإعلاء
 القدر، ومحتوياً على هذه الخصال، التي رتبتك على نظرائك في الصدر؛ ولك من
 الحرمات سوايق لأيطمع فيها بلحافك، ومن الموات شوافع تجعل جسامم النعم وفقاً
 لأستحقاقك؛ وقد عرفت بالحد والتشمير، وأشتهرت بصادق العزم وصائب
 التدبير؛ وجعلت مؤهلاً لكل أمر خطير ومهم كبير، واستقرت أنك إذا استكفيت
 جسيماً فقد وكلت منك إلى الأمين الخبير: لأن لك الرياسة التي لا تجارى فيها
 ولا تُبارى، والكفاية التي لا يُختلف فيها ولا يُتمارى، والفضائل التي تشهد بها
 أعداؤك وحسادك أضطراباً، وما زالت أفعالك في كل مانتولاه من الخدم الحليمة
 دالة على كرم طباعك، وأثارك معربة عن سعة ذرعك في الخير وأمتداد باعك،
 وأخبارك ناطقة بإثابك عن الباطل وأقتفائك للحق وأتباعك؛ ولما نظرت في القضاء
 تهلل بنظرك وجه الشرع، وأبنت عن اضطلاعك من علمه بالأصل والفرع؛
 وعدلت في أحكامك، ولم تعدل عن الواجب في تقضك وإبرامك؛ وفعلت ما أقر
 عين الله، وأربيت على من تقدمك من القضاة الحلة، وأعتمدت من الإنصاف
 ما بردت به الغلة وأزحت به كل عله؛ ووقيت هذه الخدمة جميع شروطها،
 وفسحت في توليك أمانى المظلومين بعد ضيقها وقنوطها؛ وقتت في ذلك المقام الذى
 يقضى بنبوت النعمة عندك وخلودها، وبالغت في ارتباطها بالشكر لعلك أن شرودها
 بكونودها. فأما الإشراف فإنك أتيت فيه مادلاً على حسن المعرفة، وأستقبلت
 في وجهه كل صفة؛ وأوضح أن كل من باشره لم يبلغ مداك، ولا جرى مجراك؛
 ولا وصل إلى غايتك، بل ما طمع بمداناتك ولا مقاربتك؛ وكل ما عديق بكفايتك فقد
 أتيت بحمد الله فيه على الأغراض، لاجرم أنه مستدع لزيادتك ومطالب ومتقاض؛

فحينَ اجتمعتْ لك هذه الأسبابُ استوجبتَ من إنعامنا ما يتزّه كرمنا عن تعويقه ،
ومن جزيل إحساننا ما يكون تعجيله حقاً من حقوقه ؛ فشرّفناك بتجديد ما هو بيدك
من الحكم العزیز والمشاركة بثغر عسقلان حماه الله تعالى ، وجعلنا النيابة في الحكم عنا
تتويهاً بك ورفعاً لشانك ، وتبييناً لموضعك عندنا ومكين مكانك .

فأعمل بتقوى الله التي أمر بها في كتابه الذي به يهتدى المؤمنون فقال عزّ من
قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وأجر على عادتك فيما حسن أترك ، وأطاب خبرك ؛ معتمدا
على ماتضمنته عهدك ، وأشملت عليه تقاليدك : من المساواة بين القوى والضعيف
في الحق ، وإجراء الشريف والمشروف في المحاكمة مجرى واحدا من غير فرق ؛
والنظر فيمن قبلك من الشعوب ، وحملهم على القانون المألوف المعهود : من إقرار
من ترتضيه ، والمطالعة بحال من تاباه لما توجهه طريقته وتقضيه ؛ والمحافظة
على أن لا يتعلّق بشيء من أمور الحكم إلا من أحمده فعله ، وحصل له من التركية
ما يزشكي به مثله ؛ إلى غير ذلك مما أودع فيها ، وأحاطت بها الوصايا التي لم يزل
يستوعبها ويستوفيها .

وأستقيم على سبيلك في ضبط المال وحفظه وصونه ، وأستعين على بلوغ المراد
في ذلك بتأييد الله وتوفيقه وعونه ؛ وتماد على سنتك في النظر في أحوال الثغر
المحروس والإتصاف لمصلحه ، والتوقر على منافعه ، والاجتهاد في الجهاد بأرائك ،
والاستمرار في ذلك على سيد أئمتك ، والله ولي عونك وإرشادك ، والمأن بتبليغك
فيما أنت فيه أقصى مرادك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة سجل بتدريس ، وهي :

أمير المؤمنين لما منحه الله من الخصاص التي جعلته لدينه حافظا ، ولصالح أمور المسلمين ملاحظا ؛ ولما عاد بسُمول المنافع لهم مواترا ، وبما أحظاهم عنده تبارك وتعالى معينا وعليه مثابرا ؛ لا يزال يؤليهم إحسانا وفضلا ومنا ، ويُسبغ عليهم إنعاما لم يزل تسم (؟) همهم إلى أن نتمنى ؛ وقد يسر الله تعالى لخلافته ودولته ، وهب لإمامته ومملكته ؛ من السيد الأجل الأفضل ، أكرم ولي ضاعف تقواه وإيمانه ، وأكمل صفى وقف أهتامه واعتزاه على ما يرضيه سبحانه ؛ وأعدل وزير لم يرض في تدبير الكافة بدون الرتبة العليا ، وأفضل ظهير آتبعي فيما آتاه الله الدار الآخرة ولم ينس نصيبه من الدنيا ؛ فهو يظافر أمير المؤمنين على ما عم صلاحه عموم الهواء ، ويفاوض حضرته فيما يستخلص الضائر بما يرفع فيه من صالح الدعاء .

ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة نعر الإسكندرية - حماه الله تعالى - على غيره من الثغور ، فإنه خليق بعناية تامة لاتزال تُنجد عنده وتغور: لأنه من أوقى الحصون والمعائل ، والحديث عن فضله وخطير محله لاتهمة فيه للراوى والناقل ؛ وهو يشتمل على القراء والفقهاء ، والمرابطين والصالحاء ؛ وأن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه ، والطائرين عليه ، متشتتو السمل ، متفرقوا الجح - أبو أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلذذين ، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبذذين ؛ وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة منا عليهم وإنعاما ؛ ومستقرأ لهم ومقاما ؛ ومثوى لجمعهم ووطننا ، ومحلا لكافتهم وسكنا ؛ فجدد السيد الأجل الأفضل أدام الله قدرته الرغبة إلى أمير المؤمنين في أن يكون ما يتصرف إلى مؤونة

كل منهم والقيام بأوده، وإعانتِه على ما هو بسبيله وبصدده: من عينٍ وغلة، مطلقاً من ديوانه، وأسترفد أمير المؤمنين المثوبة في ذلك فأجابه جرحياً على عادة إحسانه؛ وأستقرت التقدمة في هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد جمال الفقهاء أبوالطاهر: لنفذك وأطلاعك، وقوتك في الفقه وأستضلاعك؛ ولأنك الصدر في علوم الشريعة، والحال منها في المنزلة الرفيعة؛ والمشتغل الذي أجمع له الأصول والقروع، ومن إذا أختلِف في المسائل والنوازل كان إليه فيها الرجوع؛ هذا مع ما أنت عليه من الورع والتقى، وأن مجاريك لا يكون إلا ناكصاً على عقبه مُحققاً وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين، وتعلم ما علمك الله إياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين؛ ونرح أمره بكتب هذا المنشور بذلك شداً لأزرك، وتقويةً لأمرك ورفعاً لذكرك.

فأخلص في طاعة الله سراً وجهراً، فإنه تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ . وأعتمد توزيع المطلق عليهم، وتقسيمه فيهم على حسب ما يؤدي أجتهاذك إليه، ويوقفك نظرك عليه؛ وقرب من آرْتضيت طريقته، وأبعد من أنكرت قضيته؛ فقد وكل ذلك إليك، وعدق بك من غير اعتراض فيه عليك؛ فمن قرأه أو قرئ عليه من الأمير المظفر والقاضي المكين - أدام الله تأييدهما - وكافة الحماة والمتصرفين، والعمال والمستخدمين؛ فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن آحتوت عليه من الطلبة وإعزازهم، والأشتمال عليهم، والأهتمام بمصالحهم، والتوخي على منافعهم؛ وليتل هذا المنشور على الكافة بالمسجد الجامع، وليخلد بهذه المدرسة حجة بما تضمنته، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك سجل بولاية الحسبة من إنشاء القاضي الفاضل ، وهي :

من شُكرت خلائِقُه ، وتهدَّت طرائقُه ، وأمنت فيما يتولاه بوائِقُه ؛ ونيطت
بِعُرَى الصواب علائِقُه ، وفُرِجت بسداده مسالك الإشكال ومضايِقُه ؛ وأستحوى
من الأمانة قريئاً في التصرفات يرأفقه ولا يفارقه ، ونهض إلى الأستحقاق ولم تَعُقه
دونه عوائِقُه ، وأثنى عليه لسان الأختبار وهو صحيح القول صادقُه - استوجب أن
يُخصَّص من كل قول بأجمله ، وأن يُعانَ على نَيْلِ رجائه وبلوغ أمله ؛ وأن يُقتدَح
زند نَبْتِه ليرى نُورَ عمله ، وتيسر إلى النجاح متوعّرات طُرُقُه ومشكلات سُبُلِه ؛
وأن يقابل جريئانه في الولاية قبَلَه فيظهر عليه أثر الإحسان فيكون الشكر من قبل
الإحسان لا من قبله ؛ ويورد من موارد النجاح ما يتكفّل له بالرى من غلّه ، ويوسم
من ميايم الأصبغان ما يكون حلية أوصاله ويسفّع سداد خِلاله في سدّ خَلَلِه .

ولما كنت أيها الشيخ المشتمل على ما تقدّم ذكره ، المستكمل من الوصف
ما يجبُ شكرُه ؛ الآوى إلى حرز من الصيانة حريز ، المستغنى بَعَثائه عن الأستظهار
بعزوة العزيز^(١) ، المستوجب إلى أن يعدّ من أهل التمييز لأنه من أهل التمييز ، المستوعب
من الخلال الجميلة ما لا يقتضيه القول الوجيز ؛ المخرَج من قضايا الدنايا فما يستبيح
محرمها ولا يستحيز ، المدح في خديم كلّها أخلصته خلاص الذهب الإبريز ، وكانت له
مضاراً تشهد له أفعاله [فيها] بالسبق والتبريز ، المتوسل بأمانة عزبها جنابُه عن
الشبهة ووجدانها في الناس عزيز - تقدّم فتى مولانا السيد الأجل باستخدامك على

(١) العزوة بالكسر الاعتزاء . أى انه غنى بنفعه عن الاستظهار بالاعتزاء الى أحد . وفي الأصل بعزوة

الحسبة بمدينة كذا : فباشر أمرها مباشرة من يئذل في التقوى جهداً ، فلا يرى غيرها على ظملي ورداء ؛ ولا يراه الله حيث نهاه ، ولا يأمره أبداً وينهاه إلا نهاه ، ولا يرى ما كشفته إلا وهو عالم أن الله يراه ؛ وأنته فيها إلى ما ينتهي إليه من بدل غاية وسعه ، ومن لا يرتد عن جرركيه من عموم نفعه ؛ ومن يئذل بتهديب طباع الناس على طهارة طبعه ، ومن يستجزل حسن صنيع الله لديه بحسن صنعه ، ومن يستدعي منه بذل فضله بحظر ما أمر بحظره ومنعه . وأسلك فيما تستعمله من أمرها المذهب القصد والمنهج الأقوم ، واجتهد فيها آجتهد معتصم بحبل التقوى المتين وسببها المبرم . وأمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم . وأستوضح أحوال المطاعم والمشارب ، وقوم كل من يخرج في شيء منها عن السنن الواجب . وعير المكاييل والموازين فهي آلات معاملات الناس ، واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الإلباس والأدناس ؛ وحدّر أن تجمل دابة ما لا تطيق حمله ، وأدّب من يجرى إلى ذلك يتوئحى فعله ؛ وأوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتتبر بالنظافة مسالكها ، كما تتبر بالإضاءة حوالكها ؛ ففي ذلك إظهار لهجتها وجمالها ، وإيثار لصياتها عن إخالق نصرتها وأبتذالها ؛ ولا تمكن أحداً أن يحضرها إلا لصلاة أو ذكر ، قاطعا لسان الخصام وموقظا لعين الفكر ؛ فأما من يجعلها سوقاً للتجارة ، فقد حصل بهذه الحسارة على الخسارة ؛ فهي ميادين الضمر ، وموازين الرّجح في الظاهر من أعمالهم والمضمر ؛ وما أحق لياليها أن تقوم بها الهجد لا السمر ، وهل أذن الله أن ترفع لغير اسمه أو تُعمر ؛ وأحظر أن يحضر الطرقات ما يمنع السلوك أو يوعره ، وأفعل في هذا الأمر ما يردع العابت ويؤجره . وحذّ النصارى واليهود والخالفين بلبس العيار وشدّ الزنار ، ففي ذلك إظهار لما في الإسلام من العزة وفي المخالفة من الصغار ؛ وإبانة بالشدّ للتأهب للسير إلى النار ، وتفريق بين المؤمنين والكفار ؛ وأدّب من يكمل

مطففاً، أو يزن متحيفاً، أدباً يكون لمعاملته مزيفاً، وله من معاودة على فعله زاجراً
ومخوفاً؛ فاعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى .



ومن المكتتب عن الوزير لأرباب الوظائف الديوانية سجل بمشارفة الجوالى
بالصعيد الأذنى والأشمونين، وهى :

من حسنت آثاره فيما يتولاه، وأستعمل من الإجهاد مايدل على معرفته بقدر
ماتولاه؛ كان اعتماداه بما يؤكد سببه ويُنحج قصده ويسط يده؛ ويهف حده
فيا يضمن مصالح خدمته، وينظم أمرها فى سلك إيثاره وبغيته .

ولما كنت ^(١) لما نذبت إلى مشارفة الجوالى بالصعيد الأذنى
والأشمونين قد أبنت عن الخبرة والدراية، والأمانة والكفاية، والانتصاب
للاستخراج والحيايه؛ والاجتهاد فى الوفاء بما كتبت به خطك، والحرص على
ما يجزى نصيبك من جميل الرأى وقسطك - تقدم فتى مولانا وسيدنا بكتب هذا
المنشور مضمناً شكرك وإحمادك، ومودعا مايلغفك فى الخدمة بغيتك ومرادك؛
وتجديد نظرك وتقوية يدك، وإعزاز جانبك؛ وتوخيك بما يشرح صدرك،
ويشد أزرك، ويرفع موضعك ويريح علك؛ ويقم هيتك ويفسح مجالك،
ويبلغك آمالك .

فاجر على رسمك فى هذه المشارفة وأستمر على عادة دؤوبك، وأجعل التقرب
بالنصيحة غاية مطلوبك؛ وواصل الانتصاب لأستخراج مال هذه الجوالى

(١) بياض بالأصل . ومراده "أيا الأمير" أو نحوه .

وأسْتِنِضاضه وأسْتِيفائه وأسْتِنظافه، وتماد في ذلك على سُنَّتِكَ الحميدة، وطريقَتِكَ السَّديده؛ وتيق بأن ذلك يُسْفِرُكَ عن بلوغ أراجيك، ويضاعف سَهْمَكَ من حسن الرأى فيك؛ فليعتمد الأميران معاضدة المذكور ومؤازرته، وإعانتته ومظافرتة، وإجابة نِدائِهِ، وتلبية دعائه؛ والشَّد منه في استخراج البواقي مع المال الحاضر: ليجد السبيل إلى الوفاء بما شرطه على نفسه، وكتب خطه به؛ والمبالغة في ذلك مبالغة يعودُ نفعها على الديوان، ويشهد لها ببذل الطاقة والإمكان؛ فليعلم ذلك وليعمل به، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك سجلٌ باستيفاء الأعمال القبلية، وهو :

من كَرَم أصله ومَحْنده، وحسُن في الولاء ظاهره ومعْتدِه؛ ولقن المخالصة عن الماضين من أسلافه، ولزِم في المناصحة منْهجا لم يعدل عنه إلى خلافه، وتقل في جلائل الخدم بكثرة الثناء عليه والتعديد لأوصافه؛ وكان في كل ما يباشره على قضية تشهد بفضله، وتدل من محاسن الخلال على ما لا يجتمع إلا في مثله؛ على أنه قليل النظراء والأكفاء، كلَّف بالافتداء بمكارم الأفعال والإتياع لها والافتناء - أستوجب أن يُرفع مكانه ومحله، وأستحق أن يجمل من أعباء المهمات ما لا ينهض به [إلا] مثله؛ وصلح أن يجعل لما يراعى أمره سهما من نظره فيه، وأن يبرز من توليته إياه في ملبس جمال يُسبغُه حسنُ التدبير عليه ويضفيه .

ولما كنت أيها الشريف، تأج الخلافة، عضدُ الملك، صنيعة أمير المؤمنين، من جلة آل أبي طالب، والموقورى الحظ من المآثر والمناقب؛ ولك مع تسببك الشريف ميزة بيتك في الدولة العلوية - خلد الله ملكها - وتقدمه، وأستقرأرك

بِحُجَّةٍ مِنَ السَّاءِ لَا يَضَائِقُهُ أَحَدٌ مِنْ طَبَقَتِكَ فِيهَا وَلَا يَزِحُّهُ ؛ وَقَدْ تَوَلَّيْتَ أُمُورًا جَلِيلَةً
فَكُنْتَ عَلَيْهَا الْقَوِيَّ الْأَمِينِ ، وَأَهَّلْتَ لِمَنَازِلِ سَنِيَّةٍ فَأَوْضَحْتَ لَكَ الْإِثْرَ الْحَسَنَ وَأَظْهَرْتَ
مِنْكَ الْجَوْهَرَ الثَّمِينِ ؛ وَلَمْ تَتَنَقَّلْ قَطُّ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّاهُ ، إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا تُسْتَحْفَظُهُ
وَتُسْتَكْفَاهُ ، إِلَّا كَانَ الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَتَلَهَّفُ ، وَالثَّانِي إِلَيْكَ يَتَطَلَّعُ وَنَحْوَكَ يَتَشَوَّفُ ؛
وَمَا بَرِحْتَ مَلْتَمَسًا مِنَ الرَّبِّ الْخَطِيرَةَ مَخْطُوبًا : لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي غَدَّتْ فِي غَيْرِكَ
مُتَشَتِّتَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، قَدْ أُفِيَّتْ عِنْدَكَ مَجْتَمِعَةٌ مُتَأَلِّفَةٌ مُتَّسِقَةٌ ؛ فَلِكِ النَّزَاهَةَ السَّابِقَةَ بِكَ
كُلٌّ مِنْ بِيَارِكَ ، وَالْوَجَاهَةَ الرَّافِعَةَ قَدَرِكَ عَلَى مَنْ يُنَاوِيكَ ؛ وَالْأَمَانَةَ الَّتِي يَشْهَدُ لَكَ
بِهَا مِنْ لَأِيحِيائِكَ ، وَالِدِيَانَةَ الَّتِي حُرَّتْهَا عَنِ الشَّرِيفِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبِيكَ - تَقَدَّمَ قَتِي
مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا بِالتَّعْوِيلِ عَلَيْكَ فِي تَوَلَّى دِيْوَانَ الْأَسْتِيفَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْقَبْلِيَّةِ وَمَا جُمِعَ
إِلَيْهِ ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ الدَّوَاوِينِ قَدْرًا ، وَأَنْبَهِيهَا ذِكْرًا ، وَأَرْفِعِهَا شَانًا ، وَأَشْمِخِهَا
مَكَانًا ؛ وَنَحْرَجُ أَمْرَهُ بِكُتُبِ هَذَا التَّقْلِيدِ لَكَ ؛ فَبَاشِرُ ذَلِكَ مُتَقِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ ،
جَارِيًا عَلَى مِرَاقِبَةِ عَادَتِكَ الَّتِي تُرْتَلِفُ فَاعْلَهَا وَتُحْطِئِهَا ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ إِرْشَادًا لِعِبَادِهِ
وَتَفْهِيمًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

وَتَبَتَّلْ إِلَى عِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَتَرْتِجِجِ الْأَرْتِفَاعِ وَأَسْتَخْرَجِ الْأَمْوَالَ ؛ وَأَعْتَمِدْ
مُواصِلَةَ الْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ ، وَأَعْكُفْ عَلَى الْأَجْتِهَادِ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِقَلَّةِ الشَّبِيهِ وَعَدَمِ
النَّظِيرِ ؛ وَأَسْتَخْرِجِ الْبَوَاقِيَّ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَالْأَمَاكِنِ ، وَكُنْ عَلَى ضَبْطِ مَا اسْتَخْرَجَ
وَصُونِهِ أَحْفَظَ لَهُ مِنَ الْخِزَائِنِ ؛ وَأَنْظِرْ فِي أَمْرِ الْكُتَّابِ نَظْرًا مِنْ يَكْشِفُ عَنْ جَمِيعِ
أَسْبَابِهِمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ الْمَخَاطَبُ عَلَى خَطِّهِمْ وَصَوَائِهِمْ ؛ وَحُدِّثْهُمْ بِمُلَازِمَةِ الْأَشْغَالِ ،
وَالْمُواظَبَةِ عَلَى التَّنْفِيذِ وَعَلَى اسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ ؛ وَلَا تُسَوِّغْ لِضَامِنٍ وَلَا عَامِلٍ أَنْ
يُضَجِّعَ فِي الْعِمَارَةِ ، وَلَا أَنْ يَمَاطِلَ بِهَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَإِنَّ فَاثَتَ ذَلِكَ لَا يُلْحَقُ ،

وفارطه لا يدرك؛ وقد أزيحت علتك بسط يدك وإنفاذ قولك وإمضاء حكك؛
فماد على سنتك وأستمر على رسمك؛ وأعلم هذا وأعمل به، وطالع بما تحتاج إلى
المطالعة بمثله؛ إن شاء الله تعالى .



سجل بمباشرة الأغنام والمطابخ .

لما كانت الأمانة كافلةً بالنويه لأربابها ، والكفاية سافرةً في التمييز لمن يتعلق
بأسبابها ، والخبرة خلة لا يلبق التصرف ولا يحسن إلا بها ؛ وكنت أيها القاضي
مشهور النفاذ والمعرفة ، خليقاً إذا ذكر المرشعون للهمات بأجل صفه ؛ وقد علمت
نباهتك ، وأستقرت نزاهتك ؛ وحسن فيما تتولاه أترك ، وطاب فيما تباشره خبرك .
و حين عُدت بك الخدم فيما يستدعى ويُبتاع من الأغنام برسم المطابخ السعيدة
وما يُنفق ويُطلق منها ، متصرفاً في ذلك بين يدي المخلص السديد صفى الملك
مأمون الدولة أبي الحسن : فرج الحافظي أدام الله تأييده ؛ فشكر سعيك ، وأحمد
قصدك ، ورضى آجتهادك ، وأستوفى أعتادك - تقدمت في مولانا وسيدنا فلان
بكتب هذا المنشور لك ، مضمناً ما يقضى بشد أزرك ، وشرح صدرك ، وتقوية
مُتتك ، وإرهاق عزمك في خدمتك ؛ وأعتادك بما يؤدي إلى استقامة الأمر
فيما عُدق بك ، ومساعدتك ومعاضدتك ومعونتك في أسبابك ؛ وتبلغك أقصى
طِلابك ، والأميران يعتمدان رعايتك ، والشدد منك وإعانتك ، والمحافظة على مصالح
أمرك والتلبية لدعوتك ، وتوفير حظك من الملاحظة لشؤونك . فلتعلم هذا
ولتعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بمشارفة المواريث الحشرية ، والفروض الحُكْمِيَّة ،

وهي :

منشورٌ تقدم بكتبه قتي مولانا وسيدنا السيد الأجل الأفضّل لك أيها القاضي
الرشيد ، سيد الدولة ، أبو الفتوح محمد بن القاضي السعيد عين الدولة أبي محمد
عبد الله بن أبي عقيل - أدام الله عزك - لما أشتهرت كفايتك آشتهار الشمس ،
وأمنت أمانتك دخول الشبهة واللبس ، وسلكت مذهب أسلافك في العفاف
والتزاهة وظلّف النفس ؛ وظلّت آثارك فيما تتولاه شاهدة بديانتك ، وأفعالك فيما
تُستكفاه معربة عن نباهتك ؛ وسيرتك فيما تتكلفه منتهية بك إلى أقصى أمد
الاحتياط مُفضية ، وقد أضحي سبيل تقديمك مُعبداً منذلاً ، وغدوت لما يُناسب
كريم بيتك مرشّحاً مؤهلاً ؛ وإنما إبقاؤك على ما بيدك لتكفل إصلاحه وتهذيبه ،
وثمّ تثقيفه وترتيبه ؛ ولذلك كتب هذا المنشور مقصوداً على إقرارك على ما أنت
متولّيه من الخدمة في مشارفة المواريث الحشرية ، وتقرير الفروض الحُكْمِيَّة .

فاجر على رسمك وعاداتك ، وأستمر على منهجك في بذل أستطاعتك ؛ وألزم المعهود
منك فإنه مُغني عن الأستراذه ، وتماد على ما أتيت فيه على البُغية والإرادة ؛ وأكتف
بما تضمّنته التذكرة الديوانية المعمولة لهذه الخدمة ، وحافظ من الاجتهاد على
ما يجتدّد لك كلّ وقت ملبس نعمه ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وليُنسخ هذا المنشور
بمحيث يُنسخ مثله ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بعمالة، وهي :

عند ما وصفت به من أجهادٍ ومناصحه ، وأمانةٍ ليس فيها مساهلةٌ ولا مسامحة ؛
ومخالصةٍ آسرتت فيها القضية المستقيمة الواضحة ، وكفايةٍ تمسكت منها بالسبب
الوثيق وحصلت على الصفة الراجحة ؛ ومعاملةٍ تحريت فيها نهج من حُبب إليه
الأعمال الصالحة ، وكفايةٍ إذا باشرت الدهمة الكالحة أبدلتها بالعترة الواضحة ، وسُمتةٍ
ما برحت الألسن لذخائر ثنائها مبيحةً ولسرائر أسبابها بأئحة ؛ وإنك إذا أهلت لخدمة
جعلتها لشركك لسانا ، وليكتاب كفايتك عنوانا ؛ ومن كان بها ملما (؟) إذا رأته
دواءه كان مستعارا بك أحيانا .

فأعتمد في هذه الخدمة ما يحقق بك ظنا ، ويقيم لك وزنا ، ويُسدّ بك رُكنا
ويضاعفُ لديك مَنّا ، ويُنيك من الإحسان ما نمتي ، ويُسني لك من الزيادة
والحسنى ، ويتوكل في اقتضاء الحظ الجزيل الأسنى ؛ وأسترفع (؟) الحسابات التي
ما يلزم رفعها ، ويُحفظ به شرط الكفاية ووضعها ؛ وأكشف ولا تُبق ممكنا حتى
تكشفه ثم أستنطقه ، وحاصل به أصله ثم تجله ؛ وحاقق الجهاد على ما نرجت به
البرآت ، ورُفعت به الخلمات ؛ ولا تُحل وُصولا ، من أن تكون بخطك موصولا ؛
وأستخرج حقوق الديوان على ما مضت به مواضى سُننه ، وخذ من كل شيء
في خدمتك بأحسنه ، وأزل نفسك من شعور السنة بأمنع ظل وأحصنه ؛
وأحمل التّجار والسّفار على عوائد العدل وشرايطه ، وقضايا الصوب وحوائطه ؛
وشواهد الديوان وضرائبهِ ، ولا تتعدّ فيهم مألوف مطالبه ؛ وأنظر في الأملاك

السلطانية نظراً يُصلح معتلها، ويصحح محتاتها؛ ويوفر أجرها، ويُرِجِي غيرها؛
وكذلك الأحياس والأحكار والمواريث : حافظ على حفظ أَسْتغْلَها، وكَفَّ
كَفَّ من يُرى باستباحة أمر الحرمة وأستحلالها؛ وقد وردت لك من الديوان
تذكرة فاهتد بمنظومها، وأقتد بمرسومها؛ ولك من الآراء ما يشهد عزمك، وينقذ
حكك؛ ويُسنى موردك، ويعلى يدك؛ ويمثل الرعاية فيك، ويقم على أن تكفي
الديوان بما يكفيك؛ والسلام .

تم الجزء العاشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الحادي عشر

وأوله الفصل الثالث

(من الباب الرابع من المقالة الخامسة)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء العاشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- الوجه الخامس — فيما يكتب في ألقاب الملوك عن الخلفاء ،
 وهو ناطان ٥
- النمط الأول — ما كان يكتب في قديم الزمن ٥
- » الثاني — ما يكتب به لملوك الزمان ٦
- الوجه السادس — فيما يكتب في متن العهود، وفيه ثلاثة (خمسة)
 مذاهب ٨
- المذهب الأول — أن يفتح العهد بلفظ « هذا » ، وللكتاب فيه طريقتان
 الطريقة الأولى — أن لا يأتي بتحميد في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها الخ ٨
- » الثانية — أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميد ٤٦
- المذهب الثاني — أن يفتح العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة
 وكنيته ولقب الخلافة « إلى فلان » بأسم السلطان
 وكنيته ولقب السلطنة ٧٥
- » الثالث — أن يفتح العهد بخطبة ٩٨
- » الرابع — « » « بقوله « أما بعد فالحمد لله » أو
 « أما بعد فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ١٣٥
- » الخامس — أن يفتح العهد بـ « إن أولى ما كان كذا » ونحوه ... ١٤٥
- الوجه السابع — فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة،
 وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة، وما يكتب
 في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها ... ١٥٢
- » الثامن — في قطع الورق الذي تكتب فيه عهود الملوك عن
 الخلفاء ، والقلم الذي يكتب به ، وكيفية كتابتها ،
 وصورة وضعها في الورق ١٥٣

صفحة

النوع الثالث - من العهود - عهود الملوك لولاية العهد بالملك، وفيه

سبعة أوجه ١٥٨

الوجه الأول - في بيان صحة ذلك ١٥٨

» الثاني - فيما يكتب في الطرة ١٥٩

» الثالث - في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد ١٥٩

» الرابع - ما يكتب في المستند ١٦٠

» الخامس - ما يكتب في متن العهد ١٦٠

» السادس - فيما يكتب في مستند عهد ولي العهد بالسلطنة،

وما يكتبه السلطان في بيت العلامة، وما يكتب

في ذيل العهد ١٧٧

» السابع - في قطع ورق هذا العهد، وقلمه الذي يكتب به،

وكيفية كتابته، وصورة وضعه في الورق، ١٧٨

النوع الرابع - من العهود - عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين

بصغار البلدان؛ وفيه أربعة أوجه ١٨١

الوجه الأول - في بيان أصل ذلك وأول حدوثه في هذه المملكة

إلى حين زواله عنها ١٨١

» الثاني - في بيان ما يكتب في العهد، وهو على ضربين ١٨٣

الضرب الأول - ما يكتب في الطرة، وهو تلخيص ما يشتمل عليه

العهد (ولم يذكر الضرب الثاني) ١٨٣

الوجه الثالث - فيما يكتب في المستند عن السلطان في هذا العهد،

وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ١٨٨

صفحة

- الوجه الرابع - في قطع ورق هذا العهد، وقلمه الذي يكتب به،
وكيفية الكتابة، وصورة وضعها في الورق ١٨٨
- الباب الرابع - من المقالة الخامسة في الولايات الصادرة عن الخلفاء
لأرباب المناصب من أصحاب السيوف والأقلام،
وفيه ثلاثة فصول... .. ١٩٢
- الفصل الأول - فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة
أطراف ١٩٢
- الطرف الأول - فيما كان يكتب عن الخلفاء الراشدين ١٩٢
- » الثاني - » » عن خلفاء بني أمية ١٩٥
- » الثالث - » » » بنى العباس ببغداد إلى
حين انقرض الخلافة العباسية من بغداد،
وهو على أربعة أنواع... .. ٢٣٣
- النوع الأول - ما كان يكتب لوزراء الخلافة... .. ٢٣٣
- » الثاني - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
من أصحاب السيوف، وهو على ضربين ٢٤٢
- الضرب الأول - العهود ٢٤٢
- » الثاني - مما يكتب من ديوان الخلافة لأرباب
السيوف - التقاليد... .. ٢٦٢
- النوع الثالث - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
ببغداد من أصحاب الأقلام، وهي على ضربين ٢٦٣

صفحة

٢٦٤ العهود - الضرب الأزل

» الثاني - مما كان يكتب بديوان الخلافة ببغداد لأرباب

٢٩٢ الوظائف من أصحاب الأقلام - التواقيع

النوع الرابع - مما كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد -

٢٩٤ ما كان يكتب لرعماء أهل الذمة

الطرف الرابع - فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب

٢٩٩ والأندلس، ولذلك حالتان

الحالة الأولى - ما كان الأمر عليه في الزمن القديم (ولم يذكر

٢٩٩ الحالة الثانية)

الطرف الخامس - فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار

٣٠٨ المصرية، وهو على نوعين

النوع الأول - ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه، ولهم فيها

٣٠٨ أربعة مذاهب

المذهب الأول - أن يفتح ما يكتب في الولاية بالتصدير، وهو على

٣٠٩ ثلاث مراتب

المرتبة الأولى - أن يقال بعد التصدير المقدم « أما بعد فالحمد لله »

٣٠٩ وهي على ضربين

الضرب الأول - سجلات أرباب السيوف (ولم يترجم للضرب

٣١٠ الثاني)

المرتبة الثانية - أن يفتح السجل بالتصدير إلى آخر التصليية ثم يؤتى

٣٣١ بالتحميم مرة واحدة

- المرتبة الثالثة — أن يفتح بالتصدير أيضا إلى آخر التصلية ثم يؤتى
 بالبعدية من غير تحميد ٣٦٠
- المذهب الثاني — أن يفتح ما يكتب في الولاية بلفظ «هذا ما عهد
 عبد الله ووليه الخ» ٣٨٤
- « الثالث — أن يفتح ما يكتب في الولايات بخطبة مبتدأة
 بـ«الحمد لله» ٣٨٩
- « الرابع — مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأفلام ... ٤٣٩
- النوع الثاني — ما كان يكتب عن الوزير ٤٤٦

(تم فهرس الجزء العاشر من كتاب صبح الأعشى)